مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ديوان
الشعر العربي في تشاد

جمع وتقديم
د. محمد فوزي مصطفى

الكويت
2013

ديـــوان

الشعر العربي فـي تشـاد

جمع وتقديم

د. محمد فوزي مصطفى

الكويت

2013

التزويـــد

التدقيق الطباعي

عدنان بلبل الجابر

محمود إبراهيم البجالي

الصف والتنفيذ

قسم الانتاج في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميم الغلاف : **محمد العلي**

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (965+)

E-mail kw@albabtainprize.org

تصديـــر

ديوان الشعر العربي في تشاد هو كتاب جمع قصائده الدكتور محمد فوزي مصطفى عندما كان يعمل أستاذًا في إحدى الجامعات التشادية، وشعراء تشاد أعدادهم كثر، ولا يقتصر العدد بالتأكيد على الشعراء الذين اشتمل عليهم هذا الكتاب، فهذا البلد من الناحية الجغرافية والتاريخية هو امتداد لمحيطه العربي الزاخر بالشعراء وإبداعاتهم.. وهو جهد يشكر عليه الدكتور محمد، إذ إن معرفتنا بشعراء تشاد، ونتيجة لظروف كثيرة، تعدّ هذه المعرفة قليلة جدًّا، مقارنة بما نعرفه عن شعراء المنطقة ذاتها إنّ في موريتانيا أو المغرب أو الجزائر أو ليبيا وغيرها من بلدان المنطقة.. فبالتأكيد لن تقلّ تشاد عن هذه البلدان في إنجاب الشعراء والأدباء.. ولكن لم يجدوا من يأخذ بأيديهم ويبرز أسماءهم وأعمالهم.

وبالاطلاع على تراجم هؤلاء الشعراء الذي ضمهم الكتاب بين دفتيه، نجد أنهم كغيرهم من الشعراء العرب، كانت لهم الاهتمامات السياسية والاجتماعية والإنسانية نفسها، ونجد كذلك قوة في هذه القصائد من حيث اللغة الراقية والتعبير الصادق وحرصهم عل انتقاء ألفاظهم ومعانيهم مما يجذب من يطلع على هذه القصائد إلى متابعة قراءتها والاستمتاع بموضوعاتها وبما فيها من معانٍ وألفاظ جميلة..

ونجد أيضًا من ناحية أخرى، التباين الجلي في أساليبها فمنها ما هو أقرب إلى النثر ولغة الخواطر منه إلى الشعر، ومنها سليم الوزن ومنها مختله، ولست

هنا معنيًّا أو في وارد التقييم النقدي لهذا الشعر، فنقده إيجابًا أو سلبًا ليس هذا مجاله.. ولكن المؤسسة عندما وافقت على طباعة هذا الكتاب فإنما تتغيّا من وراء ذلك إطلاع القراء على المجمل العام للخريطة الشعرية في تشاد والتعريف بتراجم عدد من شعرائها الذين ظهروا في فترات زمنية متباينة، وبهذا تكون المؤسسة عملت على إثراء حركة الشعر وعملت كذلك على تشجيع التواصل بين الشعراء والمهتمين بالشعر العربي ووثقت الروابط من خلال إصدار هذه المطبوعات والكتب..

فهذا الكتاب يقع ضمن الإصدارات الخاصة التي درجت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على طباعتها بالرغم من أن هذه الكتب لا علاقة لها بإبداعات الشعراء الذين تختارهم المؤسسة أعلامًا على دوراتها الرئيسة أو ملتقياتها الشعرية المختلفة.

وأخيرًا.. يسرنا أن نقدم هذا الكتاب لأحبائنا الشعراء والأدباء ومتذوقي الشعر في دولة تشاد الصديقة، وإلى قراء الشعر العربي ومتذوقيه في سائر أقطار الوطن العربي على ضفاف جناحيه الشرقي والغربي..

ونأمل أن نكون قد قدمنا بهذا العمل ما يفيد الناس ويمتعهم ويطلعهم على جزء يسير من الموروث الشعري في تشاد.

والله ولـــي التوفيـــق

عبدالعزيز سعود البابطين

٢ من ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ

١٢ مـــن فبرايـــر ٢٠١٣م

****

إهداء وشكر

إلى الأخلاء والأصدقاء والزملاء في تشاد، فمهما طال العهد وبعدت المسافات وأخذتنا الأيام فإن حُبّي لكم ما زال موصولًا بحبكم الجم لي، وهذه الدراسة وغيرها من دراسات سابقة من باب الوفاء لأجمل سنوات قضيتها معكم في الجامعة..

مع جزيل الشكر والتقدير للأديب الشاعر الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين، فلولا أياديه البيضاء ما خرج هذا العمل للنور.

أخوكم

د. محمد فوزي مصطفى

جامعة قناة السويس – كلية التربية بالعريش

السادس من أكتوبر ٢٠١١

****

مدخل

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا كتاب في ديوان الشعر العربي في تشاد، أُقدِّمه لكل قارئ وباحث بعد جهد استغرق سنوات ... ومن حُسن الطالع أن تسهم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري – كما عهدناها دائمًا – بكل إمكانياتها المباركة في إخراج هذا العمل البكر في نوعه ليرى النور بعد قناعة تامة مني ومنها أن ديوان الشعر الإفريقي يستحق الرصد والدراسة؛ لأنه بِكرٌ وثَرٌّ.

والأمانة العلمية تقتضي القول إنه قد عقدت عدة مؤتمرات دولية[1] في تشاد عن اللغة العربية وآدابها، وقد شرفت بالمشاركة البحثية في كثير منها داخل تشاد وخارجها. لكن هذه الدراسة تنفرد بأنها لجمع ما تبعثر من نتاج الناظمين والشعراء، ووضعه بين دفتي كتاب بمنهجية دقيقة، تُشجعُ كل باحث وقارئ ومهتم بالأدب الإفريقي العربي أن يُقدم إضافة تضاف إلى إسهامات المبدعين.

---

(١) أهم المؤتمرات التي عقدت في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤، وشارك فيها المؤلف:

- المؤتمر الدولي الأول (اللغة العربية .. الواقع والمأمول) في جامعة الملك فيصل بتشاد، أكتوبر ٢٠٠٠م.
- المؤتمر الدولي بالجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر (من أجل أدب إسلامي فاعل ومتفاعل) في أبريل ٢٠٠٢م.
- المؤتمر الدولي بجامعة الملك فيصل بتشاد (عالمية الأدب الإسلامي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.
- المؤتمر الدولي بجامعة أنجمينا بتشاد (الدراسات اللسانية لدول الصحراء والساحل الأفريقي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.

وقد وجدت أمورًا كثيرة أخذتني نحو هذا الموضوع «ديوان الشعر التشادي العربي» والغوص في أنهار المخطوطات والقصائد المتناثرة، كان من أهمها أن جمهورية تشاد يتمتع سكانها بنعمة الإسلام منذ قديم الزمان. إذ يعتنق أكثر من خمسة وثمانين في المائة ٨٥٪ من سكانها الإسلام، منذ أن أشرق فيها نور الإسلام سنة ٤٦هـ، واستتبع ذلك تعلم اللغة العربية، فانتشرت حتى صارت اللغة الأولى في دستور البلاد مع اللغة الفرنسية.

فأفرز الإسلام بتعاليمه السمحة كثيرًا من العلماء والشعراء وقادة الفكر مشكاة الأمة وصُنَّاع الحضارة، ولمست هذا كله عن قرب خلال مدة إعارتي[1]. وخاصة أن الشعر التشادي ثرٌّ بموضوعاته وتشكيلاته الجمالية وتنوع مدارسه الفنية، واتجاهاته الفكرية، من أجل ذلك كله – ومن باب الوفاء للغة العربية وحماتها وكل مبدع تشادي – تَوجَّهت بكل حب فياض نحو هذا النتاج المطمور – فهو ثروة إبداعية لكل ناطق بالضاد – لجمعه ورصده وتأصيله، ولم يتم الرصد له اليوم فحسب بل منذ أن كنت أعيش معهم، ومن يومها بدأت رحلتي العلمية في التأصيل والتأليف والمشاركة البحثية في الشعر التشادي الغائب كثيرًا عن ساحتنا البحثية العربية.

وأزعم أن هذا الكتاب سوف ينقل الشعر التشادي من الضيق إلى السعة أو قل المحلية والإقليمية إلى العالمية، وفي هذا تأصيل وتشريف للحضارة العربية في قارة ثَرَّة اغتصبها المحتل وسقاها من مستنقع الفقر والجهل والمرض.

على أية حال فإن الدراسة تقوم على رصد الإبداع الشعري التشادي، إضافة إلى المنظومات، والتي تعد بداية موغلة في التاريخ لرحلة الشعر التشادي. واستطعت – بتوفيق الله – أن أرصد مخطوطات ومطبوعات وأوراقًا مبعثرة أتى على جُلِّها غوائل الزمن، لثلاثة عشر ما بين شاعر وناظم.

---

(١) أُعير الباحث من الأزهر الشريف للعمل في التدريس ونشر الثقافة الإسلامية في جامعتي أنجمينا بكلية الآداب وجامعة الملك فيصل بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية في الفترة من سنة ٢٠٠٠ حتى سنة ٢٠٠٤م وهي فترة ثرة بالمؤلفات والأبحاث العلمية من أهمها كتاب الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

وحاولت – بكل ما أملك – أن أصل إلى نتاجهم من عدة طرق أهمها: أواصر الصداقة القوية التي حظيت بها، أو من أماكن أكاديمية موثوقة[1]، أو عن طريق المراسلات. واستطعت أن أرصد أشعارًا تشادية من شتى المدارس الشعرية، ولم أهمل نتاج شاعر، مهما كانت قيمته الفنية لقناعتي التامة أن قضاة النص والدارسين سوف يأتي دورهم النقدي، وأن مهمتي الآن تتمثل في الرصد، والتعريف بالشعراء، وتوضيح ما استغلق من ألفاظ ومصطلحات تشادية وإفريقية، وذكر المناسبات التاريخية وغيرها، ثم الإشارة إلى الموسيقى الشعرية.

وارتأى الباحث تقديم الدراسة بمنهجية تاريخية، ترتكز على سبق ميلاد الشاعر؛ لكي يتسنى للقارئ والباحث – على حد سواء – السير في هذا الدرب الجديد، ومعه خارطة شعرية، فيتعرف على كل فترة زمنية وما فيها من سمات فنية وموضوعية. وله الحق بعد ذلك بين الالتزام بمنهجنا أثناء دراسته، أو أن ينحو نحو مناهج علمية أخرى كلاسيكية أو حداثية، يُقسِّم الشعراء من خلالها أو حسب رؤيته النقدية.

لذلك أخذت بالنسق التاريخي؛ لقناعتي التامة أنه سوف يعطي صورة كاملة ومحايدة للشاعر وشعره أو قل لخط سير الشعر التشادي. أما المناهج الأخرى، فقد تتسرب فيها الذاتية، وتقديم شاعر على آخر دون قصد أو بقصد، فتقع منهجية البحث في إشكالية خطيرة.

---

(١) تم رصد ديوان الشعر التشادي من عدة مصادر وثيقة أهمها:

١- الشعراء أنفسهم إذ جمعتني بهم صداقة قوية.

٢- النادي الأدبي بأنجمينا.

٣- مكتبة جامعة أنجمينا «المعهد الوطني».

٤- مكتبة جامعة الملك فيصل «مركز المخطوطات».

٥- مكتبة القصر الجمهوري.

٦- طلاب التبريز في الجامعتين.

٧- مراسلات بين المؤلف والشعراء.

وسوف تسير الدراسة بعد هذا المدخل نحو تمهيد موجز من باب إتمام الفائدة، يعطي للقارئ والدارس – على حد سواء – إطلالة موجزة عن الحياة التشادية وتاريخ الشعر فيها، ثم تنتقل الدراسة إلى الشعراء ونتاجهم وهم كما ذكرت آنفًا أربعة عشر شاعرًا وناظمًا وكل مبدع حظي بسيرة ذاتية وردت في هامش يقع في نهاية النتاج الشعري لكل شاعر.

ومهما يكن من شيء، فإنني آمل أن تكون دراستي قد استوفت المادة المرصودة؛ لتعم الفائدة.

وأتفق مع مقولة الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إذا رأيتم الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهدوا له بالصحة».

ولذلك أسأل الله تعالى أن يكون الكتاب كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بتوفيق الله أولاً، ثم بالرعاية الطيبة المباركة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الكويتية ورئيس مجلس إدارتها الأديب الشاعر الذي لا يألو جهدًا في تقديم يد العون لمثل هذه الأعمال، وأن تكون رعايتهم هذه بداية للرصد والبحث والتأصيل لآداب قارة أفريقيا، التي نسيناها كثيرًا في الماضي، وحقها علينا أن نذكرها اليوم وغدًا.

ومازال باب البحث مفتوحًا فطوبى للداخلين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد فوزي مصطفى

****

تمهيد: «جمهورية تشاد»

أولًا: إطلالة موجزة

يطيب لي في هذا التمهيد أن أقدم بين يدي القارئ صورة مصغرة لجمهورية تشاد، والتي اتسم ديوان الشعر فيها بثراء المضمون وجمال التشكيل. ومرد ذلك إلى تضافر عدة حيوات ساهمت في إفراز كوكبة من الشعراء ذوي الاتجاهات الفنية المتعددة.

ومن ثم رأيت من البدهي أن أقدم نبذة موجزة عن كل حياة؛ لتكون الرؤية واضحة؛ ولتتكامل منظومة ديوان الشعر التشادي العربي، وفى الوقت نفسه يمكن للباحث إصدار الأحكام النقدية بكل دقة علمية، بعد اختياره لأي شاعر، أو ملمح فني.

تقع جمهورية تشاد بين الشمال العربي والجنوب الزنجي في القارة الإفريقية، مما جعلها تتميز بنشاط واسع، وبحياة مزدهرة مع غيرها من الدول المجاورة، وخاصة الدول الإسلامية، فهي تمثل – إلى حد كبير – البوابة الشرقية لوسط وجنوب أفريقيا، إضافة إلى خصوبة أرضها، التي جذبت كثيرًا من الأجناس المختلفة فامتزج بعضها ببعض كالعرب والزنوج والنوبيين واليمنيين.

«وتمتد منطقة تشاد بين درجتي خط العرض ٨ °و٢٣ ° شمالاً، وبين درجتي خط الطول ٤ °و٢٤ °شرقًا. تحيط بها السودان في الشرق، وليبيا في الشمال، والنيجر ونيجيريا والكاميرون في الغرب، وأوبانجي في الجنوب.

وتبلغ مساحتها ١،٠٠٠،٢٨٤ كم٢، وتختلف فيها الفصول اختلافًا بينًا، وهي تتقلب بين رطبة ممطرة إلى معتدلة، فحارة منعشة إلى حارة مفرطة في الصيف.

وتوجد فيها ثلاثة فصول فقط تتراوح حرارتها تبعًا لدرجات البعد عن خط الاستواء... الخريف، الشتاء، والصيف»[1].

وساعدت الحركة التجارية، وكثرة الهجرات، والموقع الجغرافي على قيام أبرز وأهم ثلاث ممالك تشادية «مملكة كانم، ومملكة باقرمي، ومملكة ودَّاي».

وذكر المؤرخون أن مملكة كانم تنقسم إلى عصرين «العصر الكانمي، ويمتد من قيام المملكة شرقي بحيرة تشاد عام ٨٠٠ م إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي... والعصر البرناوي ويبدأ من انتقال الأسرة الكانمية إلى غرب بحيرة تشاد إثر الاضطرابات والحروب الأهلية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي إلى نهايتها في غمرة الاستعمار الأوروبي الحديث»[2].

وسرعان ما تدهورت هذه المملكة؛ بسبب ضعف الخلفاء، والتدخل الأجنبي والفتنة الداخلية. فعندما توالت الأحداث على مملكة (كانم برنو)، وأصابها الوهن والفتنة معًا، ظهر الشيخ «عثمان دان فوديو» في عام ١٨٠٤م بحركته الإصلاحية «ونتيجة لذلك تولى الشيخ محمد الأمين الكانمي الحكم وفي عام ١٨٩٣م غزا (رابح غازي) مملكة كانم برنو وبعدها قُسِّمت أول تقسيم استعماري بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وبذلك تلاشت بعد عمر دام حوالي ١٢ قرنًا من الأمن»[3].

ومما يثير الدهشة أن هذه المملكة/ كانم على الرغم من توالي المصائب والنكبات عليها، إلا أنها ظلت محافظة على الطابع الديني، ومن استخدام اللغة العربية محادثة وكتابة «وكان ملوكها يفضلون الحج إلى الأماكن المقدسة عن طريق القاهرة، وكانت لهم علاقة وطيدة بالحفصيين في تونس والليبيين في طرابلس والمصريين في القاهرة، وكذلك بملوك مالي وكانوا يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم والشريعة الإسلامية في محاكمهم وكان الحكم شورى بينهم، ولكن الإمارة وراثية»[4].

---

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت. ص١٢.

(٢) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنواسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٤٣.

(٣) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ص١٦.

(٤) د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.نهضة مصر، ١٩٩٠م، ص٢٩٣.

ومن الممالك التشادية التي دخلها الإسلام منذ ستة قرون مملكة «باقرمي» ودخلها الإسلام في أواخر القرن الخامس عشر، وكانت تعيش في رغد وسعة من

العيش «وقد أصبحت لها حياة اقتصادية منعشة نظرًا لغنائها بالمنتجات الزراعية والثروات الطبيعية غير أنها أصيبت بالتدهور والانحطاط بسبب حروبها مع مملكة وداي من جهة، ومملكة كانم برنو من جهة أخرى... حتى اضطرت إلى طلب الحماية الفرنسية في أكتوبر ١٨٩٧م»[١].

أما عن مملكة «وداي» المعروفة الآن باسم «أبشة»، «فيبدأ تاريخ مملكة وداي الحديث من عام ١٦١٥م ومرَّ على هذه المملكة مراحل عديدة من الصراع منذ عهد «عبد الكريم بن جامع» وقد لعبت مملكة وداي دورًا كبيرًا في نشر الإسلام، وتطور اللغة العربية والثقافة الإسلامية خاصة، وفي تشاد عامة، وذلك يرجع لعدة عوامل تمتاز بها عن غيرها من الممالك التشادية الأخرى. ومن هذه العوامل: موقعها المتاخم للسودان، ومصر، وليبيا، وإن الحكام فيها كانوا من عناصر عربية يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم الرسمية، والشريعة الإسلامية في محاكمهم المحلية، وكان لها اتصال وثيق بالباب العالي في إسطنبول عن طريق القاهرة»[٢].

وعن الحياة الاقتصادية في تشاد أزعم أن معرفة الوضع الاقتصادي في أمة من الأمم، يعطي صورة جلية للحالة السيكولوجية للشعراء، وخاصة ونحن نعلم أن جُلَّهم في كل وادٍ يهيمون، وعلى أبواب ذوي الأموال يقفون «كان التشاديون يهتمون كثيرًا بالرعي، والزراعة، والتجارة، والحرف اليدوية، والصيد البري والنهري، ولم يسلم التوسع في النشاط التجاري من الانغماس في تجارة الرقيق. وكان سلاطين كانم، وباقرمي، ووداي، والأقاليم الإسلامية الأخرى ينزلون عند بعض هؤلاء التجار

---

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص١٧.

(٢) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا ص٧٣ نقلاً عن كتاب: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال. عبد الرحمن الماحي ص٣٠.

المصريين في أثناء مرورهم بالقاهرة، وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة، لأداء فريضة الحج، إذ كانت الغالبية العظمى من حجاج غرب ووسط أفريقيا يمرون عن طريق مصر.

ويرتبط النظام الاقتصادي التشادي بالعادات والتقاليد الشائعة في المجتمع كاحتفالات الزواج والولادة والختان، والأعياد الدينية، وكذلك بالسحر والعرافة والوقاية من العين والحسد، والحياة الاقتصادية كلها في تشاد تتوقف على ما يجود به المطر[1].

وتتشكل التركيبة الاجتماعية للمجتمع التشادي من مزيج من القبائل المتعددة، والشعوب المختلفة، وكل شريحة من هذه الشرائح له تقاليده وسلوكياته، إلا أن رباط الدين يربطهم برباط قيم، ومعه اللغة العربية. وخاصة بين المسلمين وذكرت – آنفًا – أن تشاد قامت فيها ثلاث ممالك، وهذا يدل على وجود نسيج اجتماعي واحد «وكانت منطقة تشاد تضم مجموعة كبيرة من الشعوب والقبائل، وهذه القبائل والشعوب تختلف وتتباين أشد ما يكون الاختلاف والتباين لغة ودينًا وعادات وتقاليد، ويقدر عددها بحوالي (١٥٠) قبيلة تتحدث (١٠٠) لهجة محلية. ومن بين هذه القبائل نجد العنصر الزنجي، والعنصر الحامي، والعنصر السامي، وعناصر لا تزال تثير لغزًا يستعصي حله»[2].

والإسلام منذ دخوله تشاد، في القرن الحادي عشر الميلادي، ظهر أثره بصورة جلية في مظاهر الحياة الاجتماعية. فالإسلام في تشاد، يستمد رواقه من القرآن والسنة والإجماع والقياس على مذهب الإمام «مالك بن أنس» بالإضافة إلى قانون فرنسي، فرض نفسه بالقوة في عام ١٩٤٦م، لكن هذا القانون لم يلق اهتمامًا من المجتمع التشادي المحافظ «وينتشر كل من الإسلام والمسيحية والوثنية في تشاد، ويوجد ٨٥٪ من مجموع السكان يدينون بالإسلام و١٠٪ يدينون بالمسيحية، و٥٪ من الوثنيين. ويعتبر

---

(١) د.عبد الرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص٤١.

(٢) المصدر السابق ص٧١.

الدين الإسلامي في تشاد حجر الزاوية في كل أنواع النشاط السياسي والاقتصادي، وفي كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية كالزواج والطلاق والميراث والتربية والأخلاق»[1].

وتتميز تشاد بتوفر مجموعة من المعاهد الدينية الأزهرية: كمعهد (أبشة) العلمي، ومعهد الأبرار بمدينة (سار)، ومعهد السلام الأزهري بـ (أنجمينا)، وتوج ذلك كله بافتتاح قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة أنجمينا وافتتاح جامعة الملك فيصل، بالإضافة إلى آلاف من الخلوات «الكتاتيب» القرآنية، ونضيف إلى ذلك دور رجال الطرق الصوفية، من: قادرية، وتيجانية، وسنوسية...

ثانيًا: تاريخ الشعر التشادي

ترجع جذور الشعر التشادي إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري إذ ظهر الشعر في هذا الزمان على يد الشاعر «إبراهيم الكانمي» الملقب بالشاعر الأسود المتوفى في سنة ثمانٍ أو تسعٍ وستمائة وله أشعار قليلة تصطبغ بالإسلام، ومن ذلك قوله عند الموت[2]:

أفي الموتِ شكٌ يا أخي وهو برهانُ
ففيم هجوع الخلق والموت يقظانُ
أتسلو سلو الطير تلقطُ حبَّها
وفي الأرض أشراكٌ وفي الجو عقبانُ

وقوله في الإشارة إلى نيل المعالي بحسن الأخلاق، وتقوى الله، بغض النظر عن اللون والعرق[3]:

بكل لون ينال الحرُّ سؤدده
مهما تجرَّد من أخلاق السوء

---

(١) السابق ص٧٤.

(٢) د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق ص٣٠.

والـــنـــاس كـلـفـظ الـــعـــود مـشـتـرك

لـكـن يـرجـح بـين الـعـود والـعـود

ويعد «الكانمي» البداية الحقيقية لتاريخ الشعر التشادي، لكنها انقطعت ولم يستمر عطاؤها، ولم نعرف شيئًا عن نتاجها الشعري الحقيقي، فسوف تظل علامة استفهام أمام هذه البداية الغائمة.

وما أن نصل إلى منتصف القرن الثامن عشر، إلا ويظهر في سماء الشعر الشيخ (محمد الوالي سليمان). وورد عنه ترجمة وجيزة، وبعض منظوماته القليلة كقوله[1]:

أوصـــيـــكُـــمُ يـــا مـعـشـر الإخـــــوانِ

عـلـيـكـمُ بـطـاعـةِ الـرَّحـمـنِ

إيّـــاكـــمُ أن تـهـمـلـوا أوقـاتـكـم

فـتـنـدمـوا يـومًـا عـلـى مـا فـاتـكـم

وإنمـــــا غـنـيـمـةُ الإنـســـانِ

شـبـابـهُ والخُـــسْـــرُ فـي الـتَّـوان

ثم تأتي فترة زمنية ثرة بالعطاء الفني، ويمكن تسميتها بفترة «اليقظة» وهذه الفترة تبدأ تقريبًا من أواخر القرن الثامن عشر من سنة ١٨٥٠م وهي فترة تأسيس مدينة «أبشة»، واستمر عطاء شعراء هذه الفترة بشكل متواصل، إلى أن وقعت مأساة الكبكب سنة ١٩١٧م، وبعدها خمدت جذور الشعر كرد فعل طبعي مؤقت.

ومن أبرز شعراء هذه الفترة رائد البعث والإحياء في الشعر التشادي «عبد الحق السنوسي»، وجلة من الشعراء كالطاهر التلبي، والرماسي بن يعقوب.

وعلى الرغم من غزارة النتاج الشعري لهذه الفترة/ اليقظة إلا أنه يغلب عليها طابع المنظومات التعليمية، وضعف التشكيل الفني، واهتزاز العمود الشعري مع غلبة

---

(١) محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م، ص٥١.

الكمية الفكرية على الكمية الوجدانية، ومرد ذلك إلى أن أكثر شعراء هذه الفترة من العلماء والفقهاء، وهذا أمر طبعي.

وثمة فترة تاريخية أخرى للشعر التشادي، يمكن أن نسميها «الرقي والازدهار»، وتبدأ بعد حادثة الكبكب سنة ١٩١٧م إلى يومنا هذا.

والمراد بالرقي، هو ارتقاء الشعر، إذ ظهر الشعراء الذين عبَّروا عن آلام أمتهم وآمالها، والعروج بها إلى سماء الشعر الأصيل.

وأعني بالازدهار، رقي الشعر التشادي من حيث البناء الفني، ثم ازدهاره وانتشاره، ليس في موطنه التشادي فحسب، بل في خارج حدوده، وخاصة في المؤتمرات الدولية. ومرد ذلك إلى بزوغ نجم كوكبة من الشعراء المحدثين، وقد تم رصد وتأصيل نتاجهم في دراستنا هذه، وهم ثمانية شعراء ويسبقهم زمنيًّا ستة شعراء، وهم جميعًا أربعة عشر شاعرًا على النحو الآتي حسب تاريخ ميلاد الشاعر:

١- الطاهر التلبي ١٨٢٤م.

٢- عبد الحق السنوسي ١٨٥٣م.

٣- عبد الله يونس المجيري ١٩١١م.

٤- محمد جرمة خاطر ١٩٣٠م.

٥- حسين إبراهيم أبو الدهب ١٩٤٣م.

٦- عباس محمد عبد الواحد ١٩٤٤م.

٧- عيسى عبد الله ١٩٤٨م.

٨- عبد القادر محمد أبه ١٩٦٥م.

٩- عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٦٧م،

١٠- محمد عمر الفال ١٩٦٨م.

١١- أحمد عبد الرحمن إسماعيل ١٩٧٣م.

١٢- حسب الله مهدي فضلة ١٩٧٤م.

١٣- صبورة أرمياؤ محمد ١٩٨٠م.

إن هؤلاء الشعراء وغيرهم من بني وطنهم، حملوا راية الشعر التشادي فكانوا إضافة متميزة لديوان الشعر العربي، كما كانوا - من قبل- منارة لديوان الشعر التشادي، وسوف يستمر العطاء الإبداعي، وإن غاب عن الدراسة شعراء لم تتعرف عليهم الدراسة، فأزعم أنه في الغد سوف نستكمل ديوان الشعر التشادي؛ ليخرج وقد استوفى كل الشعراء التشاديين.

وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق

****

الشعراء

الطاهر التلبي[1]

(١)

[الوافر]

رجـــوتُـــكَ يـــا حـبـيـبَ الـلـــه طـه
تـــدارَكْـــنِـــي أحـــاطَ بـــيَ الـبـــلاءُ
بـفـضـلـكَ عـمَّـنـا والخـلـــق طـــرًّا
وأســـعـــدهـــم وأشـــرفـــهـــم عـــلاء
فـفـضـلـك يـــا أمـيـــنَ الـلـــه فـضـلٌ
دوامًـــــا لا يـلـيـقُ بـــه انـتـهـاء
وجـــودك يـــا أمـيـــنَ الـلـــه جـودٌ
كَـــوابـــلِ لا يمـــاثـلـــه عـطـاء
ووجـــهـــكَ يـــا مـلـيـحَ الخـــد شـمـسٌ
تـشـعـشـعُ نـورهـــا وقـــت الـضـحـاء

---

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عيسى الملقب ابن التلبي (١٨٢٤ - ١٨٩٢)، ولد في قرية مراية والقريبة من أم التيجان بجمهورية تشاد، وكان والده من أبرز علماء عصره، واشتهر بالفقه والورع. وحفظ القرآن الكريم في طفولته بدارفور في السودان. ثم انتقل إلى اليمن، والتقى بالشيخ أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية، فتبحر في علم التصوف. ثم عاد مرة أخرى إلى السودان والتقى في دارفور بالشيخ محمد المختار الشريف الشنقيطي شيخ الطريقة التيجانية في دارفور، ثم عاد إلى وطنه تشاد، وأسس الطريقة التيجانية. فحياة الشيخ مليئة بالترحال والاعتكاف مع شيوخ الصوفية، لذلك فإن جُلَّ نتاجه الشعري كان في المديح النبوي وذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ومدح الطريقة الصوفية خاصة شيخ الطريقة التيجانية «أحمد التيجاني» ثم باب التوسل والاستغاثة. وترك الشيخ منظومات مبعثرة وتم طباعتها بالآلة الكاتبة بعناية حفيده الحاج محمد قمر السليك، من رجال التعليم في تشاد.

لقاء تم بيني وبين حفيد الشيخ الأستاذ محمد قمر السليل في أنجمينا بحي مرجان، دفن في ٢٠٠٢/٢/٢٥م.

ولـونـك يـا جـلـيـلَ الـقـدر أزهـرْ

كـبـدرٍ لا يـشـابـهـه ضـيـاء

جـمـالـك يـا شـفـيـعَ الخـلـق فـاقَ[1]

جـمـال الـكـل لا فـيـه خـفـاء

نـشـأت مـنـزَّهًـا مـن غـيـر كـيـفٍ

«كـأنـك قـد خُـلِـقْـتَ كـمـا تـشـاء»

وَعِـلْـمـك يـا رسـول الـلـه بـحـرٌ

لأهـل الأرض طـرًّا والـسـمـاء

وجـاهُـك يـا إمـامَ الـرسـل واسـعْ

عـريـضٌ لا يـضـيـق بـذي خـطَـاء

ذكِـيٌّ صـادقٌ مـن غـيـر ريـبٍ

خَـيـارُ الخـلـق مـحـمـودُ الـسَّـخـاء

صـلاةُ الـلـه مـولانـا دوامًـا

عـلـى المـخـتـار مـا دام الـبـقـاء

****

(١) تشبع القاف عند القراءة.

(٢)

[الكامل]

يـا ربِّ صـلِّ عـلـى الـرسـول الأمـجَـدِ

بـحـر الحـقـائـق لـلـخـلائـق مُـرْشِـدِ

بـدرًا تجـلَّـى عـلـى الـوجـود بـأسـرهِ

وسـعـى عـلـى كُـلِّ الـبـريـة مـقـعـد

هـو وابـلٌ عـمَّ الجـمـيـع بـفـضـلـهِ

ومـراحـمٌ شـاعت بـلـطـفٍ تـودُّد

هـو سـابـقٌ، هـو لاحـقٌ، هـو سـائـقٌ

هـو نـاطـقٌ، كـافـي بـغـيـر تـردُّد

هـو شـافـعٌ، هـو طـائـعٌ، هـو خـاشـعٌ

هـو نـافـعٌ، يـعـطـي الجـمـيـع ويـرشـد

يـا سـيـدَ الـكـونـين طـه مـحـمـد

يـا مـن لـه جـسـمٌ يـضـيءُ تـوقُّـدا

يـا قـائـدَ الـرسـل الـكـرام بـأسـرهـم

يـا مَـنْ لـه كـلُّ الـدلائـلِ تـشـهـد

لـــولاكَ مـــا كـــان الـــوجـــودُ بـأسـره

أبـــدًا ومـــا نـــال الـــسـعـــادةَ مُـسْـعـد

يـــا جـسـم مـــا بـيـدي لأمـــرك حـيـلـة

لـكـن أمـــــدُّ لإبـــن أمـــنـــةٍ يـدي

وعـلـيـك صـلـى الـلـه يـا عـلـمَ الـهـدى

وعـلـى صـحـابـتـك الـكـرام الـسُّـجَّـد

****

عبد الحق السنوسي[1]

[البسيط]

(١)

أضحى مريضًا فؤادي ناكس الراس
يبكي لفرقة أحبابي وجُلاَّسي

---

(١) الشيخ عبد الحق محمد السنوسي (١٨٥٣- ١٩١٨م) رائد البعث والإحياء للشعر التشادي الحديث، ولد بقرية ترجم التابعة لمدينة أبشة. حفظ القرآن الكريم على يد والده، وسافر إلى بلاد الحجاز للحج، ثم ذهب إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وتفرغ لتدريس العلوم الدينية والعربية بأبشة، ونظرًا لمقاومته للمستعمر الفرنسي وأذنابه، فقد نال شرف الاستشهاد في مذبحة الكيكب الماساوية سنة ١٩١٧م (مذبحة الكيكب: مذبحة شهيرة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصر الحديث، ضد المستعمر الفرنسي، فأحداثها وقعت سنة ١٩١٧م في إقليم «وداي/ أبشة» وهي مدينة تقع شرق تشاد، مُتاخمة للحدود السودانية، وتعد البوابة الشرقية لشرق أفريقيا. وعندما استشعر المستعمر الفرنسي الخطر الذي سوف يلحق به من هذه المدينة العالمة المجاهدة، قام بجمع العلماء والأئمة وذبحهم بالسيوف، فصعدت أرواحهم إلى بارئها في جنات النعيم، ولكن أولادهم وأطفالهم حملوا راية الجهاد من بعدهم حتى تطهرت تشاد من براثن المستعمر الفرنسي. فالمذبحة نقطة سوداء مظلمة في تاريخ فرنسا الصليبية، وفي المقابل صفحة بيضاء من صفحات الجهاد الإسلامي المشرف في تشاد، لإعلاء كلمة الله والذود عن الوطن).

ومن أشهر قصائده «النونية الكبرى» وتبلغ نحو مائة وخمسة وثمانين بيتًا، و«النونية الصغرى» و«السينية» إضافة إلى كتب له في الاستغاثة والأوراد، وتم الحصول على نتاجه الشعري من معهد الدراسات الوطنية التابع لجامعة انجمينا ومن مركز المخطوطات التابع لجامعة الملك فيصل، وعاصر الشيخ مفكرين وأدباء في مصر منهم الشيخ جمال الدين الأفغاني فاستفاد من فكره الإصلاحي، وتأثر بشاعر البعث والإحياء محمود سامي البارودي، فكانت لهذه المعاصرة أكبر الأثر في تكوين شخصية الشاعر الإبداعية، إضافة إلى الأحداث التي عاصرها. خاصة مقاومة المستعمر الفرنسي، ومحاربة البدع والجهل المتفشي في مجتمعه.

ومن مؤثرات تكوين شخصيته الشعرية أنه ينحدر من أسرة شاعرة؛ فجده لأبيه الشيخ يعقوب أبو كويسة وغيره من شعراء أبشة، وتعددت موضوعات قصائد الشيخ ما بين المديح النبوي والمديح العام والرثاء والغزل والوصف، وتتسم أشعاره بالمحافظة والالتزام بعمود الشعر، وأثرٌ فيمن أتى بعده.

انظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي في دار وداي، د.محمد صالح أيوب، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١، ليبيا.

- الشيخ عبد الحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي، حبيب عمر.
- ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبد الحق السنوسي، بحث محمد الحبيب ٢٠٠١م.

تَشْتِيتُهم شَتَّتَ الحاجاتِ من أَمَلِي
وَشَتَّت النومُ عن عيني بإخْلاسِ
فَجُلْتُ في الناسِ كي ألقى لهم بدلاً
فلم أجدْ غيرَ وسواسٍ وخنَّاس
تالله لو لم أَذُبْ من فَقْدهم كَمَدًا
ما باتَ ساقي جُفوني مُذْهَق الكَأْس
وَظَلْتُ والهَمُّ مِنِّي غَولةٌ سَلَبَتْ
دِرْع اصْطِباري وعَضَّاني بِأضْراس
يا حَسْرَتِي مَنْ لِوَاشٍ رقتي أسفًا
لولاهُ ما عَزَلَتْنِي عَيْنُ حُرَّاس
يا سيِّدِي في الهوَى العُذْري مِنْ وَلَهٍ
لريم أُنْسٍ وأُسْدٍ فَوْقَ أفْراس
قد هامَ قَلْبِي لوادي أبِّشةَ[1] عَلَّ بها
خَيالَهُمْ فَوْقَ ماءٍ أمِّ كاملِ راس
إذا النَّسِيمُ عليها مَرَّ في سَحَرٍ
وعادَ يُنْشِقُنِي من ريحِ إيناس
وقد دعانِي لِنَوْحِ الثَّاكِلاتِ لهُمْ
داعِي هَدِيلٍ على أغْصانِ مِيَّاس
وهاجَ بُلْبُلُ أشْجانِي على شَجَنِ
ناعي إمام الهُدَى مُحَمَّد نِبْراس[2]
فَوَا لِشَمْس هدى من أُفقِها أفَلَتْ
وتلك حُجَّتُنا في مَوْكِبِ الباس

---

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) وهو شيخ عبد الحق السنوسي أستاذه.

كـــأنَّ فـــي صـــدره بُـسْـتـان مـعـرِفَـةٍ
سقـاه مِـنْ عـين خَـضْـرٍ[1] خَـيْـر غُـرَّاسِ
فَـالـبَـحْـر مـعْ مَـدِّهِ السبعَ البِـحَـارَ نَـدَى
أَقَـــلُّ مِـــنْ مَـــدِّه لِـــزَهْـــرِ قِـرْطـاسِ
يـا مـن تـطـوَّق حُـبَّ الـعِـلـمِ فَـاشْـدُ بنا
لِـسِـدْرَة الـمُـنْـتَـهَـى فيه مـن الـنَّـاسِ
أوراقُ كُـتْـبِ فُـنـون الـدِّيـنِ قـد نَهَـبـتْ
مَـعْ أصْـلِـهـا وتَـحـاتَـتْ بَـعْـدَ إيـبَّـاسِ
يـا ثَـكـل أُمِّ الْـكِـتـاب فـي ابـن بَـجْـدَتِـنـا
وثـــان كـفَّـتِـهـا فـي وَزْنِ قِـسْـطـاسِ
ويـــا تـــأيُّم أبْـــكـــارِ الحَـــواشِـــي لـهـا
عَـنْ زَوْجِـهـا الـمـاهـرِ الـنَّـفـاقِ والـكـاسِ
تـالـلـه لـــولا انـتِـظـامٌ لِـلْـمِـثـانِـي لـهُ
مـا كـان خـالَـفَـهُ الحَـبْـرُ ابـنُ عَـبَّـاسِ
صـحـيـحُ فـنِّ الـبُـخـاري ظـلَّ فـي عِـلَـلٍ
مِـــنْ بَـعْـدِهِ فَـرَقًـا مِـنْ مَـسِّ دَلاَّسِ
وفَـــرْعِ غُـصْـنِ خَـلِـيـلٍ ضـاعَ مُـورِقُـهُ
ورَهْـــوه بَـعْـدَهُ مِـنْ خَـبْـط هَـوَّاسِ
آلاف كُـتْـبِ فُـنـون الـدِّيـنِ قَـدْ نَسَـجَـتْ
فـيـهـا عـنـاكِـبُ جَـهْـلٍ بَـعْـد كُـنَّـاسِ
فَـرِيـدَةُ الـنَّـحْـو والـكـافـيَـةِ انْـطَـمَـسَـتْ
إذِ الخُـــلاصَـــةُ صـــارَتْ ذاتَ أَدْنـــاسِ

---

(١) وهو نبي الله خضر.

والشَّاطِبي لنا شَطَّتْ مسافَتُهُ
مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَصِفْهُ شَمُّ حُسَّاسِ
جَمْعُ الجَوامِعِ مِنْ كُلِّ الأُصولِ مَعَ الشْـ
ـشَاتِبِين شَتَّ فُرَادَى بَعْدَ حُبَّاسِ
وكُلُّ صُغْرَى وكُبْرَى في الكلامِ لنا
مِنْ بَعْدِهِ أعْقَمَتْ مِنْ كُلِّ مِقْياسِ
وانزاحَ حِصْنُ حَصَينِ الصَّرْفِ إذْ عَجَزُوا
عَنْ وَزْنِ أرْكانِهِ بِمَوْتِ هِنْداسِ
لو لم يَكُنْ قُطْبُنا التجاني[1] خَلَّفَهُ
في مَنْهَلٍ لِلْوَرْدِ منه خَيْرُ رَيَّاسِ
ما كان في مَنواشي[2] منه مُسْتَتِرًا
بِعَيْنِ ماضي[3] ضَمِير الشانِ مِنْ فاسِ[4]
لو يَقْبَلُ الموتُ منَّا فيه ذَبْحَ فِدَا
لَمَدَّ عُنْقَ فِداه كُلُّ ذي راسِ
إنَّا إلى الله إنَّا راجِعونَ لهُ
كيف المُقامُ بلا شَيْخٍ وسَيَّاسِ
يا طول نَوْحِي بَنات فِكْرَتِي أسَفا
وحُقَّ معها البُكا من كُلِّ أجْناسِ
ولو أتَتْ بالدَّراري في الرِّثاءِ لَهُ
لَقَلَّ عَنْ قَدْرِهِ مِنْ بَيْتِ أكْياسِ

---

(١) الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة التيجانية المنتشرة في حاضرة وداي.
(٢) المنطقة التي يقيم فيها الشيخ محمد أبو راس (شيخ عبد الحق السنوسي).
(٣) مسقط رأس الشيخ أحمد التجاني ومنطقته.
(٤) مدينة فاس المغربية مصدر الطريقة التيجانية.

يـا سـيِّـدي أنــتَ فـي الـدُّنـيـا أبُــو أمـلـي

فـلا تَـكُـنْ لـيَ يـوم الحَـشْـرِ بـالـنَّـاسـي

وابـشِـرْ بِـوَفْـدٍ عـلـى الـرَّحْـمَـن إذ سَـبَـقَـتْ

رَحْـمـاتُـهُ غَـضَـبَ الـعـاصِـي لَـهُ الـقـاسـي

يـلـقـاك بـالـرَّحـبِ والـزُّلْـفَـى مُـبَـشِّـرَةً

فـي رَوْض قَـبْـرِهِ بِـوَجْـهِ غَـيْـرَ عـيَّـاسِ

وَلَــمْ تَــزَلْ نِـعَـمَ الـرُّضـوانِ بـاعِـثَـةً

عـلـيـك مِــنْ جَـنَّـة المــأْوَى بِمِـقْـيَـاسـي

وَبَــــرْدُ ظِــلِّ لــواء الـحـمـد يـشْـمَـلُـنـا

مَــعَ كُــلِّ أحْـبـابِـنـا مـن غَـيْـرِ إبْــلاسِ

مَــعَ الـصَّــلاةِ عـلـى الـمُـخْـتـارِ شـافِـعُـنـا

أذْكَـــى سَـــلامٍ لَـــهُ مـن بَـعْـدِ أنْـفـاسِ

****

(٢)

[الكامل]

وَأَدِمْ صلاتَكَ للنبيِّ وآلِهِ
والصَّحْبِ كابْنِ حُصَيْنِهِمْ عِمْرانِ

سائِلْ ديارَ (أبشَّةٍ)[١] عن جِيرةٍ
وارْوِ الحديث لهُمْ عن الجُدْرانِ

وأطِلْ وقوفك لي برمل ام كاملٍ[٢]
نقضِي لُبانات الفؤادِ العاني

وأعِدْ لذيذ حديث سُكَّان اللِّوَى
مُتَسلْسِلاً لأبي زنادِ جَنانِ

وانْشُدْ هنالك عن فُؤادِي ذَابلي
أسَفَا بِمَنْزِلِ زَهْرَةِ النِّسْوانِ

مَغْنًى فَقَدتُ به غُصُون فرائدٍ
تهتزُّ في وَرَقِ الحريرِ القاني

من كلِّ بَرْقاويَّةٍ[٣] في خَلْقِها
حُسْنٌ وليست من ذوي الإحسانِ

إذْ حلَّلت سَفْكَ الدماءِ بِسِحْرِها
وقَضَتْ به جَوْرًا على الشُّبَّانِ

---

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) مسطح مائي يرتاده الناس للتزويد منه، ويقع الآن داخل أبشة.

(٣) يعني الفتاة البرقاوية إلى وداوية.

وَامْـــرُرْ علـى السُّوق القـديم وقِـفْ بنا

نـبكـي لـيـالـي يـوسُـفِ السُّـلْـطـانِ[1]

أيـــامَ كـــان الـلـهـوُ ديـنـي والـــهَـوَى

شُـغْـلِـي ولا لِـــيَ لائِـــمٌ أو شـانِ

والـعـيـشُ رغـدٌ بـين أُنـسٍ (غـزائـلـي)

وأُسُـــــودِ غـــابٍ لـــيَ مِـــنِ الخُـــلاَّن

أكـــــرِمْ بـــه مَـلِـكًـا عَـهِـدت كـأنـه

بـــدرٌ تـــوسَّـــطَ هـــالَـــةَ الـسُّـــودانِ

فـاعْـكِـفْ بمـنـزِلِـهِ ونُـــحْ وانْـــدُبْ بـهِ

نهَـــبَ المـجـالِـسِ وانْـــتِـــزاهُ لِـــمـانِ

أسَـــفًـــا لـفـقـد بـنـيـهِ إبـراهـيـم أو

عـبـدِ الـعـزيـزِ وعـــابِـــدِ الـرَّحـمـانِ

وأذُوبُ إنْ ذَكَـــروا خـمـيسَ سَـلامِـهِ

بـعـد الجُـــزولِ أو الـسَّـنُـوسـي الـثَّـانِـي

ذهـــب الـكِـــرامُ فـمـا تـــراهُ وفـرَّقـوا

مـن بـعـدِهِـمْ شَـمْـلـي عـلـى الـبُـلْـدانِ

وغَـــدَتْ أضـالـيـلُ الـمُـنَـى تَحْـكِـي لنا

أخـــبـــارَهُـــمْ عـــن كـــاذبـــاتِ أمـــانِ

وسَـــرَى الـنَّـسـيـمُ عـلـى رُسُـــومِ ربـوعـهـم

وَهـــنَّـــا يُـــنـــاوِحُ نـــاعـــيَ الـبُـنـيـانِ

وحَـكَـــى عـلـيَّ إشـــارةً مـن عِـلـمِـهـم

سِـــــرًّا فَـنَـبَّـــه واســـــنَ الأحْـــــزانِ

---

(١) السلطان يوسف، صديق وجليس الشيخ عبد الحق السنوسي.

فَسَلَكْتُ نهجَ الناعياتِ هَديْلَها
وكما تُناشِدُ لاعبَ الأغْصانِ
وَصَحِبْتُ سِرْبَ الثَّاكِلاتِ وجِيدَها
ليلاً بها ضَرْبٌ من الهَذَيانِ
ورجَوْتُ دُولابَ الزمانِ لعلَّهُ
يأتي بهم فبمُطْلِهِ أغْياني
يا صاحبي أن الفِداءُ فأسْعِدا
دَمْعي فإن لم تُسعِدَا فَذَراني
فلقد دَعاني للبُكاءِ مُغَرِّدٌ
سِرِّي الخفيُّ وسِرُّهُ سِيَّانِ
عَرَف السُّجُوعَ ولحْنَهُ فلطالَما
غَنَّى فأغْناني عن الألحانِ
وإليْك عنِّي يا عَذُولُ فإنَّني
قد كُنْتُ في شانِي وأنتَ بشانِ
إن كُنت لم تدرِ الغرامَ وأهْلَهُ
سلني فإنِّي قَيْسُهُ اللُّبنانِ[1]
لم أصحُ مِنْ ثَمَلي براحِ (قولهم)
إلا إذا ذُكِرتْ لي الحَرَمان
بَلَدٌ بأبْطَحِهِ تَجِدْ أُمُّ القُرَى
في بيته المعمُور رَبْعُ أمَانِ
أكرِمْ بها من حُرَّةٍ مَخْروسةٍ
لَبِسَتْ شعارَ شقائقِ الإيمانِ

---

(١) قيس بن ذريح، المعروف بقيس لبنى.

وتبرقعتْ بالدِّينِ تحتَ مَلاءةٍ
مَصْريَّةٍ زُرَّتْ بشاد رَوانِ
فلقد جَعَلْتُ لها رُوحِي فِدًا
من بعدِ جَعْلِ دمي من القُرْبانِ
لم أنس وُدَّ أحبَّةٍ لي عنْدَها
يُنْسِيكَ باقِلُهمْ[1] زَكَى سُحْبانِ[2]
من كُلِّ سُنِّيِّ الطريقةِ لم يَدِن
بِغُلُو قِسيسين أوْ رُهْبانِ
كُلُّ الليالي لي بهم قَدَرِيَّةٌ
واليومَ عيدٌ والرَّبيعُ زماني
يا سُوءَ حظٍّ عنهُمُ قدْ عاقني
إذ حصَّبُوا وسروا مع الرُّكْبانِ
وإلى العقيقِ بهمْ حَدَا الحادي فيا
بُشْرَى لواءِ أبْرَكِ الوديانِ
يَهْنِيهُمُ بوصالِهِ لُقْيا قُبا
وقُبابُها مرفوعةُ التيجانِ
وإذا البلادُ كأنَّ كُلَّ جِهاتِها
لَبِسَتْ بُرُودَ شَقائِقِ النُّعمانِ
وإذا البِقاعُ كأنَّما انتشرتْ بِها
حَصْباءُ دُرٍّ من عُقُودِ جُمْانِ

---

(١) واحدًا من أحمق العرب.
(٢) أفصح رجل من العرب.

مـا كـانَ أحْـلَـى صَـوْتُ سـاجِـعِـهـا إذا
هـو مـن ثَـنِـيَّـاتِ الـوداعِ دَعـانـي
وأنـاخ بـي بمـديـنـةٍ سـبـئِـيَّـةٍ
رجـعـتْ أيـاديـهـا بـكـلِّ مـكـانِ
فـسـألـتُ أُحْـدًا عـن حـديـثِ مُـحـبِّـهِ
فـرأوْه مُـطَّـرِبًـا مـن الأشـجـان
إذ قـال هـذا رَبْـعُ عَـزَّتـهِ فَـنُـخ
وأطِـلْ بُـكـاك لـبَـيْن أهـلِ الـبـانِ
والـثـم ثـرى أثـارهـا ثـم اعـتـنـق
حـورًا وولـدانًـا مـن الـسُّـكـان
فـي ظـل طـوبـى مسـجـدٍ لـو شِـمْـتَـهُ
لـوجـدتـه إرمًـا بـنـاهـا الـبـانـي
قـد أسَّـسَـتْـهُ يـدُ الـتُّـقَـى فـي روضـةٍ
أضـحـى بـهـا دِهْـلـيـزُ سَـبْـعِ جِـنـانِ
حـيـثُ الـنـبـوةُ والـرسـالـةُ والـهـدى
فـي قُـبَّـةٍ رُفِـعَـتْ عـلـى الـعـدْنـانِ
بـيـتُ الـقـصـيـدِ وجـيـدُ دُمْـيـة قَـصْـرِهِ
ومُـديـرُ دَوْلَـةِ كُـورةِ الأكْـوانِ
وجـديـرُ رُسْـلِ الـلـهِ مِـسْـكُ خِـتـامِـهِـمْ
وَمُـحِـيـطُ سَـبْـعَـةِ أبْـحُـرِ الـعِـرْفـانِ
مـا لـلـوسـيـلـةِ والـشَّـفـاعـةِ والـلِّـوَى
إلا ابـنُ بَـجْـدَةَ حَـضْـرَة الـدَّيَّـانِ

رفـعـتْ عـنـايـةُ ربِّـهِ ذكـرَى اسـمـه
مـعـهُ بـعـرْشِ مـنـارِ كـلِّ أذانِ
إذْ شُـقَّ مـن مـعـنـى اسْـمـهِ عـلَـمًـا لـه
وبـنـى عـلـيْـه دعـائـم الأدْيـانِ
فـاعْـجـبْ لأغْـيـدِ خَـلْـقِـهِ فـكـأنمـا
ولـدتْـه مـن بـين الـورى الـقـمَـرانِ
وكـأنَّ يـوسـفَ[1] عـاد فـي حـدثٍ وقـدْ
تَمَّـتْ لـنـظـم جـمـالِـه الـشَّـطْـرانِ
فـلِـذا اسـتـقـلَّ الـبـدرُ قَـطْـعَ يـدٍ لـه
وأتـى بـشـقٍّ جـبـيـنـهِ الـمُـزدانِ
وأتـى لـهُ الإنجـيـلُ قـبْـلُ مُـبَـشِّـرًا
بـقـمـيـصٍ بـعْـثـتِـهِ مـع الـرُّهْـبـانِ
والجـنُّ غـنَّـتْ إذ رَوَتْ أخـبـارَهُ
مَـسْـنُـودَةً بمـدارسِ الـكُـهَّـانِ
لـم تَـدْرِ أن الـدَّهـرَ كـان لـه أخٌ
حـتـى أتـى فـتـثـلَّـثَ الـمَـلَـوَانِ
والـدِّيـنُ أصـبـح فـي الـعـرائـس ضـاحـكًـا
لـلـشِّـركِ عـنـد جـنـائـزِ الأوثـانِ
وعـيـونُ فـارسَ انْـشِـقَـتْ إذ أُخْـمِـدَتْ
نـيـرانـهـا بـتـشـقـق الإيـوانِ
والـمُـوبـذانُ رأى الـخـيـولَ بـدَجْـلـةٍ
ورأى هِـرَقْـلُ الـرومِ مُـلـكَ خِـتـانِ

---

(١) يوسف عليه السلام.

والـضـبُّ قـام مَـقـام قُـسٍّ قـبلَـهُ
فـحـكـى الخـطـيـبُ بـه رِفـاقَ بـيـانِ
ومـن الـسـمـا تَـبـعـثـهُ رِدْءُ غَـمَـامَـةٍ
فـي الأرْضِ فـيْءٌ مـالَ عـن أفـنـانِ
والـذِّئـبُ ظـاهـرَهُ فـأرْشـدَ راعِـيًـا
ورعـى لـه غَـنَـمًـا بـشـرطِ ضَـمَـانِ
ووَفَـى الـغـزالُ لـه بـشـرطِ ضـمـانـةٍ
والـفـحـلُ خَـرَّ بـسـجْـدَةِ الإذْعـانِ
والجـذْعُ حَـنَّ مـع الـفـراغِ لأجـلـهِ
وأتَـتْـهُ أشـجـارٌ بـطـوْعِ عِـنـانِ
لـو قـابـلـتْ مِـرْآكَ طـلـعـةُ وجـهـهِ
لـرأيـتَ شَـمْـسَ الـسَّـعـدِ فـي إنـسـانِ
ومـكـارم الأخـلاقِ عِـقـد سـنًـا لـهُ
نـظـمـتْـه فـي خَـيْـطِـي هـمـا الـفَـجْـرانِ
وحـوى بـأبْـجـده الخـصـالَ جـمـيـعَـهـا
وتـوارَدْت بـحـروفـهـا الـثَّـقَـلان
مـن لـي بـنـفـحـةِ نـظْـرةٍ وَهْـبـيَّـةٍ
فـي روض وجْـهٍ زاهـر الـبـسـتـانِ
ذا شَـجَـةٍ يَـظْـمَـا الـفـؤادُ لـهـا فـيلـ
قـاهـا هـلال الـفـطـرِ فـي رمـضـانِ
هـو رحـمـةُ الـلـهِ الـتـي قـد أُرْسِـلَـتْ
لـلـعـالـمـين بـهـا يـدُ الـرحـمـانِ

وخـيـارُهـمْ كـالـرُّسـلِ والأمـــلاكِ للـ

خُـلُـق الـعـظـيـم لـهُ ابـتَـدَا عُـنـوانـي

إذ جـــاءت الـتـكـويـرُ فـي تـكـويـرهـم

فـلـهُ أتـت مـن بـعـدِ سَـبْـعِ مـثَـانِ

تَـبَـع الخـلـيـلَ بـخِـلَّـةٍ فـي مِـلَّـةٍ

وازداد كـأسُ مَـحَـبَّـةِ الـمَـنَّـانِ

وانْـشَـقَّ مِـنْ ذاك الـتـجـلِّـي قَـلْـبُـهُ

وتـعـبُّـدًا غَـسَـلَـتْ لـه الـمَـلَـكـانِ

وعـلـى الـسَّـمـا تـتـرى فـسـوًّى خَـلْـفَـهُ

رُتَـبَ الـكـلـيـمِ مـع الـوراءِ الـدَّانِ

وَرَقَـى وجـاوزَ عَـرشَ فَـرْش الإسْـتـوا

وَدَنَـا بِـقـابِ الْـقَـوْسِ أيَّ تَـدَانِ

مـا زاغ مِـنْـهُ ولا طَـغَـى بَـصَـرٌ لَـهُ

عـن نَـظْـرةٍ مـن غـيـر كَـيْـفٍ عَـيَـانِ

كـلاَّ ولا كَـذَبَ الـفـؤادُ بمـا رأى

طِـبْـقًـا لِـعَـيْـنـي رأسـهِ الـرُّوحـانِ

إذ ذاكَ طـود الـصَّـدر مِـنـه وخـرَّ جسـ

ـمُ كَـلـيـمِـهِ وبـقـيْ إذًا نُـورانِ

وانْـزاحَ مـعْ جسـم الـفـنـا ظـلٌّ لـه

كَـتَـشـاؤبٍ وتـنـاثـرُ الـذُّبَّـانِ

والـنَّـوْمُ والأضـغـاثُ مـن أحْـلامـهِ

ورأت لـه مِـنْ خَـلْـفِـهِ عـيـنـانِ

فكأنما نَجْمُ السماء على العُلا

والناسُ نَجْمُ الماءِ ذُو الخيلانِ

ومتى تُحدِّثْ عن يديه مِنَ النَّدَى

حَدِّثْ بلا هَرَجٍ هُما بَحْرانِ

فلذا ارْتَوَتْ منه الألوفُ وسَبَّحَتْ

حُوتُ الحصى من نهر كُلِّ بنانِ

لو وافَقَتْ سَعْداك يَوْم عطائِهِ

لَطَوَيْت سيرةَ حاتمِ الغُرْبانِ

إذ صَبَّحتْ في الرَّكْبِ منهُ سَحَابَةٌ

هَطلتْ لهم مِنْ وَبْلِه النِّسْيانِ

قَلَبَتْ على الأحياء حَبَّ غَمَامها

ذَهَبًا وحُمْرَ النَّعْمِ والقُمْصانِ

من بعد ما انْقَلَبَتْ على أعْدائهِ

خَمْسُ السَّحائبِ مِنْ حَميمٍ آنِ

أوْ صانَفَتْ لُقْياك يَوْم لقائهِ

لَعَدَدْتَ عَنْتَرَةً مع الغِرْبانِ

ووجدت عَين شجاعَةٍ وجَراءَةٍ

في وَجْهِ ضِرْغامٍ بسِرْجِ حصانِ

ووجدت أبنا مكَّةٍ أوْ قَيْلَةٍ

مِنْ دُون بيشتهِ أسُودَ طِعانِ

أظفارُهُمْ خِطِّيَّةٌ أنْيابُهُمْ

مِنْ كُلِّ مَحْنِيِّ النِّصالِ يَمَانِ

زَرُّوا دُروعًـــا مِـــنْ ثِـيـاب أراقِـــمٍ
حَـلَـقَـاتُـهـا مَـكْـروهَـــةُ الألـــوانِ
مـا شـأنَـهـا جـرُّ الـذُّيـولِ ولا اشْتِمـا
لُـهُـمُ، بـهِ الـصَّـمَّـاءُ فـي الـمَـيْـدانِ
يَـتَـلـمَّـطـونَ تَـلَـمُّـطَ الأفـعـى إذا
أخَـــذَتْ جـهـاز الْحَـــرْبِ والـعُـدْوانِ
يـا يَـــوْمَ بَـــدْرٍ إذ أبُـــو الأشـبـالِ قد
لاقـــاهُـــمُ فـيـه ضَـــوالُ الـضَّـــانِ
وبـكُـلِّ شِـبْـلٍ هِـمَّـةٌ مـنـهـا يَـرَى
كَـبْـشَ الـكـتـيـبـةِ أهـــونَ الخِـرْفـانِ
مـا قـال قـائـلُـهُـمْ كـمـا قـالـتْ لِـمُـو
ســى[1] قَـوْمُـهُ اذْهـب أنـت غَـيْـرُ مـعـانِ
إذْ كُـلُّ قِـرْنٍ مـنـهـم طـالـوتُ بـعـ
ـد الـنـهـر تحـت سـكـيـنـةِ اطـمِـئـنـانِ
فـتـبـادرتْ جِـــدَءُ لـهـم وتـخـاطـفـتْ
أيـتـام أفْـــراخٍ عـلـى الـكُـثْـبـانِ
وتـلاعَـبَـتْ أيْـــدُ الـبـلا بـــرؤوسِ مَـوْ
تـاهُـمْ وبـالأســرَى مـن الـفـيـرانِ
وجـرى وَلِـيـدُ الـكَـلْـب مـنـهُـمْ بَـعْـدمـا
وسَـمُـوهُ فـي خُـرْطـومِـهِ لِـزَبـانِ
سـبـق الـلَّـعِـينُ مُـعَـوذيـهِـمْ إذْ أبُـو
جَـهْـلٍ لَـهُ انْـطَـحَـنَـتْ بـهِ الـسَّـيْـفـانِ

---

(١) نبي الله موسى عليه السلام.

وغَـشَـى أبـو الـقَـلْـبَـيْنِ مـكـةَ سـائـلاً
عـنـهـا ضـحًّـى وبِـكَـفِّـهِ الـنَّـعْـلانِ
وإلـى المـديـنـةِ عـادَ فـي غـابـاتِـهِ
وثـبـاتُـهُ لَـيْـثُ الـعـريـنِ الجَـانِ
قُـلْ لـلـمـنـافِـقِ ذي الـمُـحـاوَلـةِ اقـتَـصِـرْ
يـا نـاطـح الـصَّـخَـراتِ مـن ثَـهَـلانِ
بـحـث الـيـهـودُ بـظـلْـفِـهـمْ عَـنْ حتفهم
لحـديـث كُـلِّ خُـرافَـةٍ مُـجَّـانِ
مـن مـاءِ أمْـنٍ طـار طـائـرُ شُـؤْمِـهِـمْ
لِـسَـرابِ أحْـزابٍ عـلـى قِـيـعـانِ
نـزلـوا وحـطَّ الـبَـدْرُ حـالـة خَـنْـدَقٍ
حُـرِسَـتْ لِـشُـهُـب لَـوَاحِـظِ الـغَـيْـلانِ
فـتـطـايـر الـغـرْبـانُ عـنـه وخَـلَّـفـوا
خُـلَـفـاءهُـمْ فـي الـشِّـدق والأسْـنـانِ
بـضـراغِـمٍ مـن فِـتْـيَـةٍ لـم يَـشْـفِـهِـمْ
إلاَّ ولـوغٌ مِـنْ دَمِ الـشُّـجْـعـانِ
وَجَـوارِحٍ فـي خَـيْـلِـهِـم مـا هَـمُّـهُـمْ
إلا تَـصَـيُّـدَ مـاردِ الـفُـرْسـانِ
نـصـبـوا شـبـاكَ دُرُوعِـهِـمْ إذْ رَدَّدُوا
شَـرَكًـا لِـنَـقْـصِ كـواسِـر الأقْـرانِ
فَـنَـجَـا الـمـنـافـقُ نـافِـقـاهُ إذ رأى
شَـجَـرَ الـقَـنـا أزْهَـتْ بِـسُـمْـرِ لَـدَانِ

وأُبـــيُّ أولادَ الـنُّـعـامـةِ إذ رأى
لَـدَغَـتْـه رُمْـــحٌ مـن فَـمِ الـثُّـعْـبـانِ
أفـــدي الحُـدَيْـبـيّـين يـوم تـبـايـعُـوا
بـتـلاً عَـلَـيْـهـا سِـلْـعَـةُ الـرِّضْـوانِ
لـم أنـسَ مِـنْـهـم لَحـفـةً فـي عَـقْـبَـةٍ
مـا كـان بـانـيـهـا أبـو غـشـيـانِ
كـلاّ ولا فـتـحٌ بمـكـة إذ مَـشَـوْا
بِـعَـرَمْـرَمٍ مُـتَـخِـمَّـسِ الأرْكـانِ
رَفَـعـتْ لـدى نَـصْـرٍ لـهُ يَـدُ سَـعْـدِهِـمْ
فـمَـحَـتْ بمـا خَـطَّـتْ يـدُ الـدَّبَـرَانِ
وبـنـاتُ نَـعْـشٍ جَـهَّـزَتْ جيش الصَّبَا
مـعـه وطـار بَـغَـى لـهُ الـنَّـسْـرانِ
وسـرتْ بـهِ شـهـرًا فَـفـتَّـح رُعْـبُـهـا
أبـوابَ مـكـةَ مـعْ أبـي سِـفْـيـانِ
لا تحْـك مَـعْـهـا مـن سُـلَـيْـمـانَ الـرُّخَـا
مـا سُـخِّـرَتْ إلاّ عـلـى الحَـمْـلانِ
إذ لـم يـكـن وَأدٌ لَـهُ وجـنـود وا
دي الـنـمـل مـثـل الجَـحْـفـلِ الـظُّـهْـرانِ
جـبـريـلُ مـن قُـوّاد عَـزْرائـيـل من
عُـرَفَـائـهِ مِـيـكـالُ فـي الأعْـوانِ
تـالـلـهِ لَـوْ أبْـصَـرْتَ تُـبَّـعَ قـومَـهُ
والـفُـلْـق الـشُّـعَـرا مـع الـنُّـعْـمـانِ

ورأيــتَ حَـطْـمَ خُـيُـولِـهـمْ وصـهـيلِـهـمْ
فـي الـلَّـيْـلِ نَـقْـعٌ تحـتَ شُـهْـبِ سِـنـانِ
ورأيْـتَـهـم فـي زاهـدٍ مِـنْ بـيـنِـهـم
لَحَـسِـبْـتَ نُـوحًـا جـاءَ بـالـطُّـوفـانِ
وبـخـالـدٍ صـاحـتْ حَـمِـيـرُ كَـدِّي وقـد
فَـرَّتْ لِـوَرْدِ الـقَـسْـوَرِ الـعَـطْـشـانِ
أمـا الـحُـجُـونُ فَـمـا بـهِ مـن نَـابِـحٍ
لـلأرْقـطِ الـزُّهْـلـول ذي الجِـرْوانِ
بـل قـابـلـوهُ مُـسَـخَّـرِيـنَ وفَـوْقَـهُـمْ
مِـن دامـيـاتِ الـشِّـعْـرِ صَـوْتُ لِـسـانِ
حـتـى اسْـتـغَـاثـوا مـنـه بـالْـقـربَـى فقد
وجـدوه يُـوسُـفَـهـا مـع الإخـوانِ
فَـرِحَ الحَـطِـيـمُ بِـحَـطْـمِـهِـمْ هُـبَـلَ الـبَـلا
وَدَمُ ابْـنُ خَـطْـلٍ ظَـلَّ فـي الـقُـضْـبـانِ
والحـقُّ جـاء مـع الـنَّـبِـيِّ لـبـيـتِـه
والـبـاطـلُ انْـزَهَـقَـتْ بـه الـرجـلانِ
وإلـى حُـنَـيْـنٍ حَـنَّـتِ الـعَـضْـبـا بِـهِ
إذ جـاءَهـا كـالـعـارضِ الـهَـتَّـانِ
فـتـوهَّـمـوهُ مُمْـطِـرًا فـتـعـرَّضُـوا
فَـبِـحَـتْـفِـهِ رجـعـوا لـدارِ هَـوانِ
مَـن بـعـدهُ ألـقَـى الـحـصَـى مِـثْـلِ الـعَـصَـا
مـنـهُـمْ تـلـفُّـف إفْـكَ كُـلِّ جـبـانِ

وسبا سباياهُمْ ولكنْ رَدَّها

بِرًّا لِظَئْرٍ فيه ذات حنانِ

ونيامُ طائِفُهم أتاهُمْ طائِفٌ

منهم فأصْبَحَ كالصَّرِيمِ العاني

وإلى المدينةِ عاد في غاباتهم

بَدْرًا تَعلَّى قَلْعة السُّلْطانِ

أنصارُه كانوا شِعارَ وقايةٍ

لدثارِ كُلِّ مُهاجرِ الأوْطانِ

قومٌ إذا شاهدتهم أيقنْت أنَّـ

ـنَهُمُ نُجُومُ هِدايةِ الحَيْرانِ

ووجدت كُلَّ خليفَةٍ منهُم كذي الـ

قَرْنين أوْ ذي الكِفْل أو لُقْمانِ

يا سيِّد الكَوْنينِ والثقلين في الدْ

دَارين يا بابا قاسِمَ الدَّيانِ

فبحقِّ صدِّيقٍ وفاروقِ الهُدَى

وأبي التُّرابِ وجامعِ القرآنِ

والآلِ والأصْحابِ والأزواجِ والْـ

وأولادِ والأسباطِ لا تنْساني

أو تجْعَلَنِّي عَبْد حقٍّ جنايةٍ

فيما جنَى بلْ قُمْ بفكِّ رِهانِ

حاشَا سَخاك يَرُدُّ وجهَ تَطفُّلِي

عن فَيْضِ فضْلٍ مالهُ طَرَفانِ

أو أن يَضِيقَ نداك بي لو أنَّ لي

عَرْضَ السَّماءِ وأرْضَها كَفَّانِ

وجميل ظنِّي فيك أكَّدَ لي الرَّجَا

بل قد قَضَى لي فيكَ بالإيقانِ

ما كانَ أحْسَنَ لَوْ قَبِلْتَ قصيدتي

وعدَدْتَني مَعَ كَعْبِ أوْ حسَّانِ

وجَعلتَ جائزتي إليكَ شفاعةً

مِنْ كُلِّ ذنْبٍ لي ومَنْ والاني

ولئِنْ بُليتُ لشُؤم ذنبٍ عاقني

أو سوء حَظٍّ من نَدَاكَ ثَناني

فمتى سألْت اللهَ إلْحافًا بهِ

فَعَرِيضُ جاهك فيه لَوْ عاطاني

يا ربَّنا يا ربَّنا يا ربَّنا

يا رَبِّ كُلِّ فُلانَةٍ وفُلانِ

فكما بلا سبَبٍ مَنَنْت بِنِعْمَةِ الـ

إيمانِ فَامْنُنْ معهُ بالغُفْرانِ

وكما أمرْت بسِتْرِ عورة مُسْلمٍ

أسْدِلْ لنا سِتْرًا وحرْزَ أمانِ

وكما تُحِبُّ العَفْوَ فاعفُ جميعَ ما

منَّا عَلِمْتَ وخَطَّهُ المَلَكانِ

وكما نَدَيْت إلى العِتاقِ تَشوُّقًا

فاعْتِقْ وأسْقِطْ كُلَّ ذَنْبٍ جانِ

لــولا رجـــاؤكَ كـــان قُــبْــحُ ذنـوبِـنـا
نَمْـشِــي عـلـى جُـــرُفٍ مِــنَ الخِـــذْلانِ
لـكـنَّ رَحْـمَـتَـك الـتـي سَـبَـقَـتْ لنا
بـالْـفَـضْـلِ نَـرْجـوهـا رجـا الـظَّـمْـآنِ
فـانْـظُـرْ لـنـا مـنـهـا بـعـين عِـنـايـةٍ
تُـنـجـي مَـسَـاعـيـنـا مــن الحِــرْمــان
وتَـلـقَّـنـا فـيـهـا بـصـالـح تـوبـةٍ
تمـحُـو دفـاتـرنـا مــن الـعِـصْـيـانِ
واسْــبِــغْ لـنـا مـنـهـا بـأطـيـبِ عِـيـشَـةٍ
مَــرْضِــيَّــةٍ مَمْــزوجــةٍ بـحـنـانِ
وازْدُدْ بـهـا عَـنَّـا الحَـواسِـدَ والـعِـدَى
فــي كَـيْـدِهـم بـالـسِّـرِّ والإعْــلانِ
وابــعِــدْ بـهـا عـنَّـا الـهـوى وجُــنــودَهُ
كـالـنـفـس والـشَّـهـواتِ والـشَّـيْـطـانِ
واقْــضِ لـنـا عـمَـلاً وعِـلْـمًـا نـافِـعًـا
مِــنْ كـأس حَـضْـرة قُـدُسِـك الـمَـلآنِ
واخـتـم لـنـا مـنـهـا بِـأسْـعَـد خـاتَمٍ
يمـشـي بـآخِـرِنـا عـلـى الإيمــانِ
واحْــضِــرْ بـنـا فـي مـوتـنـا وبـقـبْـرنـا
وبـنـشـرِنـا والحـشـر والمـيــزانِ
وأجِــزْ بـنـا فـيـهـا الـصِّـراط كَـلـمْـحـةٍ
مــن فَــوْق كُــلِّ قـنـاطِـرِ الـنِّـيـرانِ

وبـهـا ارْوِنـــا مـن حــوضِ أكْــرم مُـرْسَـلٍ

وادْخُـــــلْ بـنـا فـيـهـا بِــعَــدْنِ جِـنـانِ

واكْـشِـفْ لنا عـنْ حُسْـن وَجْـهِـكَ عِندها

فــي ظِــلِّ قُــرْب الــرُّوحِ والـرَّيْـحـانِ

واشْــمَـلْ جـمـيـعَ أصُـولِـنـا وَفُـرُوعِـنـا

والــصَّــحــبِ والأشــيــاخ والإخـــوانِ

واقْـــرا الـســلامَ مــعَ الـصــلاةِ لأحـمـدٍ

والآل والأصْـــحـــابِ مَـــعْ عُــمْــرانِ

مــا دام قَـــدْرُكَ بـالـكَـمـالِ مُـتَـمِّـمًـا

وتـعـاقـبـتْ بِـخِـتـامِـه الـــمَـلَـوَانِ

****

عبد الله يونس المجيري[1]

(١)

[الطويل]

أيـا مـن لـهـم فـي الأمـر عـهـدٌ تـقـدَّمـا
ومـن بـين أبـنـاء الـبـلاد تـزعَّـمـا
وكـان لـهـم فـي مـجـلـس الـحـكـم نـائـبٌ
يُمـثِّـل سُـكـان الـبـلاد مـعـظـمـا
أخـلاَّء صـدقٍ لا إذا مـا تـشـعـبـت
(عـلـيـك أمـور ظـل يَـلـحـاك لائـمـا)
إذا مـا بـدا بـالأصـدقـاء تـخـاذلٌ
ومـن بـيـنـهـم حـبـل الـوصـال تـصـرَّمـا
وأفـشـى قـريـن الـسـوء سـر قـريـنـه
وسِـرُّ خِـيـار الأصـدقـاء مُـكـتـمـا
إذا فـيـكـمـا إن قـلـت لـسـت مـبـالـغًـا
بـأنـكـمـا نـعـم الـصـديـقـان أنـتـمـا
بـمـثـلـكـمـا يـا مـصـطـفـى ومـحـمـد
تـخـفَّـف أثـقـالُ الـصـديـق إذا انـتـمـى
لأنـكـمـا كـالـمـنـهـل الـعـذب سـائـغًـا
مـريًّـا لأبـنـاء الـعـشـيـرة فـيـكـمـا

---

(١) عبد الله يونس المجيري (١٩١١ - ١٩٧٨)، شاعر تشادي ولد في أبشة من أب ليبي الأصل، ومن أم تشادية، وسافر إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، ونال الشهادة الجامعية سنة ١٩٤١م ثم مارس الأعمال التجارية، بالإضافة إلى ممارسته للنشاط التعليمي في أبشة، وله قصائد معدودات لم تطبع بعد.

وكـــان لـذيـذ الـطـعـم كـالـشـهـد شـافـيًـا
يـطـيـب ولـــلأعـــداء داء وعـلـقـمـا
ولا خـــاب مـــأمـــولٌ لـمـن جـــاء قـاصـدًا
مـن الـنـاس إلا عـاد بـالـفـضـل منكما
وإنِّـــــي عـلـى مـــا نـلـتـه مُـتـواتـرٌ
تَـفـجُّـر شـعـري بـالـثـنـاء عليكما
نـشـأتم عـلـى الـمـجـد الـتُّـلـيـد وراثـــةً
ومـــن طـــارق الـمـجـد الـمـأثَّـل نلتما
صـبـوتم إلـــى حـسـن الـثـنـاء بـهـمـةٍ
وكـــان لـكـم مـــن أوفـــر الـحـــظ فـزتما
تـــدوم لأبـــنـــاء الـعـشـيـرة ملجأ
يـعـد لـهـم فـي حـالـك الـدهـر مغنما
وإنـــي لأرجـــو أن تحـيـطـوا شكايتي
بـشـيءٍ مـن الـعـطـف الـذي شـاع عنكما
نـظـيـرًا لـمـا لاقـيـتُ مـن ظـلـمِ جـائـرٍ
تـصـرَّف مـغـرورًا لـنـيـمًـا تحكَّما
تجـنَّـى عـلـى مـا يمـلـك الابـــن يـونـس
ثـــلاث مـــلايـــين مـــن الـنـقـد أمَّمـــا
وأودعـــــه سـجـنًـا عـلـى غـيـر مـوجـبٍ
بـه صـــار مـوقـوفًـا كـمـن كـان أجـرمـا
فـلا عـاش مـيـسـورًا (مـبـوتـو) وحـزبـه
وجـــازاه ربُّ الـنـاس بـالـخـزي والـعـمـى
تجـرد مـفـصـولًا عـن الـحـكـم يـائـسًـا
ومـــن بـــين حـكـام الـبـــلاد تحطما

جـديـر بمـا يـلـقـاهُ مـن سـوء فعله
وكـان جـزاءُ الـظـالـمـين جـهـنـمـا
رجـوت لـه مـن يـدرك الأمـر حـازمًـا
يـردُّ بـه الجـانـي إلـى الـرشـد مـرغـمًـا
فـأنـتـم لـهـا يـا آل جـابـرَ سيِّمـا
وفـيكـم أبـو بـكـر الـرئـيـس الـمُـقـدَّمـا
لـدى مـجـلـس الـثـوار عـضْـوٌ وإنـه
تـرأَّس أركـانًـا لجـيـش مـنـظـمـا
هـو الـقـائـد الـمـوصـوف والـعـارم الـذي
إذا مـا بـدا يـوم الـكـريـهـة ضـيـغـمـا
خـلاصـة أبـطـال الـبـلاد وفـخـرهـم
هـنـيـئًـا لأبـنـاء الـجـابـر أنـتـمـا
لـئـن ضـاع مـسـلـويًـا وكـان وراءه
مـثـال أبـي بـكـر بـه عـاد مـلـزمـا
وذو هـمـة كـالـمـصـطـفـى ومـحـمـد
أعـادوه مـهـمـا كـلـف الأمـرُ مـنـهـمـا
أولـئـك ممـن يـسـتـعـان بـرأيـهـم
إذا حـارت الأفـكـار والـقـرح أوجـمـا
رجـال لـهـم فـي الـنـائـبـات سـمـاحـةٌ
لـنـيـل رفـيـع الـمـجـد مـهـمـا تـقـوَّمـا
ومـا مـنـهـم إلا فـتـى ذو مـهـابـةٍ
مُـجـدًّا إلـى الـعـلـيـاء بـالـمـجـد مـغـرمـا
فَـراطـسـةٌ مـن أرفـع الـنـاس هِـمَّـةً
وأنـبـلـهـم فـي الـنـائـبـات وأكـرمـا

إذا مـا بـدا منـهـا فـتـى فـي جـمـاعـة
جـديـر بمـا أن سـادهـم أو تـقـدمـا
أعـيـذهـمُ بـالـلـه مـن شـرِّ حـاسـدٍ
ومـن كـل ذي حـقـد عـلـى الـقـلـب قـد خـمـا
حـبـوتـهُـمُ مـن خـالـص الـفـكـر نـخـبـةً
مـن الـشـعـر كـالـدر الـثـمـين مُـنـظَّـمَـا
عـلـيـهـم سـلام الـلـه مـا خـرَّ سـاجـدٌ
مـدى الـدهـر أو طـيـرُ الأراكِ تـرنَّـمـا
وأزكـى صـلاةِ الـلـه ثـم سـلامـهُ
عـلـى خـيـر خـلـق الـلـه طـرًّا وأجـلـمـا
ذهـبـت لأعـضـاء الـسـفـارة شـاكـيًـا
فـلا مـن يـسـلِّـي شـكـوتـي أو تـألـمـا
وكـنـت بـإبـراهـيـم لا شـك واثـقٌ
بـإرشـاده إذ جـئـتـه مـتـظـلـمـا
ولـكـنـه لـم تـكـتـنـفْـهُ عـواطـفٌ
مـن الـلـطـف أو مـسـتـنـكـرا مـا تـقـدمـا
وعـدتُ قـلـيـلَ الـحـظِّ مـنـه ولـم يـكـن
نـصـيـبـي سـوى خُـفَّـيْ حُـنَـيـنٍ تـحـتـمـا
كـمـن جـاء مـوهـومًـا ويـحـسـب أنـه
سـتـشـفـيـه أعـلام الـسُّـراب مـن الـظَّـمـا
فـلا الـفـضـل مـنـسـوبٌ إلـى غـيـر أهـلـهِ
ولا الـتِّـبـرُ إلا فـي مـعـادنـه نـمـا

****

(٢)[1]

[الوافر]

أَزُفُّ لـهـا مـن الـقـلـب الـتّـهـانـي
لأخـــذ مـكـانـهـا فـــي الـبـرلـمـانِ
مُـوجَّـهـة لـهـم عـن قـلـب صـبٍّ
يـحـنُّ لأهـــل هـاتـيـك المـعـانـي
أهـنـا هـا يـداك ومـن يـلـيـهـا
مـن الـواحـات ربـات الـسّـوانـي
وكـلُّ مـواطـنٍ مـن أرض قـومـي
عـزيـز الـنـفـس ذو شـرف مـصـان
أنـاب الـيـوم عـنـهـا مـن بـنـيـهـا
لِـيُـدْرك مـن بـه كـانـت تـعـانـي
ويـرفـع صـوتـهـا حـرًّا مـنـيـعًـا
ويـشـرح مـن تـقـاسـي عـن هـوان
وإن يـك لاهـيًـا بـالـعـزِّ عـنـهـا
ويـعـطـي مـن مـواعـيـد الـلـسـان
يـحـاول أن يَـشُـقَّ لـهـا طـريـقًـا
مُـعـبَّـدةً مـن الـطـرق الحِـسـان

---

(١) وهذه قصيدة السيد الحاج عبد الله يونس المجبري التي ألقاها بمناسبة فوز نائب المجابرة في البرلمان عن الوطن العزيز ليبيا «جالوا».

ونـــأمـــل أن يـــكـــون لـــهـــا مـــعـــيـــنًـــا
عـــلـــى جـــلـــب الـــمـــيـــاه الـــعـــذب دانِ
فـــــإن نـــالـــت بـــــه مـــــا تـــشـــتـــهـــيـــه
لَـــــعَـــــمْـــــري إنـــــهـــــنَّ مـــهـــمـــتـــان
لـــتـــســـعـــد مـــــن تـــكـــون لـــــه مـــقـــامًـــا
يـــعـــود بـــــه الـــمـــواطـــــن فـــــي أمـــــان
عـــلـــيـــهـــا يـــــا بـــنـــي الأعـــــمـــــام حـــقًّـــا
أَزُفُّ لـــكـــم مـــــن الـــبُـــعـــد الـــتـــهـــانـــي
إلـــــى الـــوطـــن الـــعـــزيـــز يـــحـــنُّ قـــلـــبـــي
وشـــــوقـــــي لـــيـــس يـــبـــلـــيـــه زمـــــانـــــي
ولـــكـــن يـــــا بـــنـــي وطـــنـــي إلـــيـــكـــم
مـــحـــبَّـــرة حَـــــــوَتْ عِـــــزَّ الـــمـــعـــانـــي
خـــذوهـــــا مـــن بـــنـــات الـــفـــكـــر بـــكـــرًا
مـــعـــلـــلـــة بـــســـحـــر مـــــن بـــيـــان
تـــعـــبـــر مـــــن مـــحـــيـــاتـــي وشـــوقـــي
وكـــــل الـــطـــيـــبـــات مـــــن الأمـــــانـــــي

****

محمد جرمة خاطر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمّد الفاتح الخاتم ناصر الحق الهادي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وعلى آل بيته ومن ألحق بهم من الأولين والآخرين وسلم تسليمًا حق قدره ومقداره العظيم.

الحمد لله، اللهم صغر الدنيا في عيوننا وعظم جلالك في قلوبنا ووفقنا لمرضاتك وأمتنا على دينك وطاعتك.

اللهم إنك لست بغائب تنتظر ولا بعاجز تنتصر ولا ببعيد يأتيك الخبر وقلت وقولك الحق «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» كلمح البصر أو هو أقرب. هكذا عرفناك بك وهذه المعرفة التي عرّفتنا أمَّنَّاك إياها وهي عندك وديعة أزلاً وأبدًا.

---

(١) محمد جرمة خاطر (١٩٣٠ - ....)، شاعر تشادي معاصر، ولد في مدينة «ابشة»، وفيها تلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، واشتغل فترة في التدريس. وهو من أتباع الطريقة التيجانية، واعتقل عدة مرات في سبيل تحرير الوطن، وعين وزيرًا، ثم عين عمدة للعاصمة أنجمينا. وله ديوان شعري مطبوع بعنوان «بوادر الفتح في مدح التيجاني، د.ت.ط.» من الحجم الصغير، وله عدة قصائد طويلة منها «درر الحقائق في مدح سيد الخلائق»، والشيخ من الشعراء التشاديين الذين أخذوا التصوف منهجًا وطريقًا وفلسفة في حياتهم وتجلى ذلك كله في عديد من قصائده الدينية، وقد قال لي عن التصوف: «هو مرتبة الإحسان والإنسان لا يمكن أن يدخل في مرتبة الإحسان ما لم يتصوف فالتصوف هو كمال الدين... أما عن علاقة التصوف بالتيجانية فأقول: إن التيجانية طريقة صوفية ظهرت على يد الشيخ أحمد التيجاني في قصر أبي سمعون في الجزائر. ويغلب على إبداع الشيخ طابع المنظومات، فهو من رواد التصوف في تشاد وصاحب زاوية فيها. وسوف نلاحظ في منظوماته بعض الأفكار التي قد تصطدم بالدين ومرد ذلك إلى ولعه بالتصوف. ودورنا تقديم عمل قد يتسم بالإبداع الفني. (ديوان بوادر الفتح في مدح القطب الشيخ أحمد علي أبو الفتح التجاني الإبراهيمي اليَرَواوي نفعنا الله بنفحاته تأليف المريد الفاني محمد جرمة خاطر التجاني أنجمينا - جمهورية تشاد).

[لقاء تم بيني وبين الشيخ في منزله بالعاصمة أنجمينا بحي السيسبان في ٢٠٠٢/٢/٢٥م.]

نقدم هذه التحفة في مدح القطب الجامع أحمد علي أبو الفتح للمحبين والواصلين والغارفين فمن أحبها فنعم الرجل ومن أبغضها نسأل له الهداية.

وما أوجبنا الشيخ أحمد علي اليرواوي وما اقتدينا به إلا ليقيننا إنه عبدالله وسيد أقرانه ونشم فيه رائحة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فمدحه مدح المحبوب.

أهدي هذه القصيدة للمشاركين في الاحتفال بالمولد النبوي في زاوية الشيخ بميدغري – نيجيريا لعام ١٤٢١هـ.

(١)[1]

دارَ الـزَّمـانُ بمـا أوحَـى الـكمـالُ به
أزْلًا وأبْـدًا وسـرُّ الـكـونِ فيـه غَـدا
مـا خـاضَـتِ الجِـنُّ والإنـسـانُ معرفة
تـوهَّـمـتْ أنـهـا قـد تُـدرِكُ الـصَّـمَـدا
إلاَّ بَـرَزْنَ لـهـا الأنـوارُ حـاجِـبَـةً
فـهـي الحـجـابُ ومـنـهـا ذا الـوجـودُ بـدا
دارتْ ضـمـائـرُهـا فـي الـكـون سـاريـة
تُـقَـسِّـمُ الـعـيـنَ لـلأعـيـانِ كَـي تَـرِدا
حـوضَ الـظُّـهُـورِ إلـى أفْـلاكِ حَـيِّـزِهـا
تَحْـتَ الجـلالِ سِـوى هـذا الـذي حمدا
فَـرَحْـمـةٌ، نـعـمَـةٌ، حـمـدٌ، ومـطْـلَـعُـهـا
مـن جـوهـرٍ واحـدٍ بـل كـان مُـنْـفـردا

---

(١)بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده نجوم الهُدَى بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

فَـمـدَّ مـا مـدَّ مـن أسـرارِ مَـظْـهـرِه

نـال الـصَّـحـابـةُ مـنـه الـفـضـل والـرُّشـدا

هـذا أبـو بـكـرٍ الـصِّـدِّيـقُ أفـضَـلُـنـا

نَجـمُ الـنُّـجـومِ لـه فـوق الـسـمـاءِ صـدى

بـالـصِّـدقِ أهَّـلـه الـهـادِي وأنْـزَلَـهُ

بَـعْـدَ الـنَّـبـيِّـين أُسْـتـاذًا لـمـن سَـجَـدا

نـاديـتُ يـا عـمـرَ الـفـاروق أشـجَـعَـنـا

بـعـدَ الـرَّسُـولِ وعـدلاً صـانِـعَ الـمـجـدا

من بـعـدِهِ جـاء عُـثـمـانُ الـسَّـخِـيُّ وذو الـنُّـ

ـنُـوريـن مِـن أجْـلِـهِ مـدَّ الـرسـولُ يـدا

مُـبـايـعًـا يَـومَ نـحـرٍ كـادَ يَـهْـجُـرهُ

بـعـضُ الـصَّـحـابـةِ مِمَّـن فَـسَّـرُوا الـوعـدا

هـذا عـلِـيٌّ أبـو الـسِّـبْـطـين سـيِّـدنـا

بـابُ الـعـلـوم وَحـيـدًا جـاءَ مُـنْـفَـرِدا

جَـدُّ الـشَّـرِيـفِ الـمُـنِـيـفِ الـطَّـاهـرِ الـفـاسـي

عَـيْـنُ الـمـعـارفِ مـا أقْـصـاكَ يـا مَـدَدَا

يـا سَـيِّـدِي يـا رسُـولَ الـلـه يـا أمـلـي

هـذي نجـومُ الـهُـدى سَـمَّـيـتَـهـم رُشـدا

ولاحِـقٌ بِـهِـمُ كـلُّ الـصـحـابـةِ مِـن

أصـحـاب بَـدرٍ وأُحـدٍ كُـلُّـهـم سُـعـدا

فـالـسـابـقـونَ بِـهَـدْيِ الـسـابـقـين سَـعَـوا

مِـن بَـيْـنـنـا بـضْـعـة فـامْـدُدْ إلـيـنـا يـدا

مـن بـايَـعَ الـشَّـيـخَ بـالإخْـلاصِ فَـهْـو هُـمُ
وَهُـــمْ لَـــهُ أُسْـــوةٌ فـي الـبَـيْـعِ والـعـهْـدا
والـنُّـورُ سـار إلـى يـومِ الـلـقـاءِ فَـمِـنْ
صَـحْـبِ الـيَـمِـينِ صِـحـابـي كُـنْ لـنـا سَـنَـدا
مَـــدَدْتَ شَـيْـخِـيَ مَـــدًّا لا حـــدودَ لَـهُ
حـــارَتْ عُـقُـولُ الأُلَـى مـا سـافَـروا أبـدا
مـا سـافـرَ الـسَّـائـرونَ الـمُـنْـتَـمُـونَ إلـى
سُـفْـنِ الـسَّـعـادةِ بـالأذكـارِ والـــوِرْدا
إلاّ أتـتـهـم رِيـــاحٌ غَـيـرِ عـادتـهـا
تُـنْـجِـي الـغَـرِيـقَ بـإخـلاصٍ إذا شَـهِـدا
عـينَ الـشُّـهـودِ أبـا الـزهـراءِ سيِّـدنـا
مـحـمـدًا بَـيْـنَـنـا ســارٍ ومـا فُـقِـدا
عـينَ الـطَّـريـقِ (تِجـانـي أحـمـدَنـا)
سِـرُّ الـطَّـرِيـقِ إلـيـهِ يَـنْـتَـهِـي الـسَّـنـدا
خَـتْـمَ الـولايَـة عَـيْـنُ الـفَـتْـح مَـطْـلَـعُـهـا
كَـتْـم الحـقـائِـقِ بَـرهَـامَ الـفُـيُـوضِ بَـدا
فـــالأولُ الآخـــرُ الـمـشـهـودُ بـاطِـنُـه
دارَتْ ودارَتْ ودارتْ كُـلَّـمـا مَـدَدا
مـتَـى قَـصَـدْتَ مَـــدارًا لـلـحـقـائِـقِ أو
سِـرَّ الـمَـظَـاهِـرِ فـانْـظُـر أحـمـدا تَـجِـدا
إنَّ الـفُـتُـوحَ جَـمِـيـعًـا تَـحـتَ قَـبْـضَـتِـهِ
مـا فـاضَ شـيءٌ سِـوَى مِـنْ بـابِـهِ صَـعَـدا

هـذا أبـو الـفـتْـح مِـفْـتـاحُ الـوِلايَـة في
هـذا الـزَّمـانِ إلـيـهِ تـنْـتَـمِـي السُّـعـدا
ابـنُ الـبَـتـولِ فـكـم مـن فـيـضِـهِ شَـرِبـوا
حتى أفـاضُـوا وسـارُوا فـي الـظـلامِ هُدى
شُـدَّتْ رحـال إلـى (يـرو) لـرؤيـتـه
هـذا الـولـي فـمـنـه يُـجـتَـنَـى الـشُّـهـدا
خـلـيـفـة الـشـيـخ أصـلٌ مـن تـفـاعـلـه
ونـسـخـةٌ حـازت الإجـلال والـرشـدا
مـرشـح الـحـضـرة الـعـلـيـا وخـادمـهـا
تحـيـة لـكـم مـن (تْـشَـادنـا) فـردا
مـا رحـمـةٌ أنـزلـتْ إلا ببـابـكـمـو
فـارْسِـلْ يـدًا حـتـى يـنـتـهـي الـحـسـدا
وأغـمـرنَّ جـمـيـع الـصـحـب حـبّـكـم
فـحـبـكـم حـبٌّ فـي الـمـخـتـار والـشُّـهـدا
وغـايـة الـسـرِّ حـبٌّ فـي الـحـبـيـب وهـا
إنـا وصـلـنـا إلـيـكـم فـافـتـح الـسُّـدَدا
وأشـهـدِ الـشـاهـديـن الـحـاضـريـن هـنـا
جـنًّـا وإنـسًـا وروحـانـي ومـا وجـدا
إنـي ابـن جـزْمـا مـحـبٌّ مـادحٌ ومـتـى
مـا قـام داع إلـى الـمـولـى فـنـحـن فـدا
صـلّـى عـلـيـك إلـهـي يـا مـحـمّـد مـا
هـبـت ريـاح تـثـيـر الـتـرب كـل مـدى

****

(٢)

حرف الهمزة

طـــال لـــيـــلٌ بـــنـــا وطـــال المـــســـاءْ
فـــأتـــى الـــصُّـــبْـــحُ والـــصَّـــبـــاحُ ضـــيـــاءْ
طَـلَـعَـتْ شَـمْـسُـنـا مـن الـغـربِ سَـعـدًا
فَـتَـعـجَّـب إن شِـئـتَ قُـل مـا تـشـاء
لا غـريـبًـا أن تَـطْـلـعَ الـشـمـسُ شَـرقًـا
بـل عـجـيـبٌ مـن غـربِ جـاءتْ ذُكـاء
هـذه (يَـرُو) أنْجـبَـتْ خَـيْـرَ فَـحْـلٍ
بـاهـر الـنُّـورِ، أنْجَـبِ الـنَّـجـبـاء
دارُه روضَـــةٌ تـفـوحُ عـبـيـرًا
مـن جـلالٍ ومـن جـمـالٍ سَـواء
يُـسـمَـعُ الـذِّكـرُ حَـولَـهُ كُـلَّ لَحْـظٍ
كـان فـي الـصُّـبْـحِ مِـثْـلَـه والـمَـسَـاء
كَـمْ عـلـيـلٌ فـي قَـلْـبِـهِ مَـرضُ الـنَّـفـ
ـسِ أتـاهُ قـد نـالَ مِـنـه الـشِّـفـاء
إنَّـه الـغـيـثُ يمـطـرُ الـفـتـحَ مَـطْـرًا
فَـيَـعُـمُّ الآبـاءَ والأبـنـاء
عُـمَّـنـا يـا أبـا الـفُـتُـوحِ بِـفَـتْـح
يَـغْـمُـرُ الـكُـلَّ مِـن رجـالٍ نـسـاء

وأغِثْنا يا غوثُ من ظُلمِ الظُّلْـ

ـمِ أضَرَّتْ بنا النُّحوسُ البَلاءْ

لا تجد منزلاً من العوز ناجٍ

بل من الروع ملؤه والشقاء

فرجونا السّلام إنا فُجعنا

من حروب أذلّت الشرفاء

شهد الناس كلهم أنت قطبٌ

ارفع الكف مستجاب الدعاء

واستجِرْنا مستمسكين بحبْلٍ

منك نالته قبلنا السُّعَداء

خصَّكَ الشَّيخُ بالخلافة عنه

فبها صار في يديكَ اللواء

أنت مصباحُ في الطريقة ترسٌ

ملجأٌ مأمنٌ وفيك الرجاء

مظهرُ ما درى الحقائقَ عبدٌ

غاصَ في البحر واعتراهُ الفناء

نائبًا في الجلال من قال صدقًا

أو جمالٍ أو في الكَمالِ سواء

صفةٌ من صفاتِ أحمدَ عبدًا

مظهر الإسم رسمه المعطاء

أحمدٌ أحمدٌ متى ما نَظَرْنا

لكْ، لماذا اخترت هذا الخفاء

أنت ذا العبد ذا الزمانِ فما للنْـ

ـناس تعمى وها هو السّقاء

لا تـــراهُ عـــين الـشُّـقـــاءِ مـــن الـبُـغـ
ـــضِ، ولـكـن تحـبُّـهُ الـسُّـعَـدَاء
يـشـهـدُ الـلـه أنَّـنـا مـن مـحـبّـيـ
ـــكَ فـعـجّـل خـلاصـنـا مـن شـقـاء
ولـسـانـي لـم يـألـف الـشـطـح قـطـعًـا
بـل إلـى الـشـيـخ مـيْـلُـهُ لا الـسَّـخـاء
لـم أبُـــحْ بـالـذي دريـــتُ مـن المشـ
ـــرب، فـيـكـم مـن غـيـرتـي والـوفـاء
خُـصَّـنـي يـا أبـي بـشـيءٍ مـن الـفـتـ
ـــحِ، قـريـبًـا يـزيـلُ عـنـي الـغـطـاء
وسـألْـنـا أبـا الـفـتـوح فـقـربًـا
مـنـك قـربًـا مـن الـحـبـيـب رضـاء
ثُـمَّ يـومَ الـلـقـاءِ قـل يـا ابـن جـرْمـا
أنـت مـن فـوج سـيِّـد الـشُّـفـعـاء
سـيِّـدي خـادم الـحـبـيـب عـرفـنـا
كَ، خـديمـا بـك تـكـشـف الـغـمّـاء
سـيِّـدي خـادم الـرسـول ومـن حـو
لِـكَ، أبـنـاء كـلـهـم عـلـمـاء
مـدَّهُـمْ مـا بـقَـيْـتَ مـن شُـرْب بـرهـا
م، يـكـونـوا مـن بـعـدك الـخـلـفـاء
وسـألـنـاك فـي الـخـتـام صـلاةً
وسـلامًـا لـسـيِّـد الأنـبـيـاء
وعـلـى الـصَّـحْـبِ كـلـهـم وبـنـيـه
وذويـهُـمْ والآلِ والأوفـيـاء

****

(٣)

أيـا ظـلّ مـن هـامَ الـفـؤادُ بحُبِّـه
أنـا مُـسـتَـظِـلٌّ جـئـتُ لـلـقـربِ سـائـلا
رأيـتُ ظِـلالًا عـمَّـتِ الـكـونَ جُـمـلـةً
ومَـن يـرو يُـعْـلِ الـغـرسَ فـي الـطـولِ كامِـلا
ومـا شَـدَّ حـبـلٌ مـنـك إلاّ وقـد عَـلا
ومَـن قَـطَّـع الأوصـالَ يَـهْـوِي مِـنَ الـعُـلا
ولِـمْ لا وأنـتَ الـيـومَ مِـفْـتـاحُ فَـيْـضـةٍ
أبـو الـفـتـحِ إفْـتَـح لـي بِـدَارِك مَـنـزلا
وأدْخِـلـنِـي فـي فَـلْـذَةِ الـقـلـبِ أفْـنِـنِـي
فَـنـاءً بـه أبـقـى مُـطِـيـعًـا ومـائِـلا
أمـامَـك لا مَـحْـجـوبَ مِمَّـا طَـوَيْـتَـهُ
مـن الـسِّـرِّ والأسْـرارِ فـي الـسـرِّ داخـلا
ومـا خَـطَّ إبـراهـيـمُ خَـطّـا.....
سِـواكَ فَـلَـمْ أشْـقَ بمـا أنـتَ حـامِـلا[1]
أجِـرْنِـي وأبْـنـائِـي صِـحـابِـي وإخْـوتـي
وَشَـيِّـدْ لـنـا صَـرْحًـا مَـنِـيـعًـا وفـاصِـلا
يُـؤَمِّـنُـنـا حِـسًّـا ومَـعْـنًـى إحـاطَـةً
وألـبِـسـنـا عِـزًّا وبـالـمَـجْـدِ كَـلِّـلا

---

(١) هكذا ورد البيت وفيه نقص.

وأغْـدِقْ لنا الإصـلاحَ والـمُلْكَ والغِنَى
وفـي الـلـهِ كُـلاًّ ذاك بـالـلـهِ فـاعـلا
فـأقسـمـتُ أن الـنَّـصـر جـاءَ حَـلـيـفَـنَـا
يُـبـايِـعُ عَـهْـدًا مِـنـه أنَّـا وآجِـلا
فـإن أمـرَ المِـقـدامُ فـي الحـالِ تَـنْـجَـلي
كُـرُوبٌ يـراهـا الـبَـعـضُ مِـثْـلُ الـسَّـلاسِـلا
ومـا كـانَ أمـرُ الـشَّـيْـخ إلاَّ مُـسَـلِّمًـا
لأقْـدارِ رَبِّ الـعـرشِ مـا شـاءَ فـاعـلا
وإنِّـي أبِـي سَـكـرانَ بـالـشَّـوْقِ والـهَـوَى
لِـذاتِـكَ فـاسْـقِـنِـي كُـؤوسَ الـشَّـمـائـلا
لألْـبَـسُ سِـرًّا مـنـك يَـسْـرِي بـهَـيْـكَـلِـي
فـأزدادَ مَـرقًـى فـي رِحـابِ الـمُـكَـمَّـلا
فـلا تَـنْـظُـرنَّ الـعـيْـبَ مِـنِّـي فـإنـنـي
عُـيُـوبٌ وأبـقـتْـنـي لـديـهـا مـكَـبَّـلا
وهـا جِـئْـتُ عُـريـانًـا مـن الخـيـر عَـلَّـنـي
أفـوزُ بـإمـدادِ الـصُّـفُـوفِ الأوائِـلا
متَـى سـابَـقَ الـمُـدّاحُ فـي مَـدحِ أحـمـدٍ
أبـي الـفَـتْـحِ يَـلْـقَـونِـي أمـامًـا مُـسَـجَّـلا
وإن فـاتـنـي الـتَّـعْـبـيـرُ نَـظْـمًـا ومـنْـطِـقًـا
فـمـا كَـنَّ صَـدْرِي مُـفْـرِدٌ لا يُـمـاثَـلا
فـمـاعَـرفَـتْ يـزْوَ مِـن الـشـيـخ ظِـلُّـهُ
فـفـي الـقُـربِ غـيـمٌ عـاتِمٌ (وهـو حـائـلا)
وقـدْ رأتِ الآفـاقُ أنـوارَ ذاتِـهِ
تُـضِـيءُ مَـصَـابِـيـحًـا إذا الـلـيـل أُسْـدِلا

فإنْسًا وجنًّا قادَها النُّورُ في الدُّمى
فما شاهَدَتْ للقُطْبِ (ثانٍ مماثلا)[1]
وما قاطَنَ المَحْبُوبُ طَه مُصاحِبًا
سِواكَ فما الأيامُ تَدرِي ولا ولاَ
هناكَ مكانٌ يحصِرُ الأمرَ مطلقًا
تلاشت وذابتْ كلُّ أوهامِ سائلا[2]
فمَهْما سَرَى الإمْدادُ في الكونِ جُملةً
فأنْتَ لها عينُ الوِعاءِ المُغرْبِلا
فيا سيِّدي إغْرِفْ لنا شرْبة
من الحوضِ أرْوِنا بما (أنت نائلا)[3]
وامْلأ لُبِّي كُلَّهُ حُبَّ أحمدٍ
لأسْعدَ حَتْمًا بالذي جاءَ مُرسَلا
شَفِيعِي رسول اللهِ بَرهامَ مِصْعَدِي
وَتِجَّانِي أُسْتاذِي وسَيْفِي على المَلا
بِهِمْ كُلُّهُم نَوَّرْتُ سِرِّي وظاهِري
فزال حِجَابِي لا ترانِي مُعَطِّلا
عليك صلاة الله ثم سَلامُهُ
صلاة بها أبقى عزيزا مُبجَّلا
عليك صلاة الله ثم سَلامه
من العبد جرمًا لا تراه تَخَاذَلا
عليك صلاة الله ثم سلامه
وآل وأصحاب كرام أفاضلا

مولد ١٤٢١هـ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) هكذا وردت في الأصل.

(ديوان دُرَرُ الحَقَائِق في مدحِ سَيِّدِ الخَلائِق تأليف محمد جرمة خاطر التجاني أنجمينا – تشاد)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم ، الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن.

نحمده إذ جعل محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم شرطًا مُلازمًا للإيمان وخير وسيلة لمحبته هي الإكثار من الصلاة عليه، ومدحه ومتابعتها في قوله وفعله، اللهم أدخلني في قلب الإنسان الكامل وحببني إليه صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه، اللهم حَبِّب إلينا كل من أحبه واجعل في قلوبنا البُغْض والعداوة لكل من لم يُحبه أو من نقص في شأنه.

أما بعد:

أيها القارئ لهذه الأبيات المتواضعة أستسمحك عذرًا لأن هذا الميدان له أصحابه ولكننا معشر المتصوفة ولو أن للبعض منا باعًا كبيرًا في الشعر وفنونه إلا وأن البعض الآخر لا تهمه القواعد الشعرية كما يهمه في الدرجة الأولى أن يعبر عن محبة تخالج صدره وشوق يحرق أحشاءه ولم يرتح إلا حينما يتلفظ بذلك – وأنا من هذا الصنف الأخير.

فإذا أردت أن تطرق أبواب العروض وقواعد اللغة فقد تلاحظ أخطاءً وأما إذا أردت السَّبح في بحار المعرفة فتجد ما تريد من سُكرٍ وصَحوٍ وفناءٍ ووجود وغيرها، لأنه شبت من فيضة الشيخ إبراهيم وممدودًا من أنوار القطب المكتوم والخاتم المحمدي المعلوم أبوالعباس أحمد بن محمد التجاني وتمسكًا بأهداب صاحب الوقت أحمد علي أبو الفتح فلا يخل صادق في محبة هؤلاء من مداخل ومخارج هذا الفن الصوفي ولله الحمد.

أخرج هذا الديوان القليل في قصائده الكثير في معانيه (دُرر الحقائق في مدح سيد الخلائق) أرجو من الله أن يجعله مقبولًا وسهلًا ومقروءًا.

****

(٤)

أجِـزْنِـي رَسُـولَ اللـهِ فـي الـمَـدْحِ إنَّنِـي
ولـوعٌ بـأمْـداحٍ تُـزيـنُ مـجـالِـسِـي
يـقـيـنـي بـأنَّ الـيـومَ أمـسُ وقَـبْـلَـه
بـأنَّـكَ إنْ لـم تَـسْـمَـعِ الـمدحَ قـاعـس[1]
ومـا مَـدَحَ الـمُـدَّاحُ غَـيْـرَكَ إنَّمـا
يُـخَـيِّـلُ لـلـغـاوِيـنَ تِـلْـكَ الـنَّـواوِسُ[2]
إذا مَـدَحَ الـوَلْـهـانُ لَـيْـلَـى وحُـسْـنَـهـا
يُـعَـبِّـرُ غَـصْـبًـا عَـنْـهُ عـن خَـيـرِ أنْـفُـسِ
تَـعَـلَّـقـتُ بـالـمَـحْـبُـوبِ طَـه وَحِـزْبِـهِ
أصـابـا فُـؤادِي بـالـسِّـهـامِ الـعَـرائِـس
فَـحَـمْـدًا لـك الحـمـودُ حـمـدًا مـحـمَّـدًا
يـحـمِّـدُنـي فـي الحُـبِّ والـعـشْـقِ غـاطِـس[3]
وَأجْـعَـلَ أحْـوالِـي إلـهِـي وجُـمْـلَـتِـي
تُـشِـيـرُ إلـى أصَـلِ الـوُجـودِ الـمُـقَـدَّسِ
وَتَـغْـمِـرَ ذاتِـي فـي الـمَـعَـانِـي جَـمِـيعـهـا
أتـيـه هُـيـامًـا مِـثْـلَ إن كُـنـتُ مُـلْـبَـسِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل وفيه إقواء.

(٣) هكذا ورد في الأصل.

وَتُبهِرني الأنوارُ حَقًّا مُغَيَّبًا
بلا صَحْوٍ حَتّى تَنْجَلِي آيةُ الكُرْسِي
وَإِنِّيَ وَلْهانٌ لألْقاكَ سَيِّدِي
وإنْ كُنْتُ مَسْجون الحِجابِ العَرَنْدَسِ
لتغسِلَ قلبي عن سِواكَ وترْضِني
حبيبًا خديمًا ذلكَ اليوم ذا عُرس[1]
وَأوْرِثْنِي الإحسانَ نومًا ويَقَظَةً
لأبْصِرَ عَيْنَ العِينِ حَقًّا بلا لَبْسِ
وَإنّي رَسولَ اللهِ ناديتُ طالِبًا
رِضاكَ لِتَمْحَوَ لي الذُّنُوبَ كذا رِجْسِ
وتَحْقيقِ سَعْدِي بالسَّعادةِ والهَنا
وتُضْرَةُ وَجْهِي دُونَ ضَيْرٍ ولا بأس
وادْخِلَني الجنّاتِ حَيًّا ومَيِّتًا
مَماتِي مُحِبًّا فيكَ عُرْسَ العرائِسِ
جَعَلْتُ رِكابي وِرْدُ شيخِي ومُخْلصًا
أُصَلِّي على المحْبُوبِ لا أخْشَى هاجِس
قيامًا قُعُودًا واضّطجاعًا وماشيًا
يَلُجُّ لساني بالصَّلاةِ وذا أُنْسِي
فَظَنَّ أُصَيْحابي رفاقِي وجَيرَتِي
ظُنُونَ يَرُونِي صِرتُ سَكرانَ واعسر
شواهدُ ذاتي لا تَرَى غَيْرَ واحدٍ
يُديرُ كُؤُوس الرِّزْقِ للجنِّ والإنس
هُوَ القاسم المعْروفُ بالعدْلِ باسطًا
يَدَ الخَيْرِ مِعْطاءً مِنَ البحرِ أطْلَسِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

فـأجْـعـلُ قِـسْـمِـي كُـلَّـهُ فِـيـكَ مُـخْـلِـصًـا
فـنـاءً وحُـبًّـا بـاجـتـنـابِ الـوسـاوِس
أشِـرْ لـي أشِـرْ لـي إنْ حَـضَـرْتُ زِيـارَةً
وإنْ لـم تَـغِـبْ قَـطْـعًـا بـكُـلِّ المـجـالِـسِ
أقِـلْـنِـي أقـلـنـي مِـن عُـيُـوبٍ وعَـثْـرَةٍ
فـإنِّـي فـقـيـرٌ لـلـشَّـفـاعـةِ لامِـس
وأطْـلِـقْ لِـسـانِـي بَـلْ جَـنـانِـي وخـاطِـري
تَـسِـيـلُ مـديـحًـا فـي جـنـابِ الـمُـرأَّسِ
حـديـثـي وأنـفـاسـي خـيـالـي ووارِدِي
يَـطـوفـونَ بـي حـولَ الـرَّسُـولِ الـمُـؤسَّـس
وَهَـبْـتُ حـيـاتـي لا أُبـالـي بِـغَـيْـرِهِ
وأودَعـتـهُ ديـنـي وروحـي وأنـفـاسـي
خـواتـيـم أعـمـالـي وسِـرُّ طـريـقـتـي
وقـلـبـي لـيـحْـيَـى كـلـمـا صـار يـابـس[1]
فـأوْدعَ سـرِّي ثُـمَّ لُـبِّـي وظـاهـري
لـطـائـفَ غـابَـتْ عَـنْ كـثـيـرٍ مـنَ الـنَّـاسِ
فَـفُـزْتُ بِـأنـوارٍ تـفـيـضُ وتحـتـفـي
بِـجـيـشٍ مِـنَ الإلـهـامِ جَـرَّار هـامـس
ولـكـنَّ قَـدْرَ الـمُـصْـطـفـى لا يُـحِـيـطُـهُ
كـلامٌ ولا أسـفـارُ كُـلِّ المـدارِس
فَـصَـلِّـى عـلـيـهِ الحَـقُّ فـي حـق قـدرِهِ
وتَـقْـدِيـمِـهِ فـي الخَـلْـقِ أضْـوَا مـن الشَّـمـسِ

****

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٥)

سَلكتُ إلى سرِّ الحَقيقةِ إذْ بها
بُروقٌ ونُورٌ من بهاءِ المُطَهَّرا
بهاءٌ أعارَ الشَّمسَ نُورًا ومَدَّها
سِراجًا وللأقمار ضوءًا مُدَوَّرا
بهاءٌ له ذاتٌ وللغيرِ عارضٌ
جُفاءٌ كمثلِ الزَّبْدِ إن جاءَ عابرا
بهاءٌ به سَترُ القبيحِ وثَوْبُهُ
ولولاهُ يلقى البعض بعضًا مُنكَّرَا
بهاءٌ بِهِ الحَسْناءُ حَسناءَ غادةٌ
ولولاهُ لا حَسْناءَ لا غادةً تُرَى
جَميلٌ بلا تَفْصِيلِ مِشْكاة كَونِنا
وَجُمْلَتُهُ في الأصْلِ قدْ كان جوهرا
فَمنهُ شُعاعُ الكائناتِ جميعَها
ومُطْلَقَ نورٌ ليس في حَيِّزٍ يُرى
ومنه اسْتمدَّ الظِّلّ إمكانَ عَيْنِهِ
ومنشور رقٍّ في كتابٍ مُسَطَّرا
فإن قُلْتَ كلًّا كان كُلًّا وجُزءَهُ
وإنْ قلت جُزءًا فهو أصلٌ بلا مِرا

فـلا عـبـدَ إلاَّ الـعـبـدُ قـالُـوا بـه بلى

ولا رَبَّ إلاَّ الـــرَّبُّ فَـــرْدًا وقـــادِرا

ومُـــفْـــرَدُ كُـــلِّ الـنَّـاطِـقـينَ أتـــى به

ومِـــن عِـلْـمِـه عِـلْـمُ الـقـدامَـى وحـاضِـرا

فـلا عَـجَـبَ إنْ مـا طـارَ صـارُوخُ عَـصْـرِنا

ويُـــرسِـــلُ لـــلأرْضِـــينَ صُـــورًا مـنـاظـرا

ومـا الـقـولُ فـي المـعـراجِ مِـنْ غَـيْـرِ طاقةٍ

مُـحَـرِّكُـهُ مِـن دُونِ نَـفْـطٍ بـه سـرى

وكـــان أبُـــو حَـفْـصٍ يـقُـودُ جُـنُـودَهُ

وفـي يَـثْـربَ مَـوجُـودُ مِـن دُونِ أقْـمُـرا

ولا حَـصْـرَ لـلأمـثـالِ لا تُـغْـنِ حـاجـةً

بـلِ الحُـبُّ فـي المحـبـوبِ عَـيْنُ الـمُـفَسِّـرا

حـبـيـبـي رسُـــولَ الـلـهِ يـاسـين مُـنـذِرا

تـفـتَّـتَ قـلـبِـي فـي الـسِّـراجِ الـمُـبَشِّـرا

تُجـاذِبُـهُ الأشْـــواقُ فـي كُـلِّ رُتْـبَـةٍ

وفـي نـسـبِ الأعـيـانِ إنِّـي الـمُـسَـيَّـرا

سَـرَيْـتُ ومـا الـسَّـاري أنـا فـي رِحـابِـهِ

ومـا لـيس غـيـري جَـلَّ شـأنُ الـمُـدَبِّـرا

ومـا نِـلْـتُ ذي الـنَّـفْـحـاتِ إلاَّ بـحُـبِّـهِ

تـطـايـرَتِ الأوصـــالُ لـم أدر مـا جـرى

وهَـلْ كـان شـيءٌ غـيـرَ حُـجْـبٍ تـكـاثَـرَتْ

عـلـيَّ وأوزار ومـا كـنـتُ أجْـــدَرا

مِـنَ الـنَّـفْـسِ والـشَّـيْـطـانِ والـلَّـهْـوِ والمِـرا
ولـغْـوٍ وفُـحْـشٍ كـان جَـهـرًا ومُـضْـمَـرا
وآفـــاتٍ قَـلْـبٍ يُـبْـغِـضُ الـغـيـر حـاسـدًا
وفِـيـهِ نِـفـاقٌ كَـيْـدُ حِـقْـدٍ تَـكَـبُّـرا
فـلا يـطـمَـعَـنْ مَـن كـان هـذا مِـثـالُـهُ
إلـى رُؤيـةِ الـمُـخـتـارِ ذَوْقًـا ومَـنْـظَـرا
ويـا حـسـرة الـمُـحـتـالِ يقضي نَـهـارَهُ
ولـيـلاً ولا يَـزْدادَ إلاَّ تَـحَـسُّـرا
فـكُـن مُـخـلـصًـا والـصِّـدقُ مـن بـعـدِ تـوبـةٍ
وكـن مُـسـتـقـيـمًـا واتَّـقِ الـلـهَ صـابـرا
وكُـنْ مُـطْـمـئـنًـا تـشْـهَـد الحَـقَّ جَـهْـرَةً
فـراقِـبْ مَـعَ الأنْـفـاسِ تـلـقـاهُ حـاضِـرا
هُـنـا تـسـبَـحُ الأرْواحُ مـن غـيـرِ أجْـنُـحٍ
تـهِـيـمُ فـتَـجْـنـي وارِداتٍ خـواطِـرا
وتَـهْـبِـطُ فـي الحَـضْـراتِ طيفًـا مُـكَـرَّمًـا
صُـعُـودًا نُـزولاً مـثـلَ طـيـرٍ مُـهـاجِـرا
فَـفَـرِّقْ لـتُـعـطـي كُـلَّ ذي حـقٍّ حـقَّـهُ
وخُـذْ مـا حـواهُ الـقـلـبُ بـالـعـقـلِ نَـوِّرا
وهـذا رسـولُ الـلـهِ مـولـودُ مَـكَّـةٍ
يـتـيـمًـا تَـرَبَّـى وهْـوَ فـي الـعِـزِّ غـامِـرا
وعـاش كَـكُـلِّ الـنَّـاسِ مِـن بـين أهـلِـهِ
ومِـثـلـكُـمُ بـشْـرٌ يـقـولُ الـمُـبَـشِّـرا

وقـــال نَـبـيًـا كُـنـتُ والحـــينُ آدم

حـديـثٌ أتَـــى لـلـعـلـمِ لا لـلـتـفـاخُـرا

وكُـــلُّ شُـــؤونِ الـــذَّاتِ فـيـه تـكـامـلـتْ

ومِـرآتـهـا ذاتِ الـرَّسـولِ الـمُـطَـهَّـرا

وقـبَّـلـتُ كـلَّ الـكـون قـبـلاً وآخـــرًا

أنـيَّـتـهـا فـي ذا الـكـتـابِ الـمُـحـرَّرا؟

تـلا فـي كـتـابِ الـلـهِ آيـــاتِ حِـكـمـةٍ

تـــلاوةَ قـــرآنٍ كـــلامٍ مُـسـطَّـرا

بـه عَـلِـمَ الـمـخـتـارُ مُـذْ كـان نُـرَّةً

شـريـعـةُ رُسْـلِ الـلـهِ تـلـكَ الـمُـبَـرَّرا

لإرســـالِ جِـبـريـلٍ بـوَحْـيٍ مُـنَـزَّلٍ

ولـــولاهُ مـا جـبـريـلُ كـان الـمُـحـاضِـرا

نَنَـــا فـتـدلَّـى لـيـلـةَ الـقـدرِ جُـمْـلـةً

وتفصيلِ آي الحـقِّ فـي الـلـيلِ مُـضْـمـرا

كـمـا كُـلُّ شـــيءٍ مـا خـلا الـلـه بـاطـلُ

كـذلـك مِـن بـعـدِ ابـنُ عَـدْنـانَ مُـنْـبِـرا

فـلـمْ يَـخْـلُـقِ الـرَّحـمـنُ لـلـذَّاتِ غـيـرَهُ

فَـعَـبْـدٌ ومـحـمـودٌ صَـفِـيٌّ مُـــوزَّرا

وحـــمَّـــدَهُ مِـــن رُتْـبَـــةِ الـــرَّبِّ مِـنَّـةً

مـحـمـدنـا ســجـادُ لـلـه شـاكـرًا

هُـو الـشَّـاهـدُ الـمَـشـهـودُ فـي كُـلِّ رُتْـبـةٍ

وكُـــلِّ مـقـامٍ نِـسـبـةً مِـنـهُ أثْـمـرا

فـمـا سـاجـدٌ غـيـرَ الـنَّـبـيِّ مُـحـمَّـدٍ
ومـا صـامَ يـومًـا غـيـرهُ سـيّـدُ الـورَى
ومـا جـاهَـدَ الـكُـفَّـارَ إلاَّ مـحـمَّـدٌ
وقـدْ نَـشَـرَ الإسـلامَ قـبـلاً وآخـرا
هُـوَ الـنُّـورُ يـسـرِي سـاقـيًـا كُـلَّ ذرَّةٍ
ولا يُـدركُ الإمْـدادَ غـيـرُ الـمُـصَـوِّرا
فـكـيـفَ يـكـونُ الـمَـدْحُ مِـنْ أيـن بَـدْؤُهُ
ومِـن أيـنَ ذاكَ الـكَـيْـفُ مـن أيـن قُـدِّرا
تـذكَّـرَ لـي وَقْـتُ مَـعَ الـرَّبِّ قـالـهـا
فـنُـصـحـي إلـيـكَ الآن شَـمِّـرْ وسـافِـرا
تَـزَوَّدْ بـتـسـبـيـحٍ وإسـتـغـفـرِ الـذي
إلـيـهِ يـعُـودُ الـعَـبْـدُ حـتَّـى يُـجـاوِرا
وَصَـلِّ عـلـى الـمـخـتـار مـاضٍ وحـاضـرٍ
صـلاةً يـنـوبُ الـحـقُّ فـيـهـا تَـذَكَّـرا[1]
هُـو الـذِّكْـرُ مـن ذِكْـرِ الإلـهِ صـلاتَـهُ
فـصَـلِّـي عـلـيـهِ الـدَّهْـرَ أبَـدًا وكَـرَّرَا
هُـو الـذِّكْـرُ إنْ لازمْـتَـهُ الـذِّكْـر سِـرُّهُ
فَـصَـلِّـي مَـعَ الأنْـفـاسِ حَـضْـرَهُ صَـوَّرا
واعـلَـمْ يـقـيـنًـا إنَّـه الأمـرُ صـادِرٌ
صُـدُورَ تَجَـلٍّ وهْـوَ أمـرٌ تـكـرَّرا
ونـادِي أبـا الـعـبَّـاس يـا أحـمـدَ الـوَرَى
أبـي الـغَـيْـضِ شَـيْـخِ الـكلِّ فـي الـكُـلِّ سـائـرا

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

حقيقةُ عينُ الذّات فاضتْ وِراثَةً
ووارِثُها المكتومُ بالخَتْمِ عَبَّرا
خليفتُهُ خَتْمٌ لِخَتْمٍ وخاتمٍ
فدارَتْ بلا حدٍّ فقَدِّمْ وأخِّرا
(وبَرْهامُ) عبدُ اللهِ عبدُ حقيقةً
وإنسانُ ذاتِ الإنسِ خَلْقًا وجوهرا
وعاش فريدَ العصرِ قَبْلاً وآخِرًا
وعمَّتْ به الفَيْضا وشُرْباتُ كَوْثَرا
وخَلَّفَ أبناءً لجسمٍ ورُوحِهِ
هُمُ مِن شعاعِ الخَتْمِ سِرًا ومَظْهَرا
شُيوخي شُموسُ الليلِ أصْحابُ بَهْجةٍ
مَدارُ بُروجِ الكونِ فيهِمْ تبصَّرا
تَجِدْ فيهُمُ عَيْنَ النَّجاني وسِرَّهُ
فما غابَ عنَّا لحظَةً مُذْ تَوَزَّرا
تراهُمْ كمِثْلِ الطَّودِ لكنَّ سَيْرَهم
تسيرُ بِهِ الذَّرّاتُ كُلاً وتَشْكُرا
فعمَّ بهم للخَلْقِ حمْدًا ونِعْمةً
وما لم يَفِضْ من سِتْرِهم قدْ تبخَّرا
هُمُ منهم الخُلفاءُ قطْعًا تواتَرُوا
فلا يطمعنَّ الغيرُ واللهُ قدَّرا
هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقونَ قرابَةً
هُمُ الثُّلَّةُ الأخرى بفَضْلٍ فَبَشِّرا

هُـــمُ مَـــن أحـــبَّ الـلـــه سِـــرًا وجـهـرةً

فـنـابُـوا عَـنِ الحَـضَـراتِ حَـقًّـا بـلا مِـرا

إلـهـي بـخـيْـرِ الخَـلْـقِ حُـبِّـي مـحـمَّـد

ســألْـتُـكَ عِـرْفـانًـا أجِـرْنـي مُـبَـكِّـرا

وإنْ لـم أكـنْ أهـلاً لـذنـبـي وعِـلَّـتـي

فـأنـتَ كـريمٌ تُـبْ عـلـيـنـا لِـمـا جَـرَى

وسَـجِّـلَ إسْـمِـي بـنُ جَـرْمـا ومـن مـعي

مِـنَ الأهـلِ والأصـحـابِ حتَّـى الأواخِـرا

عـلـيـه صـلاةُ الـلـهِ ثُـمَّ سـلامُـهُ

فـمـا ضَـرَّنِـي هـذا الـمُـعـادِي ونـاكِـرا

عـلـيـكَ صـلاةُ الـلـهِ ثـمَّ سَـلامُـهُ

يَـعُـمُّ جـمـيـعَ الآلِ والـصَّـحْـبِ مُـكْـثِـرا

****

(٦)

تـعـرَّضَ لـي فـي كـلِّ شـيءٍ رأيـتُـه
جـمـالُ رسـولِ الـلـهِ والـشَّـأنُ أرْفـعُ
فـمـا ذرَّةٌ فـي الـكـونِ إلاَّ مُـجـيـبـةٌ
لِـمَـنْ قَـسَّـمَ الإيـجـاد وهْـوَ الـمُـجَـمِّـعُ
فـمـا ظـهـرتْ لـلـعـين والـعـلْـمِ نُـقْـطَـةٌ
فـي حـيّـزٍ مـحـسـوسٍ ومـعـلـوم اجـمـع[1]
تـدُلُّ عـلـى مـن خـلَّـفَـتْـه عِـنـايـةٌ
مِـن الـلـهِ فـي المـريـوبِ والـعـيْنُ تـابـعُ
وكـلُّ كـمـالٍ فـي الـوجـوه رأيـتُـه
يـدلُّ عـلـى ذاك الـشَّـفـيـعِ المـشَـفَّـعِ[2]
مـحـمـدُ عـبـدُ الـلـهِ مـحـمـودُ أحـمـدٌ
طَـوَتْ ذاتُـهُ كُـلَّ المـعـانـي الجـوامِـعُ
فـمـا نـابَ عـنْ شـيءٍ سِـوى عـيـنِ ذاتِـه
تـقـلَّـب فـي الأزمـانِ لـلـعـلـمِ مَـرْتَـعُ
فـمـا شـاهَـدَتْـهُ غـيـرُ عـيـنٍ مُـحـبَّـةٍ
تـعـرَّفَ إيـاهـا حُـمِـدًّا ونـافـعُ[3]

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) هكذا وردت في الأصل.

ومـــا رحـــمـــةٌ إلا تمُـــرُّ بـبـابِـهِ
إلـــى كُـــلِّ مـخـلـوقٍ ولـلـشَّـرِّ دافِـــعُ
ومـهـمـا بـلـغـتَ الـعـلـمَ فـي كُـنْـه ذاتـه
تـــدورُ بـلا حـــدٍّ وإنْ كـنـت طـامـع[1]
فـحَـدُّكَ أنْ تـعـرفَـهُ عـبـدًا ومُـرْسَـلاً
ومـــا فـــوقَ ذا فـالـلـهُ أدْرَى ورافـــعُ
وقـــدْ صـــارَ لـي فـي ظِـلِّ أنـــوارِ ذاتِـــهِ
تجـلٍّ بـه أخـطُـو فـأمْـضِـي وأرْجِـــعُ
ومـهـمـا تـرانـي مُـقْـبِـلاً مُـدْبِـرًا مَـعًـا
فـــإنِّـــيَ عـبـدٌ لـــلأوامـــر طـائـعُ
وأشْـــرَبُ أنـفـاس الأثـيـرِ ونـاهِـمًـا
ثِـمـارَ صـلاتـي لـلـنـبـي وهْـــو يـانِـعُ
وأمْـــرحُ فـي الأجـــواء إنِّـــي مـصـاحِـبٌ
لِـسُـحْـبٍ تُـصَـلِّـي والـرُّعـودُ رواكِـــعُ
وأرْحَـــلُ أحـيـانًـا مـع الـرِّيـحِ عـاصِـفًـا
نجـوبُ الـفـيـافـي والـنُّـجـومُ الـلَّـوامـعُ
تـصـاحِـبُـنـي فـي كُـلِّ هـذا مـحـبَّـتـي
وصِـدْقـي وإخـلاصـي لـطـه الـمُـشَـفَّـعُ
فـكـمْ حُـسْـنِـه أفـنـى وأبـقـى مُـجـاهِـدًا
يـريـدُ عـبـورَ الجـسـرِ والـنُّـور سـاطِـعُ
فَـأحـمَـدُ رَبِّـــي أنْ أرانـــي حـقـيـقـةً
تـــدُورُ بـذاتـي وهْـــيَ لـلـحَـقِّ جـامـعُ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

وخـلّـفـتُ نـفـسـي أمـــرًا عـــينَ ذاتـهـا

فَـصَـلَّـتْ فـجـاءَ الحـمـدُ والـنُّـور سـاطِـعُ

فـأصـبـحـتُ مـن هــذا المـقـامِ مـصـلِّـيًا

ولـسـتُ أنـا مـن صَـلَّـى والأمـــرُ واقِـــعُ

تـقـبَّـلْ إلـهـي واعْـــفُ عـنِّـي وأرضِـنـي

حـبـيـبًـا لِـمَـحْـبـوبٍ لَـدَيْـكَ الـمُـطـاوِعُ

وإغـفـرْ ذنـوبـي مـا بـقـيـتُ وعـافـنـي

مـجـيـرًا مـن الأعـــداء وخُـلْـعِ الخـوالـعِ

فـحـسـبـي رسُـــولُ الـلـه إنِّـــي الـتـزَمـتُـه

رداءً يـقـيـنـي مـا حـوتْـهُ الـوقـائِـعُ

عـلـيـك صـــلاةُ الـلـــهِ ثـــمّ سـلامـه

مُـحـبُّـكَ (جَـزْمـا) جـاء لـلـه راجـــع[1]

عـلـيـك صـــلاةُ الـلـــهِ ثـم سـلامـه

وآلٍ وصَـــحْـــبٍ هُـمْ شـمـوسٌ طـوالِـعُ

عـلـيـك صـــلاةُ الـلـــهِ ثـم سـلامـه

قـبـولـي بـه تمـنـعـنـي كـلَّ المـطـامِـعُ[2]

****

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

(٧)

تـوجَّـهـتُ لـلـحـقِّ الـوجـوهُ عَـنَـتْ لـه
هـو الحـيُّ والـقـيُّـومُ فَـرْدُ الجـلالـةِ
تـوجَّـهْـتُ مـن هـذه أصـلِّـي عـلى النَّبـي
مـحـمَّـدٍ الأمِّـيِّ حـيٍّ بـروضـة
عـجـزتُ إلـهـي أنْ أصَـلِّـي وهـا هُـنـا
لِـسـانـي وعـقْـلِـي بَـلْ شـهـودي بغيبة
فـصِـرْتُ أصَـلِّـي حـيثُ كـانـت صـلاتُـهُ
صـلاتـي عـلـى حـبِّـي وأصْـلِـي وغـايَـتِـي
بـهـا إجْـعَـلِ الـلـهُـمَّ نُـورًا لِـسَـيِّـدي
إمـامـي شـفـيـعـي مُـرْسَـلِ الحـقِّ أُسْـوتـي
فـإنَّ لـه عَـيْـنًـا تـرانـي بـحـيـرتـي
لأخـتـارَ لـفـظًـا مـن صـلاةِ الـطَّـريـقـةِ
لجـوْهَـرَتـي مِـسْـكٌ يـفـوح عـبـيـرُه
وفـاتِحِ مـغْـلـوقٍ عـظـيـمُ الإشـارةِ
فـلـمْ يَـبْـقَ لـفـظٌ مـن صـلاتـي عـلـى النبي
يُـعَـبِّـرُ عـن قـصـدي وشـوقـي ولـوعَـتِـي
فـسـلَّـمـت تـسـلـيـمًـا أحـاكـي صـلاتـه
عـلـى الـنَّـاسِ كـي أحـظـى بتبليغ رغبتي

بـهـا أسـتـعـين الـلـهَ فـي كُـلِّ خُـطْـوةٍ
إلـى الحـقِّ أخْـطُـوهـا بـهـذي الفَـريضـة
فَـصَـلُّـوا عـبـادَ الـلـهِ مـثـلـي فـإنَّـنـي
صـلاةً وأنـتـم مـن صـلاةِ الحـقـيـقـة
فـأنـتـم أنـا فـي الجـمْـعِ والحـقّ شـاهـد
بـسِـرٍّ وإعـلانٍ وبـدءٍ وخَـتْـمَـةِ
تـفـرَّقَـنـا فـي الحـس بَـلْـوى وكُـلْـفـةً
ويـا ربِّ هـلْ كـلَّـفـتَ فـانٍ وجِـيْـفـةِ
بـبـاب أبـي الـزَّهـراء حِـبِّـي رسُـولـهُ
وقـفـتُ أُصَـلِّـي قـاصِـد الـسـرِّ منيتي
فـنُـوديـتُ مـن سِـرِّي ورُوحـي وقَـلْـبِـه
عُـبَـيْـدُ صـلاةُ الـعَـيْـنِ لـلـذَّاتِ نـالـتِ
فـهِـمْـتُ إشـاراتٍ بَـدَتْ مـن إشـارةٍ
إلـى ذاتـهـا لاحَـتْ وغـابَـتْ لـغـايَـةِ
فـصـلُّـوا عـبـادَ الـلـهِ مـن حـيـثُ أنـتُـم
أُمِـرْتُمْ بـهـذا فـاسْـرعـوا بـالمحـبَّـةِ
مـحـبَّـتُـهُ نجـوًى مـع الـقـلـبِ حِـكْـمَـةً
بـهـا تـعـرفُ الإنـسـانَ تُـدْخِـلْـكَ زُمْـرَتِـي
فَـصِـحْ أنـتَ مِـن جـهـلٍ وحُـجْـبٍ وظُـلْـمـةٍ
وأُنْخُـلْ طريقي كُـنْ معي في الوظيفة
تـنـلْ خـيـرَ دُنـيـا ثـمَّ أخـرَى جميعِها
بـحُـبِّ نـبـيٍّ عِـلَّـةَ الـكـونِ آيـةِ

حبيبي رسولَ اللهِ ناديتُ طالِبًا
دُخولَ رحابِ القُدْسِ بالقُدسِ رِفْعتي
بِحَقِّكَ قدْرًا ثم مقدارِكَ الذي
خفاهُ الذي يُدركُ حقَّ الحقيقة
أجِرْنِي هَوى نفسي وعلِّمْنِي سرَّها
لأشْهَدَ مَنْ أخْفَتْهُ ظُلمًا وريبة
لأسجَدَ للرَّحمنِ عبدًا مُطاوِعا
فلا سائلاً مسئولَ لا سُؤْلَ رغبتي
هنا إنتهَى سَيْري وللسَّيرِ عودةٌ
إليه يسيرُ الأمرُ في البدء خَتْمِتي
هنا إنتهَى سيري وأرجُوهُ وَقْفةً
لأرويَ لُبِّي ناهِمًا ألفَ غَرْفَةِ
هنا إنتهَى سيري هنا كانَ بدءُهُ
هنا كان عينَ العَينِ صِدقُ المَحَبَّةِ
هنا كان لي الإيمانُ أصْبَحْتُ مُولَعًا
ولهْفِي إلى الإحسان عينِ الشَّهادةِ
هنا إنتهى من حيثُ لابدَّ سَيْرُنا
وكيفَ يكونُ السَّيْرُ والعِلْمُ نُقْطة
فلا كيف لا كمَّ ولا بدَّ الانتها
فإن شئتَ صَلِّ في فناءٍ وصَحْوةٍ
فلمْ يبقَ إلا الحقُّ والحقُّ وحْدَهُ
سواه محالٌ في شهودٍ وغَيْبَة

فصلَّيْتُ مَحْبُوبًا مُحبًّا وها أنا

عرفْتُ من المحبوبِ بالحبِّ غُرْفَتِي

بفضلِ أبي العبَّاسِ هذا مرامُنا

نُحلِّقُ في الرَّوضاتِ في كلِّ جمعة

صلاتي على المختار نَهْمًا مَحبَّةً

وطوعًا لأمر الله من غير كُلْفة

على الآلِ والأصحابِ قصْدي تحيَّةً

صلاة وتسليمًا في سِرٍّ وجهرة

****

(٨)

أصـلُ الـوجـودِ أبـو الـزَّهـراءِ سيّدُنـا
مـحـمَّـدٌ سـابـقُ الأزْلاتِ مـولانـا
طـوَى مـعـانـيْ وأسـرارًا وجُـمْـلـتُـهـا
تَـعَـيَّـنَـتْ فَـهْـوَ لـلأكـوانِ أوْطـانـا
هـو الـصِّـفـات تمـعَّـنْ فـيـه تـعـرِفْـهُ
صَـلِّ عـلـيـهِ وأكْـثِـرْ وامْـشِ جَـوْعـانـا
حـتَّـى تـلاقـيـه نـومًـا أوْ مُـشـافَـهَـةً
تُـصـافِـحُ الـرُّوحُ رُوحًـا أيـنـمـا كـانـا
هـذا الـحـبـيـبُ حـبـيـبُ الـلـهِ مـن قِـدَمٍ
صَـلَّـى عـلـيـه مُمِـدًّا مَـحـضَ إحْـسـانـا
مـحـمـدٌ أحـمـدٌ مـحـمـودُ حـامـدُنـا
حـمـدانَ تشْـكـيل إسْـمِ الـحـمْـدِ عِـرْفـانـا
فَـرَحْـمَـةٌ راحـمٌ رَحْـمـانَ مِـن أبـدٍ
بـالـمـؤمـنـين رَحـيـمًـا آي قُـرآنـا
هـذي صـفـاتٌ وأسْـمـاءٌ ومَـرْتَـبَـةٌ
عَـمَّـتْ خـصـائِـصُـهـا جِـنًّـا وإنـسـانـا
وإنْ دَرَيْـتَ فـأغـيـانُ الـوُجـودِ بـهـا
ظـهـرن مـن عَـدَمٍ لا تـبـق حـيـرانـا

لا تـأخـذُ الـعـينُ إلاَّ قـدْرَ حاجتها
لا زائـدًا فـيـهِ إسْـرافًـا ونُـقْـصـانـا
كُـلُّ الـوجـودِ مُـثَـنًّـى سِـرٌّ خـالـقِـهِ
فـمـا تـراهُ سِـوَى أنْـثَـى وذُكْـرانـا
فـأُذْكِـرِ الـلـهَ لا تـفْـتَـرْ وكُـنْ معه
ولا تَـغِـبْ عـنـهُ فـي الأحـوالِ أحْـيـانـا
تـكـنْ حـبـيـبًـا ومـحـبـوبًـا إذا صَـدَقَـتْ
مـنـكَ الـنَّـوايـا فـقـد يـكـسُـوك رِضْـوانـا
فـإلـزِمِ الـشَّـرْعَ واعـمَـلْ بـالـنَّـوافِـلِ لا
تَـغْـتَـرُّ بـالـقُـرْبِ قـدْ يـأتـيـكَ خُـسْـرانـا
فـكـم تـظُـنُّ قـريـبًـا وهـو أبـعـدُهـا
يـكـونُ مِـنْ ربِّـه بـالـسُّـلـبِ عُـرْيـانـا
حـسْـبـي إلـهـي وإيمـانـي ومُـعـتـقـدي
أودَعـتُـهـا لـك إسـرارًا وإعـلانـا
أسـلـمـتُ وجـهـيَ فـي الـدَّارَيْـن أقْـبَـلَـنـا
أمًّـا وزوجًـا وأبـنـاءً وإخـوانـا
واغـفِـرْ لِجَـرَمـا أبـي مـا قـدَّمـتْ يَـدَهُ
ووالـديْـهِ وأحْـبـابًـا وجـيـرانـا
وصَـلِّ رَبِّـي عـلـى الـهـادِي وعِـتْـرتِـه
أزكـى صـلاةً تَـعُـمُّ الجَـوَّ رَيْـحـانـا

****

(٩)

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الهادي ناصر الحق وعلى آله حق قدره. وهذه قصيدة: بطاقة تعريف في مدح صاحب الفيضة الشيخ إبراهيم بن عبد الله نياس:

هَبَّني الشَّوقُ إلى الهادي حبيبي وإمامي
فصباحي ومسائي هِمْتُ في هذي المعاني
لم أرَ الطَّلْعةَ بِالحقِّ سِوَى كَنْزِ الزَّمانِ
فاضَ منهُ وإليهِ بعدَ تَتْريهِ المَكَانِ

طَلْعَةٌ أبْرَزَتِ السِّرَّ جَلِيًّا لِلْعَيَانِ
فَهْيَ للسِّرِّ إطارٌ ولِسانُ التُّرْجمانِ
إنَّما السِّرُّ حباها صُورَةَ الشَّيْخ التِّجاني
فَهْيَ للفاتِحِ عَينٌ وَهْيَ للخاتِمِ ثانِ

أعْطَتِ التَّوْحيدَ مَعنًى لم يَكُنْ في الحُسبانِ
وهْيَ الكَتْمُ فَجَاءَتْ ليلَ لَيْلٍ في الزَّمانِ
حَيَّرتْ كُلَّ فُحُولِ العِلْمِ في كُلِّ مَكَان
عِندما أشْرَقَ في الغَرْبِ شُموسُ العِرفانِ

أبْــرَزَتْ حَـضَـرة طـه سِـرٌ سِـرٌ الأبـدانِ
جـاءَ فـي ثـوبٍ بـلالٍ فـي بـلادِ الـعِـجْـمانِ
أعْـجَـزَ الـعُـربـانَ نُـطْـقًـا بِـلِـسـانِ الـقُـرْآنِ
امْـدَحِ الـمُـدَّاحِ طُـرًا سـال سَـيْـل الـوِدْيـانِ

أطْـلـسُ الـعِـلْـمِ مُـحـيـطٌ بـعُـلـومِ الأزمـانِ
فـاضَ بـالـفـيـضـةِ عَـمَّـتْ كُـلَّ أرْجـاءِ المكانِ
أظْـهـرَ الـمـخْـزُونَ فـي الآيـاتِ حُـبًّـا بـتـفـانِ
أُسْـوَةً بِـالـحُـبِّ طـه خـيـرُ سُـكَّـانِ الجِـنـانِ

إنَّـهُ العبدُ خـديمٌ حَـضْـرَةِ الشَّـيْـخ التِّجانِي
أيْـنـمـا الـشَّـيْـخُ إمـامٌ فَـهْـوَ مَـن أمَّ أرانـي
أحمدٌ مِن أحمدٍ والحمدُ مِن هذي المعانِي
دارَتِ الحَـضَـراتُ حتَّى لا أرانـي مـا أرانـي

إنَّـهُ الـهـادِي وهـذا رابـعٌ عـنـدَ الـتَّـدانِـي
مَـجْـمَـعٌ مِـنْ مَـجْـمَـعٍ فـي مجمعِ العبدِ مُـزانِ
آدَمُ الأسماءِ والأوْصـافِ مَضْمونُ الحِسانِ
رحْـمـةٌ لـلـنـاسِ جـاءتْ مِـن تَـجَـلِّ الـرَّحـمـانِ

فَـتَـحَ الـلـهُ بـه أرْجـاء كُـلِّ الـبُـلْـدانِ
جـالَ حَـولَ الأرضِ بالتَّوْحيدِ مثلَ الطُّوفانِ

نُضرةٌ للدِّينِ هامَ كُلُّ هذا الهَيَمانِ
لَمْ تنم عيناهُ يومًا تاليَ السُّبعِ المَثَاني

إنَّني جئْتُكَ مِسْكِينًا بفَقْرِ الحَفَيَانِ
ماشِيًا مَشْيَ الهُوينا عاجِزًا أمري دمان
لابِسًا جِلْبابَ هَمٍّ وذنوبٍ وظِعانِ
عاريًا مِن صالِحِ الأعْمالِ حِمْلِي قد أعياني

أنتَ يا بَرْهامُ وصْلي ودفاعي وأماني
أنتَ درعي وسِلاحي أنت تَرْسِي وعَناني
أنتَ حَصْنِي مِن صُروفِ الدَّهْرِ بلْ أنتَ سِناني
إنني جِئتكَ مِسْكِينًا بِفَقْرِ الحَفْيانِ

أنتَ عبدُ اللهِ والعبدُ قريبٌ مُتدانِ
رَقِّنِي في الدِّينِ سَلِّكْني طريق العرفانِ
لا تعامِلْني بما لَيَّ من عُيُوبٍ وهوانِ
بَلْ أجِرْنِي وأقِلْني وأدْخِلْنِي في الضَّمانِ

خيرةٌ في الزوجِ والزوجِ مُثنًّى ليس ثان
هُوَ منها وإليها نفسَها ما ثَمَّ ثان
ثُمَّ سُكْنَاهُ إليها حَبَّها حُبًّا مُصانِ
بينَ إمْدادٍ وإيْجادٍ سَرَى فَيْضُ المعاني

إنّـي ادّعيتُ الحـبَّ إنْ لـم أكُ خـطّاءً مُدان
عندما هبَّتْ ريـاحُ الصُّبْحِ أخْليتُ المكان
كذَّبَتْنـي خُطْوتـي نـحوَ الـهوَى مـاضٍ وآنِ
ألهِمنِي يا إلـهي الحُـبَّ فـي غـوثِ الزَّمـانِ

حبِّبنـي للـرسولِ الـمُجْتبَى عـاليَ الشَّـانِ
لا تُـفارقْ مُقْلتـي عنْ ذاتِ عـينِ الإحْسـانِ
كُلَّما فَـكَّرْتُ فيهِ ازدَدْتُ شَـوْقًـا ومَـعَانـي
ألـبِسـنِّـي حُـبَّـهُ يـا ربِّ ثـوبًـا حُـلَّـتـانِ

ألـزمـنِّـي دائـمًـا أعـتـابَ شَـــرْعِ الـقـرآن
عَـمِّـرْنْ قـلبـي بـتـقـوى بـصـفـاءِ الإيمـــانِ
إجْـعـلَـنِّـي خـادِمًـا عـبـدًا لـعبدِ الـرحـمن
أدْخِـلَـنِّـي رَحْـمَـةً مـنكَ جِـنـانَ الـرِّضْـوانِ

****

(١٠)[1]

أيـا أحـمـدًا مِـن أحـمـدٍ قُـمـتَ داعـيـا
وقـد سَـمِـعـتْـكَ الـصُّـمُّ والـبُـكـمُ عـاليـا
لـكَ الـلـيـلَ سِـرْنـا والـنَّـهـارُ مُـتـابِـعٌ
نجـوبُ الـفـيـافـي فـي طـريـقِـكَ سـاعـيـا
سَـمِـعْـنـا نـداءً يمـلأ الأرضَ والـسَّـمـا
فـهـا أحـمـدُ الـيـرْواوي كـان الـمُـنـادِيـا
لـهُ الـمـجـد فـي هـذا الـطـريـق خـلـيـفـةٌ
بـلا ثـانـي فـلْـتـخْـرَسْ شـفـاهُ الـمُـعـاديـا
أفـي الـلـه شَـكٌ أمْ بـسـيِّـدِ خـلـقِـهِ
فـهـذا أبـوالـعـبـاسِ لا تَـنْـحُ نـائـيـا
مَـنـيـعٌ إذا استـمـسـكْـتَ بـالـسَّـلْـسـلِ الـذي
أبـوالـفـتـح يسـقـي كُـلَّ صـاحٍ وفـانـيـا[2]
عـلا فـوقَ فَـوْقَ الـفـوقِ فـي مِـنْـبَـرِ الـعُـلا
يُـنـادي أنـا الـمـقـصـودُ هـذا زمـانـيـا
لـه دانـتِ الـدُّنْـيـا فـأعْـرَضَ زاهِـدًا
ويـعـطـي عـطـاءَ الـرِّيـح مـا فـيـهِ مـن رِيـا
يَـمـيـلُ إلـى الـضُّـعـفـاءِ يـصـحـبُ جُـلُّـهـم
ومـا وَطِـئَـتْ قَـدْمـاهُ قَـصْـرًا لـوالـيـا

---

(١) في مدح الشيخ أبو الفتح أحمد علي اليرواوي السلام عليك أيها الشيخ ورحمة الله وبركاته

(٢) هكذا ورد في الأصل.

كما إنَّهُ في حضْرةِ الرُّبِّ غارِقٌ
دوامًا فلا تُلْهيه أمْوالُ مُعْطِيا
كما (كولخ) فاسٌ مدينةُ يثربٍ
ضرائحِهُم تدعوهُ يمشي مُلَبِّيا
أيا من هواهُ الذِّكْرُ والذِّكْرُ حالُهُ
خَرَقْتَ الطِّباقَ السَّبْعَ بالذِّكْرِ داعيا
يؤمُّك بالمقصودِ جمْعٌ ومُفْردٌ
فتُوردهم بحر الفُيوضاتِ دانيا
هَلُمَّ إلينا نخْرقِ الجَوَّ والسَّما
بذكرٍ وتسبيحٍ لنرقى العواليا
أيا مُعْرِضًا أو مُنكرًا أنتَ غافلٌ
وفي قلبك المسكينِ عُشُّ الملاريا
لنا فيضةٌ تجري ويَزْهامُ درعُها
أبو الفتح يَسْقيها وللخيرِ ساعيا
شَرِبْنا هوانا وهْوَ ذِكْرٌ وطاعةٌ
وحُبٌّ وإخْلاصٌ لعلّه المناديا
يُكالُ إلينا السُّوءُ والشَّتْمُ والأذى
فتحرقها الأنوارُ واللهُ راضِيا
خِصالٌ لها عِشْنا ونبقَى لأجْلها
عبيدٌ وخُدَّامُ مَدى الدَّهرِ ساريا
وَجَمْتُ أبي فارْفَعْ لنا السِّتْرَ بُرْهةً
متى ما عَرَفْتُ الوجهَ هذا مُرابِيا

رحـيـمٌ مُـنـيـبٌ صـانـعُ الخـيـرَ دائـمًـا
صَـفُـوحٌ إذ اخْـتـرتَ الـتَّـواضُـعَ راضـيـا
جِـمـاك أيـا شـيـخـي أتـيـتُـكَ راجِـعًـا
أُهَـــزْوِلُ عـنـدَ الـعَـودِ مـرفـوعَ عـاليـا
مَتَى ما دهـاني الـدَّهْـرُ دِرْعِـي سَـوَادُكُـم
وسَيْفي حَضُور الشَّيْخ كالبرقِ ماضيا
تـشـادي تُـنـادي يـا سـلامُ تـعُـمُّـنـا
سـلامًـا كـفـانـا المـوتُ والـشَّـرُّ داهـيـا
أيـا أيـهـا الـشَّـيْـخُ المـهـيـبُ دُعـاءَكُـمْ
رجَـونـا بـه تـعْـمـيـمَ سِـلْـمٍ وعـافـيـا
لـكَ الـشُّـكْـرُ إذْ ا اخـتـرتَ (تـشـادي)
مُضيفة جـزاك إلـهـي فـوقَ مـا نـالَ داعيا
هُـنـا ينـتـهـي الـتـعـبـيـرُ إنـي مُـقَـصِّـرٌ
وصَـفـحَـكُـمُ إنْ نـلـتُ هـذا جَـزَائِـيَـا

****

حسين إبراهيم أبوالدّهب[1]

(١)

[مجزء الوافر]

سـلامٌ أرضَ مطلوبِ
سـلامٌ غرسَ محبوبي[2]
سـلامٌ لك من قلبي

سلامي كلَّ أوقاتي
ولا زالت تحياتي
توافيك من الحُبِّ

وبالأشواقِ أمداحي
وفي الأمداح أفراحي
وتسليتي من الكَرْب

متى أدنو من اللُّقيا
متى أسعدُ بالرُّؤيا
فيا شوقي إلى القُرْب

---

(١) حسين إبراهيم أبو دهب (١٩٤٣ - ١٩٧٩) شاعر تشادي، وهو من ضحايا الحرب الأهلية، ويغلب على شعره النزعة الصوفية والمديح النبوي. وشعره لم يطبع، وقد عثرت على مخطوطتين له الأولى: في المديح النبوي، والأخرى: في مدح الشيخ أحمد التيجاني ويلاحظ ان المخطوطتين يغلب عليهما طابع المنظومات.

(٢) مخطوطة «حسين إبراهيم أبو دهب» «غوث القلوب في مدح صاحب الفيض المسكوب».

إلـــى (كُـــولِـــخْ) فـكـم ســـاروا
أحـــبَّـــائـــي وقـــــد زاروا
ربـــيـــبَ الـــعـــجـــمِ والـــعـــرب

هـــو الـــبـــدرُ إبـــنُ إســـحـــاق
هـــو المـــشـــهـــور فـــي الآفـــاق
هـــو المـــوصـــوف بـــالـــعُـــجْـــب

زعـــيـــمُ الـــديـــن فـــي الـــدنـــيـــا
لـــه فـــيـــنـــا الـــســـيـــدُ الـــعـــلـــيـــا
فـــلا تجـــحـــدْه بـــالـــكـــذب

فَـــسَـــلِّـــمْ يـــا أخـــا الـــحـــســـدِ
لـــكـــي تُـــهـــدَى إلـــى الـــرُّشـــد
وَكَـــي تـــرقـــى إلـــى الـــرُّتَـــبِ

فـــذا إرثُ الـــتَّـــجـــانـــي بـــدا
بـــنـــور الـــحـــقِّ ثـــم هـــدى
إلـــى نـــور الـــهـــدى الـــوهـــبـــي

فـــنـــحـــمـــدُ ربـــنـــا الـــهـــادي
حـــبـــانـــا فـــيـــضَ إمـــدادِ
بـــلا حـــولٍ ولا سَـــبَـــبِ

فـــــإنَّ الـــشـــيـــخَ مِـــفْـــضـــالُ
لـــــه فـــــي الـــكـــلِّ أفـــضـــالُ
ســـــوى مَـــن كـــان فـــي غَـــضَـــبِ

ألا يـــا طـــالـــبَ الـــرَّحـــمـــن
عـــلـــيـــك خـــلـــيـــفـــة الـــتَّـــجـــانـــي
وكُـــــنْ فـــي غـــايـــةِ الأدبِ

وبَـــــجِّـــــلْـــــهُ ووقِّـــــــزْه
وَعـــــظِّـــــمـــــهُ وقـــــدِّره
بـــــذا تَـــــنْـــــو مـــــن الأربِ

وإيَّـــــــاكَ الـــــتـــــعـــــرُّضُ فـــي
أمـــــورٍ سِـــــرُّهُـــــنَّ خـــفـــى
فـــكـــن فـــي الـــصـــدق فـــي الـــدَّأَبِ

إذا مـــــا كـــــنـــــت تجـــهـــلـــه
ومـــــا كـــــنـــــت تَحْـــــصُـــــلـــــه
فـــــطـــــالـــــعْ لـــــذة الـــكـــتـــب

فـــكـــم لـــلـــشـــيـــخ تـــألـــيـــفْ
عـــــلا كـــــل الـــتـــصـــانـــيـــفْ
لـــــا فـــيـــه مِـــــنَ الـــذَّهَـــبِ

غـلـبـت مـعـاشـرًا صـافـوا
وأعـطـوا الأمـر إنـصـاف[1]
وألـقـوا حُـلَّـةَ الـلَّـعَـبِ

أبـو إسـحـاقَ لا ثـانِ
لـه والـلـه فـي الآن
بـفـضـل الـعـلـم والـنـسـب

سـمـا فـي الخُـلُـق والخِـلَـق
بـدا بـالـنـور كـالـفـلِـقِ
فـلـم يـحـكـيـه ذي شَـنَـبِ

مـلـيـحٌ شـكـلُـهُ فَـخْـمُ
رؤوفٌ كـلـهُ كَـرَمُ
زكـا كـالـتـين والـعـنـب

زَكـا أجـداده الـقُـدمـا
فـكـل جـدوده عَـلَـمـا
ومـا فـيـهـم يُـعَـدُّ غـبـي

أتـى مـن عـنـصـرٍ طـاهـرْ
بـأمـرٍ فـائـقٍ بـاهـرْ
مـن الأسـتـارِ والحُـجُـبِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

فـكـان الـغـوثُ فـي الـعـصـر
وغـيـثُ الـعـلـمِ لا المـطـر
ولـيٌّ لـم يـكـنْ بِـنَـبـي

لـه بـانَـتْ كـرامـاتُ
وكـم جـاءَتْ عـلامـاتُ
تحـيُّـر فِـكْـرُ كـلِّ أبـي

تـسـألُـمـنـا لمـا هُـو فـي
تـخـلـيـنـا عـن الـعـنـف
فـأسـكـنـنـا مـن الـنَّـصَـب

عـشـقـنـاهُ عـلـى الـبُـعْـدِ
ونَـزعـاهُ عـلـى الـعَـهْـدِ
وظَـنُّ الخـيـرِ لـم يَـغِـبِ

ومـن يـنـعـتْـه بـالـشَّـرِّ
سـعـى بـالـظَّـنِّ لـلـضُّـرِّ
ومـنـه الـرأيُ لـم يَـصُـبِ

أيـا شـيـخـي ويـا سـنـدي
ويـا كـهـفـي ومـعـتـمـدي
ويـا كـنـزي ويـا حُـبِّـي

فـــأنـــتَ الـــقـــصـــدُ فـــي غـــرضـــي
وأنـــــت الأنْـــــسُ فـــي مـــرضـــي
فـــــداوي الـــقـــلـــب يـــا طـــبِّـــي

عـــلـــيـــكَ تحـــيـــتـــي أبـــــدًا
تـــعـــمُّ الأهـــــلَ والـــولـــــدا
وتـــشـــمـــلُ ســـائـــر الحُـــجُـــب

مـــــدى الأريـــــــاحِ مـــا هـــبَّـــتْ
ومـــــا مـــــرَّ الحـــيـــا صَـــبَّـــتْ
وقـــــال الحُـــــبُّ مـــن حُـــبِّ

مـــديـــحـــي فـــيـــك يـــا هـــادي
يـــســـامـــي كُـــــلَّ إنـــشـــادِ
ومـــــا يُـــبـــديـــه ذو لُـــبِّ

فـــمـــا مِـــثْـــلُـــكَ فـــي الـــنُّـــصْـــحِ
ولا مـــثـــلـــك فـــي الـــمَـــنْـــحِ
فـــأيـــن الـــشـــمـــسُ مـــن شُـــعُـــبِ

فـــاقـــبَـــلْ فـــيـــك أبـــيـــاتـــي
واقـــضـــي كـــلَّ حـــاجـــاتـــي
ويَـــلِّـــغـــنـــي إلـــى الـــقُـــرْبِ

أنـــــا تـــلـــمـــيـــذك الجـــانـــي
أنـــــا فـــي حُـــبِّـــكَ الـــفـــانـــي
وفـــــي أمـــداحـــكـــم طَـــرَبـــي

فـــألحِـــقْـــنـــي بـــأصـــحـــابـــكْ
وفـــــي أخـــيـــــارِ أحـــبـــابـــكْ
وقـــل لـــي أنـــت مـــن صـــحـــبـــي

وعـــنـــد المـــــوتِ دارِكْـــنـــي
وفـــــي المـــيـــزان بـــاركـــنـــي
وأنـــقِـــذْنـــي مـــن الـــلَّـــهَـــبِ

فـــإنـــك قـــد ضَـــمَـــنْـــتَ جـــنـــان
لـــن يـــهـــواكَ بـــعـــد أمـــان
وعـــنـــدي غـــايـــةُ الحُـــبِّ

ولـــم أطـــلـــب ســـواكَ خـــلـــيـــلْ
ولـــم أجـــعـــل ســـواك دلـــيـــلْ
مـــن الأعـــجـــامِ والـــعُـــرْبِ

****

(٢)

[الطويل]

إلـى طيبةَ المختار عندي من الهوى
شديدٌ وقد أخلى جفوني من الكرى
فليلي طويلٌ مظلمٌ مِنْ بُعادِه
وجسمي ضعيفٌ من بُعادٍ ومن أسى
وما طابَ لي أكلٌ ولا لذَّ مشرب
وكيف يطيبُ الأكلُ والشربُ للحشا
وجسميَ مرهونٌ بذنبٍ مُقيَّدٍ
بعيدٍ عن المحبوب باقٍ على النَّوى
وسار رفاقي حيث جدُّوا بكلما
أُتوهُ وخلُّوا عن غرور وعن هوى
وقاموا بليلٍ مخلصين فخلَّصوا
نفوسهمُ مِن كلِّ ملهًى ومشتهى
ونمتُ بليلي لم أبالِ بحالةٍ
كأني على أمنٍ ولا أمنَ للفتى
ألَنْتُ فراشي والوسادةَ والغطا
وأحميتُ جسمي من عناءٍ ومن أذى
ولا فكرةٍ لي لو على قدرِ لحظةٍ
بتخليصِ رَوْحي وهو أرفعُ مستوى

ظَلمتُ كثيرًا حيث أرخَصْتُ غاليًا
نفيسًا وأغليتُ الذي يلْقَه البلى
وما الجسمُ لولا الروحُ ما كان لحظةً
فأولى بروحي أن أخَلِّصَ أولى
فموتٌ قبيلَ الموتِ والعيشُ بعده
وعيشٌ بلا موتٌ هو الموتُ لا غروى
فلا راحةً للخائفين حقيقةً
وتلغي أُهَيْلَ الجهل في لذة الهوى
عصينا ولم نبكِ مِن الخوفِ مرةً
وكان علينا الحقُّ أن نلزمَ البُكا
ونضحكُ مَسْرورين في كلِّ بُرهةٍ
وذلك مِن موت الفؤاد الذي قسا
رضيتُ بعيش البُهْمِ لا عيش عاقلٍ
وكيف بهذا العيشِ يا إخوتي الرِّضا
ألا نظرةٌ مِن خالقِ الأرض والسَّما
تُغيرُ هذا الحال أو تكشف الغِشا
وتُذْهِبُ عني كلَّ سوءٍ وقبحه
وتلبسني أنواء حُلْيٍ مِن التُّقَى
فما قصدُ هذي النفسِ إلا بليَّتي
أعوذُ بربِّ العرشِ منها على المَدَى
أعوذ بربي خالقي وهو رازقي
مِن المارد الشيطان إذ قصْدُه الغِوى

أقـــولُ غـــدًا مـنـي المـتـاب وكـم غـدٍ
وما زلت في فعل المعاصي وفي الخطا
أظـاهـرُ بـالخـيـراتِ دهـري وأخـتـفـي
ذنـوبًـا عـظـامًـا لـو تـبـدَّت عـلـى الـورى
قـلـونـي جـمـيـعًـا مـا ألـمّـوا بمجلسي
ولـكـنَّ ربـي يـسـتـر الـعـيـب إن عَـرَى
فـهـم يـحـسـبـون الخـيـر مـنـهـم تـقـرُّبًـا
ولـيـس أخـو جـهـل بـأمـرٍ كـمـن دَرَى
فـأولـى بـنـفـسـي أنـنـي الـيـوم عـالـمٌ
بـكـلِّ سِـقـامـي أن أُفَـتِّـش عـن دوا
يـريـدون مـنـي كـلَّ حـيـنٍ دواءهـم
وإنِّـي ومَـن يـطـلـبُ مـنـي عـلـى سـوا
ولـو كـنـتُ ذا حَـذْقٍ لخلَّصتُ مهجتي
مِـن الـدَّاءِ داءِ الـغِـشِّ إذ عـنـدهـا ثـوى
لـهـذا تـرى مـنـي الـزمـانَ تـسـتـرًا
لأنـيَ مـشـغـولٌ بـنـفـسـي عـن الـسـوى
رأيـتُ جـمـيـع الـسَّـالـكـين تـهـذَّبـوا
نـفـوسَـهُـمُ عـن كـل مـلـهًـى ومشـتـهـى
وإنـيَ وانٍ قـاصـرُ الـسـعـي راقـدٌ
فـلا رُشْـدَ لـي حـيـنًـا لخـيـرٍ ولا قِـوى
أيـا رب بـالـهـادي الأمـين محـمـد
وبـالـصـحـب والآل الـكـرام ذوي الـهـدى

تُبلِّغني أقصى مرامي بمكةَ
وتُعطي مُرادي في المقام الذي أوى
إليه خليلُ الله برهام داعيًا
بكلِّ دعاءِ الخير فاستقبل الدُّعا
محمدٌ مختارٌ مِن الخلق مصطفى
وخاتمُ كلِّ الرسلِ داعٍ إلى الهدى
أتى بكتابٍ مِن حكيمٍ مبينٍ
فأرشدَنا للحقِّ عن غيره نهى
عَرَفْنا به الحقَّ القديم حقيقةً
ولولاهُ لم نعرف من الحقِّ بالنُّهى
جزى الله عنَّا كلَّ خيرٍ محمدًا
وصلى عليه الربُّ تعدادَ مَن هدى
محمدٌ محمودٌ لدى كلِّ عاقلٍ
محمدٌ معصومٌ مِن الذَّنْبِ والخَطا
محمدٌ معروفٌ لدى كلِّ عالمٍ
محمدٌ مِن خيرِ البرايا بلا افترا
محمدٌ محمودُ المقام وإسمه
قرينٌ لإسم اللهِ في العرش والسما
ومَن قالَ ربِّي اللهُ بالحقِّ إنه
يقولُ رسولي المصطفى وهو مُنتقى
وواجبٌ حب الله جلَّ جلاله
وحبِّ رسول الله فرضٌ على الوَرَى

أحـــبـــكَ يـــا خـــيـــرَ الأنـــــام مـحـمـدٍ

فـجُـدْ لـي بمـا أهـــواهُ شـربًـا وبـالـروى

وهـــب مـهـجـتـي يـا مـصـطـفـى الـلـه قـربـةً

لـتـشـفـع لـي يـا صـاحـب الحـــوض والـلـوا

عـلـيـك صـــلاةُ الـلـــه فـــي كـــلِّ لحـظـةٍ

وآلٍ وأصـــحـــاب دوامًـــا عـلـى الـدى

****

عباس محمد عبد الواحد[1]

(١)

[البسيط]

شـهـرُ الـصـيـام إذا أحـيـاهُ مـحـتـسـبٌ
أتـــاحَ لـلـنـفـسِ خـيـرًا غـيـرَ مـحـدودِ
إذ فـيـه تَـسـتـجـلـبُ الأرواح قـوَّتـهـا
بـالـصـوم والـنُّـسـكِ أو تـسـبـيـحُ مـعـبـود

---

(١) عباس محمد عبد الواحد (١٩٤٤ - ٢٠٠٢) ، شاعر تشادي ولد في مدينة «أبشة» . وبدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم وانتقل إلى مدينة «بلتن» حيث كان أبوه يعمل إمامًا للمسجد الكبير ومعلمًا للعلوم الدينية وعاد الشاعر مرة ثانية إلى مدينة أبشة فالتحق بالمدرسة الثانوية العربية الفرنسية ثم التحق بمعهد المعلمين ونال الشهادة الثانوية المزدوجة. ثم سافر إلى العراق والتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة المستنصرية، وعاد إلى وطنه ليعمل مدرسًا ثم ناظرًا، ثم مديرًا للشؤون الدينية إلى أن توفاه الله سنة ٢٠٠٢م.

وقد تضافرت عدة عوامل أسهمت في تكوين شاعرية شاعرنا المحافظة أهمها كما تجلى في شعره: النشأة الدينية، وعشق اللغة العربية وآدابها، وقد ترك الشاعر ديوانًا طُبع في أثناء بعثته في العراق بعنوان «الملامح» وكتب مقدمته الدكتور «عادل جاسم البياتي» و«محمد حسين آل ياسين». وقد أثنيا على الديوان، وما فيه من شاعرية متفتحة وشعور حي، وإحساس ينبض بالحياة.

يقول عنه الدكتور محمد حسين آل ياسين «... قرأت ديوان الملامح للأخ الشاعر (عباس محمد) أحد أدباء تشاد العزيزة، فرأيته حافلاً بالشاعرية العذبة ومضمخًا بأريجها الحلو، ووجدت قصائد متسمة باللطف والرقة بعيدة عن التكلف مجانبة للتصنع نابعة من إحساس مرهف صادق، فهي بنت تجاربها الواقعية التي عاشها الشاعر بتفاصيلها الذاتية والجماعية». وأود الإشارة إلى أن القصائد التي سوف أسجلها للشاعر بعد هذه السيرة الذاتية لم ترد في ديوانه، فهي عبارة عن قصائد مكتوبة بالآلة الكاتبة، وحصلت عليها من الشاعر قبيل وفاته إضافة لديوانه وهي ست قصائد «في رحاب رمضان – من وحي الأسى – رثاء الشيخ زكريا حسين – إلى خادم الحرمين الشريفين – الشاذلي صالح – بزغ النور». وقد نصحني أستاذي الدكتور أحمد محمد عوين بكتابة الديوان؛ لتعم الفائدة بعدما أن تم طباعته من قبل في العراق مطبعة أسعد ١٩٨٣م في سبع وأربعين صفحة من الحجم المتوسط. مقابلة تمت بيني وبين الشاعر في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتشاد في ٢٠٠١/٥/٢٥م وانظر مقدمة ديوانه «الملامح» تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م ص١١.

تـــروي ثـقـات عـن الـمـخـتـارِ مـرشـدنـا
مـــا جـــاء عـنـه بمـــوثـــوقِ الأســانـيـد
بـــأنَّ فـيـه يُـــرى الـشـيـطـانُ مـعـتـقـلا
بـــين الـسـلاسـل فـــي أيـامـــهِ الـسُّـود
وفُـتِّـحَـتْ فـيـه أبـــوابُ الجـنـانِ وقَـدْ
أعـــدَّ لـلـنـفـس أقـصـى غـايـةَ الجـود
ولـيـلـةُ الـقـدر تـبـقـى فـيـه كـامـنـةً
لـكـنَّـهـا بـقـيـت مـــن دون تحـديـد
والـــروحُ تـنـزلُ والأرواحُ تَـصْـحَـبُـهـا
لـمـطـلـعِ الـفـجـرِ قـلْ لـلـه مـــن عيد
أمـنـيـةُ الـنـفـس أن تحـظـى بمـغـفـرةٍ
مـــن ذَنْـبـهـا ودعـــاءٍ غـيـرَ مـــردود
مـــولايَ عـنـدك وصـــلٌ غـيـرُ مـنـقـطـعٍ
نـرجـوهُ مـنـك وبـــابٌ غـيـرَ مـسـدود
أَعِـــدْ إلـى المسلمـينَ الـيـومَ وحـدتـهُـمْ
واردُدْ لـهـمْ كُـلَّ مـسـلـوبٍ ومـفـقـود
وافْـشِـلْ مـخـطـطَ مـن يـبـغـي تفككهم
بـشـنِّ حـــربٍ وتـــرويـــعٍ وتـنـديـد
والجـيـل فـاحـفـظـه مـن فـكـرٍ يـسـمِّـمُـهُ
بـنـهـجِ أسـلافـهِ الـغـرِّ الـصـنـاديـد
واحـفـظـهُ مـن خـطـرِ الإلحـــادِ مـنـتـشـرًا
ومـــن مـخـاطـرِ تـنـصـيـرٍ وتـهـويـد
فـالـكـفـرُ عـنـد جـمـاعـاتٍ مـضـلـلـةٍ
تـــرى لـــه حـــقَّ تـصـديـرٍ وتـوريـد

****

(٢)[1]

[الوافر]

لـــدى أفـــريـــقِـــيَـــا شـــعـــبٌ تـــوالـــتْ
عـلـيـه عـــواصـــفُ الـــدنـــيـــا عـتـيًـا
لـقـد فـتـكـتْ بـــه الـــويـــلاتُ فـتـكـا
وأســـقـــتـــهُ كـــؤوسُ الـــغَـــمِّ ريًّـــا
وكـــبَّـــلَـــهُ الـــبـــلاءُ بـــكـــلِّ رزءٍ
فـــراحَ يـعـيـشُ والـبـلـوى سـويًّـا
فـفـر الـبِـشْـرُ يـــوم غـــزاهُ مَـدٌّ
مِـــنُ الـصـحـراء يـطـوي الأرض طيًّا
فَـــزَّجَّ الجـمـع أفـــواجًـــا وألـقـى
بـــه فـــي عـمـقِ هـــاويـــةٍ شـجـيًّـا
فـمـا اسـتـثـنـى ولـم يَـسْـتَـثْـنِ شيخًا
يَـــقُـــلُّ عـــصـــاهُ أو طـفـلًا بـريًّـا
ولـــم يُـــرَ مـنـه قَـــطُّ أشـــدُّ بـأسًـا
أشـــدُّ ضـــراوةً وأشـــدُّ كـيًّـا
فـمـن لـلـبـائـسِ المـنـكـوبِ غـوثًـا
سـريـعًـا إذ دعـا «عـطـفًـا عـلـيًـا»

---

(١) تاريخ كتابة هذه القصيدة يرجع إلى عام ١٩٨٥م، وكانت المناسبة المجاعة في أفريقيا، وقد قدمت السعودية مساعدات إلى المحتاجين عن طريق مشروع سمي مشروع العون المباشر وقد لعبت هذه الطريقة دورًا كبيرًا في تخفيف الآلام أما العون المقدم عن طرق أخرى فلم يصل إلى أهدافه. وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة رابطة العالم الإسلامي ثم في مجلة جامعة الإمام، وعرضت أيضًا في التليفزيون السعودي، وشاهدها كثير من الناس، وفي القصيدة إشارة إلى سباق التسلح بين الكتلتين آنذاك.

وقــد شَــغَــلَ الأخَ الــعــصــريَّ هَــمٌّ
وحــلــمٌ بــات يــرتــادُ الــثُّــريَّــا
فــحــوَّل نــعــمــةِ الــرحــمــنِ حــربًــا
وشــكَّــل لــلــورى خــطــرًا جــلــيًّــا
لــيــنــعــمَ بــالــتــفــوق فــي ســبــاقٍ
يــــدومُ عــلــى مــنــافــســه قــويًّــا
ويــحــلــمُ لــو رأهُ الــنــاسُ ربًّــا
غــدا بــالأرض جــبــارًا عــتــيًّــا
وأن الــعــالــم الــمــرعــوب يــصــغــي
لــمــا يــمــلــيــه أو يــبــقــى جــثــيــا
صــدى صــوت الــضــمــيــر عــن المآســي
يُــــرَدِّدُ عــنــد ســامــعــه دَوِيًّــــا
فــهــبــتْ نــســمــةُ الآمــــالِ لــمَّــا
غــدا عــطــفُ الــقــلــوبِ بــه حَــفِــيًّــا
لــذا أخــــذتْ بــســاعــده أيــادٍ
تمــدُّ لــمــثــلــهِ عــونًــا ســخــيًّــا
وأجــداهــا يــدا فــهــدٍ، ســيــبــقــى
لــواء الــديــن خــفــاقًــا عــلــيًّــا
تــعــهَّــدَ مــدَّه وأصــر أنْ لا
يــكــونَ لــعــهــدهِ إلاَّ وفــيًّــا
تــعــيــشُ أيــا مــلــيــكَ الــشــرقِ عــدلاً
تــراعــي الحــقَّ عــمــلاقًــا ذكــيًّــا
وتــبــقــى رائــدًا وتــقــودُ شــعــبًــا
غــنــيًّــا فــي مــبــادئِــهِ أبــيًّــا

****

(٣)[1]

[البسيط]

عـرفـتـكَ يـا أخـي شـهـمًـا ذكـيًّـا
عـرفـتُ بـأنَّـكَ الـرَّجـلُ المـثـالـي
عـرفـتـكَ عـبـقـريًّـا لا يُـجـارَى
عـرفـتـكُ صـالحًـا حَـسَـنَ الـفـعـال
عـرفـتـكُ مـؤمـنًـا سـمـحًـا أبـيًّـا
وداعـيـةً إلـى ربِّ الجـلال
عـرفـنـاكَ الـتـقـيَّ فـلا تـبـالـي
بمـا يـفـضـي إلـى قـيـلٍ وقـال
رزيـنًـا لا تـفـيـضُ الـقـولَ إلاَّ
لـدرسٍ أو جـوابٍ عـن سـؤال
عـفـيـفًـا صـابـرًا بـرًّا قـنـوعًـا
بمـا يـأتـيـكَ مـن كـسـبٍ حـلال
عـرفـتـك بـحـرَ عـلـمِ الـديـن لـمًّـا
غـمـرتَ الـنَّـاسَ بـالـفـيـضِ الـزُّلال
عـرفـتـك عـالـمًـا فـي كـلِّ فـنٍّ
سـمـوتَ فـكـنـتَ مُـنْـعَـدِمَ المـثـال
فَـفُـزْتَ بـسـمـعـةٍ بـيـضـاء فـاقـتْ
رواءَ الـبـدرِ فـي شَـرَفِ الـكـمـال

---

(١) رثاء الشيخ زكريا حسن كان عالمًا بالعربية والعلوم الدينية وكان ورعًا تقيًّا عاملًا وكان عضوًا في اللجنة الإسلامية لجمهورية تشاد.

أديـــــبٌ أنـــــتَ فـــذٌّ أريـــحـــيٌّ
مـــلـــمٌّ بـــالجـــمـــيـــل مـــن الخـــصـــال
رفـــيـــعٌ والـــتـــواضـــعُ فـــيـــكَ دأبٌ
يـــقـــرُّ لـــك الجـــمـــيـــعُ بـــلا جـــدال
شـــريـــفَ الـــنـــفـــس لا تـــخـــشـــى مـــلامًـــا
عـــن الـــنُّـــصـــحِ الجـــمـــيـــلِ ولا تـــبـــالـــي
فَـــوا أســـفًـــا عـــلـــيـــك فـــقـــد تـــداعـــى
لـــنـــا ركـــنُ هـــوى تحـــت الـــرِّمـــال
تـــخـــطـــفـــكَ المـــنـــونُ وأنـــتَ فـــيـــنـــا
مـــثـــالٌ لـــلـــتَّـــودد والـــوصـــال
إذا مـــا قـــلـــتُ إنَّـــكَ رمـــزُ حِـــلْـــمٍ
أقـــولُ الحـــقَّ فـــيـــكَ ولا أغـــالـــي
فـــوا أســـفـــا لـــفـــقْـــد الـــعـــلـــم أنـــا
فَـــقَـــدْنـــا مـــطـــلـــبًـــا صَـــعْـــبَ المـــنـــال
لأنَّ غـــيـــابَ أهـــلِ الـــعـــلـــمِ حـــتـــمًـــا
ســـيـــودي بـــالـــعـــلـــومِ إلـــى زوال
هِـــيَ الـــدُّنـــيـــا الـــتـــي نـــأوي إلـــيـــهـــا
ونـــحـــن نجـــدُّ فـــي طـــلـــب المحـــال
ســـرابٌ لا حـــقـــيـــقـــةَ فـــيـــه أصـــلاً
فـــهـــل تُجْـــدي مـــطـــاردةُ الـــظِّـــلال
وإنَّ الـــعُـــمْـــرَ مـــهـــمـــا طـــالَ فـــيـــنـــا
فـــإنَّ المـــوتَ عـــاقـــبـــةَ المـــآل
عـــزائـــي يـــا أخَـــا الإســـلامِ.. إنـــا
أُصـــبـــنـــا الـــيـــوم بـــالـــدَّاءِ الـــعُـــضـــال

****

(٤)[1]

[البسيط]

مشاعرُ الودِّ والعرفانِ نبعثُها
إليكَ فهْي من الأعماقِ تشتعلُ
لقد عرفناكَ عملاقًا تناطُ به
زعامةَ الدين نِعْمَ القائدُ البطل
أعدت ما كان للإسلام من شرف
بين الشعوب فعاد الجرح يندمل
فكنتَ مفخرةً للمسلمين كما
أصبحتَ مستندًا لاذت به دُوَلُ
وليس يجعلُ منّا أن دولتَكُم
ترعى الذي قد بَنتْه القادة الأول
قادوا الأنامَ بإيمانٍ وقوتهم
عزمٌ يواكبهُ في سيرهِ العمل
وهُمْ أسودُ الورى لله دَرُّهُمُ
لهُمْ مواقفُ مضروبٌ بها المثل
خاضوا الملاحمَ أبطالًا ورائدهُمْ
قلبٌ تشرَّدَ منه الخوفُ والوَجَلُ
فكلُّ فردٍ بهم إنْ سِمْتَهُ عَلَمٌ
يصح أنْ قيل عنه الشَّامِخُ الجبل

---

(١) قيلت في إحدى المناسبات الإسلامية العالمية.

إن جـاهـدوا فـلأجـلِ الـلـه صـولـتـهُـمْ

أو أمـسـكـوا فـلأجـلِ الـلـهِ مـا فـعـلـوا

حـتـى بـنـوا دولـــةً عـظـمـى ولـيـس لـهـم

فـي حـفـظـهـا مـقـلـةٌ بـالـنـومِ تكتحل

فـهـابَـهـا كـــلُّ جـبَّـــارٍ لأن لـهـا

قـــيـــادةً لـكـتـابِ الـلـه تَمْـتَـثِـل

فـهـذه شـيـمـةُ الآبـــاء واضـحـةٌ

لـلـنَّـاس فـهـي لـكـم بـــالإرثِ تنتقل

يـا عـاهـلاً فَـرْعُـه يسمو إلـى زُحـلٍ

وأصـلُـهُ لـعـمـيـقِ الـمـجـدِ يَتَّـصِـل

ومـن لـه سـمـعـةٌ بـيـضـاءُ قـد ظـهـرتْ

كـالـبـدرِ حـين يُـرى بـالـنـورِ يكتمل

اقْـبَـلْ تحـيـةَ وفـد الـشـاد مـنـبـعـثًـا

لـلـحـجِ فـهـو لـه الـمـقـصـودُ والأمـل

نَـزفُـهـا لـولـيِّ الـعـهـد ثـانـيـةً

فـهـو الـذي لا يُـرى فـي أمـرِهِ الـكـسـل

****

(٥)

[البسيط]

أقسمتُ والقولُ من تأكيده القَسَمُ
أنَّ الفضائلَ بين الناس تَنْقَسِمُ
للبعضِ حظٌّ وبعضٌ قلَّ موهبةً
وبعضهُمْ حظُّهُ في القسم مُنْعَدِم
فخصٌّ من بينهِمْ أستاذُ معرفةٍ
وشيخُ علمٍ تجلَّتْ عندَهُ الحِكَم
هذا هو الشَّاذلي صرحٌ يشادُ به
وقمةٌ تتهاوى دونها القِمَم
حوى من الحظ قِسْطًا لا تزاحمُهُ
أترابُهُ وهو في أقرانِهِ عَلَم
أكرِمْ به عالمًا قلَّتْ نظائرُهُ
ذو همةٍ قَصُرَتْ من دونها الهِمَم
إنْ جئتَهُ زائرًا تلقاهُ مبتسمًا
مهذِّبِ النفسَ بئرٌ ماؤُهُ شَبِم
فما خلا البئرُ من روادِ منهلِهِ
فدرسهُ بجموعِ النَّاسِ مزدحم
إرثٌ أتاهُ من الآباءِ مكْرمةً
فهم كرامٌ تناهى فيهمُ الكَرَم

أبـــوهُ صـــالـــحُ ذو عـــلـــمٍ يمـــيِّـــزهُ
مـن غـيـرهِ الـلـطـفُ والأخـــلاقُ والـشِّـيَـم
طَـلْـقُ المحـيَّـا تـقـيٌّ مـخـلـصٌ وَرِعٌ
وصـــادقُ الـقـولِ بـين الـنـاسِ مُـحْـتَـرَم
تـــراهُ إمَّـــا مـقـيـمًـا فـي تـنـسـكـهِ
أو كـان فـي يـده الـقـرطـاسُ والـقـلـم
ولـــم يـــفـــرِّطْ بـحـــقٍّ فـــي تـعـامـلـه
مـــعْ مـسـلـمٍ فـهـو بـــالإســـلامِ مـلـتَـزِم
رحـمـاكَ يـا ربِّ رمـسًـا ضَـمَّ أعظمـه
يـومًـا يـحـاسـبُ فـيـه الـعُـرْب والـعَـجَـم

****

(٦)

[الكامل]

وُلِـــدَ الـهـدايـةُ يـومَ مـولـدِ أحـمـدٍ
والـعـدلُ فـانـتـظـمـتْ بـهـا الأشـيـاءُ
إذ كـان مـجـتـمـعٌ يُـبَـدِّدُ شـمـلـهُ
فـوضـى فـفـيـه تـشـتُّـتٌ وجـفـاء
لا شـرعَ لا مـنـهـاجَ فـيـه وإنمـا
فـي الـقـومِ ديـنٌ شَـرْعُـهُ الأهـواء
وإلـهـهُ المـعـبـودُ إمَّـا صـورةٌ
يـخـتـارهـا أو آلـةٌ خـرسـاء
والأمـنُ مـعـدومٌ فـكـلُّ قـبـيـلـةٍ
تـسـطـو عـلـيـهـا الـغـارةُ الـشَّـعـواء
ومـشـاعـرُ الأحـقـادِ يُـذْكـي نـارَهـا
بـين الـقـلـوبِ تـنـابُـذٌ وهـجـاء
هـذا يـقـولُ لـذاكَ إنَّ قـبـيـلـتـي
سـادتْ وأنـتـم أعـبـدٌ وإمـاء
والحـقُّ مُـلـكٌ لـلـقـوي يُـرَى فـلا
يـرضـى بـأنْ تـسـعـى لـه الـضـعـفـاء

والـــواجـــبُ الأســـــريُّ يـخـلـعـه الـذي

لـــم تـكـتـنـفْـهُ شـــهـــامـــةٌ وإبـــاء

إن أنجـبـتْ زوجُ الـفـتـى ذكـــرًا فقد

تـلـقـى الـــوجـــوهَ تُـنـيـرهـا الـسُّـــراء

ويـــكـــادُ يـقـطـعُ قـلـبَـهُ غـضـبٌ إذا

وضـعـتْ بـأنـثـى فـي بـنـيـه نـســاءُ

فـيـدسُّـهـا تحـــتَ الـثـرى مـــوءودةً

أو ســامَــهـا بـــالـــذُّلِّ حـيـثُ يـشـاء

فـكـــأنَّـــهُ بـــيْنَ الـبـنـــاتِ وبـيـنـه

أو كـــلَّ أنـــثـــى نـقـمـــةٌ وعـــداء

أَوَلَـــــمْ يـكـنْ بـــيْنَ الـنـســاء وبـيـنـه

زوجـــيـــة وأمـــومـــة وبـــنـــاء

أعـــمـــالُ إجـــــرامٍ يـزيِّـنـهـا لـه

شـيـطـانـه وجـــهـــالـــةٌ عـمـيـاء

فـتـكـاثـفَـتْ ظـلـمـاتـهـا زمـنًـا وقـد

طـــالـــتْ عـلـيـهـم لـيـلـةٌ ســـوداء

فـــإذا الـــهـــلالُ يـلـوحُ فـيـهـم نـورُه

شـهـرُ الـربـيـع فـتـخـتـفـي الـظُّـلـمـاء

لـيـلٌ تـشـــرَّفَ قـــــدْرهُ فـكـأنَّـه

بـــين الـلـيـالـي غـــــادةٌ عـــذراء

إذ كـــان إيـــذانًـــا لـعـهـد ينقضي

ويـلـيـهِ عـــهـــدٌ كـــلُّـــهُ أضـــواء

ضــوءُ الــهــدى والحــقُّ جــاءَ بــه الــذي
أوراهُ فــامــتــلأتْ بــه الأرجــــاء
لمــا غــدا بــدرُ الــهــدى مــتــكــامــلاً
فــي الأربــعــيــنَ وتمَّ فــيــه رواء
قــامَ الــرســولُ عــلــى الأنــامِ مبشرًا
بــرســالــةٍ كــانــت لــهــا أعــداء
مــن قــومــهِ إذ قــال قــومــوا وَجِّــدُوا
ربًّــا لــديــهِ الــنَّــفْــعُ والــضَّــراء
واســتــهــجــنــوا الأوثــانَ فــهْــي ســفــاهــةٌ
وضــلالــة يــرضــى بــهــا الــســفــهــاء
وتــرفَّــعــوا عــن فــعــل كــل رذيــلــةٍ
يــا قــومُ فــهــي لــديــنِــكُــمْ إزراء
قــالــوا أتــيــتَ لــنــا بــديــنٍ مــا لــنــا
عــلــمٌ ولا عَــمِــلَــتْ بــه الآبــاء
هــذي أســاطــيــرُ الأوائــلِ أو كــمــا
كَــتــبــتْ عــلــى أنمــاطِــهِ الــشــعــراء
فــرمَــوهُ بــالــكــذبِ الــذي لا ينبغي
بمــقــامــهِ واســتــحــكــمــتْ غــلــواء
عــادوه بــالــمــكــر الــعــنــيــف فــأوقــدوا
لــلــحــرب نــارًا مــا لــهــا إطــفــاء
لــكــنَّ هــذا مــا ثــنــاهُ عــن الــذي
يــســعــى لــعــزَّتِــهِ ولا الإيــلاء

حـتـى أتـى يـومٌ يـرفـرفُ عـنـده

فـي نـصـرةِ الـديـن الحـنـيـف لـواء

فـأقـامَ مـجـتـمـعًـا قـواعـدُ صَـرْحِـهِ

يـبـنـي عـراهُ تـرابـطٌ وإخـاء

لا فـرقَ بـين - مـلـونـين ومـن - لـه

فـي لـونِ تـلـكَ الـبـشـرةِ الـبـيـضـاء

الـنـاسُ فـي نـظـر الـشـريـعـةِ كـلُّـهُـمْ

فـي الـواجـبـاتِ وفـي الحـقـوقِ سـواء

****

(٧)

وقفة في وارا[1]

[الكامل]

«وارا» وقَـفْـتُ عـلـى ربـوعـكَ سـاعـةً

فـاكـتـظَّ قـلـبـي هـيـبـةً وجـلالا

لاحـتْ مـعـالمـهـا لـديَّ بـعـيـدةً

فـقـطـعْـتُ قـبـلَ وصـولـهـا أمـيـالا

فـإذا بـقـلـعـتـهـا بَـدَتْ وكـأنَّـهـا

أهـرامُ مـصـرَ رونـقًـا وجـمـالا

تحـوي مـن الـفـنِّ الجـمـيـلِ روائـعًـا

فـدهـشـتُ مـن تـلـك الـروائِـعِ بـالا

شـادَتْ عـبـاقـرةُ الـفـنـون قـصـورهـا

ويـدُ المـلـوكِ تمـدُّهُـمْ أمـوالا

حـتـى غـدت أولـى الـقـلاعِ بـأرضـهـا

قـدمًـا ويـاتَـتْ لـلـفـنـون مـثـالا

ومـن الـغـرائـبِ أنَّ هـيـئـة قـصـرهـا

مـضـتِ الـقـرونُ بـهـا ودامـت حـالا

عـكـسـت عـلـيـنـا مـجـد أجـدادًا سـمـوا

فـوق الـثـريـا عـزةً ومـحـالا

---

(١) من ديوان «عباس محمد عبد الواحد» الملامح - قصائد - بغداد - مطبعة أسعد.

مـا طـافَ سـاحـتَـهـا الـعـريـقـةَ سـائـحٌ

إلا اسـتـكـانَ لـفـنِّـهـا إجـلالا

بـهـرَتْـهُ هـيـبـتـهـا فـأصـبـح يـنـطـوي

ذاتَ الـيـمـين تـلـفـتًـا وشـمـالا

مَـنْ لَـمْ يـشـاهـد مـا ذكـرتُ بنفسه

ظَـنَّ الـظـنـون وكـذَّبَ الأقـوال

أو شـكَّ فـي تـلـك الحـقـيـقـةِ قـائـلاً

«كـادت تـكـون خـرافـةً وخـيـالا

مـا ذاكَ بـالـقـول الـصـحـيـح وإنمـا

نـسـبـوا أبـاطـيـلاً لـهـا وخـيـالا»

والـيـوم لـم تَـرَ حـولـهـا شـخـصًـا ولـم

تَـرَ دونـهـا نـصـبًـا ولا تمـثـالا

فـخـلـتْ مـرابِـعُـهـا الجـمـيـلـة والـتـي

ظـلَّ الـبـهـاءُ إزاءَهـا يـتـلالا

وتـرى الـوحـوشَ تجـوبُ فـي عَـرَصـاتـهـا

وتـرى حـيـال بـنـائِـهـا أطـلالا

رمـزٌ يـذكـر عـهـدَ إرشـادٍ مـضـى

نـورًا وأنجـب قـادةً أبـطـالا

عـهـدُ الـفـتـى عـبـد الـكـريم المـرتـضـى

كـان الـتُّـقـيَّ الـعـادلَ المـفـضـالا

أرسـى دعـائـمَ سـلـطـةٍ قـامـت عـلـى

نَـشْـر الـهـدى فَـتَـحَـمَّـلَ الأثـقـالا

وأضـــاعَ فـي نـشـر الـديـانـة عـمـرَهُ

فـــي الـلـــه حـتـى حُـقِّـقَـتْ آمـــالا

الـعـدلُ ســادَ عـلـى جـمـيـعِ ربـوعـهـا

والـظـلـمُ قَـطَّـعَ جـسـمَـهُ أوصـــالا

ويـــدُ الـمـنـايـا اسـتـأثـرتْ فـيـه وقـد

ولَّـــي وخـلَّـــفَ بـعـدهُ أعـمـــالا

وضـريـحـهُ مـا زال مـقـصـدُ كـلِّ مَـنْ

يـرجـو الإلـــه بـه نـــدًى ونـــوالا

كـتـبـت يَـدُ الـتـاريـخ فـي صـفـحـاتِـهِ

حـدثًـا يُـخَـلِّـدُ ذكـــرَهُ أجـيـالا

****

(٨)
أنَّةُ الفراق

[البسيط]

غـــادرتُ مـوطـنَ آبـائـي وأجـــدادي
مـخـلِّـفًـا عـنـده أمـــي وأولادي
تـركـتُ فـيـه أنـاسًـا لـيس لـي بَـــدَلٌ
عـنـهـم ورؤيـتـهُـمْ شـوقـي وإسـعـادي
فـهـم حـمـايـةُ فـكـري مـن تـشـرُّدِهِ
وهُـــمْ أحـاسـيـسُ أحـشـائـي وأكـبـادي
أكـــادُ أفـقـدُ وعـيـي حـين أذكـرهُـــمْ
ونـــاظـري بـات فـي دمـــعٍ وإسـهـاد

☆☆☆☆

رأيـــتُ وجـهـكِ يـا أمـــاهُ يـغـمـرُهُ
دمـعٌ غـداةَ الـنـوى عـن مـوطـنـي (شـاد)
يـلـتـفُّ حـولـكِ إخـوانـي وعـائـلـتـي
حـيـرى فـأوجـمـنـي غـمِّـي وأنـكـادي
فـصـرتُ أطـرقُ رأسـي حـين أرهـفـنـي
مـشـاعـرُ نـبـضـتْ قـلـبـي بـتـرداد
وقـلـتُ فـي سـهـوةِ المـغـمـى وقـد أخـذتْ
تـرنـو إلـيَّ بـقـلـبٍ فـــارغٍ صـادي

أمـــاهُ هـــذا وداعـــي الـيـوم فـانـتـظري
لـي عـــودةٌ بـالمـنـى مِـــنْ بـعـد إيـفـادي
إنَّ الأمـــانـــي الـتـي مـا زلـــتُ أطلبـهـا
تـقـضـي عـلـيَّ بـأسـفـارٍ وأبـعـاد
عـنـكـم ومـا زالـــت الآمـــالُ تـدفـعـني
لـلـمـجـدِ فـارتـقـبـي يـا أم أنجـادي

☆☆☆☆

فـارقْـتُـهـا وتـركـتُ الـقـلـبَ مـرتـهـنًـا
لـهـا وواصـلـتُ أسـفـاري بـإجـهـاد
مـرسـيـلـيـا وإلـى بـاريـس رحـلـتـنـا
ومـنـه تـوًّا إلـى أرجـاءِ بـغـداد
أرضُ الأُولـى بـلـغـوا شـأوًا وقـد تـركـوا
لـلـنـاس آثـارَ تـاريـخٍ وأمـجـاد
أرضُ الـرشـيـد ومـأمـونٍ ومـعـتـصـمٍ
وأرضُ مـن مـلأ الـدُّنـيـا بـإرشـاد
لـلـوافـديـنَ إلـى بـغـدادَ مـغـتـنـمٌ
ونـائـلٌ جـلَّ عـن حـصـرٍ وتـعـداد
وأنَّ لـي فـي حـمـى أعـلامـهـا أمـلاً
فـي الـعـلـم والـود مـن جـمـع وإفـراد
أرضُ الـعـراق أرانـي الـيـوم مـغـتـبـطًا
فـي الـعـلـم والـوِّد مـن جـمـعٍ وإفـراد
وأن أرى فـيـك شـعـبًـا بـاتَ مـنـفـتـحًـا
لـلـزائـريـن ومـضـيـافًـا لمـرتـاد

فـفـي مـحـيَـاهـمُ أنـسـتُ بـارقـةً

للضَّيف تحكي وميضَ العارضِ الغادي

☆☆☆☆

مـعـلـمـيَّ أرى مـنـكُـمْ مـصـارحـةً

تـريـحُ قـلـبـي وتـبـقـي سِـرَّ إرقـادي

مـنـاهـلُ الـعـلـم والآداب أنَّ لـكُـمْ

فـيـهـا مـشـاهـيـرَ كـتّـابٍ ونـقـاد

فـمـا خَـلَـتْ أرضـكُـمْ مـن شـاعـرٍ لَـبِـقٍ

عـبـر الـعـصـورِ ومـن أقـطـابِ رواد

آمـالُ قـلـبـي أرى مـنـكـم أسـاتـذتـي

مـا قـد رأيـتُ لـكـم أيـامَ إيـفـادي

أرجـو دوامًـا لجـوِّ الـودِّ مـشـتـركًـا

كـي آخـذَ الـعـلـمِ عنكم يـا بـنـي الـضَّـاد

****

(٩)

[الكامل]

حسبي فخارًا في سجلٍّ مفاخري
ومناي في ماضيه أو في الحاضرِ
إن نِلْتُ من كفِّ (البياتيِّ) الذي
أهدى إليَّ كتاب علمٍ فاخر
ديوانَ أشعارٍ يُعَزُّ منالُهُ
من فيضِ بحرٍ لا يَجِدُّ لعابر

☆☆☆☆

أفلا يَحِقُّ لِيَ الثناءُ عليكَ يا
سيل المعارفِ والخضمِّ الزَّاخر
سِرُّ البراعةِ أنتَ مصدرُ نَبْعِها
ومليكُ ناصيةِ الغريب النَّادر
فإذا نَثَرْتَ فأنتَ أفضلُ كاتبٍ
وإذا قَرَضْتَ فأنتَ أحسنُ شاعر
شمْتُ الرزانةَ فيك خلقًا ثابتًا
أملَتْهُ فلسفةُ العراق الثَّائر

☆☆☆☆

لِينُ الجوانبِ والتواضع شيمةٌ
زانتْ عُلاكَ ولم تكنْ بالقاصر

فـالـبـدرُ فـي سَـمْـتِ الـسـمـاء مكانه

ونـــراهُ فـي وجـــهِ الـغـديـرِ الـفـاتـر

تـلـك الـشـاعـرُ عـن رضـــاكَ أكُـنُّـهـا

وحـفـظْـتُـهـا لـك فـي عـمـيـق الخـاطـر

أرعـــى جـمـيـلـكَ مـا بـقـيـتُ ولـم أكـن

يـومًـا بمـا مـنـحـتْ يـــداكَ بـكـافـر

****

(١٠)

أفريقيا الثائرة

[الخفيف]

شـعـبُ أفـريـقـيّـا المـنـاضـلُ يبقى
فـي كـفـاحٍ وغـارةٍ شـعـواءِ
ضـد مـسـتـوطـنٍ طـغـى سـامـه الخسـ
ـفُ بـعـنـفٍ وقـسـوةٍ وجـفـاء
ضـد تمـيـيـزه المـشـين ومـا حا
كَ لـه مـن مـخـاطـرٍ وشـقـاء
كـم رأى لـلـمـسـتـوطـنـيَن عـيـونًـا
سَـكَـرَتْ بـالـغـرور والخـيـلاء
ورؤوسًـا تـأبـى وتـرفـضُ أن تَـفْـ
ـقَـهَ إلا بـلـهـجـةِ الأنـكـاء
لـغـةُ الـنَّـارِ فـهـي أجـدرُ أن تـو
صِـلَ قـولاً بـأُذْنِـهِ الـصـمّـاء
فـيُـلَـبِّـي نـداءَ شـعـبٍ يـريـدُ الـ
عـيـشَ فـي مـأمـنٍ مـن الأرزاء
رافـضًـا فـكـرةَ الـتَّـمـايـزِ بـالـعُـنْـ
صِـر، والـلـونِ رفـضـةَ الإيـذاء
فـلـه الحـقُّ فـي الـبـقـاء سـعـيـدًا
نـائـبًـا مـن مـخـاطـر الـضَّـرّاء

وبـــعـــيـــدًا عـــن الـــتـــحـــيِّـــز تـــوًا

قُـــا، إلـــى خَـــلْـــقِ ثـــورةِ الإنمـــاء

آمـــلاً أن يـــشـــيـــدَ صـــرحًـــا منـــيـــعًـــا

لـــلـــمـــعـــالـــي والـــعـــزةِ الـــقَـــعْـــســـاء

خـــطّـــةُ الـــســـيـــرِ والـــقـــرائـــن تُـــبْـــدي

أنّـــــــهُ فـــــي جَـــــــــراءةٍ وذكـــــاء

فـــهـــنـــا تـــظـــهـــرُ الـــعـــوائـــقُ ممّـــا

دبَّـــــــــروهُ بـــحـــنـــكـــةٍ ودهـــــاء

بـــاتَ فـــي رجـــلـــه الـــنـــشـــيـــطـــة شـــوك

شـــلَّ ركـــبُ الـــمـــســـيـــر بـــالإبـــطـــاء

إن أفـــريـــقـــيـــا شـــمـــالاً وشـــرقًـــا

وجـــنـــوبًـــا وســـائـــر الأنـــحـــاء

جـــســـمُ فـــردٍ مـــا مـــسَّـــهُ الـــســـوءُ إلا

بـــاتَ يـــســـري فـــي ســـائـــرِ الأعـــضـــاء

يـــا بـــنَ أفـــريـــقـــيـــا الـــفـــتـــيـــةِ قـــاوم

إنَّـــنـــا فـــي غـــنًـــى عـــن الإغـــــراء

لَـــقِّـــنِ الـــغـــاصـــبَ المـــريـــعَ دروسًـــا

بـــشـــفـــاهِ الـــبـــنـــادقِ الـــخـــرســـاء

فـــلأفـــريـــقـــيـــا عـــلـــيـــك ديـــــونٌ

أدِّ عـــن حـــقِّـــهـــا بـــكـــلِّ وفـــاء

كـــي يـــصـــيـــر الـــجـــنـــوبُ حـــرًّا طـــلـــيـــقًـــا

بـــعـــد أنْ كـــان خـــافِـــتَ الأصـــــداء

والـــــذي نـــــارُهُ طَـــغَـــتْ والـــمَّـــتْ

فـــانـــزوى دَوْرُ فـــرقـــة الإطـــفـــاء

فـاكـشـفِ الـــــدَّاءَ ســـوف تـعـلـم حـقًّـا

أنَّـــــه مِـــــن تـــلاطُـــمِ الأهـــــواء

ثُـــمَّ عَـجِّـل فـمـا عـلـيكَ ســوى الـبـحـ

ـثِ ســريــعًــا عـــن وصـــفـــةٍ ودواء

واســتــعــنْ بـالـصـديـقِ لا مـن أتـــى بـالـزْ

ـــــزُورِ فـــي ثَـــــوْبِ خِـــلَّـــةٍ وإخـــاء

كـيـف تـرجـو دواءَ دائِـــــك ممن

هـــو فـــي الأصـــلِ مـــصـــدرُ الأدواء

إن يـكـنْ مـا يـقـولُـهُ الـيـومَ حـقًّـا

عـــن قـضـايـا أفـريـقـيـا الـســوداء

فـلـمـــاذا ومـــا المـــبـــررُ فـــي دعْـــ

ـمِ، نـــظـــامِ الجـــنـــوبِ بـــالإيـــواء

إنَّ دعـــوى الإخـــاءِ يـنـقـضُـهُ الـصِّـد

قُ، وإن أكَّـــــــدوهُ بـــالإيـــلاء

فـالـصَّـديـقُ الـصَّـدوقُ فـي لـونـه الـثـا

بـــتِ، لا فـــي تـــلـــوُّن الحـــربـــاء

فـمـن الجـبـــنِ أن نـحـابـيـه أو نُـصْـ

ـغـي لـتـلـك المـشـاعـرِ الجـوفـاء

بـل علينا المضيُّ في السير والمطْـ

لَـــبِ عـبـرَ المـعـالـم الـوضَّـاء

وحـــدةُ الـصَّـفِّ وحـــدةُ الـقـولِ والخـطْـ

طَـــــةِ، حـــــالًا ووحـــــــدةُ الآراء

نـتـنـاسـى مـا فـــاتَ مـــن حـمـلاتٍ

ســاهـمـتْ فـــي تَـعَـكُّـرِ الأجـــواء

فـالـنـزاعـاتُ والـتَّـنـاحـرُ لا تـخـ

دِمُ، إلَّا مـصـالـحَ الأعـــداء

فـبـذا نـسـتـعـيـدُ مـا ضـــاعَ ظلـمًـا

وبـــذا نـمـتـطـي ذُرا الجـــوزاء

ســوف يـأتـي الـيـومَ الـذي نـكـتـبُ الـتـأ

ريـــخَ، عـنـهـا فـي صـفـحـةٍ بـيـضـاء

****

(١١)

دور العلم والأدب

[البسيط]

غـــذُّوا الـنـفـوسَ بمـا تحـويـه مـن أدبٍ
وحـكـمـةٍ فـهـي لـــلآدابِ تـفـتـقـرُ
فـهـي الـنـقـاءُ لـهـا ممَّـا يـشـينُ بـهـا
وإنَّـــهـــا هـبـةٌ تـقـوى بـهـا الـفِـكَـر
تسمو بـهـا الـنَّـفـسُ حـتـى أوج رفعتها
ودونـــهـــا لحـضـيـض الـــذُّلِ تَـنْـدَثـر
لـولا الـعـقـول ومـــا حـازتـه مـن أدبٍ
وحـكـمـةٍ لاسـتـوى الإنـســانُ والـبـقـر
فـقـوتُ عـقـلـكَ آدابٌ تـلـمُّ بـهـا
إذا غـنـمـت فـحـقًّـا إنـــه الـظَّـفـر
نِـعْـمَ الـثَّـــراءُ ثـــراءٌ لا تحـسّ لـه
خـوفًـا مـن الـلِّـص أو يـخـفـيـه محتكر
فـمـا أخـــفَّ ومـــا أحـلـى حـمـولـتـه
إذ إنـــه خـيـرُ مـا يُـعـطَـى ويـدَّخـر
أمّـــا الـعـلـوم فـفـي أبـحـاثـهـا قـيـمٌ
فـيـهـا الإنـــارة والـغـايـاتُ والـثَّـمـر
فـيـهـا خـفـايـا مـن الأســـرار يكشفها
ذو هِـمَّـةٍ بـاتَ يستقصي ويبتكر

لـكـنَّـهـا تجـمـعُ الـضِّـديـنِ لاعـبـةً
دورًا تَـعَـادلَ فـيـه الـنَّـفـعُ والـضَّـرر
أمـا مـنـافِـعُـهـا الـعـظـمـى فـلـيسَ لـهـا
حَـدٌّ ولـيـس لـهـا عَـدٌّ فـيـنـحـصـر
تحـقَّـقَ الـيـومَ مـا كـنـا نـقـولُ لـه
خـرافـةً ومـن الأوهـامِ يـعـتـبـر
غـزو الـفـضـاءِ تـتـمُّ الـيـومَ تجـربـة
لـه ويُـرتـادُ فـي أجـوائِـهِ الـقـمـر
وسِـرٌّ مـا فـي خـبـايـا الـكـون تكشفُهُ
فـي دقـةٍ مـركـبـاتٌ عـنـدهـا صـور
ومـا تـقـدمـهُ تـلـكَ الـعـلـوم فـلـن
يستغنيَ الـنـاسُ عنها أينما حضروا
أمـا الـتـحـدث عـن أضـراره فـلـقـد
بـدا عـلـى عـصـرنـا الـذريِّ يـنـتـظـر
إذ أظـهـر الـيـوم شـرًّا كـان مستترًا
فـأحـدق الخـوف بـالإنـسـان والحـذر
فـمـا أعـدوهُ لـلـويـلاتِ إن بـقـيـتْ
لا بـدّ يـومًـا مـن الأيـامِ تَـنْـفَـجِـر
ولا مـجـالَ لأمـنٍ مـن مـخـاطـرهـا
مـا لـم تَـزَلْ فـهْـي لا تُـبـقـى ولا تـذر
قـلـبُ ابـن آدم صـلـبٌ فـي تـعـامـلـه
أو قـلْ إذا شـئـتَ وصـفًـا إنَّـه الحـجـر

فما الذي كان يرجو أن يعودَ له
من صنع أسلحةٍ تفنى بها البشر
صنعُ السِّلاح جديرٌ أن يحققه
لأنهُ غايةٌ أو أنَّهُ الوَطَر
إنَّ الملايينَ ممن ساءَ طالعهم
في العيش أو شُرِّدوا في الحرب أو هجروا
ديارهُمْ فقدوا المأوى وقد لجأوا
فماتَ أو ضاعَ من جرائه أُسَر
لو خصصتْ نفقات الكتلتين لهم
عونًا لصارتْ على الفاقات تنتصر
وسادَ في الكون حُبٌّ من تعاظمه
يَفْنى العداءُ فلا يبقى له أثَر
لكنْ هوى النفس بات اليوم منتصرًا
على العقول فكادَ العقلُ ينتحر
وباتَ عالمُنا مما يهدده
على شفا جُرُفٍ يهفو به الخطر

****

(١٢)

دار الفتاوى

[البسيط]

عقدت لجنة الفتوى الإسلامية في العاصمة التشادية أول مؤتمر لها حضره ممثلون من شتى أنحاء المحافظات للجمهورية وكان الهدف من وراء ذلك إتاحة الفرصة للمؤتمرين لمعالجة القضايا المتعلقة بالدين وأهمها مسألة ثبوت الهلال في رمضان ومسألة التربية في الطرق الصوفية، فكانت النتائج إيجابية وقد قرئت هذه القصيدة في دار الإذاعة التشادية من قبل اللجنة.

دارُ الفتاوى ودارُ المجمع الباني
تألفتْ من بني قومي وأوطاني
إنَّ الذي قدَّمتْه اليومَ من مِنَحٍ
ثمينةٍ لذوي دينٍ وإيمان
كانت وما بَرِحَتْ تبدي نتائجها
على الورى دون إجحافٍ وحرمان
تعطي الرُّدودَ بفضل الله وافيةً
عبر الأثير بإيضاحٍ وتبيان
عون المدبر ترجو أن يحالفها
في أمرها فهو حقًّا خيرُ مِعْوان
واليوم قد عملت في عقد مؤتمرٍ
أتى نتيجةَ تفكيرٍ وإمعان

شـــعـــارُهُ أن يـقـومَ المـؤمـنـون بما

يـرضـي الإلـــه فـيـرضـيـهـم بـغـفـران

وتـــركْ مـا أضـعـفَ الإســلامَ مـن حسدٍ

ومـــا إلـــى ذاك مـــن غـــلٍّ وإضـغـان

المـسـلـمـونَ جـمـيـعًـا فـي تـآلـفـهـم

وفـــي الـــتـــوادُدِ فـــي ســـرٍّ وإعـــلان

كـالـعـضـو يـؤلـمُـهُ داءٌ فـصـار لـه

جـسـمُ الـفـتـى مـنـه فـي غَـمٍّ وأحـزان

والـلـهُ قـال بـحـبـل الـلـه فـاعـتـصـمـوا

فـالـكـلُّ مـا بـين إخـــوانٍ وخـــلاّن

ومـــن بـرامـجـه مـوضـوعُ تـربـيـةٍ

كـمـا تـنـاول مـن مـوضـوع رمْـضـان

الـصـومُ قـاعـدةُ الإســلام نـعـلَـمُـه

أو أنـه الـرُّكـن مـن مـجـمـوعِ أركـان

لـه مـزايـا تـزكـي نـفـس مـحـتـسـب

مـن الـخـطـايـا وتـنـشـيـطٍ لأبـدان

تـفـتـحـتْ فـيـه أبـوابُ الجـنـانِ وذا

شـهـرٌ يُـسـلْـسَـلُ فـيـه كـلُّ شـيـطـان

ولـيـلُ قَـدْرٍ لـديـه بـاتَ مـكـتـمـنًـا

لـيـلٌ تـعـطـرَ مـن روحٍ وريـحـان

ولـلـمـلائـك تجـوالٌ بـلـيـلـتِـهِ

لمـطـلـعِ الـفـجـرِ فـي أرجـاءِ أكـوان

تَحتَّمَ الصومُ في أمرين إن وجدا
رؤيا تَحقُّقُ أو إكمالُ شعبان
للاختراعاتِ دورٌ ليس ينكرُهُ
عقلٌ وقد سهلتْ شأنًا بإمكان
فالطائراتُ التي عمَّتْ منافعها
وآلةٌ أرسلت صوتًا لآذان
وما إليها فقد أبدى وأنجزها
للناس عصرُ صناعاتٍ وعمران
وكلها نِعَمُ الباري إذا حُسبَتْ
عَدًّا وذا لم يكنْ في وسع إنسان
تلك الوسائلُ قد أضحتْ مقرَّبةً
وجهَ البسيطةَ في قاصيه والدَّاني
لذا فلو أنَّ في أقطارنا ثبتت
أهلَّةٌ وكفى في الشَّرْعِ عدلان
أو أنَّ في المغرب الأقصى تشاهدها
جماعة أو بدت في شرق سودان
فما على المرءِ إلا أنْ يصومَ بما
تقرُّه سادةٌ تفتي ببرهان
ولا يجوزُ لشخصٍ أن يفندَهُم
أو أن يسيءَ فيرميهم ببهتان
أمَّا التَّصوفُ فالقرآنُ مرجعُهُ
وسنَّةٌ نسبوها لابن عدنان

فـمـن أرادَ الـهـدى فـلـيُـمـسِ متَّـبـعًـا
مـا أوضـحَ الـشَّـرعُ فـي آيـاتِ قـرآن
فـتـلـك صـوفـيـةُ الإسـلام واضـحـةً
بـنـى عـلـيـهـا أولـو عـلـم وعـرفـان
إذ قـسـمـوا الـنـفـس سـبـعًـا فـي مـراتـبـهـا
فـي كـلِّ طـورٍ لـهـا مـا لـيس فـي الـثـانـي
أمـارةٌ وهْـي أولـيـهـا مـنـسـقـةً
وهـذه هـي نـفـسُ الـفـاجـرِ الـوانـي
وعُـدَّ لائـمـةً مـنـهـا ومـلـهـمـةً
بـذي مـكـارمِ أخـلاقٍ وإحـسـان
ومـطـمـئـنـةُ إيمـانٍ وراضـيـةً
أحـكـام ذي الـطـول مـن حُـلـوٍ وأشـجـان
مـرضـيـةٌ وهـي مـن نـالـت بـطـاعـتـهـا
مـن الـمـهـيـمـن فـي الـدُّنـيـا بـرضـوان
واسـتـوفِ عـدّك تـتـمـيـمًـا بـكـامـلـةٍ
فـتـلـك نـفـس تـخـطّـت كُـلَّ مـيـدان
ومـنْ يَـدَعْ مـلـةَ الـهـادي وسـنّـتَـهُ
أو شـرعَـهُ بـاءَ فـي الـدُّنـيـا بـخـسـران

****

(١٣)

ساحة المسجد

زار الملك فيصل جمهورية تشاد وعلى إثر الزيارة قرر بناء أكبر جامع في أنجمينا العاصمة التشادية، فوافته المنية قبل إتمامه.

ثم أتم المشروع الملك خالد بن عبد العزيز كما هو مقرر وبمناسبة افتتاحه اشترك عدد كبير من مختلف الدول الإسلامية ومن المشتركين فيه الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، وبهذه المناسبة كتبت هذه القصيدة والتي نشرت في مجلة الدعوة الإسلامية التي تصدر بالسعودية، وقد نشرت القصيدة في عدد ٦٦٥ في رمضان عام ١٣٩٨ هجرية.

[البسيط]

يا ساحةَ المسجدِ الميمونِ مركزهُ
ومعهدًا لفنونِ العلم والأدبِ
أصبحتَ مَقْصِدَ ركْبِ الوافدين إلى
رحابِ أرضٍ وقاها اللهُ من كَرَب
نستقبلُ اليومَ في أبهى مظاهرنا
طوائفًا من بقاعِ الموطن العربي
شكرًا لرابطةِ الإسلام إذ بعثَتْ
للاحتفالاتِ وفدًا خيرَ منتدب
كما يشاركنا في عيد مسجدِنَا
وإن يرى فيه وَضْعَ الدين عن كَثَب

فـمـرحـبًـا بـقـدومٍ طـالَ مـوعـدُهُ
فـقـد رجـونـاهُ وقـتًـا غـيـرَ مـقـتـرب
مـا أنـتـمـو يـا حـمـاةَ المسـلـمـيَن سـوى
مـواطـنـيَن أتَـوْا فـي ثَـوْبِ مـغـتـرب
أواصـرُ الـديـن والـتـاريـخ تجـمـعُـنَـا
فـي ركـنِ حـصـنٍ مـنـيـعٍ غـيـر مضـطـرب
والـدِّيـنُ جـسـرٌ ودار الـنـاس قـاطـبـةً
يَـضُـمُّ مـخـتـلـفَ الأجـنـاس والـنَّـسـب
مـن كـان فـي المـغـرب الأقـصـى مساكنه
ومـن يـقـيـمُ بـأرضِ الـصِّـين أو حَـلَـب
تَـضُـمُّـهُـمْ فـي رحـابِ الـلـه رابـطـةُ الْـ
إسـلام لا عـروة الأنـسـابِ والحَـسَـب
إذ لا يـرى الـدِّيـن فـرقًـا فـي مـبـادئِـهِ
فـزال مـا كـان بـين الـنـاسِ مـن حُـجُـب
وهـكـذا أثـبـتَ الإسـلامُ قـوتَـهُ
فـي الأرض راسـخـةَ الأركـانِ والـطَـنَـب
يـا قـلـبَ أفـريـقـيـا الـسـوداءِ يـا وطـنـي
أرضُ الجـدودِ حـمـاكِ الـلـهُ مـن عَـطَـب
سـاقـتْ إلـيـكِ يـدُ الأقـدارِ عـارفـةً
فَـنـلْـتِـهـا دون جـهـدٍ مـنـكِ أو تَـعَـب
إذ زارَكِ الـفـيـصـلُ المـيـمـونُ طلعتُهُ
مـحـقِّـقًـا لـك مـا تـرجـوهُ مـن أرب
لـمَّـا رأى ذلـك الـعـمـلاقُ أنَّ لـنـا
مـا كـان فـي غـايـةِ الإلحـاحِ والـطَّـلـب

أرادَ فـي الحـالِ أن يبنـي مساجدَنَا
وأنْ يمـدَّ يـدًا بـالـعـونِ والـرَّحْـب
أكـرمْ بـه مـن زعـيـمٍ لا مـثـيـلَ لـه
كـانـت مـواقـفُـهُ تـدعـو إلـى الـعَـجَـب
دعـامـةٌ ظَـلَّ لـلإسـلام حـين غـدا
يـوهـي دعـائـمَـهـا هـونٌ مـن الـنَّـصَـب
وذَبَّ عـن ديـنـهِ المـسـتـهـزئـينَ ومَـنْ
يـرنـو إلـيـه بـعـينِ الـسُّـخْـطِ والـغَـضَـب
لـكـنَّ فـاجـعـةً كـبـرى مـروعـة
تمسـي الـقـلـوب بـهـا فـي غـمـرة الـلَّـهب
إنَّ المـنـيـةَ لـمَّـا حـانَ مـوعـدُهَـا
قـد سـارعـت وبـشـيءٍ غـيـر مـرتـقـب
رحـمـاكَ يـا ربِّ رمـسًـا ضَـمَّ أعظمـه
واكـتـب لـه يـا كـريمًـا حُـسْـنَ مُـنْـقَـلـب
لـمَّـا أتـى خـالـدٌ مـن بـعـده أخـذتْ
تـزولُ عـنَّـا دواعـي الخـوفِ والـرِّيَـب
إذ تمـم الـيـوم مـشـروعًـا وسـاقَ لـه
مـسـاعـداتٍ مـن الأمـوالِ والـنـشـب
أضـفْ إلـيـهـا عـطـايـا لـيس يَـحْـصُـرُهـا
مـا جـاء فـي قـالـب الأوزان والخُـطَـب
جـزاهُـمُ الـلـهُ خـيـرًا عـن تَـفَـرُّغِـهِـمْ
لـديـنِـهِ ووقـاهُـمْ شَـرَّ مُـحْـتَـرب

****

(١٤)[1]

[الوافر]

صـيـاحـاتٌ تـوالـتْ أو مـكـاءُ
بِـعَـبْـراتٍ يـهـيـجـهـا الـبـكـاءُ
لـتـنـدبَ فـي كـآبـتـهـا فـقـيـدًا
وتحـزنُ حـين آلمـهـا الـبـلاء
تَـوَارى فـي حـمـى الـرحـمـن نـوحٌ
ولاقـى حـيـثُ طـالَ لـه الـلِّـقـاء
بَـكَـتْـهُ بـأرض أبـشـيٍّ رجـالٌ
وأطـفـالٌ وتـتـبـعـهـم نـسـاء
أصـابـهُـمْ الـذُّهـولُ فـيـا لخـطـبٍ
أمـاطَ الـصَّـبـر فـانـقـطـعَ الـعـزاء
لـفـاجـعـةٍ تـلـمّ بـهـم فـأوحـتْ
بـأشـجـانٍ قـرائِـنُـهـا عَـنـاء
أتـيـت لـهـم أيـا عَـلَـمًـا تـسـامـى
بـإنجـاز يـحـقُّ لـه الـبـقـاء
ولـيـسَ مـن الـغـريـب ولـيـس بِـدْعًـا
إذا ارتـاعـوا ولـيـس لـهـم هـراء
لأنـك كـنـتَ ركـنًـا قـد تـداعـى
فـأوشـكَ مـنـهُ يـنـهـدمُ الـبـنـاء

---

(١) رثاء الشيخ نوح محمد الأمين (من علماء مدينة ابشى).

ومنهلُ طالبي التعليم حقًّا
«وبحرٌ لا تكدِّرُهُ الدِّلاء»
ونبراسٌ تزولُ به الدُّياجي
ونورُ البدر تَمَّ لهُ رواء
حَمَلْتَ لواءَ نشر الدين حبًّا
لوجهِ الله فارتفعَ اللِّواء
وراحتُكَ السخيةُ كم أنالَتْ
ثراءً لا يضارعُهُ ثراء
ثراءُ العلمِ لا أعني حطامًا
على كفٍّ يبدِّدُهُ العطاء
فَللعلماءِ بين الناسِ فضلٌ
فكان من الإله لهُمْ ولاء
وأن لهم قيادةَ كلِّ أمرٍ
وإرشادِ الأنامِ وهُمْ رعاء
وفضلك بين أربابِ التفاني
وأهلُ العلم ليسَ لهُمْ خفاء

****

(١٥)[1]

[البسيط]

قلبي تُخالجُهُ الأحزانُ والكَدَرُ
ولوعةٌ باتَ منها الدَّمعُ ينهمرُ
فقدتُ خلاًّ وفيًّا كنتُ معتمدًا
عليه فانتابني الأشجانُ والضَّجَر
ماتَ الذي حَسُنَتْ في الناس سيرتُهُ
فكان بالحلمِ والأخلاقِ يَشْتَهر
ماتَ التقي الذي لم يسعَ في عملٍ
إلا وكان له التفكيرُ والنَّظَر
طَلْقُ المحيا قويٌّ في إرادتِهِ
وفي المكارِهِ والضراءِ يَصْطَبِر
قد كانَ في الخير ركنًا يستعانُ به
واليومَ أصبحَ هذا الرُّكنُ ينكسر
وكانَ للحق عونًا في مواقفِهِ
لا ينثني عنه مهما ناله خَطَر
إن قال في النصح قولًا غيرَ مكترثٍ
فطالما صاحبتْ أقوالُهُ الفِكَر
ففارقَ الأهلَ والأصحابَ عن مرضٍ
قد طالَ فيه وأوهى جسَمَهُ الكبر

---

(١) رثاء المرحوم عبد الله يونس المجيري، وهو شاعر ليبي الأصل عاش في مدينة أبشى - تشاد وكان رئيسًا للجالية الليبية في هذه المدينة، وافته المنية في أواخر رمضان عام ١٣٩٨هـ.

إن المنيّةَ جسرٌ فوقَ هاويةٍ
فكلُّ ما فوقها لا شَكَّ ينحدر
فيابن يونسَ كم أظهرتَ موهبةً
عظمى وحالفَكَ التوفيق والظفر
تركت للقوم آثارًا مخلدةً
في الشِّعرِ إذ في معاني الشِّعر تَبْتَكر
ففي مدارس (أبشيٍّ) ومعهدها
بانت قصائدكَ الغراءُ تنتشر
فصارَ ذِكْرُكَ فينا خالدًا أبدًا
وإنَّنا بكَ بين الناسِ نَفْتَخِر
قضيتَ نَحْبَكَ في شهر الصيام لكي
تنالَ ما كنتَ عند الله تَنْتَظِر
ندعو لكَ اللهَ أن يعطيكَ مغفرةً
وجنّةً مُدَّ فيه الظِّل والثَّمر
لكي تجوسَ وترعى في خمائِلِها
وأنتَ عن كلِّ ما تخشاهُ مغتفر
من كان في هذه الأوطانِ مسكنُهُ
أو كان في ليبيا قد جاءَهُ الخبر
عن موتِهِ فأنَا حقًّا أشاطرُهُ
ذاكَ الشعور الذي ما زال يَسْتَعر
آهٍ أُرَدِّدُ آهاتي مكررةً
إذ لا مَرَدَّ لِمَا قد ساقَهُ القَدَر

****

(١٦)[1]

[الكامل]

لـــذوي المـــكـــارم شـيـمـةٌ وإبـــاءُ
وفـضـيـلـةٌ وسـمـاحـةٌ وسـخـاءُ
ورجـــاحـــةُ الـعـقـل الـسـلـيـم فـهـذه
هـــبـــةُ الإلـــــه وكـــلُّـــهـــا آلاء
أثـنـي عـلـى أهـل الـضـمـيـر لأنـهُـمْ
لـلـبـائـسـيـنَ مـســـرةٌ ورجـــاء
وأخـــصُّ مـنـهـم بـالـثـنـاءِ مـحـمـدًا
رجـــلاً تـداعـى عـنـدهُ الـضـعـفـاء
والـــوافـــدونَ مـتـى أقـامـوا عـنـدَهُ
لا يـشـعـرون بـأنَّـهُـمْ غـربـاء
يـقـري الـضـيـوفَ فـكـل ركـنٍ شـاهـدٍ
لـلـبـيـت فـيـه مـن الـطـعـام إنـاء
رجـلُ الـسـمـاحـةِ والـديـانـةِ والـوفـا
تـبـدو عـلـيـه الـشُّـارَةُ الـبـيـضـاء
ولـــه مـــزايـــا لا تُـعَـدُّ لحـاسـب
ومـزيـد فـضـلٍ لـيـس فـيـه خـفـاء

---

(١) محمد إدريس كنانة (هو أحد التجار المشهورين والمعروفين بالكرم والسماحة في التشاد).

الـكـلُّ يـعـلـمُ مـا شـمـائـلُـهُ كـمـا اعْـ

ـتـرفـتْ بـفـضـل سـخـائِـهِ الأعـداء

هـو خِـلْـقَـةٌ تـركـتـه آبـاءٌ لـهُ

فـتـوارثـتْـهُ بـدورهـم أبـنـاء

****

عيسى عبد الله

عيسى عبد الله شاعر تشادي معاصر مجدد ولد سنة ١٩٤٨ [١] في مدينة أبشة شرق تشاد، وعاش فترة كبيرة من حياته في السودان وليبيا، وحصل على الشهادة الثانوية في السودان، والتحق بكلية الآداب جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٨، إلا أنه لم يكمل تعليمه الجامعي، فانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني التشادي المعروفة باسم «فرولينا»[٢].

وله العديد من القصائد الشعرية المبعثرة، وجمع جُلّها في غلافين الأول تحت عنوان «باقة من لباقة» والآخر تحت عنوان «حذو ما قالت حَذَام» إضافة إلى ملحمته الإسلامية «كشف المطمورة عن أبيات مغمورة في نجوى نور المعمورة» وهي في باب المديح النبوي.

ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي لغةً وصورًا وموسيقا، وذكر لي الشاعر في إحدى جلساتي معه في النادي الأدبي:

«أنا دائمًا أحاول أن أكتب الموضوع في القالب الذي أظنه يناسبه أكثر، ولكن هناك أشياء يناسبها شعر التفعيلة وأشياء يناسبها الشعر الحر، لكن في التجديد أبواب كثيرة وحاولت أن أطرقها، وعندما أفكر في الموضوع أفكر جيدًا في القالب الموسيقي الذي أحبه للعمل الأدبي، وأنا أعتقد أن الخليل بن أحمد قد وجد اثنين وعشرين بحرًا ستة منها للبحور المهملة وستة عشر للبحور المشهورة. أما البحور المهملة فأنا أستخدمها.

---

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في النادي الشعبي التشادي بأنجمينا في ٢٠٠١/١/٢٤م.

(٢) ثورة فرولينا: وتسمى جبهة التحرير الوطني التشادي أسست عام ١٩٦٦ وهي حركة تحريرية لمقاومة النظام القائم وانخرط فيها معظم الشباب التشادي وتغنوا بها وبأهدافها.

أما كشف المطمورة فهي على «المتدارك/ فاعلن» وأعطيت نفسي فيها بعض الرخص وأعني الناحية العروضية، حيث اعتبرت فَعْلن مساوية لفعِلن بكسر العين». فالشاعر صاحب جرس موسيقي جذاب اكتسبها من نشأته البدوية.

على أية حال فإن شخصية الشاعر الثورية التحررية، وتركيبته السوسيوثقافية وكثرة ترحاله في عديد من الدول، كل ذلك صنع شاعرًا فريدًا استحق أن يكون رائد التجديد في الشعر التشادي.

وذكر لي في لقاء آخر معه أن ثمة عوامل ساعدت في تكوينه الشعري وميله للتجديد أهمها[1] «المحفوظات المدرسية، والمكتبات، وعشقه للغة العربية، وحضوره الحفلات والمناسبات الرسمية، والجمعيات الأدبية، وثورة فرولينا».

ويغلب على شعره النزعة الفكرية لكثرة كتاباته عن الثورة والوطن والمجتمع وما فيه من آمال وآلام، فهو يشبه العقاد شعرًا وحياةً، يفكر بالشعر ويشعر بالفكر.

(من ديوان «عيسى عبد الله» – حَذْو ما قالت حَذَامِ! – «ديوان شعر») من كلمات بين يدي ديوان «حذو ما قالت حذام» للشاعر عيسى عبدالله.

ليست بمقدمة

إذا رغب القارئ الكريم في أن يبدأ مطالعته بمقدمة مني لهذا الديوان، فعليه أن ينتقل إذًا إلى القصيدة القصيرة التي تحمل اسمه فإنها أصلح لتقديمه – بل لتقديم شعري كله! – من هذه الكلمات ... بالرغم من أن الترتيب الألفبائي الذي آثرته لما جمعته هنا من قصائد قد قضى لها بالموضع الذي هي فيه.

أما هذه الكلمات التي بين يدي القارئ الكريم فإنما هي محاولة مني للقيام بحق له – أو لها – أحسّه عليّ: هو الحق في شيء من التوضيح، فإن كان هو – أو كانت

---

(١) لقاء تم في النادي الثقافي الشعبي بيني وبين الشاعر. مارس٢٠٠١م.

هي – ممن يرون هذا الحق مضيا في قراءتهما إياها، عسى أن يجنيا منها بعض الفائدة وفق ما يهويان: فالقارئ، والديوان بين يديه، هو الحاكم بأمره (أعني بأمر نفسه أو نفسها).

الجمع

ظللت أنظم الشعر منذ فترة مبكرة من عمري، ولكنني لم أسع قط من قبل إلى جمعه في شكل ديوان، بل كان لي موقف سلبي من هذه المسألة – حتى في وجه مساعٍ بذلها إخوة تشاديون وسودانيون وليبيون فيما سبق – مفضلًا أن أتركه مبعثرًا هكذا، ليجمع – إن كان فيه نفع – عقب وفاتي. ولم يكن هذا الموقف يمنعني من نشر بعضه في بعض الصحف والمجلات، خاصة في تشاد وليبيا، أو من تقديم شيء منه أمام التجمعات ومن خلال الإذاعات فيهما؛ كما لو يسقني إلى التردد في مد من يطلب نسخًا من قصائدي المحفوظة بما طلب.

هذا الموقف السلبي من الجمع ربما اتخذته حرصًا مني على ألا يطغى الأدبي في حياتي على الثوري (مع إدراكي أنهما متكاملان وليسا متناقضين)، أو لعله يعود إلى نزعة تطهرية ساذجة كامنة في أعماقي، أو إلى رواسب أخرى يعلمها الله وحده! أو قد يكون مرده ببساطة إلى التهرب من النقد، أو حتى من مواجهة النفس!.. مهما تكن علة ذلك الموقف فقد ظللت به متشبثًا إلى وقت قريب «رغم إيماني بأن إنتاج المبدع ينبغي أن يوضع في خدمة مجتمعه»، ولكن عوامل طرأت تضافرت مع أخرى تصاعدت وثالثة تصاعد الإحساس بها لتدفعني دفعًا إلى العدول عنه كما يبرهن إخراجي هذا الديوان، ومن هذه العوامل:

– أنه قد استحكم أمر أزمة «الندرة»: أعني قلة المتوفر من الإنتاج الأدبي التشادي باللغة العربية بين أيدي قرائها؛ وهو أمر لا يخفى ضرره المزدوج: إشاعة «القحط» الثقافي وتعميقه من جهة، وإضعاف حجة القائلين بأصالة العربية لغة وحضارة وواقعًا في هذه الديار من جهة أخرى.

- أنه قد استفحل أمر الغثاثة. فقد تكاثر الغث من المواد المنشورة فيما يعرف في تشاد مجازًا بالصحافة العربية؛ وتلك المقدمة عبر البث الإذاعي المحلي بالعربية، ومن خلال وسائط تعميم أخرى؛ وهي أمور ينتج عنها - من بين ما ينتج - أثران لهما خطورتهما البالغة: عرض صورة هزيلة مشوهة لثقافتنا في مواجهة ثقافة متفرنسة أرقى مظهرًا وأقوى حضورًا؛ وإبراز نماذج بائسة يتأثرها ناشئتنا في غياب البديل الذي يقتدى به.

- أنه قد تجلت بصورة أوضح، بعد الاستقرار النسبي الذي تحقق في تشاد، ضرورة التعجيل بإعادة إدماج هذا القطر في محيطه الثقافي العربي الواسع: فاعلًا ومنفعلًا، مؤثرًا ومتأثرًا، آخذًا ومعطيًا؛ ولن يتم ذلك إذا كتم كل من أهله العربية في تشاد ما عنده من علم أو إبداع: واجبهم هو - على الأقل - أن يسايروا دور الإخوة من العرب الآخرين في إغناء الحياة الثقافية والتعليمية والفنية العربية بالبلاد (وهل تخفى المجهودات المشكورة المصرية والسودانية والسعودية والخليجية الأخرى والليبية والمغربية والجزائرية؟).. وأن يعتبروا ذلك واجبًا عينيًّا على كل فرد، كي تتسارع خطا النهضة المرجوة، فإن من لوازمها التفاعل الصحي مع بقية أجزاء الوطن العربي؛ وأقل ما يفعله الفرد من أهل العربية في تشاد - إن كان مبدعًا - هو العمل على جعل الحصول على إبداعه متاحًا أمام دائرة أوسع!

- أنه قد بدأ، منذ سنوات، في جامعتي انجمينا والملك فيصل بانجمينا توجه محمود نحو الاهتمام بدراسة الأدب العربي التشادي. وقد أسس لمادته فيهما الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله، وساهم في ريادة الطريق معه الأستاذ الدكتور/ محمود العزب، ثم سار على خطاهما ثلة من الأساتذة الأجلاء. منهم الدكتور/ محمد فوزي مصطفى صاحب أول كتاب مطبوع عن الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي... وقد قام المذكورون - وزملاء لهم آخرون لا يقلون عنهم دأبًا وتجردًا - بالإشراف على عشرات البحوث الجامعية في الأدب العربي بتشاد ومناقشتها إلى جانب إخوانهم من

الأساتذة التشاديين. نصوص الأدب العربي التشادي قد أصبحت إذًا موضوع دراسة وتحليل ونقد في جامعات تشاد، فهل يستقيم ذلك مع بقاء هذه النصوص مبعثرة غير مجموعة وغير محققة؟

- أنه قد كان من آثار ذلك التوجه توجيه الطلاب إلى أن يجعلوا مواضيع بحوثهم الأدبية واللغوية - في الجامعتين المذكورتين، وفي ثالثتهما، إن شاء الله، ذات الاسم الذي تفتخر به الثقافة العربية في تشاد، عندما تصل إلى تلك المرحلة - مواضيع تشادية. ولما كنت مهتمًا بأنني رائد الاتجاه التجديدي في الشعر التشادي المعاصر فلقد انعكس ذلك التوجه عليّ نموًّا كبيرًا في طلب نسخ من قصائدي تتنوع بتنوع البحوث، ويتزايد الطلب بتزايد الطلاب في مرحلة التخرج ومراحل الدراسات العليا.. فكان لابد، توفيرًا للوقت والجهد والمال على الجانبين، من أن أسعى إلى جمع شعري إسهامًا مني في هذا الجهد المبارك الذي ترعاه إدارتا الجامعتين وأساتذتهما وطلابهما.

- أنه قد تبين، مع ازدياد المدارس العربية وتلك التي تدرس باللغتين ومع الارتفاع الملحوظ في عدد الجمعيات الثقافية وفعالياتها، قوة تعلق الأجيال الجديدة بالأدب عمومًا والشعر منه على وجه الخصوص، لتبرز حركة شعرية متوثبة في تشاد. ومن حق هذه الحركة الشعرية المتوثبة على الجيل «المخضرم» من الشعراء والنقاد وسائر الدارسين أن ييسروا لها سبل الاستفادة من رصيدهم الإبداعي والمعرفي كي تبنى عليه وتتجاوزه.

إن توفر الإنتاج الأدبي الوارد من بقية أجزاء الوطن العربي ظاهرة إيجابية وعامل مهم في تغذية الحركة الشعرية الراهنة في تشاد، ولكنه لا يلغي ضرورة الاستفادة من الرافد المحلي إلى أقصى حد: فإن هذه الحركة لا ينبغي لها أن تنبتّ من جذورها، بل يجب عليها أن تنطلق من «خصوصيتها» و«محليتها» لكي يكون لها طعم ولون هما من مبررات وجودها أصلًا، ومن عناصر تحولها - إن شاء الله - إلى مصدر إثراء للأدب والثقافة العربيين على النطاق القومي.

حينما صح العزم مني، بناء على ما قدمت، على أن أشرع في المهمة، جابهتني صعوبتها.. بل تعذُّرُ الوفاء بها على الوجه الأكمل: ذلك أنه يفترض فيما يُجمع أن يكون موجودًا في حال تشتت، والواقع أن هذه الصفة لم تكن تنطبق إلا على جزء مما نظمت؛ ويبقى الكثير منه مفقودًا، فلا هو في الذاكرة، ولا هو مقيد في وسائل الحفظ الأخرى! أما ذاكرتي فلا تعينني مطلقًا على حفظ أشعاري، ولا تكاد تستحضر إلا ما نظمته منها في ظروف خاصة - كظروف السجن حيث تحظر الأوراق والأقلام - وحتى هذا فإنما تستحضره في الغالب جزئيًا. وأما وسائل الحفظ الأخرى - وهي أساسًا الأوراق عندي - فلقد عَدَتْ عليها العاديات وأضاعتها سني النضال والمطاردة لاسيما أثناء عهدي طاغيتي السودان وتشاد: نميري وهبري، لا سقى الله أيامهما.

لذا كانت حصيلة مسعاي: الكثير مما نظمت خلال العقد الأخير إلى جانب القليل القليل مما نظمت قبله، وذلك لأن اعتمادي في الجديد كان على الأوراق المحفوظ جلها، أما في القديم فقد كان على الذاكرة المضيِّعة!.. ولقد كانت تسعفني أحيانًا بالبيت والبيتين أو السطر والسطرين ثم تحرن، وتجود أحيانًا بأكثر من ذلك، وقلّما تكملها قصيدة. فرأيتُ أن أصرف النظر عمل قلَّ عن خمسة أبيات أو أسطر؛ وأن أختار مع ما زاد عن ذلك أحد سبيلين: إما أن أورده كما هو، وإما أن أقوم بما يشبه عملية ترميم الآثار عليه.

ولا ريب في أن النتيجة - في الحالة الأخيرة - لا تنطبق على الأصل انطباقًا تامًا، ولكني أجتهد في أن أجعلها أقرب ما يمكن إليه. وقد عقّد من هذه العملية أنه يكون لديّ - ساعة الكتابة الأولى للنص الشعري - أكثر من تصور مبدئي، فربما أختار تصورًا ما وأسجله على الورق بينما تختزن الذاكرة أو اللاوعي غيره. وربما أكتب البيت أو السطر بصورة معينة ثم أجري عليه تعديلاً مرةً ومرتين وثلاثًا حتى تكون صورته الأخيرة مختلفة تمامًا عن صورته الأولى؛ ويختلط الأمر عليّ عندما أحاول استحضار ما قرّ قراري عليه ما لم يكن مسطرًا أمامي!

الاختلاف إذًا واردٌ بين صورة القصيدة هنا وصورتها المنشورة من قبل إلا إذا توفرتُ على نسخة من الإصدارة التي نُشِرَتْ فيها لدى شروعي في الجمع؛ وهو ما كان مستحيلًا في أغلب الأحيان. فمن استطاع الحصول - مثلًا - على عدد مجلة «سلام» التشادية الذي ظهرت فيه «إجهاض» عام ١٩٨٠م لمس فرقًا ولا بد بين صورتها هناك وصورتها هنا؛ وهي نفس الملاحظة التي سيلاحظها من يقارن بين «يا أسمرا» في هذا الديوان و«يا أسمرا» المنشورة في أحد أعداد مجلة «البلاغ» اللبنانية عام ١٩٧٤م أو ١٩٧٥م. وهذان مثلان فقط لما تسببه عملية إعادة البناء المشابهة - كما أسلفت - لعملية ترميم الآثار من تغيير.

إن العمودي عندي ينقسم إلى عدة أصناف:

١- فهناك العمودي «المحض»، الملتزم بالقواعد العروضية، المندرج تحت بحر من البحور الستة عشر المعروفة، وهو كثير في الديوان.

٢ - وهناك العمودي الذي يوافق الصنف الأول في كل شيء عدا الالتزام بالقواعد العروضية، متمردًا على قاعدة منها أو أكثر، كما هو الحال في «أي صحو».

٣ - وهناك العمودي الخارج على البحور الستة عشر في صورها المستقرة، المنظوم على الصورة النظرية المفترضة لبعضها؛ تلك الصورة التي «اكتشفها» أوحد العربية ومنشئ العلمين الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما صمم الدوائر الخمس، مبينًا أن العرب لم تنظم عليها. فهذا الصنف خارج عن البحور ولكنه ملتزم بالدوائر، مثل قصيدتي «ما لم» و«بلا إذن».

٤ - وهناك الصنف الذي يشاركه في خروجه على البحور المعروفة وفي كونه ضمن الدوائر الخمس. أعني الصنف المنظوم على أوزان البحور المهملة التي «اكتشفها» الخليل، رحمه الله، من خلال عملية فك الدوائر، وبيّن أيضًا أن العرب لم تنظم عليها. ومثالها في هذا الديوان قصيدة «وداعًا للرواغ».

٥ - وهناك «العمودي» خارج على البحور والدوائر معًا، الملتزم رغم ذلك نظامها الموسيقي من وزن وقافية. وهو كثير في هذا الديوان.

والمسافة بين أول هذه الأصناف وآخرها قد لا تقل عن المسافة بين آخرها وشعر التفعيلة؛ فلماذا اعتبر إحدى المسافتين ولا اعتبر الأخرى؟ يكفي أنه – عندي – شعر كله لكي أضمه بين نفس الغلافين!

السطور الفارغة والهوامش

يلاحظ القارئ الكريم وجود سطر فارغ يفصل بين الأبيات في كل القصائد: يفصل أحيانًا بين مجموعتين من الأبيات، وأحيانًا بين بيتٍ وآخر أو بين بيتٍ وعدة أبيات أخرى.. فلا يسبقن إلى ظنه أن في الأمر «سنسرة» أو أن ذلك دليلٌ على سقوط أبيات أو سطور من القصيدة.. كلا، وإنما هو نظامٌ أتّبعه يشير إلى اكتمال جزئية معينة من الفكرة أو المعنى يحسن الوقوف عنده هنيهة أطول من هنيهة الوقوف بين كل بيتٍ وآخر، أو بين كل سطرٍ وآخر؛ وقد وجدت أن ذلك يساعد على إيضاح المعنى المراد في ذهن القارئ، وأنه يساعد أكثر في إلقاء القصيدة. وآمل – وأنا أتّبع هذا النظام – ألا يساهم، من حيث لم أرد، في إغلاق «الاحتمالات المفتوحة» التي ينبغي أن يكون فضاء القصيدة المعنوي محملاً بها! ولو لم أكن حريصًا على إبقاء هذه الاحتمالات لناقضت نفسي وأنا أحاول أن أجوب «الممكنات التي لم تتحقق» – أو لم تتحقق على نطاق واسع – في دنيا الأوزان كما أجوب الممكنات التي تحققت فأصبحت بحورًا مألوفة (والتي يحسب البعض أن ذلك يمنحها قداسة لا تجيز المساس بها أو الزيادة عليها).

وفقنا الله وإياهم، وسخرنا – مأجورين بإذنه – لخدمة هذه اللغة التي نحبها، ونحب أفصح من تكلم بها، صلى الله عليه وآله وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!.

أنجمينا، يناير ٢٠٠٤

****

١ - رَدُّ فِعْلٍ

[المتقارب]

ومَــنْ لـم يَـخَـفْ مـن زئـيـر الأُسُــودْ
فَـمَـا بـالمـبـالـي طَـنِـيـنَ الـذُّبـابْ؟
وإنّـــي لَـــروحٌ لمـعـنًـى يـسـودْ
بـهـذا الـتُّـراب وفـوق الـسَّـحـاب!
وإنّـــي لـقـلـبٌ وفـــيٌّ ودودْ،
وإنّـــي لـعـقـلٌ فـتـيٌّ عـجـابْ!
سـخـيٌّ كـدنـيـا تـضـمُّ الحـشـودْ،
وحَـــيٌّ كـكـونٍ تحـــدّى الخـــرابْ!
وإنّـــي لأُغْـيـي لـسـان الحـسـودْ:
فـأنّـي أُعَـنّـى بـأدنـى اضـطـرابْ؟

خور طقت الثانوية

(قرب الأبيض)، ١٩٦٦م.

****

٢ - إجهاض[1]

يتوازَنُ أَطلس[2] فوق الحوت، يُقلُّ الدّنيا كالتّابوتْ...

... رغمَ المستنكرِ أطلسُ باقْ!

والحمل ثقيلٌ مثل الذّكرى عند الثّكلى في الأعماقْ؛

بطر الإنسان يزيد الحمل فيرفسُ أطلس ظهر الحوتْ؛

والحوت الطّافي وسط اليمّ يعيش النّفيَ مع الإرهاق...

ضجرًا إذ ينفث - كالنّافورة - في الدّنيا حمم الكبريت

وشعور اليأس مِنَ الأنساق!

.. فتخدُّ النّفثة في المعمورة هذا الطّلّسْمَ المنحوت:

«لا إنسانيّة في الإنسان سوى المرصودة للإغراق!»

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ترقب الغِربانُ - في الأجواء - أنْ يستحكمَ الطّاغوت

شأن مسعى غرفة التّجّار باسم الدّين والأفكار والأجناس والأعراق

والألى قد شرّعوا التّطفيف في المكيال والميزان: كلّ الطّاقم الممقوت...

---

(١) المناسبة: خلال حرب الأشهر التسعة يونيو ١٩٨٠م.

(٢) أطلس: الثور الأسطوري الذي يحمل الأرض على قرنه.

كلّه يدعو بما يرويه عن هاروت أو ماروت[1]...

راجيًا أنْ تُصبح الأعياد ميدانًا لبيع مراسم التّأبين والتّكفين والإحراق...

ثم تُدْحَى أعينُ الأطفال أحجارًا من الياقوت...

☆☆☆☆

حيث البارودُ جوار القوت متاحٌ في كلّ الأسواق!!

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ساد مسٌّ يشمل الأيّام والأهواء والأحداق...

مُذْ بِيعَ الجوعُ في الحانوت!

..مُذْ تعرّتْ نُخبَةٌ عاشت مدًى مستورةً بالتّوت...

واستطابت حجّ أوروبا لأجل الجنس والأوراق:

منهم الآتي خبير القطر في القانون.. والأستاذ في اللاهوت!

في تعرّيهم بأن الكُلَّ جزّارٌ للحم الكادح المبهوت...

☆☆☆☆

وبلا إشفاق!

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

يا لوعدٍ كافي الإهلال بدرًا لوّنَ الآفاق...

كان عند النّاس مثل الماء...مثل القوتِ:

بشرى أُجهِضتْ بالصّاعق الموقوت:

---

(١) هاروت وماروت: الملكان ببابل، المذكوران في القرآن الكريم، اللذان يعلّمان الناس السحر.

بضع أفراسٍ من الأخشاب جالوتيّة[1] الألوان باريسيّة الأشداق!

فلنباشر بحثنا عن غوثنا طالوت...

عن سنا شمسٍ بظهر الغيب يصحو ضوؤها المكبوت...

كي ننَقّى – إنْ وجدناها – من الإذعان والإملاق...

من نهار الحاضر المستوحش المبتوت

منْ فِرارٍ في اللّيالي ينشد السّلوى بواق الواق...

مبتغانا سلّم المستقبل المنعوت...

.. في معاني تلكم الأسطورة السّحريّة الإشراق!

.....

امض بلّغ كلّ بازوكا غدًا: «كُفّي عن الإطلاق!»

☆☆☆☆

وستستغني

عن أطلسَ ثَمَّ ظهرِ الحوت..

عضلاتُ انْجمّينا وقُوى بيروت!!

****

(١) جالوتية: نسبة إلى جالوت الذي قتله نبي الله داود عليه السلام. وطالوت: معروف في نفس القصة.

٣- إلى مَتَى؟!

حياتنا ... إلى متى ..
نعيشها تماوتا:
فندمن التلفّتا،
ممكّنين مَنْ عتا؛
ودائمًا مؤقّتا!..
إلى متى؟ .. إلى متى؟؟.

إلامَ نبدأ السُّرَى بمُصلحٍ
فننتهي - لدى الضُّحى - بطاغيه..
..«معظَّمٍ» و«ملهَمٍ» ولا يطيـ
ـق مِنْ حناجرِ الجموعِ لاغيه؟
وأين في وُلاتنا مَنِ استوى
فلم يعد يصول كي نناغيَه؟
و«فرقة النَّجاة»[1] - إن تهيّأت
لها كتائب الشّراة مصغيه...
إذا بها - بُعَيْدَ بذل جهدهم -
مضلّةٌ مِنَ الفئات باغيه
مليئةٌ تعنّتا!
إلى متى؟ .. إلى متى؟؟

(١) فرقة النجاة: إشارة إلى الفرقة الناجية الوارد ذكرها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الشراة: هم المعروفون في التاريخ الإسلامي بالخوارج.

مِـــنَ المحـيـطِ لـلـخـلـيـجِ كـم سـرى،
وكـم أتـــاكَ، مـن حـديـثٍ غـاشـيـه...
بـــأمّـــةٍ قـــدِ اســتــقــرَّ بـؤسـهـا
لأنّـــهـــا تجـنَّـبـت تـلاشـيـه!
وثَـــــمَّ حـــاكـــمٌ عـــلا بـــثـــورةٍ
يـلـوحُ - بـعـد مـــدَّةٍ - بـلا شـيـه:
مـــلامـح الـــصّـــلاح مـثّـلـتْ بـهـا
طـبـيـعـةٌ تـنـرجـسـتْ وحـاشـيـه...
تـصـايـحـتْ بـرسـمـه مـفـكّـرًا،
فـصـيّـر المـفـكّـريـن مـاشـيـه...
ليعلفوا التّهافتا!
إلى متى؟ ... إلى متى؟؟

وتمـضـغ الـكـلام فـي تحـذلـقٍ
جـمـاعـةٌ عـلـى «الـيـسـار» راسـيـه...
عـن «المـكـاسـب العـظـيـمـة الـتـي...»
لـعـلّـهـا لخـادمـات آسِـيـه!
ويـطـرب الـزّعـيـم - فَـهْـوَ، دائـمًـا،
وجـالـدُ عُـمَـيْـرَةً[1] سـواسِـيـه -
فـتـعـتـري «يـسـارهـم» زيـادةٌ،
تُـحـجّـر الـقـلـوب وَهْـيَ قـاسـيـه...
فـلا يُـكَـفْـكِـفـونَ دمـعَ شـعـبـهـم،
ولا تـعـي عـقـولُـهـم مـآسـيـه
وقد تَفَرْعَنَ الفتى!
إلى متى؟ ... إلى متى؟؟

---

(١) جالد عميرة: ممارس العادة السرية.

ويظهر الفتى لكم، مُتلفزًا،
إذا فتحتم الجهاز ثانيه!...
وقد يَحُلُّ في جدار مسجدٍ،
وقد يُطِلُّ من إزار زانيه
ويوم مهرجانه يرى مُمَلْـ
ـينًا على سواعد الزّيانيه
فإنّه - وحقّه! - لَمُولَعٌ
بوجهه، مطالعٌ معانيه!..
لذا تمثّلَتْ رسومه له
مرائيًا[1] على الدّوامِ دانيه..
وحيثما تلقّتا!
إلى متى؟... إلى متى؟؟
وَرُبَّ جاهلٍ يلي كعاهلٍ،
فيأخذ البلاد نحو هاويه...
فلا يزيدُنا المآل حكمةً،
ولا نُصيخ للدّروس داويه:
ولم يزعْه أنّ قلبه عمٍ
ورأسه - كما استبان - خاويه!
وكم (ذوي فضيلةٍ!) تجمّعوا
وكلّهم مهيّئٌ فتاويه...
فبايعوا المعفرتا!
إلى متى؟... إلى متى؟؟

---

(١) مرائيا: جمع مرآة.

ومـثـلـمـا تـعـالـوا تـشـاعـروا،

فـكـلُّ واحـــدٍ أبـــو الـعـتـاهـيـه!

وجـلُّـهـم تـطـرَّقـوا - تـصـوُّفًـا!-

ورغـــم ذاك فـالـقـلـوب لاهـيـه..

وهـمُّـهـا الـنُّـقـودُ دون وازعٍ

تـلـمُّـهـا حـريـصـةً مـبـاهـيـه:

فـكـثـرةٌ عـلـى الـهـوى تـنـافـرتْ،

وقـلَّـةٌ عـن الـضَّـلال نـاهـيـه...

لـيـفـتـح الـصَّـفـاء سـكَّـةً بـلا

سـيـولـةٍ، وشـارع الـكَـراهِـيَـه...

مُعبَّدًا مسفلتا!

إلى متى؟ ... إلى متى؟؟؟

(نظمت - أولًا - بانجمينا في ١٩٩٨/٥/٣٠م

ثم روجعت بانجمينا ودربالي في مارس/أبريل من عام٢٠٠٠م)

****

٤ - رفاقي[1]

[الوافر]

رفاقي يولدون ضحَى..

وفورًا تُلْهَمُ الأطيار ذاك الشّدو والمَرَحا،

ويغفو البرعم الوسنان – لم تمسح نداهُ اليدّ –

ولكنْ يوقظ الإشراق جَفنَ الكادح المجهدْ:

فقد أن الضّحَى فصحا

لِيُفْنَى يومُه في كدٍّ..

كأنّ الكدّ غولٌ قد نفى أيّامه ومحا..

كما قد غال – أيضًا – ليله المُسْوَدّ

وأمسى يطحنُ المخضرَّ من أحلامه كَرَحَى

– وفيها مشهدُ الآلاف آلت أنّها لابدّ..

لها من أن تذيق الظّلم ما اجْترحا..

ليبقى عدلُها الأوحدْ! –

وجاء الغولُ مكتسحا

صلاة العيد في المشهدْ

ليقتاد الغد المرجوّ نحو المحبس الموصدْ،

وبابُ السّجن ما انفتحا:

---

(١)(مقدمة قصيدة طويلة تمجد نضال الشعب الفيتنامي وشعوب كمبوديا ولاوس في وجه الإمبريالية، ولم يبق منها في الذاكرة – بعد ضياع النص المكتوب – إلا هذه السطور).

فما من مهجةٍ تستنشق الفرحا،

وما من مخرجٍ يوجدْ..

سوى السِّندان والمبردْ..

سوى كدٍّ عدا الآلام ما منحا:

فقط نحو القنوط نحا!

ولكنْ فجأةً يولدْ..

منِ اشْتاقت إليهم خضرة الدّنيا لتنشرحا

وملح الأرض أيضًا والسَّحاب ليبدأا في العدُّ!

.....

رفاقي يولدون ضحى،

وظهرًا يطلقون الغدْ!

(المنطقة الرئيسية)

في الريف التشادي المحرر- ١٩٧٢م

****

٥ - النّوم في عَيْنَيْ وَطَنٍ

كان أدمو عبد الرحمن أحد أبطال الثورة التشادية. ولد البطل الراحل عام ١٩٤٩م ثم نشأ بالسودان، حيث التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني التشادية (فرولينا FROLINAT) قبل أن يبلغ الثامنة عشرة، فكان من الرعيل الأول من فدائيي فرولينا الذين واجهوا النظام الدكتاتوري الرجعي العميل المدجج بالسلاح في الستينيات مسلحين بالإيمان والرماح والسكاكين وقليل من البنادق الأثرية! .. وظل الفقيد مناضلًا صلبًا أكثر من ٢٦سنة حتى قضى نحبه قبل شهرين بعد صراع مرير مع المرض: مات فقيرًا - إلا من الإيمان! - لأنه آثر الباقية على الفانية فلم ينضم إلى قطيع الحذاق وأغنياء الحرب رغم استطاعته ذلك لو أراد! وظل عمره كله يعض بالنواجذ على مبادئ الثورة الشعبية: معتصمًا بحبل الله، مؤمنًا بالجماهير، متمسكًا بتوجهه العروبي الواعي المنفتح.

توفي في ٦ أكتوبر- اليوم ذي الدلالات في تاريخنا القومي المعاصر - بطرابلس الغرب؛ بينما توفي المناضل الفلسطيني خالد الحسن (أبو السعيد) في اليوم التالي بالمغرب الأقصى بعد صراع مرير أيضًا مع المرض... وقد ظل الفقيد - الذي كان أحد مؤسسي «فتح» - رافضًا اتفاقية غزة/ أريحا وما تمخضت عنه حتى قضى نحبه: فكان من خير أعماله خواتيمها.

ألا رحم الله الراحلين الخالدين، النائمين في عيون الوطن، واللذين غادرانا في زمان الحصار والانكسار!... وليرحم الله تعالى أمتنا التي قضى عليها بأن تعيش هذا الزمن!!

(١)

هل من زرادشت النّبوءات التي هزّتْ زمانًا فاجعًا سمْج المزاحْ؟

أم هل أتتْ من قول صوفيٍّ وقد أضحى مع المكنون سرًّا واحدًا في «كنْ!» توارى لا يُباحْ!

أم من كتاب الكشف مخطوطًا بدمع القهر مفتوحَ الكُوى لمّا يُسَد؟

أم هل سواهم – واهمًا، مهما يكن! – قد قال إن الفجر في إفريقيا أو في بلاد الشّرق لاحْ؟

أنّى له؟... إنّي أرى غردون[1] إذ يسعى إلى الخرطوم – كالأفعى – بحبلٍ من مسدْ...

كيما يشلّ الرّوح أو يقتادها مسبيةً سبيًا كما كان الجسدْ!!

إنّي أرى!.. والنّاس – أهل الكدح – في بغداد[2] صيدٌ مستباحْ...

من خلفهم «قلب الأسد»[3]!...

فالأفق سمٌّ سدّه دفق النّباحْ!

أما صلاح الدّين فالسّوّاح قد باعوه من سادات أحياء الحمى تعويذةً ضدّ الحسدْ:

إذ كان ملقًى في أريحا شلو تمثال هوى مسترجعًا عهد البطولات الّذي ولّى وراحْ...

---

(١) غردون هو تشارلز جورج قوردن أو غردون باشا عسكري بريطاني خدم في الإدارة الاستعمارية بالسودان إبان العهد التركي وهو آخر الحكام التركيين/ الخديويين على السودان في تلك الحقبة الاستعمارية المنتهية بمقتله وانتصار الثورة الشعبية الإسلامية تحت قيادة الإمام محمد أحمد المهدي وخليفته السيد/ عبد الله بن محمد تورشين عليهما رضوان الله.

(٢) الإشارة هنا إلى معاناة الشعب العراقي من جزاء استمرار الحصار المفروض عليه.

(٣) المعنى هو ريتشارد قلب الأسد «العاهل» البريطاني المشهور بمشاركته في الحملات الصليبية.

حتّى شراه الآلُ بالدُولار بَخْسًا... (وفق آليّات سوق الانفتاحْ!)...

مِنْ أجل أنّ الحقّ في الدّنيا كسدْ!!

إنّي أرى!.. والقدس ظلٌّ كامنٌ في ظلمة الإمكان ظلُّ اليأس يقصي عنه طاقات الصّباح:

فالعالي يعلو فوق رأس العُرْب مأذونًا له، نشوان، موعودًا بحقّ الاصطباحْ!!

إنّي أرى!.. لكنّ بنغازي تظلّ اليوم أيضًا دونها في الجوّ[1] سدٌّ ثُمّ سدْ:

فالشّاطئ المزعوم للفاشست شطًّا[2] رابعًا قد صار محظورًا على الأطيار خطًّا للرّواحْ...

والطّائر المخضرُّ مقصوصُ الجناح!!

إنّي أرى!.. أمّا جنوبًا، بعد هاتيك الذُّرَى، فالماء في شاري[3] - نهير الجنّة الأحلى! - فسدْ:

منسوب بول العسكر الإفرنج[4] أمسى ثُمّ أعْلى من نُفاياتِ البِطاحْ...

والنّهرُ طفلٌ جائعٌ: مهما دنا ثَدْيٌ لَسَدْ!

لا غرو أنّ العصرَ عصر الانبطاحْ!!!

(٢)

يا مُحصيًا أوراق[5] أمريكا.. أيا مستقصيًا - في التّوّ - فتواها لدى أيّ اقتراحْ...

---

(١) الإشارة هنا إلى الحصار الظالم المفروض على الشعب العربي الليبي.

(٢) كان الفاشيون الطليان يزعمون أن الساحل الليبي هو الشاطئ الرابع لإيطاليا والذي لابد من إعادته إلى بيت الطاعة!

(٣) شاري: هو أهم أنهار تشاد والمغذي الرئيس لبحيرتها.

(٤) إشارة إلى القوات الفرنسية المرابطة بتشاد.

(٥) الإشارة هنا إلى الجملة الزاعمة أن ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أمريكا.

زُوِّجْتَ خضراء الدِّمَنْ؟

أم أنتما خدنان لمًّا في سفاحْ؟؟

إن تعتزم نيلاً بها شيئًا[1] من الحقّ المتاح اليوم يخطئْكَ الفلاحْ،

أو تَشْكُ أنّ الطّالبين الحقّ كُلًّا كاملاً هم أمّةٌ من غير أصحاب الفِطَنْ...

فاللهُ خيرٌ حافظًا؛ لا يأخذ المولى وسَنْ!

(٣)

يا خالدًا رغم الرّدَى – مثل المُنادَى «آدمو»!– : دُمْ في تحدّي القلب أغلال الكُساحْ!

دُمْ في دمٍ يَروي فِلَسطين الّتي أحببتَها لا يَسْأَلُ النّاسَ الثّمنْ!

دُمْ في رهانٍ رابحٍ: راهنتَ في إيمانك المعصوم بالرّؤيا على أنّ الزّمنْ...

في صالح الحقّ المُزَكّى بالرّوايات الصّحاحْ:

عن ناسفٍ للنّفس وسط الغاصبين الشُّقْرِ عن طفلٍ وأحجارٍ رماها في مُحيطٍ قد أسنْ...

عن عالَمٍ قد كان ديومَ التّنامي مدمنًا حتّى تَمطّى فيه صَحْوٌ باضطراد الإنديـاحْ!!

نَمْ رابحًا، نَمْ... ما على مَنْ أحسن المسعى ختامًا من جُناحْ:

إذْ بعدما سَجَّلْتَ سطرًا خاتمًا: «ليست أريحا غايتي، بل بُغيتي كلّ الوطنْ!»...

استدرك التأريخ سطرًا: خالدٌ، يا خالدًا نجل الحسن!...

ثُمَّ استراح!!!

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر المبدع الراحل أمل دنقل في درته الرائعة «لا تصالح»...:

(... فخذ – الآن – ما تستطيع: قتيلًا من الحق... في هذه السنوات القليلة...).

(٤)

الحقُّ مضمونُ التّقاضي...(أفصح المظلوم قولاً أو رطنْ!)...

ما دام مسودًّا بأبطالٍ ودانات فِصاحْ!

ما دامت الخُطْوات تقفو أدمو النَّوّاهَ في أنْقَى لُسُنْ:

«أوطاننا إنْ تفغر الجُلّى لها يومًا فمًا، لو لم لكن نحن الفِدا عنها فمن؟!»

لكنّ عبد الحق[1] – شيخ العلم – مُذْ أمَّ العلا مستشهدًا لم يعتنق ذكراه نوطٌ أو وشاحْ!...

إيهٍ، أيا مستصرخًا، إيهٍ! أليس العصر عصر الانبطاحْ؟؟

(٥)

كَلاَّ ورَبِّ النّاس! بل عهدٌ لتأجيج الوغى؛ ليس الوجعْ...

إلا مخاضًا: فالغد الآتي سيبدو رأسه المرجوّ حتمًا بين طيّات الجِراحْ!

العهد – والأيّام حُبلى! – عهد شاكا[2]: جاء والمختار والقسّام بشرى هَبَّةٍ مثل الرّياحْ...

في مرّها كلّ المآسي تُقتلعْ،

(لله درُّ الواهبين العمر مهرًا في سَماحْ!)

بل عهد جيلٍ غاضبٍ لمّا رأى الإفرنجَ في الحارات ألى جاز ما ألاّ يُدَعْ...

راياتُ جيل الانبعاث الحاضر المقفوِّ تُنسى أو تقعْ،

---

(١) المعنى هنا هو الشيخ الشهيد عبد الحق السنوسي الترجمي؛ أحد علماء تشاد الأفذاذ وشاعرها المجلي الذي قتل شهيدًا على يد الاستعمار الفرنسي إلى جانب عشرات العلماء الآخرين في مذبحة «الكبكب» الشهيرة وذلك في إطار حملة المستعمرين الرامية إلى القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في تشاد وتصفية رموزها: بغية نفي تشاد نهائيًا من الوطن العربي الذي هي جزأ لا يتجزأ منه.

(٢) شاكا: ملك الزولو الذي سار على خطى دنقسوايو فبنى أول دولة حديثة وطنية في جنوب أفريقيا أما المختار فهو شيخ الشهداء الغني من التعريف وكذلك عز الدين القسام.

راياتُ روّادٍ روَوْا أوطانهم مجدًا، وفيهم آدمو النّئي لدى وقت الطّمعْ...

لكنّه السّبّاق فزّاعًا إذا ضجَّ الصِّياحْ!

هل آدمو المقدام في وقت الوغى يُلقِي السِّلاحْ؟...

(وهو الّذي قد كان يَلْقَى جيش أعداء الحمى والرّاجمات الصُّمَّ تَصمي بالدّواهي والهلعْ...

... يلقاهُ في صحبٍ له ما عندهم غير الرّماحْ!!)

هل آدمو المقدام قد ألقى السّلاحْ؟؟

لمّا رأى السّاحات – والأيّام حبلى! – منجباتٍ للبدعْ؛

لمّا رأى إسراع دار الغُرْبِ – تطبيعًا، فتتبيعًا! – إلى الكفر البَواحْ؛

(فالدّار – كلّ الدّار – بيروتٌ، وصدعُ الصّفّ كم يغري العِدَا بالاجتياحْ!)...

لمّا رأى المنظومة الشّرقيّة الحمراء جثمانًا مُسَجًّى ليس يحييه النّواحْ؛

والقلب – قلب الثّائر المهموم – حسّاسٌ: لئن أعيا الجزع...

فالغمُّ قد أعياه جدًّ، فاضطجعْ!

نَمْ يا أبا المصريّة[1] المصروع من همٍّ على الإنسان والأوطان، نم لا تخش أن يُرخى الكفاح!!!

طرابلس، في ديسمبر ١٩٩٤م

****

(١) «المصرية» هو اللقب الذي أطلقه البطل الفقيد آدمو على وحيدته.

٦ - مُسْتَفَادِي

[الرمل]

اهْـمـلـونـي إنْ دُعـيـتـم لارتـفـادِ:
يـومُ مـثـلـي لـيـس إلا يـوم فـادي!
إنّمـا الجـوع احـتـجـاجـات المـعِـي
هـيّـنٌ إخـراسـهـا بـالإعـتـفـاد[1] !
لا يـبـيـتُ الحـرّ مـدفـوعًـا بـهـا:
إنَّ مـن حـرّيّـة الحـرّ الـتّـفـادي!

وانْـطـلاقـي فـي جـهـادي لـم يكن
- مطلقًا - من أجل أدنى مستفادِ،
مـا أردت الـغُـنْـم نَـيْـلـي شـهـوةً
مـن طـعـامٍ أو شـرابٍ أو سـفـادِ
.. لا! .. ولا لبسي «قرنبوبو»[2] كما
شـرّ طـيـرٌ ريـشـه بـعـد الـصّـفـادِ

كـلُّ هـذا مـسـتـفـادٌ مـنـقـضٍ!
إنّمـا الـغُـنـم الّـذي فـوق الـنّـفـادِ
مـن لـدنّ الـلـه فـضـلاً مُـنـجـيًـا
يـوم لا خِـلٌ يـحـامـي أو يُـفـادي!

انجمينا، ٢١/١٢/٢٠٠٣م.

****

(١) الاعتفاد: أن يغلق أهل البيت بابهم على أنفسهم حتى يموتوا جوعًا وهو أمر كان في العرب من يفعلونه إذا ضاقت عليهم سبل العيش.

(٢) قرنبوبو: زي فضفاض معروف موطنه الأصلي غرب إفريقيا لكنه انتشر في تشاد أيضًا ولبسه يدل في العادة على النعمة والشرف.

٧ - للمفتدى أبدًا...![1]

[البسيط]

طالتك - مثل ذراع الأخطبوطِ - يَدُ
حتى شُلِلْتَ، وعزَّ المُدُّ والمددُ
تلك العجاف من الأعوام كم سحقتْ
من مهجةٍ، ومشت بالكيِّ تَتَّئِدُ
سامتْ ربوعكَ تجريدًا ومخمصةً
ماذا - بربِّك - أبقت منك يا بلدُ؟؟

جاءتْكَ بالعَلَق المكثار فانغرستْ
يأجوج تفصد إذْ مأجوج تزدردُ...
مستعمرون أتَوا مِنْ كلِّ ناحيةٍ
كي يُرْكِعوك... وأنتَ الصَّامد الصَّمدُ!
يا ليتهم رحلوا حين انتفضتَ ولمْ
تأخذْ أماكنهم (بِشمركةٌ[2]) جُدُدُ!

لا حبَّذا فئةُ الأخلافِ من فئةٍ
تهوَى الغُلولَ، سَدَاها الغِلُّ والحَسدْ!
عُمْيُ القلوبِ كمَن للشَّرِّ يدفعهُمْ
حكمُ الغريزةِ أو ما تفرز الغُدَدُ،

---

(١) وهي أول قصيدة ينظمها الشاعر عقب عودته إلى تشاد في نهاية اغتراب دام خمسة عشر عامًا.

(٢) بشمركة: القوات الكردية في شمال العراق، استخدمت هنا كناية عن قوات الفئات والأجنحة المتناحرة في تشاد.

مِـنْ بعض مـا سرقـوا أقـواتُ عائلـهم،
والـعيشُ فـي ثِـقـةٍ مـن بـعضِ مـا وأدوا:
أعـيـا مـوائـدهـم إنـتـاج بـيـدرنـا
لـكـنّ مـطـعـمـنـا الإحـراجُ والـكَـبَـدُ!
صـرنـا ضـيـوفَ ثـرانـا، نشتهي كِسَـرًا
مِـنْ خبزنا، وهـمُ الـعـادون، قد جحدوا!
جَـوْعـى نُـعَـلِّـلُ بـالآتـي وقـد بَطِـنـوا:
بـئـس المـخـدِّر لـلـمـسـتـضـعـفـيَن غَـدُ!

لـكـنَّـكَ الجـبـلُ المـوهـى قـرونـهـمـو
لـمَّـا نطقتَ ولـم يمـحُ الـصّـدى أحـدُ...
فـاسـتـنـهـضـتْ لـبَـنـيـكَ الـذِّكـريـاتُ رؤى
مـاضـيـكَ يمـلـؤُهُ الإيمـان والجَـلَـدُ:
مـاضٍ مـضـتْ عَـزَمـاتٌ مـنـك فـيـه، فما
لانـتْ قَـنـاتُـكَ أو أوهـاكَ مـضـطـهـدُ،
لـمَّـا هُـديـتَ تَـهـادَى الأمـس منبعثًا
.. طُوبَى لمن سَلَكوا المِنهاجَ حين هُدوا!

غَـرُبْـتُ عـنـك زمـانًـا لـم يَـكَـدْ يَـرنـي
إلاّ حـلـيـف عـنـاءٍ يـومُـه الأبـدُ،
والـيـوم يُـرجِـعـنـي شـوقـي، فـهـأنـذا
- مستدركًا عُمُري، مسترجعًا - أَفِـدُ!!
بـعـدَ الـغـيـابِ أنـا آتٍ وبـي مَـقْـتـي،
آتٍ بـأَجْـوِبـتـي... آتٍ ومُـجْـتَـهِـدُ،

آتٍ إلـيـكَ كـمـا يـأتـي الخـريـفُ وبـي
شـــوقٌ ووعـــدُ عـطـاءٍ مـثـلـمـا يَـعِـدُ!
فـالـعـودُ أحـمـدُ، والآمـــالُ لـيـسَ تَـهـي
مـا دُمْـــتَ مُـشْـتَـعِـلَ الـوجـدان تـتّـقـدُ...
...تـرنـو إلـى زمـنٍ يُـدنـي مَـطـامـحـنـا:
لا عَـيْـشَ يـهـنـأُ والأحـــلامُ تـبـتـعـدُ!

لـهـفـي عـلـيـكَ - وأنـتَ الـمـفـتـدى أبـدًا -
إذ يـعـتـريـك عـلـيـنـا الـهـمُّ والـكـمـدُ،
لـسـنـا - بـدونـكَ - إلاّ وهْـمَ بـاصـرةٍ!
نـحـن الـظّـلال، وأنـتَ الـرُّوحُ والجـسـدُ!
أنـتَ الـمُـجـسِّـدُ لـلإنـسـان مـنـطـلـقًـا
والـمُـنْـجِـبُ الـنُّـجَـبـاءَ الـغُـرَّ إذ تـلـدُ
تـبـقـى وأهـلُـكَ لا تُـلْـقَـى بـبـارقـكـم
مـهـمـا جـرى، وجُـفـاءً يُـذْهِـبُ الـزَّبـدُ،
أُسُّ الـيـقـين بـأنَّ الـلـه نـاصِـرُنـا
راسٍ عـلـى سُـنَـنٍ لـلـه تـضـطـردُ!
انجمينا في ٣/٣/١٩٩٩م

****

٨ - تَمَاد!

[الرجز]

هــل نــحــنُ فــي بــلادِنَــا نَــقــودُ؟
أم، يــا تُــرى، تــقــودُنــا الــنَّــقــودُ؟
قــد أسْــلَــمَ الــقــيــادَ مَــنْ تَحَــرَّى
عــونًــا... وإنْ تــلــطَّــفَــتْ عــقــود:
مــا لازم الإعــانــةَ اشْــتــراطُ
إلا اسْــتــوى الــمُــعَــانُ والــمَــسُــود!

والــمــســتــمــدُّ جَــيْــشَ مــســتــبــدٍّ
جُــنــدًا لــهــا بِــذِقْــنِــه الجــنــود،
مــا مِــنْ حــمــايــةٍ تَــقِــيــهِ ذُلاًّ
يــســخــو بــه الــعــريــفُ والــعَــقــيــد!

والــقــاصــدونَ - مــثــلــنــا - أخــاهُــم
كَــمْ عــومِــلــوا كــأنَّــهُــم عــبــيــد!
..ثُــمَّ اسْــتــفــزَّهُــمْ - كــمــا كــوانــا -
مَــنٌّ يــزيــدُ مــا لَــهُ حــدود!

كَـــمْ غـــرَّنـــا، بمـــالٍ غـــيـــره، مِـــنْ
مُـــبـــدٍ صـــفًـــا وقَـــلْـــبُـــهُ حـــقـــودُ...
سَـــرعـــانَ مـــا اسْـــتـــبـــانَ فـاكـتـشـفـنـا
أنَّـــا لِـــغـــايٍ[1] غـــيـــرنـــا وَقُـــــوْدُ:
بـــــاغٍ يُـــريـــدُ ســـلـــبَـــنَـــا بـــقـــايـــا
حُـــــرِّيَّـــــةٍ هـــــي الَّـــــتـــــي نـــريـــدُ،
والـــبـــغـــيُ كـــالـــسَّـــمـــومِ: لا قـــديمٌ
يـــغـــذو، فـــيُـــجـــتـــنـــى، ولا جـــديـــدُ!

لـــكـــنَّـــمـــا الجـــديـــدُ إنْ أتـــانـــا
مِـــــنْ قـــــابِـــــلٍ فـــجُـــلُّـــنـــا يَـــعـــودُ:
لـــو بـــعـــضـــنـــا اجْـــتَـــلاهُ جِـــلـــوَ صـــحـــوٍ
فـــــالأكـــــثـــــرونَ دائـــــمًـــــا رُقـــــودُ،
يُـــغـــريـــهُـــمُ الـــعـــمـــيـــلُ بـــالـــتَّـــمـــادي
وهـــــمًـــــا بـــــأنَّـــــهُ ســـيـــســـتـــفـــيـــدُ؛
والـــنُّـــصـــحُ فـــي الـــعـــمـــيـــلِ مـــســـتـــحـــيـــلٌ:
إنَّ الـــعـــمـــيـــل بـــالـــعـــمـــى مَـــقُـــودُ!
مَـــــنْ بـــــاعَ بـــعـــضَ روحـــــه فـــأثْـــرَى
لَـــيْـــسَ الـــذَّكـــيُّ، بـــل هـــو الـــمَـــكِـــيـــدُ...
يـــمـــضـــي عـــلـــى خُـــطـــا عـــجـــوزٍ ســـوءٍ
لا تـــتـــركُ الـــخـــنـــا ولا تَـــحِـــيـــدُ...
قـــد أنـــفـــقـــتْ شـــبـــابَـــهـــا تـــبـــاغـــي
حـــتَّـــى ذَوى، فـــلـــم تَـــــزَلْ تـــقـــودُ،

(١) غاي: جمع غاية ومثلها آي جمع لآية.

والإتّجـــــــارُ بـــالـــنُّـــفـــوسِ أمـــرٌ

مِمَّـــا يـلـــي - فـيـدمـن - الـبـلـيـدُ!

ويْـــــلٌ لـــكـــلّ بـــائـــعٍ وشـــارٍ

ســعــرُ الـضّـمـيـرِ مـنـهـمـا زهـيـدُ!

والـــويـــلُ لـلـشُّـعـوبِ حـــينَ تـعـنـو

لـلـمـغـريـاتِ!... إنَّـهـا الـقـيـودُ!!

انجمينا، في ٣٠/١/٢٠٠٣م

****

٩ - مددا!

[المتدارك]

..في عين الأبعدِ خمسٌ مثل نصال[1] مُدَى!

..خمسٌ في عينٍ أضمرَ صاحِبُها الحسدا!

بلد البدويِّ - ورأسُ الحربة أزهرها - نجبتْ،

ومضيُّ الأعصرِ لم يَمنعْها أبدا...

أنْ تحتضن الأيتام، وأنْ تلدا...

...أنْ تفتحَ نافذةً للواقد، أو أن تمنح أو تعدا؛

وبحقِّ رواق صُلَيْحٍ[2] ما كذبتْ:

وهَبَتْ وحبتْ، فَسبتْ وصَبَتْ،

وَأَبَتْ لعقيدةِ أُمَّتها إلاّ الرُّشَدا...

وأبت لثقافتها المرضا

فَسَخَتْ بضمائرها ومنائرها وحرائرها وعمالقةٍ ملأوا الأرَضين صدى

برضا

لتمصَّ معاديَها مضضا

وتمدَّ مُرابطنا مددا

مددًا... مددًا... مددا!!

---

(١) خمس مثل نصال مدى: إشارة إلى القول الشعبي المصري «خمس في عين العدو» والذي يقال إذا خيفت العين.

(٢) صليح: إشارة إلى رواق الصليح التشادي في الجامع الأزهر الشريف.

وبهيّة[1] ملءُ مُلاءَتِها بركات عطاءٍ آثَرَ واضطردا

– كعطاء الغيثِ النّافعِ – يرفدُ مجتهدا

فَيَضانَ النّيل، ليَتّحدا

مع فِعْل قوى حيويّتها، فَتُخَلّدُ ملحمةً كُتِبتْ:

هي ملحمةُ الإيمان: فإنّ حفيدة حتشبسوتَ على الإيمان ربت

مُذْ كان العالَمُ في الظُّلُماتِ يفتّش، مفترضا..

أنّ الأرواحَ إذا خرجتْ من عالَمِنا تحتاج الخدمةَ والعُددا!

... وإلى التّوحيد – لباب ديانة أخناتون – طبت..

متفرِّدةً، ومجرِّدةً للرّبِّ قصائد حُبٍّ فوق ولاءٍ قد مُحِضا!

.. وبهيّة قدّمتِ الأبناء من الرُّهبانِ لملكةِ الحمل الموعودِ فِدا!

.. ثُمَّ احْتملتْ علم الإسلام مجاهدةً، ومجدّدةً، وبه وثبتْ،

وإلى العلياءِ سعتْ لتثبته، فَعَلا وثبت!!

مددًا ... مددًا ... مددا!

بلد البدويّ – وأعشقُها بلدا،

فكنانةُ أرض مكوّننا عُشِقتْ، كالجنّة، واجتذبتْ! –

نثرتْ مكنون كِنانَتها، وتخيّرتِ النّبلاء نبال هدى،

وعلى ثقةٍ رمت العربيّةَ في وطني بمُفردَها، فشدا..

وبعالِمِها، فأضاء معاهدنا أمدا!

مددًا ... مددًا ... مددا!

أرأيتَ الغرسَ، ربيب الضوء، وكيف نبت؟

... أو كيف منابته تتطلّع للإشراق غدا؟؟

---

(١) بهية: إشارة إلى مصر تابع في استعمالها شاعر العامية المصري المبدع أحمد فؤاد نجم.

مددًا ... مددا،

سعي (العزب المحمود)[1] سيبقى سرٌ تفتّقها زهرًا، وثمار متابعةٍ، وندى،

لكنْ نَغَماتُ قصائده ومودّتنا وسماحةُ نفسٍ عن إحساسٍ ما حُجِبَتْ..

وسنا خُلُقٍ وتُقًى بمرابعنا زمنًا ومضا..

في عزِّ تألُّقِها ذهبتْ:

أتراهُ تأبّطها ومضى؟

.. فليحصِ إلى ما يحمل تمجيدًا من قومي قاطبةً يتجاوز كلّ مَدَى،

فجميعُ عشائرنا لَهَجَتْ بالشُّكْرِ، وما نَشَبَتْ

أنْ لاذتْ بالمحروسةِ مُلْتَحَدا:

كَبَلَى وقُلا وبني حسنٍ وكَشامرةً ورُنقا وعِمَرْ[2] وتِدا؛

ولْيُخْبِرْ أمَّ الدنيا أنَّ بلادي قد طلبتْ ..

منها عنه عوضا،

ومواصلةً – بِتجرُّدِها – لزيادتنا مددا!

مددًا ... مددًا ... مددا!!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٢٧م

****

(١) د.محمود العزب: أستاذ مصري أوفد للعمل في جامعة تشاد.

(٢) أسماء قبائل وبطون وعشائر تشادية.

١٠ - صَبُوحُ

[المتقارب]

(نظمت تحية لرفاق المعتقل الذين نقلوا من «حوش الطوارئ» إلى «المديرية» - وكلاهما من أقسام سجن كوبر - وأرسلت إلى المعنيين عبر الجدار الفاصل بين القسمين) السجن العمومي بالخرطوم بحري ١٩٧٦م.

صَبُوحُ المساجين[1] ما عاد خمرًا
فما لي أراهم يفيضون بِشْرًا؟
وما بالهُمْ يرقبون الثُّريَّا
مدى كلِّ ليلٍ .. أيرجونَ أمرا؟

أجَلْ! إنّهم - في سواد اللّيالي -
يغضّون عينًا ويُبْقُونَ أُخْرَى..
لِئَلاّ يناموا فيُقْضَى عليهم
بأنْ يُحْرَموا نفحةَ الخير فجرا:
ففيها صبوحٌ وفَوْحٌ زكيٌّ
ألا ما أُحَيْلاهُ فوحًا ونَشرا..
يروِّي أوامًا، ويشفي سقامًا،
ويحيي عظامًا، وينداح طُهرا،

---

(١) المساجين: ليس المراد بهم المعتقلين السياسيين فهؤلاء اعتبرهم أسرى بل عنى بالمساجين المحكومين في جرائم الحق العام الذين كان بعضهم في نفس السجن وكان بعضهم يقوم بخدمات التنظيف ويختلط بالمعتقلين السياسيين.

تـزيـدُ «المـديـريّـةُ» الخـيـرَ فيه
- كما قد تزيدُ الينابيعُ نهرا -
بِـذكـرٍ وقـرآنِ فـجـرٍ عـجـابٍ
سـرى فـي قـلـوب المساجين ذِكْـرَى!

فـيـا إخـوةً مـن وراء الجـدار:
هُـديـتُـمْ وفـزتُمْ دعـاةً وأسـرى..
وإنّ الأسـارى لـذلٍ سـواكُـم!
بـإيمـانـكُـمْ يُـرْغِـمُ الـلـهُ كـسـرى!

بـقـيـتُـمْ ظـهـيـرًا لحـقٍّ تـعـدّتْ
عـلـيـه الـطّـواغـيـتُ حـتّـى يُـقَـرّا!
ودمـتُـمْ حـمـاةً لمـجـدٍ تـلـيـدٍ
وبـنـيـانَ عـزٍّ سـمـا واسـتـقـرّا..
بـرغـمِ الأعـادي! فـطـوبَـى لـبـانٍ،
وطـوبـى لحـامٍ، ومـذخـور بُـشْـرَى!
أيـا حـامـلـي دعـوةَ الـلـهِ: لـوذوا
بـقـرآنِـكُـمْ إتّـكـالاً وصـبـرا،
وكـونـوا لـنـا - بـالـدُّعـاء المـرجَّـى -
عـلـى كـلِّ شـرٍّ مـعـيـنًـا وظـهـرا:
فـأنـتـم - لمـشـهـود بـرٍّ وفـضـلٍ -
لـكـم دعـوةٌ بـالإجـابـة أَحْـرَى!!

سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري»، ١٩٧٦م

****

١١ - يا أسمرا![1]

(تحية تجلٍّ وتقدير للثورة الإريترية، على أمل بزوغ النصر الوشيك!)

يا أسْمَرَا
يا قريةً جميلةً .. يا أجملَ القُرَى،
يا مهبط الرّبيع .. بل يا جنّةَ الذُّرَى:
إليك - يا جميلتي! - أقدّم السّلامْ،
من بقعةٍ شقيقةٍ أسطّرُ السّلامْ،
أخطُّ أسطرا..
في صفحةٍ قد سوِّدَتْ - من أبلغ الكلامْ
مستفهمًا - بجملةٍ تليق في المقامْ
بجملةٍ - يا أسمرا -
كأنّها صاروخ «سَامْ»:
(مَنْ ظنّنا بضاعةً بالمال نُشْتَرَى؟)
فأصبح السّؤالُ إذْ سرى
أنشودة الورى
- عريضةَ اتّهام -
في وجه مَنْ يَرَى
تلالُكَ الأبيّة الشّمّاء لقمةً تُرامْ
في حلمه الحرامْ!

---

(١) واضح أنها نظمت قبل الاستقلال.

النّار تنتشرْ

فتعقمُ البذورُ بينما يُحْرَقُ الشّجَرْ،

النّار تنتشرْ

لا شيء إلاّ النّارُ والرّمادْ

على مدى البصرْ:

فقد أشْعَلَ الجنودُ كلَّ وادْ،

وصادروا المَطَرْ

من أجل أن يستنبتوا بـ «أُمْ حَجَرْ»

أوهام اتّحاد ..

من بعده ضُمَّ لإلغاءٍ، فهل يمرْ؟

الغدر والعقوقْ ..

بحثًا عن السّرابْ،

هل تذهب الحقوق

- عندَ اسْتدامة الحريقْ -

دخان قشٍّ لا يُرَى بعد الذّهابْ؟

ليتَ النّجاشيّ القَديم آبْ ..

فأمّنَ المهاجرين خشية العذابْ،

وأطفأ الحريقْ،

وعالج الحروق؛

لكنّه - واحسرتاه! - في غيابْ،

وغابَ حكمُ العقل عن خَلْفٍ له يسوقْ

أجمل القرى إلى الخرابْ!

يا أسمرا:

سلامْ! ..

إلى الرّعاة والمزارعين أطيب السّلامْ ..

فصيلةً فصيلةً، معسكرًا معسكرا:

فالحُرّ لن يُضامْ

ما واجه العدوَّ ثائرًا مخطّطًا وفاتكًا غضنفرا!

وقصّةٌ جديدةٌ تحيط بالحريقْ

وَقُودها الشّبابْ

في بلدةٍ عدوّها رأى لها التّبابْ

لكنّها تفيقْ:

يهزُّها ثوّارها بالنّار والبروقْ،

فيقهرون البرد والصّعيقْ،

ويفتحون ألف مدخلٍ لألف ألف شاب

وقد دَعَوْا: (يا فاتحًا أيلول[1]: لن يسدَّ أيّ باب!)

وأمرهم مجاب:

(فلتصبحوا رفاقنا من مبدإ الطريقْ

- من أوّل اكْتتابْ -

رفاقَ مَنْ تنادَوْا ليعمروا اليبابْ:

فإنّهم هناك في ارْتقابْ

- ما بين لحظة القرارِ والمروقْ -

---

(١) فاتح أيلول: أول سبتمبر ١٩٦٣م تاريخ انطلاق الرصاصة الأولى في مسيرة الثورة الإرترية.

هناك عوّاتي[1] والصّحابْ،
وجبهةٌ تحرّرُ التّرابْ،
وموطنٌ تحريره شروقْ ..
يخطو إلى تحقُّقٍ في غاية الوثوقْ!)

النّارُ تنتشرْ
تدفِّئُ المنى ومن يرونها دمًا لِيُضْمَنَ الحصادْ!
النّار تنتشرْ
وإخوتي تعاونوا فجمّعوا الرّمادْ
في موكبٍ أغرٍّ
لأنّه السّمادْ
لموسمٍ، يرونه – مبشّرٍ ومزنةٍ ستنعش الشّجَرْ
فترجع البلادْ
مخضرّةً سعيدةً؛ وتحت ضحكة القمرْ
سيفرح البشرْ!

يا أسمرا
يا قريةً جميلةً .. يا أجمل القرى،
يا ساحةً – لا يُخيفها الصِّدام –
تزهو بتأريخٍ، وتحفظ العُرَى:
حيّي فمًا يقول للنّيام:
(لا وَقْتَ للكَرَى!)

---

(١) عواتي: الشهيد حامد إدريس عواتي قائد المجموعة المقاتلة الأولى لجبهة التحرير الإرترية.

.. وأنه لابدّ أنْ تُرَى
في كلِّ صبحٍ خطوةٌ إلى الأمام
تعزّزُ المؤشّرا:

سيسقط النّظام
لِيُبْتَنَى نظام
- يا أجمل القرى -
يقدّسُ النّظامْ
مصداقه حرّيّةُ الورى
في جنّة الذُّرى!

طرابلس، ١٩٧٤م

****

١٢ - إمام (١)

[الهزج]

إمـــــامُ الـــبـــلْـــعِ والـــهـــبْـــرِ
يـــبـــيـــعُ الـــدِّيـــنَ بـــالـــتِّـــبـــرِ:
فـــلا فـــي الـــزُّهـــد مـــذكـــورٌ،
ولا فـــي الـــعـــلـــمِ بـــالحَـــبـــرِ؛
وذو بـــطـــنٍ بـــلا قـــاعٍ
ولا شِـــبْـــعٍ ولا صـــبـــرِ،
إذا مـــا أُودِعَـــــتْ سُـــحْـــتًـــا
ثَـــوى مـــنـــهـــا إلـــى قـــبـــرِ!

إمـــــام الـــغِـــشِّ والـــزَّيـــفِ
حـــوى الألـــــوان كـــالـــطَّـــيـــفِ:
نـــفـــاقًـــا عـــنـــدمـــا يـــبـــدو
فـــلا تـــســـألْ عـــنِ الـــكـــيـــفِ؛
وإنْ تـــســـمـــعْ فـــلا تـــطـــربْ
لـــطـــبـــلٍ فـــــارغ الجـــــوف،
أحـــــقُّ الإنـــــس أنْ يُـــرمَـــى
بـــفـــحـــوى آيـــــة الـــسَّـــيـــفِ!

إمـــــامُ الخـــبـــثِ والـــمَـــكـــرِ
يُـــرائـــي الـــنَّـــاس بـــالـــذِّكـــرِ،

ولـــلـــحـــكّـــام روّاحٌ:

يـــســـومُ الـــرُّوح أو يُـــكـــري..

ويُـــفـــتـــي أنّـــهـــم أعـــلـــى

رشـــــادًا مـــن أبـــي بـــكـــرِ:

لـــهـــم بـــالـــحـــمـــد فـــيّـــاضٌ،

ويـــنـــســـى ســـجـــدة الـــشُّـــكـــرِ!

إمـــــامٌ جـــــاءَ بـــالـــمَـــيْـــلِ

وبـــالـــتَّـــطـــفـــيـــفِ فـــي الـــكَـــيْـــلِ:

يـــجـــافـــي الـــقِـــسْـــطَ مُـــذْ يـــصـــحـــو،

ويُـــقـــصـــيـــه الـــعـــمـــى الّـــلـــيـــلـــي!

يـــقـــول: «الـــرّأس لـــي وحـــدي!»

وقـــد وافَـــى مـــع الـــذَّيـــلِ!

لِجَـــنْـــيِ الـــشّـــكـــرِ حـــمَّـــادٌ،

وحـــرَّ الجَـــــريِ لـــلـــخـــيـــلِ!

إمـــــامُ الـــطَّـــعـــنِ فـــي غـــدرِ

هَـــوى مِـــنْ حـــيـــث لا تـــدري

... عـــلـــى ظـــهـــرِ قـــدِ اســـتـــرخَـــى

لـــودِّ الـــضَّـــمّ لـــلـــصَّـــدرِ:

يـــهـــوذا يُـــســـلِـــمُ الـــغـــدو

رَ، مـــطـــبـــوخًـــا عـــلـــى قِـــدْرِ،

إذا اسْتَنْجَزْتَه عهدًا
ترى الشَّيطان في بدرِ!

إمامُ اللّوّ واللّيْتِ
على ما كان من فَوْتِ،
وكلٌّ فائتٌ ... إلاّ
زكاةَ النَّفْطِ والزَّيْتِ
فما مِنْ مَوْسمٍ ولّى
ولا سِجّادَ في البيْتِ؛
لوِ اسْتجدى ولم يُلحِفْ
فللتّهديدِ بالموتِ!

إمامٌ لا يَرى عَيْبا
سِوى إفراغه الْجَيْبَا!
عنِ التَّصريف مصروفٌ
برغم بلوغه الشَّيْبَا..
ويتلو الشّعر - صرّافًا،
لأدنى عملةٍ! - غَيْبًا!
وأمّا النَّحْوُ والفصحى
فلم يكتمْهما الرّيبا!!

انجمينا، في ١٩٩٩/٦/٢٨م

****

١٣ - سنكرا

[المتدارك]

دمعُ (واقادقو)[1] لم يزل دفقًا مثل سَيْلٍ جَرَى،
فَهْيَ - في كلّ يومٍ - تَرَى ..
ذكرياتٍ غدتْ من أساطير مأساتها أسطرًا:
في الصباح الموشّى خيوطًا سماويّة للّمع في مثل لون الذّهبْ،
أسطرا:
عند مرِّ المساء الأثيريِّ، أو عندما يستحيل الكَرَى ...
حين تشكو غياب المثيل الْمجاري - على الأرض - تلك الشّهُبْ ..
عينُ (داقادقو) أوآنئذ لا ترى ماردًا من أساطيرها يلتهبْ:
بل ترى وجه قدّيسها (إذ وجوه النّبيّين لا تُنْتَحَلْ!)
فتنادي شرايينها في انْعكاسٍ لنبض القلوب التي ردّدتْ، لم تَهَبْ:

«سَنْكَرَا! سنكرا! ..
يا بْنَ إفريقيا! سنكرا!
يا منادًى إلى قمّةِ الخالدين الّتي تلتقي في زُحَلْ!
بل سليل المغنّين للشّمس، يا سنكرا!»
غير أنّ المُنادَى ارْتحلْ،
فاستقرّت على الأرض، من بعده، حول واقا سِنِيُّ المَحَلْ ..
والجفاف اعْترى ..

---

(١) وقادقو: أو واقا عاصمة جمهورية بوركينا فاسو (فولتا العليا سابقًا).

جُلَّ ما كان مخضوضرا ..

ضمن سوح القُرى ...

فالّذي قد ذهب ..

كان معنى (لُمُمْبا)[1] الّذي أدركته السُّحبْ ..

يومَ صبّتْ على عهده - وحده! - الْكَوثرا

(عهده؟ .. يا له مِنْ مَدًى مختزل!)

ثم صارت دخانًا. فما بلْ - مِنْ بعدُ - ذاك الثَّرَى..

غيرُ دمعِ الُجماهير إذ تنتحب:

«سنكرا! ..

يا هِرَقْلَ الّذي لم يَزَلْ..

باقيًا مِنْ مُهِمّاته نصفُها، واعْتزلْ! ..

يا حُضورًا تكثّف منذ الأزل ..

في غيابٍ نزل ..

بالملايين منّا نزولَ النُّوَبْ!»

كنتَ يا سنكرا

- يا دليل الألَى يَعْشَقونَ الذُّرَى -

كانبثاق المُنى في فؤاد الضّليل الّذي بالرِّمال اكْتحَلْ ..

فوق صحراءَ كُبرى ترامتْ سُؤالاً بدا، آنفًا، دون حل!

كنت يا سنكرا

بعض ترياق إفريقيا ضدّ سمِّ الدَّجلْ:

وَعْيَ مستضعفي عالَمٍ راكضٍ، في غرورٍ، إلى حيثُ لا مُنْقَلَبْ!

كنتَ يا سنكرا

---

(١) لمبا: باتريس لمبا رئيس وزراء الكونغو كنشاسا عند استقلالها وزعيمها الشعبي الذي اغتاله الاستعمار والخيانة.

في اعْتِراك المساكين[1] عند الحدود الكَدُوبات روحًا سرى ..

من بطولات أجدادهم، ثائرا،

ما اعْتراكَ الوَجَلْ ..

لا! ولم يعْمِ إيمانك الوحدويُّ الْغضَبْ!

كنتَ يا سنكرا

.. في بناء الطريق الحديديِ[2] رمز الجهادِ الّذي قد تحدّى الأَجَلْ!

.. في قلوبِ الْمُقودِينَ للخلف مستقبلاً إنْ يدوروا له يقتربْ!

.. في لجان الدّفاع[3] المَسيحَ الّذي أمْرُه المُرتجلْ ..

كان يُحيي مَواتًا وَمَوْتَى، ويستنطق الأعصرا ..

عن معادٍ أجلْ ..

لا عنِ الثّأْرِ، يومًا، إذا ما صُلِبْ!

كنت فينا ومازلت يا سنكرا

عُنفوانًا إلى اليوم...

ما تُنادِ القضايا يُجِبْ:

ما فقدنا سِوَى وجهك المحتجب ..

والرُّكونِ المريح إلى قدسيّةِ ما بيننا من عُرَى ..

ثُمَّ بعضِ البراءة أيضًا! مَضَى كلٌّ ذا في عجل ..

تاركًا موضعًا في الحنايا بإفريقيا مستقرًّا لبعض الخجل،

بينما صرتَ يا سنكرا ..

فوق كيد الإخاء وفوق التّناسي، وفوق العجب ..

---

(١) اعتراك المساكين: الحرب الحدودية بين فولتا العليا ومالي وكانت أول ساحة يشتهر فيها النقيب توما سنكرا على نطاق واسع.

(٢) الطريق الحديدي: طريق القطار الذي بني بالجهد الذاتي والمبادرة الشعبية تحت توجيه سنكرا.

(٣) لجان الدفاع: التنظيم السياسي الذي أنشأه سنكرا باسم «لجان الدفاع عن الثورة».

من موالين قد أنكروك ثلاثًا وما صاح ديكٌ صحا بعد، بل وانْبَرَى ..

ناطقٌ باسمهم «يَشْجُب» الضّعف – يعني الأسى! – في الرّجل!

دمتَ مستنهضًا من بكى، داحضًا من «شجب» ..

دمتَ يا مَنْ حفظناك تجسيدَ حُلمٍ عزيزٍ على الرّبِّ أنْ يُقْبَرَا:

وهْجُه سَرمدِيٌّ يلفُّ الورى ..

عزفُ قيثاره[1] توأمٌ للحداء المحرِّض طاقاتِ كلِّ النُّجُبْ ..

أو قسيم الرِّجل! ..

فعله فعل جيشٍ لَجِبْ ..

يومَ يقتاد قومي مِنَ الإستكانة مهما جرى ..

في انْطلاقٍ جريءٍ إلى ما يَجِبْ!!

انجمينا

(بدئ في كتابتها أغسطس١٩٩٧م

ثم أكملت في فاتح يونيو ١٩٩٨م)

****

(١) كان سنكرا يعزف على الجيتار وفعل ذلك أمام الجموع ليعلم المطربين كيف يغنون للوطن بدلاً من الاستغراق في الغناء للحبيبة.

١٤ - أيُّ صَحْوٍ

[الرمل]

مـا بـقـصـرٍ كـان فـخـري واعْـتـزازي،
بـل بـيـوت الـطّـين ذخـري «والـكـوازي»[1]
حـيـث تـلـقَـى كـلُّ ريـفـيٍّ عـزيـزٍ
مـؤمـنٍ بـالـبـذل مـن قـومٍ عـزاز
يـعْـشـقـون الـوحـدةَ الـكـبـرى خـيـارًا،
لا شـعـارًا تحـتـه تُـخـفَـى المـخـازي
يـلـمـسـون الحـقَّ مِـنْ خـلـف الـدَّعـاوَى،
بـيِّـنٌ فـي سـمـعـهـم وقـعُ الـنَّـشـاز!
مـا اسْـتـوتْ تِـرْبـان فـي عـين فَـحْـلٍ:
هـذه عـجـزاء، والأخـرى تُـبـازي!
رغـم تـلـفـازٍ لجـوجٍ لـم يَـفُـتْـهُـمْ
أنَّ أمـريـكـا لَـوَتْ رأسَ الجـهـاز!
إنَّ واشـنـطـنْ وقـد رَبَّـتْ عُـجـولاً -
أُشْـرِبَـتْ فـي الـقـلْـب عـجـل الإنْـجـيـاز:
.. فـاسـتـمـالـتْ ثُـلَّـةً، لـكـنْ لـقـومـي
فِـطْـرَةٌ لـم يَـعْـرُهَـا أيُّ اهْـتِـزاز:
مـا فِـلَـسْـطـيـنُ الّـتـي يَـهـوون أرضًـا
عـنـدهـم، بـل إنَّـهـا مَـغْـزى المـغـازي

---

(١) الكوازي: جمع «كوزي» بالعامية التشادية ويعني كوخ.

.. والألـى قـد حـاصـروا الأقـصـى رُمـاةً

ثَـمَّ بـالـقُـفَّـازِ فـي وجـه الحـجـازِ،

هـم - وإنْ كـانـوا كـأهـل القصر شكلاً -

أنـكـروا تـطـبـيـع سِـرْبٍ بُـرجـوازي!

لـو لـيـالٍ بـالـلـمَّـاتِ انْـلـهـمَّـتْ

فـاختبرْ - إذْ أنْـتَ فـي ضـعـفٍ - وراز:

أسـرعُ الآتـين هـم، أمَّـا سِـواهـم

فـالـعـجـالَـى عـنـد غُـنْـمٍ وانْـتِـهـازِ!

ضـلَّ سـعـيًـا مَـنْ تَـحـاشَـى ظـلَّ طُـورٍ

مـسـتـظـلاًّ مِـنْ هَـجِـيـرٍ بـالحَـرازِ!

هـؤلاء الخـضـرُ هـم مِـلـحُ الأراضـي،

هـم - إذا ارْتَّجـتْ - أسـاسُ الارْتـكـاز:

هـم فـدائـيّـون فـي وجـه الأعـادي:

يَـحـرسـون الـرَّبْـعَ مِـنْ عـادٍ وغـازِ!

لا تـسـلْ عـن سـرِّهـم! فـالـسِّـرُّ حـبٌّ

يـجـعـل الإنـسـان حـيًّـا بـامْـتـيـاز!

لـلـحـيـاة الأصـل مـاءٌ .. غـيـر أصـلٍ

- يقتضيه الحـيُّ فـي الـدنـيـا - مُـوَازِ:

دونمـا حـرِّيَّـة مـا مِـنْ حـيـاةٍ،

بـيـنـمـا اسْـتـغـنـت عـن المـاء الجـوازي!

إنْ يـكـن فـي الـنَّـاس مَـنْ يـرضَـى بضيمٍ

فـالأَبِـيُّ الحُـرُّ يَـأبَـى أو يـجـازي:

شـــأنَ زِلـــزالٍ طـوى مـغـزى أريـحـا،
وانـتـفـاضِ الأرض ضـدَّ الانْـغـراز!
أدعـيـاءٌ فـي بـنـي يـعـقـوب جـاءوا
مِـنْ شَـتـاتٍ لانـغـراسٍ واحـتـزاز:
هـل لإسـرائـيـلَ مـن نَـسـلٍ رَمَـتْـهُـمْ
فـي فـجـاج الأرض حـمّـى الاكـتـنـاز؟
لا! .. ولا صـنّـاع صـهـيـونـيّـةٍ مِـنْ
قـاتـلـي الأطـفـالِ قـصْـدَ الاحـتـراز!
لـيـس مِـنْ أسـطـورةٍ تـكـفـي كـحـكـمٍ
بـالـرَّدَى أو غـصـبِ حـقٍّ واحْـتِـيـاز..
إنّمـا المـسـتـعـمـر الأرض ادّعـاهـا
مـلـجـأ الـشُّـذّاذِ مِـنْ أفـران غـاز..
ثُـمَّ بـثَّ الـغـرب - فـي فـحـوى حـقـوقٍ
قـيـل لـلإنـسـان! - فـتـوى بـالجـواز:
تـلـك فـتـوى الاغـتـصـاب الـفـظّ جـاءتْ
ضـمـن آلـيّـات فـنّ الابـتـزاز!
لا يـسـمّـى المـرءُ إلاّ مـا تـراءى
مـاثـلاً حـقًّـا لـه أو فـي المـجـاز،
نـحـن أطـلـقـنـا عـلـى الإحـسـان اسـمًـا،
هـل نَـحَـتْـنـا نـحـن أم هـم لـفـظ «نـازي»؟
إنّ مَـنْـحـوتًـا عـلـى الأحـجـار أبـقَـى
مِـنْ نـقـوشٍ فـوق لـوح الأُرْدُوازِ!
حـسـبـهـم يـومـان فـي الـتّـأريـخ ذكـرى
فـيـهـمـا درسـان مـن بـين المـغـازي:
مـا تـلا الأحـزاب درسٌ مـسـتـفـادٌ...
كـالّـذي أبـقـتـه بـدرٌ فـي الـطّـراز:

ذاك يـــومٌ كـــان فـــي الأيّـــامِ بـــدرًا

فـيـه ســـوقٌ لا كـمـعـنـى ذي الـمـجـاز!

يـا أبـا سـفـيـان: لا مَـنْـجَـى لـعـيـرٍ،

والـنّـفـيـر الـيـوم، أيـضًـا، لـلـبـوازي!..

وانـتـفـاضـات الأراضـــي آيُ صـحـوٍ،

مـسـتـحـيـلٌ وضـعـه فـي الاحـتـجـاز!

.. فـالجـهـادُ الـمـسـتـمـرُّ الآن روحٌ،

والـخـلـود الحـقُّ مـوتُ الـكـامـكـازي[1]

انجمينا - في١٣/٢/٢٠٠١م

****

(١) الكاميكاز: المتطوع الانتحاري الياباني الذي يموت وهو يدمر هدفًا معاديًا.

١٥ - عصا موسى

[المتدارك]

(ألقيت في الأمسية الشعرية التي تخللت أعمال ندوة «الدراسة التقابلية والمقارنة بين اللغة العربية ولغات الساحل الإفريقي» وهي ندوة نظمتها منظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية متعاونتين مع جامعة انجمينا، في الفترة من ٢٨: ٣٠/١٠/٢٠٠٢م بوزارة الخارجية والتكامل الإفريقي في انجمينا).

أوَ نُعطي الآخَرَ تقديسا...
ويحاكي الآخرُ (نرسيسا)؟
هو طبعٌ صاغ رُؤَى كلٍّ،
وغدا في الرّوح تضاريسا!
ستفيضُ الكأسُ بما تحوي،
ويزيدُ المفلسُ تفليسا!
ونظلُّ الدهرَ تأسّينا
بإمامٍ عانقَ قسّيسا!
نتعاطَى ألسنةً تثري،
ونعيشُ الوحدةَ ناموسا...
زرعَ المستعمرُ في خُبثٍ
جِيَلاً تستلهم إبليسا
فجموعٌ تُبْهَرُ بالكوكا،
ودروسٌ تحمل فيروسا

وَغَـــــدٌ قـــد بـيـــع فِـــــدَا قـــرضٍ

وَجِـــــلَ الـتَّـكـشـيـرة مـهـووسـا،

وطـبـيـبٌ يـحـتـلـب المـرضَـى

وبـيـســرٍ يُـــرْسَـــمُ قـدّيـسـا؛

وصـلـيـبٌ عُـلّـــقَ تـألـيـفًـا،

ويـنـافـي الـفـعـل هُـــدى عـيـسـى!

قِـــيَـــمٌ تـســتـهـدف تـكـيـيـفًـا

لـنُـغَـذّي المـنـطـق مـعـكـوسـا!

مـعـكـم لـن تـسـقـطَ أو نـنـسـى،

وسـيـأبـى الـبـيـرق تـنـكـيـسـا:

فَـلأنْـتُـمْ مِـــنْ فـئَـةٍ جـاءت

بـجـواب الـنّـهـضـة مـدروسـا؛

فـأرتْـنـا عَـــوْلَـــةً تجـدي،

وأرَتْ فـي الـعَـوْلَـةِ الـسّـوسـا:

صـدقـتـنـا الـرّؤيـة والـرّؤيـا،

وَدَنَـــتْ كـي تـبـعـد كـابـوسـا!

ولـئـن، فـي الـشّـرق زَهـتْ شَـمـسٌ

بـعـروسٍ قـد «نـفـض الـكـيـسـا»[1]..

فـهـنـا لـلـضّـادِ بـكـم غُـرسٌ

وضـيـاءٌ كُـــرِّسَ تـكـريـسـا!

شـعـراء الـبـلـدة قـد لاقـوا

ألـقًـا فـي الـنّـدوة مـحـسـوسـا..

---

(١) نفض الكيسا: يطري العروس في السودان بقولهم «العريس نفض الكيس» كناية عن كرمه ومبالغته في توزيع العطايا.

بـــبـــيـــانٍ، أُبْـــــــدِعَ، ســـحـــريٍّ

يـــدع الـــمُـــســـتـــعـــصـــيَ مـــأنـــوســـا!

وبمـــوســـيـــقـــى ســـمـــقـــت نـــســـقًـــا

كـــصـــروحٍ تُـــذْهـــشُ بـــلـــقـــيـــســـا![1]

فـــســـمـــعـــنـــا الْخُـــلَّـــص: لا رومـــا

وفـــرنـــســـيِّـــين، ولا روســـــا!

ســـيُـــبـــاحُ الـــيـــوم إذا قـــمـــنـــا

بـــحـــديـــثٍ يـــبـــدأ مـــهـــمـــوســـا:

«هِـــمَـــمٌ هـــبَّـــت وســـعـــت حـــتَّـــى

قـــرعـــتْ بـــالـــنَّـــدوةِ نـــاقـــوســـا،

عـــمـــلٌ قـــد مـــاثَـــلَ نـــيَّـــاتٍ،

فـــســـقـــى مـــا خُـــلِّـــدَ مـــغـــروســـا!»

ويـــضـــيـــف الـــقـــائـــل: «مـــا أشـــمَـــى

ســـرَيـــانَ الـــشِّـــعـــر إذا قـــيـــســـا!..

وقـــصـــيـــد الـــلـــيـــلـــة بـــاقـــاتٌ

ضـــمـــنـــتْ لـــلـــصَّـــامـــت تـــنـــفـــيـــســـا:

فـــأتـــى الـــحـــــادون بـــآيـــاتٍ؛

وأتـــى عـــيـــســـى بـــعـــصـــا مـــوســـى!»

انجمينا، في ٢٩/١٠/٢٠٠٢م

****

(١) بلقيس: ملكة سبأ زمن نبي الله سليمان عليه السلام.

١٦ - دعوا هؤلاء!

[الطويل]

شبابٌ عَناهُمْ - بعد خُلقٍ - تخصّصُ،
وبعضُ قضاياهم خمورٌ ومَرْقَصُ:
فريقٌ على دينٍ ودرسٍ ودعوةٍ،
ولِلآخَرِ الإدمان ثُمَّ التَّلصُّصُ؛
هنا الالتزامُ الْحقّ حبًّا وغيرةً،
وتُهْوَى، هناك، القهقرَى والْتَملُّصُ..
فأيُّ الفريقين المرجَّى لنهضةٍ
إذا البوق نادَى .. والقدامَى تقلَّصوا؟
سؤالٌ «رجال الأمن» أخفَوْا جوابه
بهمسٍ عنِ «الإرهاب .. يعني» وبصبصوا!
فما لِلْغَيارَى يا «حماة الشّعب» - أمرُهم
على رأس مشبوهاتكم ليس ينكصُ؟
لماذا نراكم حيثما سار مُلْتَحٍ
وأنتم على آثار من سار شُخَّصُ؟
.. ومندوبكم ساعٍ إلى كلِّ مسجدٍ،
وقرب الزّوايا في الّليالي مقرفِصُ؟
كأنَّ الّلحَى تخفي سلاحًا يخيفكم!
تعالَوْا بأمشاطٍ إليها لتفحصوا..

فـإنْ شَـذَّ شـكـلٌ غـيـر مـرضٍ فـشـذِّبـوا،
وإن رابَـكُـمْ طـولٌ فـحـفُّـوا وقـصِّـصـوا!
.. ولا تـسـتـعـيـدوا مـسـرحـيّـاتِ أعـصـرٍ
خـلـت، فـالـتـزام الـنَّـصِّ أرخَـى وأرخـصُ!
وأمّـا الـحـجـاب الـمـسـتـحـيُّ فـخِـرقـةٌ:
خذوها، فجسّوا، واغسلوها، ومصمصوا ..
وقـومـوا بـفـحـصٍ مـعـمـلـيٍّ مـكـرّرٍ
عـلـيـهـا، يـرعْـكـم كـيـف طـاش الـتَّـربُّـص:
فَـمَـنْ جُـلْـنَ فـيـهـا نـاشـئـاتٌ عـلـى تـقًـى،
ودِيـعـات طـبـعٍ، لـسـن ممّـن يـنـغِّـصُ؛
فـخـلّـوا بـزيـنـاتٍ يـراهـنَّ جـنـده
- كـإخـوانـهـنَّ الـغـرِّ - حـقٌّ مـحـصـحـص
دَعُـوا هـؤلاء الـرَّهـط، إذْ إنَّـهـم دَعَـوْا
إلـى أفـضـل الـغـايـات، لـكـنّـهـم عُـصُـوا!
فـإنْ يُـكْـتَـشـفْ لـلأمـن خـرقٌ فـغـيـرهـم
بـتـدقـيـقـكـم أحـرَى: تـحـرَّوْا ومـحِّـصُـوا!
أَجُـنَّ الّـذي ظـنَّ الـغـيـارَى عـصـابـةً،
وأنَّ الـسَّـكـارَى عـلـى الأمـن أحـرصُ؟
ألـم يـأْنِ لـلإيـمـان أنْ يـسـتـمـيـلـه؟
بـلَـى! فَـهْـوَ فـي الإنـسـان ينمو وينقصُ!
ومَـنْ كـان، قـبـل الـصُّـبـح، سربـالـه الـدُّجَـى
فـإنَّ الـسَّـنـا، بـعـد الّـلـيـالـي، يـقـمِّـصُ!
وَمِـنْ فـضـل مـولانـا، تـعـالَـى، قـبـولـه
مـتـاب الّـذي يـأتـيـه والـقـلـب مُـخْـلِـصُ!
انجمينا، ٢٤/١٢/٢٠٠٣م

****

١٧ - مالم

(في ذكرى رجل المبادئ والمواقف المعلم الراحل/ أمينو كانو، المثال السياسي النيجيري - بل الإفريقي - الفذ!).

بَـلـيّـتُـنـا ذئـــابٌ تـطـبّـعٍ! مَـعِـطُـوا،
فـعـمّ الأفْــق - مـن فَـتَـكـاتـهـم - قَـحْـطُ
إداريّـــــونَ أو مـتـسـلّـطـونَ ذوو
نـفـوذٍ، أصـلـه الإفـــرنجُ، أو شُـــرَطُ
وقـــادةُ عـسـكـرٍ، وحُـثـالـةٌ - بُـعِـثـوا
جـبـاةً - لا يـــؤدّون الّـذي اخْـتـرطـوا
ومِـــنْ زعـمـاءَ - مـزعـومـين - مبدؤهـم
مـتـاجـرةٌ، وكـلُّ حـديـثـهـم سَـقَـطُ..
ومـنـحـرفـينَ كـانـوا فـي شَـفـاف قـلـو
بِـنـا، زمـنًـا مـضـى.. لـكـنّـهـم شَـحَـطُـوا..
إلـــى خـلـفٍ بُـــداةٍ كـم يـحـيّـرنـي
تـبـجُّـحُـهُـمْ بمـا سـقـفـوا ومـا بـطـلـوا!
لأوربّـــا، إذا حـــجّـــوا، تـيـمّـمـهـم:
فـفـيـهـا تُـوضَـع الأســـلابُ والخُـطَـطُ
يـرومـون الأمـــان لـدى مـصـارفـهـا،
عـلـى أنّ الأمـــانـــة عـنـدهـم غـلـطُ!!

وفـــاحـــتْ ريـــحُ نـفـطٍ مـــن مـنـابـعـنـا،
فَـكَـالـوَرمِ الخـبـيـثِ إذا بـهـم نـفـطـوا
إذا لاقـــوكَ إذْ لـلـرحـلـة انْـطـلـقـوا
بَـــدَوْا وكـأنّـهـم خـلـف الأغـــا[1] أُرَطُ!
فـإنْ سـرقـوا فـهـم فـي الـسـرقـة اعْـتـنـقـوا
ديـانـتـهـم، فـأمـر أبـرّهـــم فُـــرُط
وإنْ غـــدروا فـتـلـك سـجـيّـةٌ شُـهِـروا
بـهـا، لا فـلـتـةٌ طـــرأتْ ولا فَـلَـطا!
وحـــول فـجـورهِـمْ حـدّثْ ولا حـرجٌ:
ســـدومُ لـهـم وعـامـــورا[2] هـمـا الـنَّـمَـط!
لحـاهُـمْ والـعـمـائـمُ شـابـهـوا بـهـمـا
أئـمّـتـهُـمْ، وتُـشـبَـغ كـلّـمـا جـلـطـوا:
فـتـلـك عـمـائـمُ الـفُـسّـاق، واقْـتُـطِـعَـتْ
ليُـخـفـيَ تحـتـهـا الخـسـران لا الـشَّـمَـط،
وقـد خُـلِـطـوا، كـمـا سـيـطـتْ أئـمّـتـهـم،
بمِـسـواط الـفـضـائـح ثَـمّ، فـاسْـتَـوَطـوا!
هـم الـقـطـط الـسِّـمّـان المـــزدراة أتـت،
وقـد خـرجـت مـن الـصّـفَـحَـات، تسـتـرط
ومُـنـذئـذٍ تـعـدّوا رسـمَ مـسـخـرةٍ
تـشـكّـلـه خـطـوط الحـبـر والـنُّـقـط:
تـنـمّـرت الـدُّمَـى قِـطـطًـا وقـدوتـهـا
«دَرَاكُـــــولا»، ولـكـنْ صـوفـهـا قَـطَـط

(١) الأغا: لقب تركي. أرط: جمع أرطة وهي تسمية تركية بمعنى فرقة عسكرية.
(٢) سدوم وعامورا: قريتان تذكر التوراة أن الله تعالى دمرهما عقوبة لأهلهما المفسدين وهما قريتا قوم لوط.

وفـي الـوطـن الّـذي ذبـحـوه فانْفضـحوا

يمـوت الـكـادحـون لـتسـمـن الـقِـطَـط!!

أَسِـفْـتُ عـلـى ضـمـائـر لـم تَـعُـدْ ذممًـا

إذا مُـسَّـتْ بِمـرّ الـرّيـح تَـنكَـشِـط

ضـمـائـرُ بـعـضـهـا عـربـيّـةٌ تَـتَـنَـتْ،

وإفـريـقـيّـة بـالـطّـين تـخـتـلـط...

فَـرُحْـتُ أجـوب ذاكـرتـي أسـائـلـهـا:

«أمّـا فينا - حديثًا - سيّدٌ مَـخِـط؟...

وهـل عَـقِـمَـتْ - عـلـى أيّـامـنـا - دُوَلٌ

ورثـنـاهـا، فـمـا نَجُـبَـتْ لـنـا خُـلُـط؟»

فـلاحَ «أمـينُ كـانـو» لـي، فـمـن وجـعـي

بكيتُ وكم بكتْ «مـالْـم»[1] - أسًـى - خِبَط

«فـمـالـم» كـان فـي «كـانـو»[2] مُـعَلّـمـهـا

ومَـعْـلَـمَـهـا الّـذي يـزهـو بـه الـوَسَـطُ

زعـيـمُ الـقـوم إيـثـارًا، وتـضـحـيـةً،

وبـذلاً دائـبًـا: يـعـطـي ويـغـتـبـط!

قَـد اسْـتَـوْحَـى «الـتّـلاكـاوا»[3] ، فمثّلها،

وهـمّ الآخـريـن تـكـسّـبُ حَـبِـط...

كـحـدّ الـنـاس قـد كـانـت بـصـيـرتـه

وهـم عُـمْـيٌ، غـشـاء قـلـوبـهـم زلـط!

---

(١) مالم: لقب أصبح رغم شيوعه في شمال نيجيريا كالعلم على الحاج أمينو كانو رحمه الله واللفظ تحريف لكلمة «معلم».

(٢) كانو: أو كنو أكبر المدن في شمال نيجيريا وأكثرها راديكالية سياسية وهي معقل الفقيد الذي ما كان ينافسه فيه أحد.

(٣) تلاكاوا: البسطاء الكادحون بلغة الهوسا وكان «مالم» - المدافع القوي عن حقوقهم - كثير الترداد لهذه الكلمة.

تحـدّى، لـم يَـخَـفْ، مستعمرًا شرسًا

ومـا أثـنـاه، فـي إقـلـيـمـه، الـسّـخَـطُ!

ولّـا نِـيـلـتِ الحـرّيّـةُ ارْتـفـعـتْ

عـقـيـرتـه بـرأيٍ قـلّـمـا يَـبِـطُ:

فلم يفهمْهُ أهلُ الحكم - من عُقَدٍ -

شِمالاً أو جنوبًا: وَفْقَ ما ارْتهطوا

فـقـاد مـخـالـفـوه الاتّحـاد إلـى

شَفا جُرُفٍ ... كذلك يصنع الشّطَطُ!!

وجـاء العسكر الحكام فامْتخطو

ه، بين الأسْيُفِ القُضْب الّتي امتخطوا!

وقُـلِّـدَ سلطة الأرزاق حين جرت

بنيجريا سيول المال تنهَبِط:

فلم يرْها غنيمته التي كسبتْ

يداه! فإنّما هُوَ خادمٌ نشط...

وسيّده هو الشّعب الّذي، أبدًا،

يراه كما رأى أسنانه المُشُطُ...

فما أثرى! وما أَلْهَتْهُ عن مُثُلٍ

عَقاراتٌ، ولا دورٌ، ولا خِطَطُ!!

... ولم يَتَقاضَ يومًا نِسبةً مِئَوِيّـ

ـةً لِيُجيزَ عقدًا شابَهُ رَقَطُ..!

ولم يُنْفِقْ، لمتعته، النّقود على

شريكةِ موبقاتٍ فرعُها سَبِطُ!

فلمّا غادر الكرسيّ غادره

سجالٌ للعلا - بالحقّ! - مُفْتَرَطُ!

وظلّ على مبادئه يجسّدها

وينشرها، وبالمعروف ينبسط!

إلى أنْ طلّتِ الأحزاب ثانيةً

وثمّةَ حزبه الجذريّ منخرط:

يناضل للتّلاكاوا بلا كللٍ..

لكي يسترجع الحقَّ الّذي غُمِطُوا!

وفي التّرشيح كان «أمينُ» فارسهم

بمِضْمار الرّئاسة ساعيًا يَخِطُ..:

ترشّح للرّئاسة كي يسخّرها

لمجتمعٍ تكاد عراه تنفرط!!

فأعيا الطّعن فيه منافسيه عدا

تجنّبه الضّرائب حسبما لغطوا..

فلمّا فُتِّش الموضوع بان لهم

أمينُ القوم كيف يلي وينضبط:

فممّا تُقْتَضَى عنه الضّرائب لم

يكُنْ في مِلْكِه سَقَطٌ ولا لَقَطُ!..

وما ملكت يداهُ سوى ضرورته،

كأيِّ مزارعٍ ممّنْ بِهِ ارْتبطوا..

فلم يدفع عُشُورًا فوق ما دفعوا،

وما هضم الحسابَ، ولا هُمو قسطوا!

ومـــا لـــم يـرتـهـن مـا لَـــمْ قضيّتهم
فـكـيـف يـلـمّ أمـــــوالاً ويـلـتـقـط؟
بـــخٍ!... لـلـهِ أنـت! فـقـد ضَـرَبْـتَ لنا
مـثـالاً يـحـتـذيـه الـعُـرْبُ والـنُّـبَـطُ
فَـنَـلْ - وعـلـيك رحـمـة ربّـنـا - مِـنَـنًـا،
فـقـد ألجـمـتَ نفسك إذْ كَـفَـتْـكَ «قَـطُ!»
ولـــو أنّـــا تمـثّـلـنـاك مـــا ارْتحـلـتْ
رؤوس الحـكـم لـلإحـسـان تَـخْـتَـبِـطُ
ولا اسْتَبْقَى بـه - سـفـهًا - سياحتهم
هـنـا وزراء ســـوءٍ دأبـهـم نُـطُـطُ..
يـــحـــوزون الـكـمـالـيّـات فـــي بـــذخٍ
ومـــيـــزانـــيّـــةُ الـتّـعـلـيـم تـنـضـغـط!
مـضَـى «مـالـم» ولـم يـأخـذ بمسلكهم
ومـــا اسـتـهـوتـه أسـفـارٌ ولا بُـسُـطُ...
ومـــات أمـــينٌ كـانـو زاهـــدًا وَرِعًـــا!
غيابك - يا أمـينُ - حضور مَنْ سقطوا!
ولـكـن كـيـفـمـا غـصـبـوا أَوِ انْـتـبـهـوا
فـلـيس تـشـابِـهُ الأمـثـولـةَ الـفُـوَطُ
لـئـن أخـلـوْا بـيـوت المـال مـن عَـرَضٍ
فـفـي «مـا لـم» لأهـل مـــروءةٍ فَـــرَطُ..
ومـنـهـجـه سـيُـنْـصَـرُ! فـالـرّحـيـم يَـرَى،
ويـنـشـر لُـطْـفَـهُ مـن بـعـد مـا قـنـطـوا!

انجمينا، في ١٦/٨/١٩٩٧م

****

١٨ - دالٌ بَعْدَها نُقْطَة

[المتدارك]

دكـــــتـــــوراهُ! يـــا لُـــقْـــطَـــهْ
حـــيـــث الـــنّـــاس مُـــشْـــتَـــطَّـــهْ!
فـــيـــكِ الْـــبـــعـــض كـــم غـــالَـــى
ســـعـــيًـــا... أو فَـــبِـــالـــنَّـــطَّـــه..
فـــاحـــتـــازتْـــكِ أفـــــرادٌ
فـــي الـــتَّـــصـــنـــيـــف هـــم خَـــلْـــطَـــه!
أهـــــلُ الـــــدَّالِ أنـــــواعٌ:
مـــنـــهـــم نـــافـــعٌ رَهـــطـــه..
عـــلـــمًـــا فـــــوق أخـــــلاقٍ
أعـــلَـــى فـــيـــهـــمـــا ضَـــبْـــطَـــه
لا يـــخـــتـــالُ فـــي تـــيـــهٍ،
ســـمـــعٌ، نـــادرُ الـــسَّـــقـــطـــه
إنْ أفـــتَـــى فـــتـــرجـــيـــحًـــا
كـــان المحـــتـــوى شـــرطـــه
لـــم يـــجـــعـــلْ «أنـــا عـــنـــدي
فـــي هـــذا ...» لـــه خُـــطَّـــه!!
والإنـــتـــاجُ عـــنـــقـــودٌ
زكّـــى الْـــجـــتـــنِـــي خَـــرْطَـــهْ!
... أيـــضًـــا مـــنـــهـــمـــو (مـــســـيـــو)
عـــقٌّ الـــعـــنـــق بـــالـــرَّبـــطـــه

قـــالـــوا: «ســـيّـــدُ!» ، قـلـنـا:
«تـتـلـوهـا، هـنـا، قِـشْـطَـهْ!(1)»
أمّـــا الآيـــة الـعُـظـمـى
فـالـمـغـرور كـالـقِـطّـه...
مـــلء الـنـفـس تـعـقـيـدٌ
والأخـــلاق مـنـحـطّـه
حـتّـى الاسـم قـد أمـسَـى
«دكـتـورًا» بـلا حِـطّـه!
إنْ تحـطـطْ فـسـاديٌّ
قـد سـعّـطـتَـه الـشّـطّـه
لـو نـاديـتَ لـم تـذكـرْ
دالاً بـعـدهـا نُـقـطـه...
أضـحَـى عـاريًـا حـتّـى
دائـي المـوت بـالجَـلْـطـه!
لـو صـحّـحـتَـه يـومًـا
تـلـكـم عـنـده الـغـلـطـه
فَـهْـوَ الـعـالـم الأولَـى
بـالـمـفـتـاح و«الـشّـنْـطَـه»:
لا تجـرؤْ فـتـسـتـفـهـمْ
عـن أمـرٍ قـدِ اخْـتـطّـه!
هـل فـي الـعـلـم ألـقـابٌ
قـامـت دونـه شُـرْطَـه...
فـالـزُّلَـفـى لـهـا حـكـرٌ
لـكـنْ لـلـورَى ورطـه؟

---

(1) سيد... قشطة: يدعى القرد بالعامية المصرية «سيد قشطة».

لا تحـــفـــلْ بـتـقـيـيـدٍ
إنّ الـقـيـدَ ذو سَـخْـطَـه...
إلاّ فـــي فـــرنـــســـا إذْ
قـيـدٌ أضـحـك الـبـطّـه[1]!
رُبَّ الـقـيـد - فـلـتـدركْ
مـعـنًـى هـذه الـضُّـغْـطَـه -
لـيـس الـعـلـمُ مـرمـاهُ
أو مـا فـيـه مـن غَـبْـطـه:
فـالأبـحـاثُ أجـراهـا
فـي بـحـثٍ عـن الـسّـلـطـة؛
مـا زادتـه فـي الـرّؤيـا
أو فـي الـعـلـم مـن بَـسْـطَـه،
فَـهْـوَ الآن فـي أُفْـقٍ
صـنـوُ الـصّـانـعِ «الأُسْـطَـه»...
أو كـالـسّـارح الـراعـي
أو بـيّـادة الأُرْطَـه!
هـادينـا وإيّـاهـم
لا تُـغْـيـيـه «سَـلْ تُـعْـطَـهْ!»
فـلـنـسـألْـهُ تـخـلـيـصًـا
الـتّـيّـات مـن خُـلْـطَـه:
إخـلاصًـا يـقـي الـسـعَـى
- مـهـمـا نُـمـتـحـنْ - حَـبْـطَـه!

انجمينا، في ١٥/٨/٢٠٠٢م

****

(١) قيد أضحك البطة: إشارة إلى الدورية الفرنسية الساخرة «لو كانار انشيني» أي البطة المقيدة.

١٩ - لحقّ الرّضيعة![1]

(١)

[المتقارب]

كوابيسُ – أمستْ مِنَ الواقعِ الآن فينا – فظيعَهْ:

ففي كلّ يومٍ تحومُ الصّقور السّريعه[2]...

تغطّي المَدَى؛ والطّرائدْ ...

نساءٌ ترمّلنَ، أو أمنياتُ البنات الوديعه؛

ومستشفياتٌ، وروضات طفلٍ تغنّوْا بحُلْوِ القصائد ..

وما لُقِّنوا أنَّ من فوقهم شرٌّ صائدْ:

فلم يحتموا من زمان الفجيعة:

كما لم يَفِدْهم لجوءٌ إلى مجلس الأمن مِنْ بعدُ أدنَى فوائدْ؛

فهل ثَمَّ من ملجأٍ يُرتَجَى غيركم سنّةً – في اعْتقادٍ – وشيعه؟

كفافُ المَوائدْ ...

عفافُ الخرائدْ ...

مَصيرُ المجدّين في مصنعٍ للنّضائد ...

---

(١) (ألقيت في حفل التضامن مع شعب العراق الذي أقامته رابطة الطلبة التشاديين خريجي العراق بانجمينا في مبنى وزارة الخارجية).

(٢) الصقور السريعة: طائرات «التحالف» التي تحلق فوق منطقة حظر الطيران بالعراق.

وحقّ الرّضيعه ...

- على صمتِها - في حليبٍ وبعضِ الوسائدْ ..

ومعنًى مُصَلّى وحوزات علمٍ وديرٍ وبِيعه ...

ونهجٌ يفي بانْدحار المكائد ...

ألاَ كلّ هذا سَيبقى لديكم وديعه:

فإمّا حَفِظْتُم - برغم الشّدائد -

وصنتم، فكنتم - كأجدادكم - في الطّليعه...

وإمّا رَوَتْ عنكم الألسن الشّامتاتُ الْحدائد:

(تخلّت قريشٌ، فذَلّتْ ربيعه؛

وكانت قريشٌ إذ ما نَوَتْ نَصرَ إخوانها مستطيعه!)

(٢)

على بُعْدِ ميلٍ منَ البصرة اليوم كم من صريعه ...

ومن ياسرٍ مبتلًى يشتكي صارعيها إلى الله! كم من سُمَيَّهْ ...

تعاني صنوف العذاب المُريعه ...

ولم تشترك في اجْتياحٍ ولا في وقيعه،

كما أنّها لم تبايع أميّة ...

ولم تَدْعُ يومًا إلى غيرهم: لم تكن فاطميّة ...

ولم تتخذ من أبي مسلمٍ مَرشدًا. لم تَصِرْ ذات يومٍ صنيعه،

ولكنّها اسْتهدفتْهَا الصّقور الّتي أطلقتْها الْحَمِيَّه!

ومن هؤلاء السّميّات، من بينهنّ، انْبَرتْ في انْفعالٍ سميّه ...

بفحوى مقالٍ ونجوَى سؤالٍ مُحالٍ إلى إخوة السّاميّه:

(أشِقّاءَنا منذ ما قبلَ أنْ يظهر النّفطُ أو أنْ نُضيعَهْ ...

وقبلَ اخْتراع الورَى طائراتٍ على حاملاتٍ منيعه!...

وإخوانَنا بعد ما قد تُرَى خُردةً في مهاوٍ وضيعه!...

بني أمِّنا ما رَوَى الدّهر: «يا دار ميّه..»!

هَبُوا الحاكم الفرد ضلّتْ به الحاكميّه.

فهل لانْتقامٍ من الحاكم الفرد تُلغى العُرَى الآدميّه؟

وهل هوجة الرّيح في قسوةٍ مرّةً حجّةٌ لاغْتيال الطّبيعه...

وتبخيس كلّ المعاني الرّفيعه؟؟)

مجافٍ لفطريّةِ الْعدل وأد الولائدْ،

وليل اجْترار التّشَفّي سوى طوطميّه!...

كشأن الحديث الّذي ردّدَتْه المذيعه...

مرارًا عن المُلهَمِ المُفتدَى والجموع السّميعه...

أوِ الْمَجْلس المُصْلتُ الحظر عن حكم شرعيّةٍ من كلام الجرائد:

فشرعيّة المجلس الفظّ إمّا عَرَتْها عَمِيّه...

وإمّا اعْترتها بقايا جنوحٍ إلى أكل لحم الأناسِيِّ بائد!

فيا أيّها المبصرون الّذين استشفّوا الخديعه...

خيوطًا بدت عنكبوتيّةً من وراء الذّريعه...

وخلف الّذي يُدَّعَى من عقائد:

إذا ما انْعتقتم، لدى الاستجابات، من عقدة الموسميّه...

فقد توقفون الدّموع الّتي تغرق الأعظميّه!!

ويا مَنْ رأوا أمنهم في موالاة مَنْ لا يوالي الشّريعه ...

مِنَ الطّغمة الأعجميّه:

إذا خائفٌ رامَ شيطانةً بُغْيَةَ الأمنِ يومًا ضجيعه ...

على شِرعةٍ قمقميّه ...

فما رامَ أمنًا إذن لو تقصّى ولا لذّةً، بل سرابًا بِقِيعَه ...

وباع القضايا بلا أيّ عائد!

فعودوا – هُدِيتُمْ! – إلى سكّةٍ ليس فيها مصائد

وَأَنْهُوا الْقطيعه!!

انجمينا، في ١٦/١/٢٠٠٠م

****

٢٠ - خَلَفُ الصَّحَابَةِ!

[الكامل]

أتُـرَى الـزّمـانُ وعـى الحـوادث أم غَفَا

فـرأى الـزّواهِـرَ قـرنَ أفضـلِ مصطفَى..

يـتـسـابـقـون إلـى الـفـدا بـنـفـوسـهِـمْ

فَـسَـهـا وسـطّـر شـأنـهـم مـتـلـهّـفـا..

فـحـسـبـتَـهـم فِـئَـةً مـعـاصـرةً قَـفَـتْ

خُـطُـوات مَـنْ رسـمـوا الـطّريق ليُقتفى..

وطـفـقـتَ تـعـجـب مـن فَـلاَح شـبـيـبـةٍ

تَبِعوا الوجوه على الصّراط.. وهم قفا؟

فـلـشـدَّ مـا بـعـدتْ ظـنـونُـكَ نجـعـةً

بـك أن تـرى خَـلَـفَ الـصّـحـابـة خُـلَّـفـا!

أتجـود، بـعـدُ، بمـثـلـهـم فَـتَـراتُـنـا؟

تَـرِبَـتْ يَـداك! دعِ الـتّـمـنّي، قـل: «كفـى!»

وَهِـمَ الـزّمـان! فـكـذّب الحُـلُـمَ الّـذي

حَـفِـظَـتْ صـحـائـفـه الـغـداةَ تـعـسُّـفـا!

قـسـمًـا لـقـد صـدق الـزّمـان! ومـا حكى

قـصـص الـبـطـولـة لحـظـةً مـتـكـلِّـفـا!

ولـئـن رمـقـتَ صـفـوف إخـوة «سـيّـدٍ»

لحـضـرت سـاعـة جـيش أحـمـد أو جـفـا..

وسمعت قول: «بخٍ بخٍ!» وتشهّدًا،

وشهدت هرولةً تذكّرك الصّفا..

فشهدتَ، ثمّ، على الصّحائف أنّها

كتمتْكَ من نبإِ القبيل مشرّفا!

ولعلّها خَشِيَتْ عليك تندُّمًا،

وعلى عيونك أن تعود فتذرفا:

فَلَرُبَّ منفطرٍ فؤاده رقّةً،

ونجيّ معركةٍ يموتُ تأسّفا!

ولأخسرُ العبرات ما سلب الحِمَى

بَصرَ المرابط والثّغور على شَفَا!

فَصُنِ المدامِع: إنّ هذه ثلّةٌ

يرث التُّرابَ جنودُها ليريَفا..

ويُساق مَنْ لَقِيَ الشّهادة منهمو

متضمّخًا جهة الجنان مضيِّفا..

فَتُرَى مفتّحَةً لهم غرفاتُها

وتقول: «هَيْتَ لكم جناي!» تلطّفا

ثكلتْكَ أمُّكَ إنْ تركتَ سبيلهم

وسلكت من طُرُق الضّلالة مدلفا:

فلأيّ وسوسةٍ تراك مجانبًا

أثر الّذي تبع «المعالم» واكتفى:

كسبَ النّهار مباركًا، فإذا مضى

سجد اللّيالي راجيًا متخوِّفا؛

ويـعـودُ فـي ثـبـج الأحـبّـة قـاهـرًا

حِـيَـلَ الـعِـدا: مـتـحـيِّـزًا، مـتـحـرِّفـا!

فـيـواصـلـون، وفـي الإلـه تـواصـلـوا

سُبُلَ الـسَّـلام مضتْ لتَنْصُرَ مصحفا؛

ويـكـبِّـرون.. فـكـم تـصـاغـرتِ الـدُّنـا!

ويـهـلِّـلـون .. فـهـل تـرى وثـنًـا نَـفَـى؟!

.. وَلَـكَـمْ تَـلَـوْا! فـإذا الـسَّكينة أُنْـزِلَـتْ

ذكـر الـمـهـيـمـنُ حـزبـه الـمـتـزلِّـفـا..

فـإذا دعـا الـثَّـقـلـين ربَّـهُـمـا وقـد

سـعـد الـدُّعـاة بـشـارةً وتـشـوّفـا..

هـتـف الـعـائـد: «ويْ كـأنَّ صنيعنا

أثـرٌ تـقـادم! وي كـأنَّـه قـد عَـفَـا!»

صـدق الـرَّسـول! وفـرقـة الجـبـروت لن

تـدع الـعـنـاد قُـبَـيْـل ذلـك مـوقـفـا

فـهـلُـمّ خـنـدقـك الـمُـعَـدّ عـلـى تـقًـى

ولـدفـعِ أمـر الـهـدى أن يَـقْـصِـفـا

مـع فـتـيـةٍ قَـدَروا الـمـهـيـمـن قَـدْره:

وبـذاك مـا اتّـخـذوا الـوسـيـلـة زخـرفـا

فـعـسـاك تُمْـنَـحُ - لا أبـا لـك - ودّهـم

فـتـزور كـوثـر مَـنْ دعـاك لـتـغـرفـا

خـسـئَ الـمـخـالـفُ إذ يـعـارض أمـرَهُ

ويـرومُ يـدخـل ديـن ربّـك مـتـحـفـا!

فـمـحـمّـدٌ عـلـنًـا دعـــاك لِـمـا مَـعَـا

شَـــكَ دونـــه أبـــدًا يـظـلّ مـزيّـفـا..

أتُـــراك مـسـتـمـعًـا نـــداءَهُ تـابـعًـا

فـئـة الـدّعـاة؟ بـهـم، إذنْ، تـتـشـرّفـا!

فَـمَـنِ الْـمُـجـدّدُ لـلـرّسـالـة بـيـرقًـا

خَـلِـقَـتْ سـوى نـفـر الـهـدى لـترفـرفـا؟

مـتـكـاتـفـين عـلـى الـنّـوائـب فـطـرةً،

مـتـآلـفـين سـلـيـقـةً وتـثـقُّـفـا..

مـتـحـالـفـين عـلـى الـكـتـاب، فـلـم يُـرَوْا

مـتـجـانـفـين لـمـا يـريـب تَـجـنُّـفـا!

بـهـم الـتّـقـدّم لـلـبـلاد وأهـلـهـا،

فَـلِـمَ الـتّـأخُّـر والـنُّـكـوصُ كَـمَـنْ جفا؟

أَوَ بـعـد مـا حـكـم الـعـزيـزُ بـعـزِّهـم؟

تـعـس الـمـفـضّـلَ أن يـظـلّ مـزعـنـفـا!!

سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري» ١٩٧٦م

****

٢١ - فديت العيون![1]

[المتقارب]

«ثـــوانٍ!» .. ومـــدّتْ إلـــى الـهـاتـفِ
يـــدًا بـضّـــةً، قـلـتُ: «بـــل سَـــوّفـــي!
ســـأبـقـــى شـــهـــورًا هـــنـــا كـلّـمـا
حـبـانـــي زمـــانـــي بـــعـــذرٍ يـفـــي:
فـمـــا كـــان يُمْـلِـــي قـدومـــي ســـوى
مـحـيّـاكِ هـــذا!.. ألـــم تـعـرفـــي!»
وكـــم لـــوحـــةٍ شـــدّت الـنّـــاسَ مِـــنْ
ديـــارٍ تـــنـــاءَتْ إلـــى المتـحـفِ
وتـلـــك اصْـــطِـــنـــاعٌ وهـــذي دمٌ
وروحٌ أضـــــاءت لـمـسـتـكـشـف
وعـيـنـــان مـــا فـيـهـمـا جـنّـتِـي
فـقـطْ، بـل ونـــاري ومـــا قـد خـفـي!
حـنـانـيـك يـــا فـتـنـتـي لـــوّمِـــي
بـيـانًـــا: فـهُـدْبـك ذا مـتـلـفـي
وإنّـــــي ضـعـيـفٌ أمـــام المـهـا
فـــلا تـقـتـلـيـنـي جـــزافًـــا!.. قـفـي!
قـتَـلـتِ الـشّـكـاوَى بـإهـمـالـهـا
فـكـان احْـتـكـامـي، فـلـم أُنْـصَـفِ

---

(١) (طلبت إليّ موظفة الاستقبال الجميلة المهذبة أن أجلس، ثم رفعت سماعة الهاتف كي تتصل بالأستاذ لتبلغه بوصولي، مخاطبة إياي أثناء ذلك: «ثواني فقط، وسامحنا يا أستاذ!

فـيـمَّـمْـتُ حـسـنًـا عـلـيًـا - طغى

يـريـد الـوغـى - رافـعًـا مصحفي

وسـلّـمـت أمـري لـعـيـنـيـك، لا

نجـت مـنـهـمـا عـين مـسـتـعـطـفِ!

فـديـتُ الـعـيـونَ المـراض الّـتـي

تُـعَـنِّـى فـؤادي، ولا تـكـتـفـي

ورغـم الـعـنـاء الـتـزمـت الـهـوى:

شـبـابـي مـعـيـنـي عـلـى مـوقـفـي!

وإنَّ الـصِّـبـا - لـو نـعـى! - لحظةً

سـريـعًـا - كـمـرِّ الـصَّـبـا - تنطفي

وتـبـقـى لـنـا ذكـريـاتٌ، فـهـل

تـريـديـنـهـا مُـرَّة المـرشـف؟

دعـيـنـا لِـعَـيْـشِ الـصِّـبـا بـهـجـةً

مـعًـا، لا تـصـدِّي وتـسـتـنـكـفـي!

طرابلس ١٩٧٤م

****

٢٢ - تفوّقوا

[الكامل]

زيـــنُ الـشّـبـاب نجـابـةً وتـفـوّقـا
يـا مَـنْ قَـلَـوْا عـبثًـا أعـاق وعـوّقـا:
جـيـد الـنّـجـاح زهـا بـكـم وتـطـوّقـا!

بـشـبـيـبـةٍ، وهُـمُ الـنّـجـوم، تـألّـقـوا
بـدأوا الـصّـعـودَ مـن الـسّـحـاب وحلّـقـوا
والـقـلـب ثَـمَّـتَ بـالـعـطـاء مـعـلّـقُ:
لا خـامـلٌ مـعـهـم ولا مـتـسـلّـقُ
هِـمَـمٌ مَـآثـرهـا الأصـالـة مـطـلَـق
ولـذلـك اجـتـنـبـوا الـدخـيـل وطـلّـقـوا
إنّ الـهُـوِيّـةَ لا تُـنـال تـسـوّقـا!

بـبـلادِنـا انْـتـفـض الأصـيـل تمـرُّدا
لمّـا أُريـد لـهـا الـتّـفـرنجُ مَـوْرِدَا!:
أبـتِ الخُـضـوعَ، وقـاومـتْ لـتـغـرّدا
عـربـيّـة لُـغـة، فـأعـجـزَتِ الـرَّدَى!
لـم يُـلْـقَ، قَـطُّ، شـبـابـهـا مـتـشـرّدَا
بـل ظـلّ ممـتـلـئَ الـقُـلـوب تجـرُّدَا
ولـبـذل كـلِّ جـهـوده مـتـشـوِّقـا!

فـتـفـوَّقـوا... وإلـــى الأمـــام تـقـدّمـوا

وإذا تـكـاثـرتِ الـسّـــدودُ فـهـدّمـوا:

مَـهْـر الـعـلا عَـــرَقٌ تـدفّـق أو دَمُ

لا تـبـخـلـوا بـهـمـا الـغَـداةَ فـتـنـدمـوا

يُـبْـنَـى بـكـم وطـــنٌ ويُـنْـقـذُ مـعـدمُ!

فـتـفـوَّقـوا ... لـتـعـمُّـقـوا ... ولـتـخـدمـوا:

نُـصِـرَ الـمـؤصَّـل حـيـث عـالـج أو وَقَـى!

انجمينا، ٢١/١٢/٢٠٠١م

****

٢٣ - كيد الفرنجة[١]

[البسيط]

الغيثُ يوسِعُ رمل (امْ كاملٍ)[٢] بللا
في كلِّ موسمِ خصبٍ، كلّما انهملا
ينثالُ منهمرًا بالدَّمع يمطره
كي لا يجفُّ دَمٌ في عمقِهِ ارْتحلا
قد رمّلتْهُ يد المستعمرين به
والدَّار رمَّلها أنَّ المسيد[٣] خلا...
من ظاهرين تُقاةٍ، كلّهم عَلَمٌ
بالعلم والأدب العالي رسا وعلا..
تاقوا إلى الملأ الأعلى مجاوَرَةً
واسْتصحبوا سِمَتَيْنِ: الْوجد والوجلا!
نحو السّماء سَعَوْا، راجين رافعها
مرقًّى بمغفرةٍ تكفيهم السُّبلا!
(بامْ) كاملٍ تركتْ تلك الدماء ثرًى
- سالتْ عليه خميس المرتقى[٤] - خَضِلا..
بَيْنَا هُناكَ غدت مسكًا، ومصدرها
في جَنّةٍ تَخِذُوا فردوسها نُزُلا؛

---

(١) ألقيت بمناسبة الذكرى الثالثة والثمانين لمذبحة «الكبكب» في الاحتفال الذي أقامه النادي الثقافي الشعبي التشادي تحديدًا لها بمشاركة اتحاد الجمعيات النسائية التشادية الناطقة باللغة العربية واتحاد شباب المستقبل مساء ٢٠٠٠/١١/١٥م بمقر النادي وذلك في إطار التعبئة لأجل المؤتمر الجامع الأول حول وضع اللغة العربية في تشاد.. وروجعت القصيدة فأدخل فيها شيء من التعديل في ٢٠٠١/٨/٢١م.

(٢) ام كامل: وينطق بهمزة وصل: وادٍ في أبتشة على ضفته قتل شهداء الكيكب وفيه دفنوا رحمهم الله تعالى.

(٣) المسيد: وفيها لغتان أخريان: المسيك والمسيج: الكتّاب أو الخلوة حيث يدرس التلاميذ القرآن ولعلها محرفة عن «المسجد»

(٤) خميس المرتقى: كانت المذبحة يوم الخميس ١٩١٧/١١/١٥م.

قد شارفتْ حِجَجًا تسعين مذ سُفكتْ

فَاسْتنجزتْ عِدَةً ... واسْتوقدت مُثُلاَ..

ما جرَّ كُبكب «جيرارٍ»[1] جرائره

إلاَّ ليطفئها فيهم فتنخذلا!

لكنَّها حَفَزَتْ من بعدهم هِمَمًا

ما سفَّهته فقط، بل زادت الشَّعَلا!

خَتْمُ المحرَّمِ[2]، شهر الله، كان لهم

ختمًا، تبارك مولًى قدَّر الأجلا:

حصْدًا تلا دورة العام الَّذي بدأوا:

في ستَّةٍ وثلاثين الحصاد غلا!

كانوا الكواكب في أبْشَةَ اجْتمعت

أنوارهم لمعتْ، لم تعرفِ الْملا

لو جُودِلوا فكما قد جودِلتْ رسلٌ

والنَّاسُ أكثرُ شيءٍ في الدُّنا جدلا!

فيهم أئمَّتُهَا دينًا بما رُجِمُوا

لينًا، وأوحدهم فنًّا إذا هدلا:

يبكي ليالِيَ سلطان[3] مضى فمضت

حينًا، وينشد برقاويَّةً غزلا...

---

(١) كبكب جيرار: الكبكب أو الساطور هو الأداة التي استخدمت في المذبحة وجيرار هو الضابط الفرنسي الذي أمر بها.

(٢) ختم المحرم: ٣٠ صفر ١٣٣٦هـ هو على الأرجح تاريخ المذبحة، قصيدة «الرمي» تجعله بحساب الجمل يوم ٢٧محرم ولكن يوم ٢٧ محرم من ذلك العام يصادف يوم إثنين كما أنه لا يوافق ١١/١٥، الذي جاءت به الوثائق الرسمية والخطأ في حساب أيام الشهر الهجري اقرب منه في أيام الشهر الإفرنجي مع تأريخه بالقمري؛ فافتراض الخطأ في الأخير أقرب أما إذا أيد تحديد اليوم من أيام الأسبوع التاريخ الإفرنجي فإنه يكون من القوة بحيث لا يقاوم.

(٣) ليالي سلطان. برقاوية. دولاب الزمان: إشارة إلى أبيات من مطولة الشهيد/ عبد الحق السنوسي الرائعة المعروفة باسم النونية الكبرى.

أو شـاديًـا - بـأسًـى - يـرثـي معلّمه

حـيـنًـا، فـيـلـهـج[1] بـالـنِّـبْـراس مُـنْـفَـعـلا

يـا شـاعـرَ الـزّمـنِ الـقـاسـي وسـابـقـه:

طـالـتْ بـنـا حـقـبٌ نـسـتـرفـد الأمـــلا...

راجـين - مثلك - دولابَ الـزّمـانِ عسى

يـأتـي بـهـم - وبـكـم! - لـكـنّـه مـطـلا!

لـلـغير مـا ارتـهـنـوا، ربُّـوا ومـا وهـنـوا

فـي الـخـيـر، وامـتـهـنـوا مـا يـبـعـث الـدُّوَلا؛

مِـنْ بـعـدهـم لُـغَـةُ الـضّـاد الّـتـي عَـهِـدوا

لـم يُمْـسِ مـعـهـدهـا نِـسْـيًـا ولا طـلـلا...

بـل ظـلَّ يـكـلأُ فـي الأجـيـال ذاكـرةً:

إنَّ الـلّـسـان هُـوَ الإنـسـانُ مـخـتـزلا!

إنْ عُـوِّضَـتْ بـأُخَـيْـرَى كِـلْـيَـةٌ مرضت

فـالـذّات ممـتـنـعٌ تـعـويـضـهـا بِـكِـلَـى!

لـيـس الـوُجـودُ سـوى ذاتٍ مُـوطّـنـةٍ

تُـثْـرَى أصـالـتـهـا، لـم تُـلْـتَـمَـسْ بَـدلا...

مِـنْ غيرهـا تـتـوخّـى خَـيْـرَ مـا اخْـتـرعـوا

أمّـا الـهـيـام بـكـلِّ الأجـنـبـيِّ، فـلا!!

إنّـا - كما احتضن الحاسوبُ حاضرَنا -

نَـهْـوَى الـنّـفـيـرَ وحـفـظَ الـلّـوح[2] وَالـكَـوَلاَ:

---

(١) فيلهج بالنبراس: إشارة إلى سينية الشهيد/ عبد الحق السنوسي في رثاء شيخه/ محمد النبراس.

(٢) النفير: قيام الجماعة بمساعدة فرد أو أسرة في عمل يخصهم كحرث أو حصاد وبناء بيت..إلخ. حفظ اللوح: استظهار القرآن عن طريق كتابته على ألواح خشبية وترديده. الكول: أقراص تصنع من أوراق نبات يحمل نفس الاسم بعد تخميرها ثم تستعمل في الإداء ولها طعم ورائحة مميزتان وفائدة غذائية كبيرة.

فـي الـنَـفْـس لا عـقـدٌ، والْـقَـلْـبُ متّحدٌ،

مـن «كَـوْلَـخٍ» «فـنـواديـبـو»[1] إلـى «كسـلا»،

إذْ قَـبْـلَ أنْ يَـفِـدَ الـتّـنـمـيـط عـولـةً

مـا كـان عـالَـمُ عـبـد الحـقِّ مـنـعـزلا...

لا مـن سـواه، ولا مـن أمـر مـجـتـمـعٍ

حـاشـى!.. ولـم يَـرَ شـأن الـعـيش مُـبْـتَـذَلاً!

لـلـوحـدةِ انْـغـرسـتْ فـيـهـم - ومـنـذئـذٍ

فـيـنـا - مـغـالـبـة الـوِسْـواسِ لـو فـعـلا:

فـعْـلُ الـوَسـاوِسِ فـعـل الـسـوس منتهكًا

معنى الأخـوّة فـي «أبـدي»[2] و«دار سـلا»..

فـعـل الـدّسـائـس بـالأمـس الّـذي اصطنعت

فـيـه الْـفِـرِنْـجَـةُ قـبـل الـكـبـكـب الخـلـلا!

كـم هـيّـجـتْ إبـلُ «أبـدي» بمـهـلـكـهـا!

والمـعـتـدي مـرضٌ قـد سـمُّـمَ الإبِـلا

الـشَّـكُّ مـقـتـلـنـا ظـلُّ شـكٍّ أخٍ

فـي إخـوةٍ مـحـضـوه الـودِّ مـتّـصـلا

لـكـنْ ألـيـس نـرى جـنـدًا وقـاعـدةً

أحـرى بـذاك؟ تجيب الـطّـائـرات: «بلـى!»

إلْـفـانِ حـولـهـمـا ألـفٌ يـكـيـدهـمـا

هـل مـؤمـنـان هـمـا حـقًّـا إذا اقْـتـتـلا؟

---

(١) كولخ: المدينة المعروفة في السنغال؛ نواديبو: المدينة الموريتانية المشهورة؛ كسلا: المدينة المعروفة في شرق جمهورية السودان.

(٢) أبدي: بلدة في شرق تشاد؛ دار سلا: إقليم في شرق تشاد... وكان قد حدث فيهما سوء تفاهم بين البدو والسكان نتيجة نفوق إبل البدو بكميات كبيرة وشك هؤلاء في أن السكان يقومون بتسميمها ثم تبين بعد حدوث مصادمات أن السبب يعود إلى عدوى وبائية أثبت التحليل المعملي في «فرشا» وجودها.

إنْ كـان مِـنْ أَرَبٍ فـي الاحْـتـراب لنا

فَـلْـنُـجْـلِ مَـنْ زعـمـوا أنَّ الـعَـدوَّ جـلا!

... ولْـنُـعْـلِ مِـنْ لـغـة رسـمـيّـةً زُعِـمَـتْ

حـتّـى تـعـود غـدًا رسـمـيّـةً عـمـلا!

... مـن واقـعٍ قَـلِـقٍ هـيّـا إلـى ألـقٍ:

فـالسّـعـيُ مَـعْـبَـرُنَـا مـا بـين «مـن» و«إلـى»!

إذْ ذاك تحـتـفـل الأرواح فـي فـرحٍ:

«مـرحَـى!.. فـثـأر ضحايا الكبكب اكتملاً..

كيد الـفـرنجـة شـهـر الـنّـونِ، مُـنْـتَـصَـفًـا،

مـن عـام سـبـعـةَ عَـشْـرَ الآن قـد بـطـلا!!»

انجمينا، في ٥/١١/٢٠٠٠م

****

٢٤ - لكرفي

[المتقارب]

أشَـهْـدٌ مُـصَـفًّـى رقـيـقٌ يـسـيـلُ؟
أمِ الـــدُّرُّ إذ يـشـتـهـيـه الـفـصـيـلُ؟
أمِ الـــرِّيـــقُ: ريـــق الّـتـي لـم تـنـوّلْ
مُـحـبًّـا غـلـيـلاً، فـجُـنَّ الـغـلـيـل؟!
ألا مـــا حـــلا لـيـس هـــذا ولا ذا
ك، بـل مـــاء وادٍ، جـــرى سـلـسـبـيـل:
مـيـــاهُ لآزومَ[1] تجـــري بـكَـرْفـي:
فـتـسـقـي دلـيـبًـا فـــداء الـنَّـخـيـلُ،
وتَحْـــبـــوهُ مـــن سُـــكَّـــرٍ ذابَ فـيـهـا،
وممَّـــا حـبـاهـا دعـــاشٌ بَـــذُول..
فـشـا نـكـهـةً حُـــلْـــوَةً مـــا لـهـا فـي
سـوى هـذه الأرض - حـصـرًا - مثيل!
رعـــى الـلـــهُ آزومَ! كـم مـن فـنـونٍ
بـشـطـآنـه الخُـــضْـــرِ لـيـسـت تَحُـــول:
شـذًى - كـالـخـزامَـى - لـطـيـفٌ، وحـسْـنٌ
بـــدا فـــي خـــزامـــيَّـــةٍ[2] يـسـتـمـيـل،

---

(١) آزوم: واد عريض يجري من السودان عابرًا شرق تشاد إلى جنوبها الشرقي؛ كرفي: وتنطق بكاف مفتوحة وراء ساكنة مرققة وفاء مكسورة؛ قرية ذات سوق كبير وإنتاج زراعي وفير ومناظر طبيعية خلابة ومراع ممتدة وهي ملتقى مهم للبدو والحضر تقع على ضفاف آزوم وتتبع إداريًا لإقليم دار سلا وترتبط سكانيًا أيضًا بإقليم سلامات وهي حاضرة قبيلة دقل.

(٢) خزامية: فتاة تنتمي إلى قبيلة خزام وهي قبيلة عربية معروفة في تشاد وفي عدة دول عربية أخرى.

وريـــفٌ وريـــفٌ، ونَـــوْرٌ طـريـفٌ
ومـرعًـى عـطـوفٌ، وصـيـدٌ يـجـول،
و«قـنـدولُ عـيـشٍ»[1] طـريٌّ يـنـادي
إذا ذقـتـه: «لا يُمَـلُّ المـلـيـل»!
ومِـنْ تحـتـه قـامـةٌ فـي فـصـوصٍ
لـذيـذٌ سَـدَى لـبّـهـا، تـسـتـطـيـل!
ويـغـدو الأهـالـي لجـنـي نـهـارًا
وعـنـد اللّـيـالـي تُـدَقُّ الـطُّـبـول:
تَـلِـمُّ الـقُـرَى قـرب أهـل الـبـوادي
فـتـهـتـزُّ - قـبـل الـشّـبـاب - الْـكـهـول!
وتُـسْـقَـى لـدى الـبـدوِ مـشـروبَ خِـصْـبٍ
يـصـون الحـجـا، أيـن مـنـه الـكـحـول؟
بـلادي جـلالٌ، وسـحـرٌ حـلالٌ
ومـاءٌ زلالٌ، وطـرفٌ كـحـيـل!
هـي الـرَّمـزُ عـنـدي، ومـعـنـى المـعـانـي:
غـنًـى فـي سـخـاءٍ، وفـقـرٌ نـبـيـل!
وفـيـهـا نـعـيـمٌ (ولـي مـنـه ريمٌ!)،
وشـعـبٌ كـريمٌ، وحـظٌّ بـخـيـل!
ومـا قـد حَـوَتْ أرضـهـا - مـن مـهـاهـا
إلـى قِـرْدِهـا - فـي عـيـونـي جـمـيـل:
فـعـشـقـي قُـراهـا كـعـشـقـي الـصـحـارَى:
مـقـيـمٌ، ولا يـعـتـريـه الـذُّبـول،

---

(١) قندول عيش: القندول هو السنبلة والعيش هو الذرة عند أهل في الريف والبادية التشاديين وفي السودان أيضًا.

عــلا عــن أنــانــيَّــةٍ، فَــهْــوَ عــنــدي
لأهــل الــقــرابــات، طــرًّا، مــيــول؛
فــإنْ يَــغْــلُ «شــاري» بقلبي مكانًا،
فــفــي الــقــلــب، أيــضًــا، فــراتٌ ونــيــل!!
لحــبِّــي بــلادي ســأســخــو دوامًــا
بــجــهــدي وفــكــري ومــا قــد أقــول...
فــمــا الــعــمــرُ إلاّ جــنــاهــا! ففيها
تُــرَى كــالــثَّــواني، وتُــعــطَــى، الــفــصــول!
وإعــجــاز أيّــنْــشــةَ[1] الْمــفــتــدي - في
رفــاقٍ - ثــراهــا أمــامــي دلــيــل...
وبــونــو الّــذي خــطَّ بــرنــامــجًــا من
نــقــاطٍ ثــمــانٍ إلــيــهــا نَــؤُول:
فــنــقــفــو جــلاءً، ونــرضَــى ابْــتِــلاءً
- ولاءً - إلــى أن يُــتــاحَ الــوُصــول
... وإلاّ فــكــالــبــاقــلانــيِّ نمضي
فــداءً، فــقــد مــهّــدَ الــدَّرب جــيــل:
بــكــنــجــي وكــرفــي وأوزو وملفي
وبــالا[2]... وصــفٌ، تَــوالَــى، طَــوِيــل؛
وإنّــي - ومــثــلــي جــمــوعٌ تــنــامــتْ -
دعــانــي، فــلــبَّــيْــتُ، ذاك الــرَّعــيــل...
ولــمّــا انْــتــفــضــنــا تــداعــتْ صــروحٌ
بــإفــريــقــيــا، ثُــمَّ فــرَّتْ فــلــول!

---

(١) أبتشة: هو الشهيد إبراهيم أبتشة ١٩٣٨- ١٩٧٨م؛ بونو: هو الطبيب والسياسي التشادي الذي اغتيل في فرنسا عام ١٩٧٣ وكان من قادة الاتحاد الوطني التشادي وذا الأثر الأقوى في صياغة برنامج هذا الحزب بنقاطه الثماني والذي أصبح فيما بعد برنامج فرولينا السياسي كما أصبح الحزب نواتها رغم أن بونو لم يلتحق بها؛ الباقلاني: الزعيم الثوري التشادي الذي توفي في حادث مرور بليبيا في مارس ١٩٧٧م وقد كان من أبرز مؤسسي فرولينا... رحم الله الجميع.

(٢) كنجي وأوزو وملفي وبالا: بلدات في غرب تشاد وشمالها ووسطها وجنوبها على التوالي.

وإنَّـــا عـلـى الـعـهـد، حُـبًّـا وصـدقًـا
مـع الأهـل: هُـوتـو وتُـتْـسـي وزُولُـــو[1]،
ويـزكـو الـتَّـآخـي مـع الـشَّـرقِ فـيـنـا:
ذوو الـضَّـاد هـم قـومـنـا والـقـبـيـل،
إذا عُـدَّ مَـنْ يـصـطـفـيـهـم عـمـيـلاً،
فـإنّـي إذَنْ، دون شـكٍّ، عـمـيـل!
وإيـثـارُهـم لـيـس أمـرًا مُـحـالاً:
وِدادي فـرنـسـا هُـوَ المسـتـحـيـل!
أحـاكَـى هـواهـا لـديـنـا أُنـاسٌ؟؟
مـع المـعـتـدي هـل تمـاهَـى قـتـيـل؟؟
وكـم قـد - عَـدَتْ - منذ كـادت فسـادت -
عـلـى أمـسـنـا الحـرِّ شـرًّا يـصـول!
فـأشـرارهـا لا يـحـبُّـون فـيـنـا
مُـضِـيًّـا عـلـى مـا اقْـتـضـتْـهُ الـعـقـول!
هُـمُ اسْـتـعـمـرونـا فـعـاثـوا فـسـادًا
كـمـا عـاثَ وسـط الـبـسـاتـين فـيـل!
مـع المـعـتـديـن الـتَّـعـاطـي حـرامٌ،
وأمّـا الـتَّـمـاهـي فَـدَاءٌ وبِـيْـل،
مـوالاتـهـم كَـاحـتـضـان الأفـاعـي!
وتمـديـنـهـم شـائـعـاتٌ تـهـول:
فـهـل نـال أجـدادُنـا غـيـرَ حَـزٍّ؟
وهـل أحـسـنـتْ غـيـر ذاك الـنَّـصـول؟

---

(١) هوتو وتتسي: القبيلتان المعروفتان اللتان تقطن أغلبيتاهما في رواندا وبوروندي؛ زولو: القبيلة الكبيرة التي تسكن بالذات في إقليم الناتال وكذلك بعض أقاليم جنوب إفريقيا الأخرى.

وإنّـــي - مـع المـسـتـقـلّـين فـكـرًا -

لـــاضٍ أُعَـــــرِّي، فـمـا أسْـتـقـيـلُ؛

ولا شـــأن لـي بـالـدُّمَـى حـين قـالـت:

«إذا الحـالُ حـالـت ومـالـتْ فـميـلـوا!»

إن اسْـتـهـدفَـتْـنـي مـسـوخُ الـنّـصـارَى

فـحـسـبـي إلـهـي، ونِـعْـمَ الـوكـيـلُ!

سـتـبـقـى بـــلادي رؤًى فـي فـــؤادي،

ويَـفْـنَـى الأعـــادي، ويُـجْـلَـى الـدّخـيـلُ!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٢٩م

****

٢٥ - إمام (٢)

[الرجز]

الـــدِّيـــنُ لا رأيٌ ولا نُـــقُـــولُ
فـــي قـــريـــةٍ يـــؤُمُّـــهـــا جَـــهـــولُ:
لـــكـــنَّـــه الإيـــعـــــادُ والـــتَّـــجـــنِّـــي
والإحـــتـــكـــارُ الـــفـــظُّ والـــغُـــلُـــولُ!
... فـالـشَّـيـخُ - فـي الأهـواء - دُنْـيَـوِيٌّ
مـســتـأثـرٌ... مـسـتـكـثـرٌ... عَـجُـولُ...
والمِـــنْـــبَـــرُ المـــرقـــاة: لا لأعـــلَـــى،
بـل لـلـمَـهـاوي!... والـهـوى ذَلُـولُ؛
فـالـقـريـةُ الحـيـرَى تـهـابُ مَـنْ لا
يـأتـي سِـوَى مـا عـابـه الـرَّسـولُ!
تـبـكـي ضـيـاع سِـيـبَـوَيْـهِ - مـهـمـا
أصْـغَـتْ لخـطـبـةٍ لـه - فـحـولُ!
لـولا أبـو جـهـلـين لـيـس يُـدْرَى
فـأرٌ لَـدَى المـقـال وَهْـوَ فـيـلُ!
قـالـوا: «أصـولـيٌّ!» فـقـلـت: (كـلاَّ!
هـذا وصـولـيٌّ!... فـلا يـصـولُ...
...إلاّ لجـمـع المـال فـي سـعـارٍ:
غـيـر «المـصـاري» مـا لـه أصـولُ؛

يُـــدْعَـــى إلـــى حـــقٍّ فـــلا يُـلـبِّـي
إلاّ ومـــال الحـــقِّ يـسـتـمـيـلُ!
والـشَّـيـخُ - رغـم بِـطْـنَـةٍ - حـسـودٌ:
صِـــلٌّ يـضُـخُّ الـسُّـمَّ وزنَ كـيـلـو!!
مـــا فـــي أبـــي جـهـلٍ زيـــادةٌ مِـن
غِـــلٍّ عـلـى «صِـــلٍّ» ولا فُـضُـولُ،
أمّـــا أبـــو جـهـلـين - لـو عـرفـتـم -
فـالـمـقـتـفـي إبـلـيـس، لا يـحـولُ...
الـمـدمـنُ الأيْمـــانَ، مُـسـتـحـلاًّ،
إذ أكْـــذبُ الأقـــوال مـا يـقـولُ...
والـمـغـلِـقُ الأفْـــواهَ مـنـذ دهـرٍ
مـا لـم يَـبِـيـنُ عـنـدهـا دلـيـلُ...
كـي تـسـتـحـيـل الـــدّارُ دارَ عُـمْـيٍ،
لـلـعُـورِ فـيـهـا رِفْـعَـةٌ وطـولُ!
فـي كـلِّ أرض الـلـه هـل رأيـتـم
دارًا كـسـاهـا نـورَهـا الـمـغـولُ؟
... (أم) - ثَـمَّ - مقموعًا كقريةٍ قد
أمُّ الْـــوَرَى فـيـهـا الـغـداةَ غـولُ؟
يـا حـبَّـذا لـو أبـعـدتْـه ريـحٌ
لـلـعـيـش حـيـثُ تُـعْـبَـدُ الْـعُـجـولُ!
... إذ لـم يَـعُـدْ لـه هـنـا نـصـيرٌ
ممّـن لـهـم، قـبـل الـهـوى، عـقـولُ:

أمّـــا الّـــذيـــنَ اسْـتـنـفـعـوا فَـعِـيـرٌ،
حـتّـى وإن لـم تـظـهـرِ الـــذُّيـــولُ!
مـــا مـسْـخـهُـمْ إلا لحـــقّ عـلـمٍ
قـــد ضـيّـعـوهُ عـنـدمـا أُنِـيـلـوا،
رانـــتْ عـلـى شِـبْـهِ الـقـلـوب فيهم
أوزار إصـــــرارٍ؛ وقـــد تـــزولُ!
... فـالـتُّـوبـةُ الـنّـصـوحُ نرتجيها
مـنـهـم، وإلاّ جُـــرِّدَ الـصّـقـيـلُ!
آمـنـتُ بـالـهـادي إلـــى صـــراطٍ
فـي غـيـرِهِ الخُـسْـرانُ والـنُّـكـولُ!

انجمينا، في ٢٠/٧/١٩٩٩م

****

٢٦ - حَذْوَ «مَا قَالَتْ حَذَامِ»!

[مجزوء الرمل]

شَـــلَّ قـــومًـــا، فـــي انـــهـــزامِ،
ضـــربُـــهـــم تحـــت الحـــــزامِ:
نـــبـــوةُ الـــسَّـــيـــفِ الـــهُـــذامِ:
عـــلَّـــهـــا لـــيـــســـتْ بـــــذامِ!
غـــيـــر أنّـــــي، خـــــوفَ ربِّـــــي،
مُـــســـتـــمـــرٌّ فـــي الـــتـــزامـــي!
أحـــتـــفـــي بـــالـــشَّـــعـــب طُـــــرًّا،
لا بـــعـــبـــسٍ أو جُـــــــذامِ؛
واتّـــــخـــــذت الحـــــقَّ أرضًـــــا
لـــي «فـــمـــا حُـــمَّ اعـــتـــزامـــي»[1]!
واهـــــــمٌ، بـــل خـــاســـرٌ، مَـــن
ظـــنَّـــهـــا أرضَ الجـــــذامِ!
فـــاســـمـــعـــوا مـــنّـــي - وُقـــيـــتـــم
سُـــبَّـــةً تـــبـــقـــى لَـــــزامِ! -
كـــلَّ مـــا يـــرويـــه شـــعـــري
(حَـــذْوَ «مـــا قـــالـــت حَـــذَام»!)[2]

انجمينا، في ٢١/١/٢٠٠٣م

****

---

(١) فما حم اعتزامي: تضمين من أبي الطيب المتنبي:

«فإن أمرض فما مرض اصطباري وإن أحمم فما حم اعتزامي».

(٢) ما قالت حذام: تضمين من وسيم بن طارق وقيل ديسم بن طارق وقيل لجيم بن صعب:

«إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام».

٢٧ - حزيران سِتِّ وستِّين

[المتقارب]

عيونُ اليَتَامَى...

نُحيياتُ صحوٍ، ولكنَّ عين المداراتِ عن شجوها غافله...

فكان التَّعزِّي لِزاما!!

عيون اليتامى – بحبِّ تَنامَى –

روت أرضنا، والدَّمُ الحُرُّ من قَبْلُ أيضًا رواها سِجاما

لأجل اخْضرارٍ يحطُّ الرَّوْى الْجافله...

بكنجى وفي شطِّ آزومَ أو حول «جارا» وفي دار تاما[1]!!

عيون اليتامى بِحُبٍّ تَنَامَى لجيل القُدامَى...

رأتهم شموسًا بدت من نيالا[2] وشعّتْ ثلاثين حولاً تماما،

فكم بالبطولات كانت عقود السّنا حافله!

وكم تضحياتٍ لتذليل دربٍ ترامَى...

مدى الطّرف يعلو! وكم خطوةٍ جندلتْ مُستهاما!

على أنّ كيد المنايا ضلالٌ، فليستْ هي الكافله...

نضوبَ المُنَى: إنّ ينبوعها في صدور اليتامى...

كما في نُهَى وارثي ثورةٍ لن تضاما

إذا ردّةٌ غازلتهم تَناهَوْا ومرّوا كراما...

---

(١) كنجى: بلدة في غرب تشاد؛ جارا: بلدة في إقليم «قيرا» وسط تشاد؛ دار تاما: منطقة القبيلة المسماة «تاما» الواقعة في الشرق قرب الحدود التشادية السودانية.

(٢) نيالا: مدينة في غرب السودان انعقد فيها مؤتمر ١٩٦٦/٦/٢٢، الذي أسس فرولينا.

وظنّوهُ فرضًا، فليسَ امْتِلاك الهوى عندهم نافله!

شُمُوسُ البطولات ظلّتْ دليلاً هداهم ثلاثين عاما...

وتَبْقَى دليلاً دواما...

لِتُهْدَى لمستقبلٍ أخضرِ اللّونِ آتٍ خُطَى الْقافله!

سَتبقى دليلاً برغم السُّكَارَى بغشِّ النَّصارى ومهما تَعَامَى...

موالو فرنسا خصومُ العلا سالكو الوِجْهة السَّافله...

ومَنْ لم يدانوا حزيران ستٍّ وستّين إلاّ نياما...

وأحلامهم في ثيابِ الْعَمَى رافله!

حزيران ستٌّ وستّين أذكَى شموسًا تحدّتْ حدود اللّيالي فداما...

وشَمس السّكارى هِيَ الآفله!!!

انجمينا، ١٧/٦/١٩٩٦م

****

٢٨ - باب محنة

[مجزوء الرجز]

الـــفـــاتـــنـــاتُ فُـــتْـــنَـــةْ،

تـــكـــفـــيـــه تـــلـــك فِـــتـــنـــه!

لـــــو فـــوتـــهـــنَّ أَنْمَـــــــى

فـــالمـــوت لـــو أَحَـــطْـــنَـــةْ...

يـــــالمـــغـــريـــاتِ حـــتَّـــى

لـــم يـــنـــتـــفـــعْ بـــفـــطـــنـــةْ...

ثُـــــمَّ امْـــتـــطـــيـــنَ يـــومًـــا

- دونَ الـــبِـــغـــالِ - مَـــتْـــنَـــةْ!

مَـــــنْ عـــــاش بـــعـــد لحـــظٍ

كـــالـــسَّـــيْـــفِ يَمْـــتَـــخِـــطْـــنَـــهْ؟

... أو صـــــار لـــلـــغـــوانـــي

والـــغـــيـــد غـــيـــرَ بـــدْنَـــهْ؟

... قـــد يـــســـتـــفـــيـــدُ عـــيـــشًـــا،

لـــكـــنْ بِـــنَـــوعِ هـــدنـــةْ...

ســـــرعـــــانَ مـــا تَـــقَـــضَّـــى:

فـــالـــطَّـــبْـــعُ إنْ يـــكِـــدْنَـــهْ!

إنْ كـــان فـــي «انْـبـسـطـنـا»[1]

مُـسْـتَـنْـزَفًـا بَـسَـطْـنَـه...

... لـلـذَّبـح كـالأضـاحـي،

والجـلـد حـان عَـطْـنَـهْ!

... أو مِـنْ بـنـات «شَـقْـوَا»

أشْـقَـيْـنَـهُ وشُـقْـنَـهْ،

فـاعـتـلٌ، لا بـلـوحٍ

يُـشْـفَـى ولا بـحـقـنـهْ!

... أو كـنٌ مـن «رضـيـنـا»

أرضـيـنـهُ... فـرُضْـنَـهْ:

حـتّـى يَـبِـعْـنَ، سـرًّا،

لـلأفـعـوان حِـضْـنَـهْ!

... أو فـي جـنـان «فَـرْشَـا»

مـسـتـرخـيًـا فـرشـنـه،

فـاقـتـيـد «كِـنْـزَوِيًّـا»[2]

مِـنْ بـعـدمـا احْـتـوشْـنَـهْ

سـل مـن تـرهَّـبَـوا، ومـن

مَـنْ صِـدْن أو ربـطـنـه:

«هـل فـي الـنّـوى دواءٌ؟

أم فـي الـنَّـوالِ بِـطْـنَـهْ؟»

---

(١) انبسطنا وشقوا ورضينا وفرشا: من أحياء مدينة انجمينا.

(٢) كنزويا: يطلق على العسكري المتقاعد من الخدمة لفظ «كنزا» المنحوت من المقابل الفرنسي لكلمتي خمسة عشر وذلك لحدوث التقاعد غالبًا بعد ١٥ سنة من الخدمة العسكرية.

يـــأتـــي الجـــــــواب: (كـلـتـا

حـــالـــيـــكَ بـــــابُ مِـــحـــنـــةْ،

والأفـــــضـــــل الـــتَّـــنـــائـــي

مـــا دُمْـــــــنَ يـــحـــتـــرجـــنـــه؛

خـــــلّ الحـــســـان خِـــــلاًّ!

وَلْـــتَـــنْـــسَ مـــا يُـــبِـــحْـــنَـــهْ!:

لـــلـــكـــهـــربـــاء جـــــذبٌ،

والمـــــسُّ صـــعـــقُ شُـــحـــنـــهْ!)

انجمينا في ٢٧/١١/٢٠٠١

(١٢رمضان ١٤٢٢هـ)

****

٢٩ - للسّودان[١]

[الهزج]

حـنـيـنـي الْـيَـومَ نـادانـي
- ممـا قـرَّ الـطّـريـدانِ! -
لـمـغْـنـى عـزّةَ[٢] الـغـالـي
ومـثـوى خـيـر أخـدانـي!
فـيـا مـسـرَى ابْـتـهـالاتـي
ومـعـراجـي لـغُـمـدانـي..
ومـنـطـادًا لـروحـي إذْ
أنـا شـادٍ عُـمُـدّانـي..
لـمـاذا صـرتُ مـحـجـوبًـا
أُرَى مـن خـلـف أسـدانِ؟
ألـسـتُ الـنّـضـوَ مـن شـوقٍ
قـنـوع الـغـاي مـبـدان؟
وإنّـي مـنـك فـي يـسـرٍ
إذا نـيـلاك مـدّانـي..
وأغـنـى الـنّـاس عـن «يـنٍّ»
و«دولارٍ» يُـعَـدّانِ:

---

(١) (جزء من قصيدة «لمغني عزة» ألقى في أمسية شعرية نظمت ضمن فعاليات القافلة الثقافية السودانية بانجمينا عام ٢٠٠١ في النادي الثقافي الشعبي التشادي)

(٢) عزة: اسم علم مؤنث جعله الشاعر والمغني والمثقف السوداني البارز المرحوم/ خليل فرح رمزًا للسودان فتبعه هنا في ذلك.

فـفـي «ديمِ الـقـنـا»[1] بـنـكـي،
و«بـيـتِ المـال» أفـدانـي،
ولـي فـي «المـلـتـقـى» كـنـزٌ،
وفـي «بـحـريٍّ» مـزادانِ !
أنـا لـم أنـأَ هِـجـرانًـا:
بَـلِ الـسُّـودان أهـدانـي
إلـى آلـي الأُلـى آلَـوا
إلـى نـفـيٍ وفِـقْـدانِ،
وشـعـبٍ كـادحٍ كـدحًـا،
وأُفْـقٍ يـسـتـزيـدانـي،
فـمـا أُنْـسِـيـتُ أهـدافًـا،
ولـم أسـقـطْ بمـيـدانِ..
لأنّ الـضّـادَ والـرّؤيـا
بـأعـمـاقـي يـقـودانـي:
هـمـا إلـهـام مـا آتـي،
فـكـم لـلـصّـبـر ردّانـي!
وإشـعـاعـاتـك الأسـنـى
سَـرَتْ مـن فـوقِ عـيـدانِ..
أعِـيـهـا، لا بـعـيـنٍ لـي
وأُذْنٍ قـد تُـسَـدّانِ..
ولـكـنْ بـانـفـعـالٍ فـي
تـلافـيـفـي ووجـدانـي!

---

(١) ديم القنا: من أحياء الخرطوم؛ بيت المال: من أحياء أم درمان؛ المزاد: من أحياء الخرطوم بحري؛ والملتقى: هو «المقرن» أي ملتقى النيلين الأبيض والأزرق حيث يكونان نهر النيل وهو أهم المعالم الطبيعية للعاصمة المثلثة (كما يطلق على المدن الثلاثة المذكورة).

وقـــــــولٌ مـــنـــك يـشـجـيـنـي،
ويـــــرويـــــه الجـــديـــــدان:
(أنـــا الـــسّـــودان: مـجـدي والـــ
ـــهـــدى عـــنـــدي أكـــيـــدانِ)
فـــفـــي إفْـــريـــقِـيـــا أسـعـــى
بـــزيـــتـــونٍ وعـــفـــدانِ،
وفـــيـــهـــا ربَّمـــــا أُنْمَـــــى
إلـــى عُـــــرْبٍ وكـــلـــدانِ!
وجـــلّ الـــعُـــرْبِ قـــد أضـحـــوا
- مـــع الـقـربـى - كـبـعـدانِ!)
فـــيـــا ســـــودان: دُمْ عـــذبًـــا
تـــعـــالَـــى عـــن إمِـــــدّانِ،
فـــإنَّ المـــجـــد - لـــو يُـــعـــزَى
إلـــى قـــومٍ - لـــســـودانـــي!
ويـــا ســـــودان: أنـــت الـــوجـــ
ـــهُ إذ لـــلـــوجـــه خـــدّانِ!
ويـــا ســـــودان: دُمْ جـســـرًا
إلـــى الخـــضـــراء أدّانـــــي!
فـــمـــهـــمـــا - بـــعـــدُ - يـــعـــرونـــي
ســـتـــبـــقـــى أنـــت نِـــشْـــدَانِـــي
.. ومـــهـــمـــا ألـــقَ مـــن خَـــلْـــقٍ
وأخـــــــلاقٍ ويُـــــلْـــــدانِ
.. فـــنـــادٍ لـــيـــس كـــالـــنّـــادي!
ومـــرعًـــى لا كـــســـعـــدانِ[1]!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٦م

****

(١) التعبير مأخوذ من المثل العربي «مرعى ولا كالسعدان».

٣٠ - ضوضاء!!

[الرمل]

تُدْفَعُ الموجات للآذان – فالضَوضاء فوضى لولبيّه،
دون إيقاعٍ ونسْقٍ – كانْدفاعاتِ الْحُشَيْرات الغبيّه...
في أنوفٍ أو عُيونٍ من زوايا جانبيّه!
سوقُ هرْجٍ مثلَ برجٍ بابليٍّ خاصم المعنى دويّه،
باخْتِلاطٍ لم يجدْ في العقل حيّه،
فيه رجمٌ بالشّعاراتِ الْوَحِيّه،
ثُمَّ زخّاتٌ نشازٌ ليس في الذُّكران تُحْصَى، وهي ليستْ انثويّه!
همهماتٌ ضيَّعتْ جنسيّةً أخرى ولم تصبحْ تمامًا يعربيّه!
همهماتٌ هائماتٌ باحثاتٌ عن هُويّه!
همهماتٌ علّهم قد ترجموها عن لغاتٍ أجنبيّه!
(ليت شعري ما دهاهم هيّأوها كالهَويّه؟!)
ذلكم إبليسُ يدعو حزبَهُ للنخبويّه!!
عندنا – في هذه الأرض الضَّحيَّه –
عُقدةُ الإفرنج باضَتْ نحو بليونَيْ دُحَيّه...
فُرِّخَتْ كتّاب نظمٍ ... بل نصوصٍ بنيويّه:
استمع حينًا إليها في رويّة...
وَهْيَ تبدو في خيالٍ – لا علومٍ! – صِنْوَ متن الشّاطبيّه...
يظهر الْبنى ركيكًا، والمعاني الطُّحْلُبيّه...

هرطقاتٍ فوضويّه:
خلطةٌ إنْ يستَمِعْ شيخٌ إليها أو صبيّه...
لم تحرّكْ فيه شيئًا!: كيف تُحْيي وَهْيَ لَيْسَتْ، قَطُّ، حيّه؟

ثَمَّ قانونٌ إلهيٌّ كشأن الجاذبيّه:
(لا نفاذٌ عبر أقطار السّماوات العُلَا في مِرْوَحِيّه!)
... ليس غير الشّعر معراجًا إليها ما روى حسٌّ رويّهْ
- مِنْ هوى الحرّيّة الأسمَى، ومن طُهْرِ الطّويّه -
في هوى الأرض المسمّى، كلّ عصرٍ شاعرًا فحلاً نبيّهْ،
في عيونٍ مُشْرَعاتٍ من وراء المشربيّه،
أو شفاهٍ ضارعاتٍ حين يُلْقِيْنَ التّحيّه،
في قضايا مطلبيّه،
في جمالٍ مشتهًى... في عزّة النّفس الأبيّه،
في ظلام الظّلم... في آلام شعبٍ... في احْتدام المصلحيّه،
في جناياتٍ تفشّتْ بالصّفوفِ الثّانويه[1]،
في الرّؤى... في كلّ ما يستوقد الوجدان نارًا معنويّه،
خامة الشّعر الحياةُ اسْتدعتْ الإبداع حفزًا واسْتجاباتٍ سويّه...
لا الشّعارات الّتي تُحْظَى، هنا، بالأولويّه...
للدّواعي التّعبويّه!
(إذ بها صار الطّغاة الهوج معشوقي الجماهير السّبيّه...
وفق دعوى الكائنات المكتبيّه!)
هل صَدَى سبتمبر[2] الدّاوي بنورنبرج رأيُ الأغلبيّه...

---

(١) إشارة إلى انتشار العنف - بما فيه جرائم القتل - في المدارس خاصة الثانوية.
(٢) كان النازيون في ألمانيا يقيمون مهرجانهم السنوي في أول سبتمبر بمدينة «نورنبرج».

أم هم المبثوث من حالات هستيريا قويّه؟

هل قلوب النّاس، في الخرطوم، كانت مايويّه[1]...

أم تراها كذبةُ الثّعْبان في تكريس حيّه...

- فجأة - قدّيسةً أو مهدويّه؟؟

كلُّ ما يجري عيانًا ليس إلا مسرحيّه!:

إن يسمّوها جماهيريةً فالأمر، حقًّا، كسرويّه:

لا ولاةُ الأمر صُلاّحٌ، ولا آلواحهم بالموسويّه!

يا لبؤس القول لو أضحى صكوكًا بالياتٍ من تراث البابويّه...

تمنح الغفران مَنْ ضحّوا - لغاياتٍ غويّه -

بالملايين الضّحايا! يا لبؤس المنفقين العُمْرَ أسرى الدنيويّه!!

انجمينا، في ١٩٩٨/٤/٧م

****

(١) مايوية: نسبة إلى نظام مايو البائد الذي حكم السودان من ١٩٦٩ إلى ١٩٨٥م.

٣١ - يا حُماة العربية[1]

[مجزوء الرمل]

جـــاءكُـــمْ كـــلُّ ضـحـيّـة
سـائـلاً - بـعـدَ تحـيّـة -
كَـيْـفَ وَالـعـزمـة حيّة
فـي حـمـاة الـعـربـيّـة
كـيـف تُـقْـصَـى كسبيّة؟

أجـــدرُ المـــؤتمـــراتِ
بـــالـــرُّؤى والـــثَّـــمـــراتِ
عَـــنْـــوَةً مـــنـــهـــمـــراتِ
إذ يـــخـــوض الـــغـــمـــراتِ،
جـــامـــعًـــا لـــلـــقـــدراتِ
مـــن شُـــداةٍ وسُـــراةِ...
كـالـكُـنـوزِ الـذَّهـبـيّـة
لانـعـتـاق الـعـربـيّـة!

لـــم تـــصـــر - قـــطُّ - قـــويّـــة
وحـــدةٌ دون هُـــويَّـــة،

(١) نظمت في إطار التعبئة للمؤتمر الجامع حول وضع اللغة العربية في تشاد.

فـــادعـــمـــوهـــا بـــرويَّـــة
لا بـــدعـــوى الأَبَـــوِيَّـــة
فـــي تـــشـــادَ الـــقـــرويَّـــة
والمـــراعـــي الـــبـــدويَّـــة
ابـعـثـوا الـــرُّوح أبـيَّـة:
أصِّـــلـــوا لـلـعـربـيَّـة!

لـيـس تُـغْـنـي الـكـلـمـاتُ
أنـــتـــمُ الـــيـــومَ حُـــمـــاة!
إنْ عَـــرَتْـــهـــا أزِمـــاتُ
هـــدَّدَ الـــكُـــلُّ مَمَـــاتُ..
لا يـــداريـــه صُـــمـــاتُ:
فـــالـــعـــرى مـــتَّـــهـــماتُ!
والـعـدوُّ: الـعـصـبيَّة ...
فـي سـبـيـل الـعـربـيَّـة!

وحـــدةُ الـــدَّارِ مـهـمَّـه،
مَـــنْ تُـــرَى يـشـطُـرُ أمَّـــهْ؟
إن تـــصـــدَّتْ لـلـمَّـه
تُـنْـقِـذِ الْـوَحـــدةَ أمَّـــة!
وحـــدةٌ دون مـــذمَّـــه،
عـــهـــدهـــا أوثـــق ذمَّـــه:
إنَّـهـا - بـعـدُ - صـبـيَّـه...
تحـت عـين الـعـربـيَّـه!

انجمينا، في ٢٠/١٠/٢٠٠٠م

****

٣٢- والنصر لنا !

[مجزوء المتدارك]

صُـفُّـوا الـمَـنْـكِـب حَـــذْوَ المَـنْـكِـبْ:

نُـحْـيـي ذِكْـــرَى يَـــوْمَ الْـكُـبْـكُـبْ،

لَـــنْ نَجْـعَـلَـهَـا دَمْـعًـا يُـسْـكَـبْ،

لَـــكِـــنْ قُـــدُمًـــا يَمْـضِـي المَـوْكِـبْ...

يَمْـــضِـــي حَـتَّـى نَـصِـلَ الْـكَـوْكَـبْ

مَـعْـنًـى وَسَـنَـا

وظُـهُـورَ مُـنًـى

وَالـنَّـصْـرُ لَـنَـا!

صَـرْعَـى كَـتَـبُـوا بِـــدَمٍ طِـرْسَـا،

وَشَـهـادتـهُـمْ . كَـانَـتْ عُـرْسَـا..

عِـنْـدَ المَـوْلَـى نِـعْـمَ المَـرْسَـى!

فَـلَـقَـدْ فَـازُوا وَجَـنَـوْا غَـرْسَـا،

وفَـرِنْـسَـا مَـا وَعَـتْ الـدَّرْسَـا:

زَرَعَـتْ فِـتَـنًـا،

فَـجَـنَـتْ إِحَـنًـا!

وَالـنَّـصْـرُ لَـنَـا!

هُـــمْ فـــي الـدُّنْـيَـا أيْـضًـا نُـصِـرُوا:
قُـتِـلُـوا، لـكِـنْ لَـمْ يَـنْـدَثِـرُوا..
نَـبَـتـوا قِـيَـمًـا لـمَّـا بُـذِرُوا...
وَالْـيَـوْمَ بَـدَا مِـنْـهُـمْ أثَـرُ..
فـي مُـؤْتَمَـرٍ وَمَـنِ ائْـتَـمَـرُوا

كَـيْ لا يَـزِنَـا
صِـفْـرًا غَـدُنَـا!
وَالـنَّـصْـرُ لَـنَـا!

عَرَبِيَّتُنا لَـيْـسَـتْ قِـشْـرًا!
وَهُوِيَّتُنَا مَـا إنْ تُـشْـرَى!
هِـيَ إيمَـانٌ فـهـنَـا اسْـتَـشْـرَى،
وَسَنَنْشُرُهُ أَبَـدًا نَـشْـرَى،
هـذا عَـهْـدٌ يَـبْـقَـى بُـشْـرَى

لَـنْ تَـخْـذِلَـنَـا:
فَـالْـبَـعْـثُ دَنَـا!
وَالـنَّـصْـرُ لَـنَـا!

يـا مَـنْ أنْـتُـمْ هِـمَـمٌ شَـمَـخَـتْ:
هَـيَّـا نُـنْـجِـي بَـلَـدًا مُـسِـخَـتْ..
- وَثَـقَـافَـتُـهـا - حَـيْـنَ امْـتُـسِـخَـتْ

مِـــــنْ دُنْـــيَـــاهـــا لَـــغَـــةٌ رَسَـــخَـــتْ

- مُـــتَـــجَـــذِّرَةً - دَهْـــــرًا وَسَـــخَـــتْ

بِـالْـعِـلْـمِ هُـنَـا..

قَـــدْ طَـــابَ جَـنَـى

وَالـــنَّـــصْـــرُ لَـنَـا!!

انجمينا،

****

٣٣ - أسئلة

مِنْ كُلِّ مَنْ يَنُوء تَحْتَ الصَّلْبِ أَوْ يَمُوتْ...

(فِي قَرْيَةٍ مَصْلُوبَةٍ مُشْتاقَةِ البُيُوتِ...

لِلْمطَمْئِنات مُذ غِيلَتْ) أَنَا أُرِيدْ...

رَدًّا سِوَى السُّكُوتْ...

عَلَى سَؤَالٍ بَلِيدْ:

(هَلْ تَقْبَلُون نَفْيَكُمْ كَحُوتْ...

مُلْقًى بِمَهْمَهٍ بِلاَ حُدُودْ...

يَبْكِي الخيال الحرُّ وَالدُّعَاء وَالْقُنوتْ...

يبكي بلا دَمْعٍ ولا تصبّرٍ .. ودونَ قُوتْ؟

... هَلْ تَقْبَلُون صَلْبَكُمْ كعبيد...

لَوْ طيِّبَ الصَّليبُ بِالْعُطورِ وَالزُّيُوتْ؟؟)

ما لَدْغَةٌ من أفعوانٍ مَسّ سُمّه رَدًى حَثِيثْ...

كَرضعةٍ إذْ يَجْتَنِي لِبَانَهَا الوَلِيدْ!

وَالْجَمْرُ إنْ تُرِدْ لَهُ الإبْقاءَ كَيْ يَعيثْ

فِي أيِّ تُحْفَةٍ فَسَادًا دَونَ أنْ يَبيدْ...

فَلْتَخْلِ جَوْفَهَا مِنْ المياهِ والْجَلِيدْ،

وَامْلأْهُ كَوْمَ رَوثْ:

«أَيْ مِثْلَمَا أضحى يعلّم الطُّغاةُ نَشْأَنَا الْجَدِيدْ!»

أَطْفالُنَا عجِينةٌ فِي مَخْبَزٍ خَبِيثْ...

وَالإِمَّعَاتُ – قَبْلَهُمْ – مليون كوم دُودْ؛

هَلْ نَتْرُكُ الْعَجِينَ نهبًا للْيَدِ الْحَقُودْ...

تَلْهُو بِصَوْغِها كَمَا شَاءَتْ – فَلاَ بُحُوثْ

فِيمَا تعمّدتْ ولا حَدِيثْ –

لأنّها قد بلّلَتْ بِكَلْبِها الْعَتِيدْ...

جرويُّها الْوَرِيثْ؟؟

يَا أَلْفَ أَلْفِ بِذْرَةٍ فِي أَبْرَكِ المروجْ!

يا أَنْجمًا تَوَهَّجَتْ فِي حُلْمِنَا الْبَعِيدْ!

يَا مُزْنَةً مَبْذولة العَطَاءِ .. وَالأريجْ!

يَا أَلْفَ أَلْفِ برْعُمٍ يَدْعُونَهُ الشَّهِيدْ!

يَا مَنْ سَقَتْ أَرْوَاحُهمْ شُجَيْرَةَ الْخُلُودْ...

فَأَخْجَلُوا الضَّجِيجْ!:

(قَدْ جَاءَ مِنْ مَدِينَةٍ تَسْتَوْرِدُ الْعَبِيدْ...

قَوْم إلى بلادنَا وَقَدَّمُوا النُّقُودْ...

– يَشْرُونَكم! – فَلَوْ نَعُوجْ...

عَنْ دَرْبِكُمْ وَنَدْفِنُ الْعُهودْ...

هَلْ تَقْبَلُونَ بَيْعَكُمْ – يَا أَكْرَمَ الْحَجِيجْ...

لغير ربّ البيت واهب الحياة صادق الوعود...

– هل تقلبون ذلكم منّا... وفي جمود؟؟)

طرابلس الغرب – في أبريل ١٩٧٥م

****

٣٤ - عيدًا سعيدًا[1]

[الرجز]

حاشاكما أنْ تسكتا أو تقعدا
بل غرِّدا بالشِّعر حلوًا واشهدا
فالمنتدى - يرعاهُ ربِّي - قد رعى
حفلاً ثقافيًّا وأولاهُ النَّدى!
يا صاحبيَّ: اليوم عيدُ أمّه
- في وحدةٍ - جمع إلى الخير اهتدى
أهلٌ: سواءٌ من جنوب القطر أم
من شاطئ البطحا أتوا أم من فدا:
جمع الشَّباب المُحْتَفِي لم يختلف
واستوعبوا درسًا غدا يبني الغدا:

إنّ الحزازات التي تفري الحشا
في المُسلمينَ اسْتلهمتْ فعل المُدى!
بلدانهم فيها الخلافُ اسْتحكمتْ
حُمّاهُ حتَّى خالف الصَّوتَ الصدى
فاسْتحدثتْ منهم مثالاً جارحًا
للمال والطَّاقات إذْ تُفنى سُدى!
في الصَّومِ قد أضحى لكلٍّ يومُهِ!
والعيد لمّا جاءهم ما وحَّدا!

---

(١)(أعدت كي تلقى في الأمسية الثقافية التي نظمها المنتدى الإسلامي/ مكتب تشاد بمناسبة عيد الفطر المبارك في ثالث أيامه عام ١٤٢٤هـ).

يـا حـبَّـذا لـو كـان عـيـدًا جـامـعًـا

يُـدْنـي لأهـل الـقـبـلـة المـسـتـبـعـدا

.. أو أنّـه كـانـتْ لـه إطـلالـةٌ

عِـيـشـتْ بـوحْـدانـيَّـةٍ كـي يـشـهـدا

.. إذ ذاك قـد يـأتـي إلـيـهـم عـائـدًا

والـقـدس والأقـصـى لـهـم لا لـلـعـدا!

يـا لـيـتـهـم عـادوا إلـى حـكـم الحـجـى

واسـتـبـعـدوا عـنـهـم هـوًى مـسـتـعـبِـدا

واسـتـنـتـجـوا أنْ لـيـس مـنْ مـعـنًـى لِـمـا

أدمـى سـوى تـعـطـيـل عـقـلٍ جُـمِّـدا

كـم مـن هـلالٍ، يـا تـرى، فـوق الـثَّـرى

يـجـري إذا ذاكَ اخْـتـفـى هـذا بـدا

.. كـلُّ لـقـطـرٍ لا يُـرى فـي غـيـره؟

يـا قـوم! سـبـحـان الـذي مـنـه الـهـدى!

نـرجـوه - بـعـد الحـمـد آلافًـا - لـكـم

عـيـدًا سـعـيـدًا يـا ضـيـوف المـنـتـدى

والـلـه يـهـديـنـا إلـى مـرضـاتـه:

إنّ الـهـدى ذخـرٌ لِـمـا بـعـد الـرَّدى!!

انجمينا، في ٣ شوال ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٠٠٣/١١/٢٧م

****

٣٥ - منية الحادي[1]

[الوافر]

صُرُوفُ الدَّهْرِ - فيمَا أَنْشَدَ الْحَادِي -
صنوفُ القَهْرِ قَدْ بَاضَتْ عَلَى شَارِي:
غَزَتْ تَيَّارَهُ الغَادي..
ليبقَى النَّهْرُ في جُوعٍ لِغَيْماتٍ وأمْطارِ؛
إلى أنْ صارَتِ الشُّطْآنُ سَهْلاً جُلُّه عَارِي،
وعَمَّ الغَمُّ في النَّادِي:

فبعضُ القومِ لاهٍ ثمّ بالتَّحْديثِ لَهْوَ الطِّفْلِ بالنَّارِ،
وظَلَّ البعْضُ مَشْلُولِينَ في غَارِ..
حَيَارَى بين مَتْنٍ فاسدِ الْمَعْنَى وتصحيحاتِ إسْنادِ،
وبعضُ زاغَ جِدًّا رَغْمَ أحزابٍ وأورادِ..
فما يَلْقَى سؤالُ الشَّاعِرِ الأعمَى بتَاتًا أيَّ إنكارِ:
«ألاَ مَنْ يَشْتَرِي دِينًا بِدِينارِ؟»..
وعَدَّ الْبَيْعُ في العادِ!

.. إلى أنْ أقبلَ الثُّوَّارُ وانْصَبَّتْ مساعيهِمْ بإصرارِ..
تُقِرُّ الْمَبْدَأَ الْهادِي:
زواجٌ بين عصْرِيٍّ لَهُ أُسٌّ ومَوْرُوثاتِ أَجْدادِ..

---

(١)(نظمت في مناسبة توديع الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله)

طَلاقٌ مِنْ صِراعِ الحَيْرَةِ الضَّارِي
هُوَ المَنْجَى، فيا مَرْجُوَّةَ الْحُرِّيَّةِ اخْتاري...
أَوِ انْقادِي!

فهبَّتْ كلُّها عَجلَى بعزمٍ غيرِ مُعْتادِ؛
وهبّتْ نَسْمَةٌ حُبْلَى مِن النِّيلَيْنِ وَالْوَادِي..
زَكَا مِنْ خَيْرِها السَّارِي..
دَعَاشٌ ينشرُ الْبُشْرَى، وغيثٌ يغمرُ الصَّادِي..
بفيضٍ مِنْ عَطَاءٍ دُونَ مِيعادِ،
بَرِيكِ الدَّفْقِ مِدْرَارِ،
بِلاَ ضَنٍّ وَتسويفٍ، ولاَ مَنٍّ وتَعْدادِ..
هَمَى مِنْ عَزَّةَ الْخَضْراءَ في حُبٍّ وإيثارِ!

فلمّا اخْضَرَّتِ الشُّطْآنُ بالضَّادِ
حَمَدْنا اللهَ جهرًا بعد إسرارِ،
وأَثنينا عَلَى جُودِ الأخِ الْجارِ!

عَلاَ التَّصْفِيقُ، ثمّ اسْتأنفَ الْحادِي:

غدتْ مُذْ ذاكَ أسرى عَزَّةَ الخضراءَ أشْعارِي...
ومِنْ عِيدانِ (إيدا) لنيِّلِ مِزْمارِي..
وسُكْرِي مِنْ أبي داؤودَ إذْ يشدُو: «أنا الشَّادي!»..
ومِنْ نَقْرٍ عَلَى الطَّارِ؛
فعِشقي في الحَشا وارِي،

وبي مِنْ عَزَّةَ الْمَكْتُومُ والبَادِي..
وإيمانٌ بِتَعْقادِ!
وبي حزنٌ عَلَى مَسْرَى فَتَاها الْفَذِّ مِنْ دارِي:
لأَنَّا - يشهدُ الْباري! -
بضيف الله مشغوفون، لم نشبعْ، وسَرَّاجٍ وعَقَّادِ..
بدا في مُفْرَدٍ مقصودِ وُرَّادِ!..
بعقلٍ يُدْمِنُ التّفكيرَ نَقَّادِ،
وفكرٍ يقرِنُ السَّطْحيّ بالْعارِ..
لأنَّ السَّطْحَ خَدَّاعٌ، وفي الْعُمْقِ الغِنَى الْجارِي!

فَيَا غوّاصُ إنْ شَرَّقْتَ مُنْضَمًّا إلى أهْلٍ وأولادِ..
فلا تترُكْ هنا أهلاً بلا زادِ!:

أليسَ الشَّمْسُ تأتي الْغربَ مِن شرقٍ لإمدادِ...
بطاقاتٍ وأنوارِ..
على تأبيدِ تَكْرارِ؟
فَدُمْ - يا مثلَها! - الْمِعْطاءَ والفَادِي..
تُحقّق مُنْيَةَ الحادِي!
فحقّقْ مَنْيَةَ الْحادي!

انجمينا ٢٤/٦/٢٠٠٢م

****

٣٦ - خِدنُ المَعَالي

[الرجز]

أهـــلاً بـعـبـدِ الـلـــه، فَــهْــوَ زائــرُ
هــلّــتْ لــه، فــي دارِنـــا، الـبـشـائـرُ
إنَّ ابْــنَ عـبـدِ المحـسـنِ[1] الّــذي همَى
إحـسـانُـهُ هــامــتْ بــه الـسُّــرائــرُ..
.. فـالـعـالِـمُ الـتُّـركـيُّ غـيـرُ مُـغْـلِـظٍ
قـــولاً، ولا مِـــنْ دونـــه سـتـائـرُ!
مـا اسْـتـوحَـشَ الـدُّكـتـورَ مِـنْ معاصرٍ
فـي الخَـلْـقِ إلاّ الـظُّـلـمُ والـصَّـغـائـرُ،
عـــلاَّمـــةٌ، فـــي صـــدرِه عـلـومُـه:
مـا لـيس فـي الـصَّـدرِ الحـفـيـظِ طـائـرُ!
مـا إنْ دنـــا، والـصَّـحـبُ، مِـنْ مقرِّنا
حـتَّـى شـعـرْنـا أنَّـــهـــمْ مـنـائـرُ!
الـــرِّفـــقُ فـــي أخـــلاقـــه ديـــانـــةٌ،
أمّـــا الـــهـــوى فـــي سـوقـه فَـبَـائـرُ!
خِـــدْنُ المـعـالـي؛ زانـــه تَـــوَاضُـــعٌ،
تـهـفـو لـــه الأبـــصـــارُ والـبـصـائـرُ؛
وهـــو الأمـــينُ الحـــقُّ فـــي أمـانـةٍ
كـم صـيـتُـهـا فـي الـعـالـمـينَ سـائـرُ!

---

(١) عبد المحسن: هو الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عند زيارته النادي الثقافي الشعبي التشادي بإنجمينا في ٢٢/١/٢٠٠٠م.

مـــا هـــمَّـــهُ إلاّ رضـــــاءُ ربِّـــهِ

إذْ هَـــمُّ مَـــنْ تَـفَـرْنَجـوا الـشَّـطـائِـرُ:

شـــتَّـــانَ بـــينَ الـقـابـضـينَ دينَـهـم

جـمـرًا ومَـــنْ مـقـبـوضُـهـم سـجـائـرُ!

يـا مـحـسـنَ الأعـمـالِ: مـرحـبًـا!.. هُـنـا

يـدعـو لـك الحـــرابُ والحـــرائـــرُ

إزرعْ بِـسُـوحِ الجـامـعـات وحـدةً

.. أنـت الّـذي لـلـجـامـعـات ثـائـرُ..

.. وَارْبـطْ - وُقِـيـتَ الـشَّـرَّ - خيرَ أمَّـةٍ

بـالـودِّ حـتَّـى تـسـلـمَ المـصـائـرُ..

.. إذْ ذاك، فـيـنـا، لـن تـقـومَ دولـةٌ

لـلـبـغـي، مـهـمـا دارتِ الـدَّوائـرُ!

وأقْـبَـلْ - أخـا الإسـلام - حـبَّ نخبةٍ

مِـنْ بـلـدةٍ فـيـهـا الـشُّـعـور ثـائـرُ..

تـرنـو إلـى مَـنْ شـاركـوا لـسـانَـهـا

والإرْثَ. نِـعْـمَ الـقـوم والـعـشـائـرُ!

.. ظَـهْـرًا لأهـل الـضَّـاد فِـي انْـبِـعَـاثِـهِـم،

لـم تُـثْـنِـهِـمْ، عـن دعـمـهـم، خـسـائـرُ!

دامـــتْ أيـــادي الخـيـرِ مـسـتـمـرَّةً،

يُـسـقـى بـهـا جـــذرٌ، هـنـاك، غـائـرُ!

انجمينا، ٢٢/١/٢٠٠١م

****

٣٧ - والملتقى يتسع[1]

[مجزوء الرجز]

نَجَـاحُـكُـنَّ بَـاهِـرُ ... كَـكُـلِّ مَـنْ يُـسَـاهِـرُ

وَمُـلْـتَـقَـى يَـشِـعُّ مِـنْ ... هِـدَايَـةٍ لَـزَاهِـرُ:

تُجَـمْـهَـرُ الـرُّؤَى لَـهُ ... فَـوَقْـعُـهُ جُـمَـاهِـرُ،

يَـرَى بِـأَعْـيُنٍ صَـفَـتْ ... كَـأَنَّـهَـا الْمَـجَـاهِـرُ..

فَـهَـلْ يَـرَى ذوا قِـلًى: ... مُـضَـلَّـلٌ وَعَـاهِـرُ؟

عَـلَـى خُـطَـا مُـحَـمَّـدٍ ... يَـسِـيـرُ وَهْـوَ طَـاهِـرُ..

بِمَـخْـبَـرٍ مُمَـيَّـزٍ، ... وَمِـثْـلُـهُ الـظَّـواهِـرُ؛

كَـدَوْرَتَـيْنِ فَـاتَـتَـا: ... فَـهَـذِهِ تُـظَـاهِـرُ!

وَلُـطْـفُـكُـنَّ إِنَّـهُ ... لَـمُـحْـدَثٌ وَدَاهِـرُ!

فَـضَـيْـفُـكُـنَّ لاَهِـجٌ ... بِـشُـكْـرِهِ يُـجَـاهِـرُ

ثَـنَـاؤُهُ يَـفُـوحُ مَـا ... تَـوَهَّـجَـتْ أَزَاهِـرُ..

.. أَوِ انْـتَـشَـتْ، فَـأَطْـرَبَـتْ ... وَأَدْهَـشَـتْ، مَـزَاهِـرُ!

فَـإِنَّـكُـنَّ طَـاقِـمٌ ... لِـمَـا يَـعُـوقُ قَـاهِـرُ،

لَـدَى الْمَـسِـيـرِ حَـازِمٌ، ... وَفِـي الـرُّسُـوِّ مَـاهِـرُ،

---

(١) المناسبة: نُظِمَتْ كي تلقيها الفتاة التشادية المشاركة في الدورة الثالثة لملتقى الشارقة العالمي للفتيات المسلمات الذي تعقده أندية الفتيات بالشارقة تحت رعاية رئيستها صاحبة السمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي؛ حرم صاحب السمو حاكم الشارقة.

مُـتَـوَأَمٌ مَـعَ الـنَّـدَى، وَذَا لِـذَا مُـصَـاهِـرُ؛

فَـيَـا لَـهُ لآلِـئـا تَـقُـودُهـا جَـوَاهِـرُ..

.. لِجَـوْهَـرِ الأُمُـورِ لاَ تَـغُـرُّهـا الـمَـظَـاهِـرُ!

لَـكِـنَّ حُـبَّـنَـا - كَـمَـا تَـرَى الْـعُـيُـونُ - ظَـاهِـرُ:

عَـلَـى الـصَّـفَـاءِ قَـدْ نَمَـا، وَلِـلْـوَفَـاءِ شَـاهِـرُ!

انجمينا، في ٢٠٠٢/٣/٣٠م

****

٣٨ - يا صباح الاخضرار

[مجزوء الرمل]

جـاءَ مِـنْ تِلْـقـاءِ شَـارِي ... صَـوْتُ أَوْلادٍ صِـغـارِ...
رَدَّدُوا لَحْـنًـا شَـجِـيًّـا ... رَدَّ رِجْـلِـي عَـنْ مَسَـارِي،
فَـاسْـتَـجَـاشَ الْـقَـلْـبَ نَـظْـمٌ ... مُـسْـتَـقِـيـمٌ لاَ يُـــدَارِي..
صَـــاغَـــهُ الأَطْـــفـــالُ لَمَّـــا ... قَـلَّـدُوا سَـجْـعَ الْـقَـمَـارِي:
(يَـا صَـبَـاحَ الإِخْـضِـرارِ ... فِـــي زَمَـــانِ الإِنْـكِـسَـارِ:
أَنْـتَ نُـورِي! أَنْـتَ نَـارِي! ... فِـي مَـعَـانِيكَ انْـصِـهَـارِي!
أَنْـــتَ طَـــوْرًا كَـالْـمَـنَـارِ، ... ثُـمَّ طَـوْرًا ذُو الْـفِـقَـارِ..
فِـي يَـدِي يَـوْمَ الْـحِـصَـارِ... ... عِنْدَمَا تَسْعَى الضَّوَارِي)
رَاعَـنِـي الـقَـوْلُ الْـقَـفَّـى ... لُـــؤْلُـــؤِيًّـــا كَـــالْـمَـحَـــارِ..
جَـــاءَ عَـفْـوًا وَارْتِجَـــالاً، ... بَـلْ عَـلَـى غَـيْـرِ انْـتِـظَـارِي!
لَـكِـنِ اسْـتَـكْـثَـرْتُ فِـيـهِـمْ ... فَـهْـمَ مَـا غَـنَّـوْا جُـوَارِي،
عِـنْـدَ ذَا سَـاءَلْـتُ طِـفـلاً: ... «مَـا صَـبَـاحُ الإِخْـضِـرَارِ؟»
قَـالَ: «صُـبْـحُ الْـفَـاتِحِ الْمَعْـ ... ـروفِ، فَـجْـرُ الإِنْـتِـصَـارِ!»
قُـلْـتُ: «تَـعْـنِـي نَـصْـرَ أَنْـ ... نَـى دَوْلَـــةٍ مِـنَّـا وَدَارِ؟»
قَـالَ: «بَـلْ أَعْـنِـي انْـتِـصَـارًا ... عَـمَّ فِـي كُـلِّ الـدِّيَـارِ..
فَـــهْـــوَ فَـــتْـــحُ عَـــالَـمِـــيٌّ ... قَـصْـدَ تَـحْـرِيـرِ الْـقَـرَارِ..

لانْـعِـتـاقِ الـنَّـاسِ طُـرًّا مِـنْ إسَـارِ الإضْـطِـرارِ!»

قُلْتُ: «فَاضْرِبْ لِي مِثَالاً مِـنْ فِـعَـالٍ أَوْ شِـعَـارِ!»

قَـالَ: «بَـلْ أُعْطِيكَ زَوْجًـا دَافِـعًـا لـلإنْـبِـهَـارِ..

مِـنْ مَـسَـاعِـي فَـاتِحٍ لَـمْ يَـأْلُ يَـوْمًـا فِـي الْـبِـدَارِ:

فَـهْـوَ نَـادَى أُمَّـهَـاتِـي: (قَدْ مَضَى عَصْرُ الْجَوَارِي!)

ثُـمَّ كَـالَ الْـعَـوْنَ لِلْعَـا نِـي عَلَـى رَدِّ اعْـتِـبَـارِ..

... أحْصِ كَمْ مُسْتَعْمَرَاتٍ فُـكَّ عَـنْـهَـا قَـيْـدُ عَـارِ!»

قُـلْـتُ: «فِـي هَـذَا حُـرُوبٌ وَانْـتِـشَـارٌ لِـلـدَّمَـارِ!»

قَـالَ: «إنَّ الْحَـرْبَ أَمْـرٌ عُـدَّ فِـي حُكْمِ الـطَّـوَارِي..

لَـمْ تـقـرِّرْهـا شُـعُـوبٌ، بَلْ قُوًى خَلْفَ الْبِحارِ!...

.فَـاتِحُ الـثَّـوْرَاتِ جَـهْـدٌ - قَصْدُهُ التَّغْيِير - جَارِي،

لَـيْسَ حَـرْبًـا وَاغْـتِـيَـالاً، بَـلْ حـلُـولٌ بِـالْحِـوارِ...

بِـنْـرُ فِـكْـرٍ مُـسْـتَـنِـيـرٍ بُـثَّ فِـي ضَـوْءِ الـنَّـهَـارِ؛

ربَّمَـا الـثَّـوْرَاتُ أُفْـقٌ ثُـمَّ مَـشْـرُوعٌ حَـضَـارِي...

هِـيَ إيمَـانٌ قَـوِيٌّ صَـدَّ طَـاقَـاتِ الـنُّـضَـارِ،

ذاك - يا عَمِّي - يَقِينِي فِـي عِـبَـاراتٍ قِـصَـارِ!»

قلتُ: «مَـا سِـرُّ الَّـتِـي غَنْـ ـنَيْتُمُوها فِـي ابْـتِـكَـارِ؟»

قَـالَ: «بِـالـذِّكْرَى ابْتَهَجْنَا مِـثْـلَ أفْـرَاحِ الـكِـبَـارِ!...:

مِـثْـلَ عـيـدٍ فَـاتِـحِـيٍّ دَأْبُـنَـا تَـرْكُ الـشِّـجَـارِ..

الـعِـنَـاءُ الـعَـذْبُ يَـغْـ ـدُو - كُلَّ عِيدٍ - فِي ازْدِهارِ..

الـثَّـلاثِـيـنـيُّ هَـذَا عِـيـدُ عِـزٍّ وافْـتِـخَـارِ...
قـدْ يَـرَى إفـريـقـيـا تَـعْـ ـلُـو إلـى أعْـلَـى مَـدَارِ!»
قلتُ: «فَاسْلَمْ يَا صَغِيرِي مِـنْ سُـقُـوطٍ أوْ عِـثَـارِ...
فـي مـتـاهـاتٍ أصَـابَـتْ صَـانِـعِـيـهـا بِـالـدُّوارِ،
فـلْـتَـدُم ثَـوْرِيَّ فِـكْـرٍ، ثَـوْرَةً بِـالإخْـتِـيـارِ..

انجمّينا، ١٩٩٩/٩/٧م

****

٣٩ - بَلِ الْخَيْرُ مِنْ سُلْطَانِهِ[1]

[الطويل]

شَذًى أمْ شُعَاعُ الشَّرْقِ مَا شَاعَ مُنْعِشَا
عَلَى شَطِّ شَارِي فَاشْتَفَى الشَّطُّ وَانْتَشَى؟
بلِ الخيْرُ مِنْ سُلْطانِهِ فَاحَ، مُرْسَلاً،
سَرِيْعَ السُّرَى مِنْ مَشْرِقٍ لَيْسَ أطرشَا..
يُلَبِّي نِدَاءَ الْمُسْتَغِيثِينَ مُقْدِمًا،
وَهَلْ يُحْجِمُ الإشْعَاعُ حَتَّى يُحَرَّشَا؟
وأمَّا الْقَنَاةُ الْمُنْتَقَاةُ فَلَجْنَةٌ
إغَاثِيَّةٌ صَارَتْ هيَ القَلْبَ وَالْحَشَا
.. هِيَ اللَّجْنَةُ المَشْهود فِي الغَوْثِ غَيْثُها،
إذَا مَا هَمَى عِنْدَ المَجَاعاتِ أدْهَشَا:
طَعَامٌ و «فيتامينُهُ» مِنْ بَشَاشَةٍ
بِهَا يُغْتَذَى قَبْلَ «البروتِين» وَالنَّشَا!
وأبارُها فِي الرِّيْفِ أحْيَتْهُ بَعْدَ أنْ
بَلاَ غُبْرَةَ الصَّحْرَاءِ حِينًا فَأوْحَشَا!
يَجِيءُ الْجَدَا مِنْها بِلاَ مَنٍّ اوْ أذًى،
وَتَأتِي هِباتُ البعْضِ فِي هَيْئَةِ الرُّشَا:

---

(١) المناسبة: افتتاح مخيم لعلاج العيون في انجمينا ٢٠٠١/١٢/٢٨ ضمن المشاريع الخيرية للجنة الإغاثة لصاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز.

ومَــنْ كـانـتِ الأخــلاقُ فِـيـهِ اسْـتِـعـارَةً

فَـمَـا جـادَ بـالإحْـسـانِ إلاَّ مُـشَـوَّشَـا..

عَـلَـى سُـنَّـةٍ غَـيْـرِ الـتـي لَجنـةُ الأمِـيـ

ـرِ سُلْطانَ سَنَّتْها .. فَـرَاشَـتْ، وَرَشْـرَشَـا!

هـنيئًا لَـهـا بـالـنَّـصْـرِ والأجْــرِ سُـجِّـلا؛

وبِـالشُّكْرِ مَكْسُوبًا، وبـالـذِّكْرِ قَـدْ فَشا...

وبِــالأصْــدِقــاءِ الآخــريــنَ الّـذيـنَ هُـمْ

حَـلـيـفٌ لَـهَـا ضِـدُّ الأعــادِي تَجَـيُّـشَـا:

فَـمِـنْ أرضِ بـاكِـسـتـانَ جَــاءَتْ بِـنُـخْـبَـةٍ

مَـشَـتْ فِـي تَـصَـدٍّ لِلْعَمَى حيْثما مَشَى..

تَـرَى أن تَــرَى الـعَـيْـنـانَ حَـقًّـا وواجِـبًـا

لِـكُـلٍّ عَـلَـيْـهَـا: كُـلٌّ أعْـمَـى وَأعْـمَـشَـا!

فَـحَـظُّ الـعَـمَـى مِمَّـا هُـمَـا قَـدْ أعَـدَّتـا

زَوَالٌ وشـيـكٌ بَـعْـدَمَـا كـانَ عَـشْـعَـشَـا،

وَمَــا زالـتـا فـي الإنـتِـصـاراتِ ضِــدَّهُ،

وَمَــا زالَ يَـوْمًـا بَـعْـدَ يَــوْمٍ مُـهَـمَّـشَـا:

فــإنَّ الــعِــيــاداتِ الّـتــي قَــدْ تَــعَــدَّدَتْ

غَـدَتْ تمنحُ الْخُـفَّـاشَ عَـيْـنَـيْنِ كَـالـرُّشَـا!

صـنـوفٌ مِــنَ الـتَّـطْـبِـيـبِ فـي مُـعْـجِـزَاتِـهـا

عِــلاجٌ لِــمُـعْـتَـلٍّ وأعْـشَــى وَأخْـفَـشَـا...

عَـنِ الـصَّـدْرِ تنْفي كُـلَّ يَــأْسٍ وظُـلْـمَـةٍ،

وَتَـسْـتَـبْـدِلُ الإبْـصــارَ لِـلْـعَـيْنِ بـالـعَـشَـا!

.. فَكَمْ مُقْلَةٍ قَدْ أُرْجِعَتْ ضِمْنَ مَحجِرٍ
ومَا إنْ ثَوَتْ حَتَّى اسْتَعَدَّتْ لِتَرْعَشَا..
ومِنْ قَبْلُ كانتْ دُونَ حِسٍّ ولا رُؤًى
فأضْحَتْ تَعِي المَسْموعَ وَعْيًا مُبَرْقَشَا!
وكَمْ مِنْ عجوزٍ تُبْصِرُ النُّورَ -بَعْدَها-
وَبِنْتًا لَها.. كَيْ تَضْحَكَا ثُمَّ تجْهَشَا:
فإنَّ المَسَرَّاتِ المُكِرَّاتِ فَجْأةً
يُعانِينَ مِنْ جهدِ التَّبَارِي تَعَطُّشَا...
فَيَطْلُبْنَ عَيْنًا في عُيُونٍ سَرَرْنَها،
فيُسْقَيْنَ مِمَّا جُدْنَ مَحْضًا وأغبَشَا!
وَكَمْ مِنْ كفيفٍ ضَاعَفَ الضُّرُّ فقرَهُ
تَعَافَى عَلَى أَيْدٍ أَكَبَّتْ فَرَيَّشَا..
.. فأمْسَى - وكنَّا قَبْلَه ثَمَّ - قلبُهُ
يَشِي مِنْ شعورِ الحُبِّ فيكُمْ بِمَا وَشَى..
ويَدْعُو لأهْلِ الخَيْرِ مِنْكُمْ بِجَنَّةٍ
أُعِدَّتْ لَهُمْ، طابَتْ رِيَاشًا وَمَفْرِشَا،
وَفيها لَهُم مَا لاَ عَيونٌ رأتْ ولاَ
خَيالٌ رَوَى يَوْمًا ولاَ نَحْوَهُ اعْتَشَى!

انجمينا، ٢٠٠١/١٢/٢٨م

****

٤٠ - لسابع مرة![1]

[الوافر]

إلـى الـشَّـهَـوات بـعـضُ الـنَّـاسِ مـاضِ
كـمُـفْـتَـرِسٍ سـريـعِ الإنـقـضـاضِ
يـطـاردُ لَـذَّةً تَـفْـنَـى وتُـفْـنِـي
وَجِـدَّتُـهـا دوامًـا فـي انْـخِـفـاضِ!
وحـيـنَ يَمَـلّ صِـنْـفًـا مـا ويـسـعَـى
إلـى عِـوَضٍ يـعـانـي فـي اغْـتـيـاضِ..
يُـضَـيِّـعُ مـالَـه، والـعـمـرُ يـجـري
بمـثـلِ خُـطـاهُ نـحـوَ الإنْـقـراضِ،
فـيـتـرك هَـذه الـدّنـيـا مـديـنًـا،
مِـنَ الْحَـسَـنـاتِ مـطـويَّ الْـوِفـاضِ،
.. ويـذهـبُ حـيـثُ لا تـكـلـيـفَ يمحـو
بـه خَـطَـأً، ولا يـسـهـو الْـمُـقَـاضِـي!
ويـنـطـلـقُ المـعـزُّونَ انْـطِـلاقًـا:
فـلـم يَـتَـبَـقَّ غـيـرُ الإنـفـضـاضِ!
تجـنَّـبَ ذلـك الْمَـهْـوَى لـبـيـبٌ
يُـقـارِضُ رَبَّـه أَرْجَـى قِـرَاضِ،

---

(١) (ألقيت صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/١٢م في الحفل الذي أقامته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بقصر ١٥ يناير افتتاحًا لبرنامج البصر (القافلة السابعة).. وهو برنامج تنظمه اللجنة كل عام بالتنسيق مع مؤسسة البصر الخيرية العالمية تحت إشراف وزارة الصحة العالمية بجمهورية تشاد).

وأدركَ أنَّـــــه ربٌّ غـنـيٌّ
تَـــنَـــزَّه عــن ظـنـونٍ وافـتـــراضِ
وأنَّ عِـيـــالَـــهُ فـيـهـم جـيـاعٌ،
وأنَّ بـدايـةَ الـكُـفْـرِ الـتَّـغَـاضِـي
فـهـبَّ يـسـاعـدُ المحـتـاجَ بـرًّا
يُـنَـالُ فَـيُـتَّـقَـى شَـرُّ انْـتِـفَـاضِ!
يُـقَـلِّـدُ لجـنـةً لـلـخـيـرِ خـاضـتْ
إغـاثـتُـهـا الـتُّـقَـى حـقَّ الْخِـيـاضِ.
حَـبَـتْ بمـخـيـم إحـدى وعشـريـ
ـن منطـقـة فـعـادت لانـتـهـاض
بـأمـرِ أمـيـرِهـا سـلـطـانَ ظَـلَّـتْ
تـذودُ عَـنِ الأيَـامَـى وَالْمِـرَاضِ
وقـد وصـلـتْ إلـى أَقْـصَـى الْـقَـيَـافِـي
قـوافـلُـهـا بـلا أدنـى انْـقـبـاضِ!
ومـاءُ بـئـارِهـا يُـحْـيِـي رعـاةً
«تـتـبَّـر» لـلـمـواشـي فـي الحـيـاضِ
وتـبـذلُ لـلـيـتـامَـى فـضـلَ مـالٍ
فَـتَـكْـفُـلُ بعـضَـهـم مـنـذُ الْمَـخَـاضِ!
وهـا هِـيَ تـفـتـحُ الـيـومَ احـتـفـالاً
يـبـشِّـرُنـا بـآمـالٍ عِـرَاضِ
أعَـادَتْـهـا عـيـونًـا مِـنْ عَـمَـاهـا
إلـى الـلُّـفَـتَـاتِ - تحـلـو! - والـغـمَـاضِ
فَـمِـنْ خـبـراءِ بـاكـسـتـانَ جـاءتْ
بـأنـبـغِـهـم.. ومِـنْ كُـلِّ الأَراضـي

.. لسابع مرَّةٍ مِنْ أجل حربٍ
تُشَنُّ على العمَى وَالإيْبِضَاضِ،
وبالثَّمَرَاتِ مِنْ هذي المساعي
مؤسِّسُها الأميرُ الشَّهْمُ راضِ،
مُوَفَّقَةٌ!.. جزاها الله خيرًا
عَنِ الهِمَمِ المُجِدَّاتِ المَوَاضِي!
لمكتبِها ولِلْقَرْنِيِّ شكرٌ:
فقد تَعِبَا هنا دونَ اعتراضِ!
وبورِكَ في عطاءٍ قد تَنَامَى
مِنَ الْحَرَمَيْنِ يَهْمِي والرِّيَاضِ
فتلكَ مرابعُ الخيراتِ مَدَّتْ
أَيَادِيَهَا بَيَاضًا في بَيَاضِ،
وثَمَّ دماثةٌ تنسابُ منها:
فما عَرِفَتْ شعورَ الإمْتِعَاضِ!
نعاهدها بأنَّا سوفَ نُبقِي
على صِفَةِ التَّآخِي والتَّراضِي..
فنحنُ أشعَّةٌ مِنْ شمسِ نجدٍ،
ونحنُ أحِبَّةٌ في عينِ ماضي!!
انجمينا – في ١٢/٩/٢٠٠٣م

****

٤١ - الضَّادُ تَنْدُبُهْ![1]

[الرجز]

فــرضٌ عـلـيـكِ، أوجــبُ الــفــروضِ،
يــا أعــيَنَ الــرّجــالِ أنْ تـفـيـضِـي!
... الــيــومَ لــن يــهــمَّ أنْ تــوارِي
دمــعًــا هــمــيــتِ، بــل عــلــى الــنّـقـيـضِ:
فـلـيـسـقِ دمــعُــكِ الــغــزيــرُ أرضًــا
لــلــحــزنِ يــومَ مُـلـكِـه الــغَـضُــوضِ!
مَــنْ غــيــرُ دامــعٍ تَــرَيْــنَ أنّــى
عــايــنــتِ فــي الــتّــلالِ والخُــفُــوضِ؟
هــذي الــوهــادُ أهــلُــهــا دهــاهــمُ
هــولٌ هــوى بــسـهـلِـهـا الأريــضِ،
فــالــقــومُ - كــالــعــلــومِ - فــي ذهــولٍ،
لا تــكــتــفــي الــعــيــونُ بــالــبــضــيــضِ!
والــشِّــعــرُ طــائــرٌ بــلا حَــــرَاكٍ،
بــاكٍ عــلــى جــنــاحِــه الــمَــهــيــضِ:
مــاتَ الّــذي حــبــاه لحــنَ «وارا»!
وارى الــتّــرابُ مَــعْــلَــمَ الــنّــهــوضِ!
الــعــالِــم الــتّــقــيُّ فــي تــفــانٍ،
والــسّــمــحَ إنْ قــضــى وإنْ تُــقــوضِــي!

---

(١) (في رثاء العلامة - المغفور له إن شاء الله تعالى - عباس محمد عبد الواحد) وعباس محمد عبد الواحد شاعر قشادي من رواد المحافظين وله ديوان شعري من الحجم المتوسط عنوانه «الملامح ط بغداد ١٩٨٣م».

الـنّـاشـد الـرّقـيّ غـيـرَ وانٍ،
والـفـارضَ، المـفـسّـرَ، الـمَـرُوضِـي!
بـعـضُ الـعـلـومِ بـعـدَه بـئـارٌ
آلـتْ - بمـوتِـهِ - إلـى مَـغـيـضِ:
فـالـشّـيـخُ كـانَ واحـدًا فـريـدًا
فـيـهـا رَمَـى بـسـهـمِـهِ الـرُّكـوضِ،
لـم تُـغْـنِـهِ الـنّـجـومُ عـنـدَ رصـدٍ،
بـل أعـجـزَ الـنّـجـومَ فـي الـومـيـضِ!
قـدْ وقّـتَ الـصّـلاة فـاسـتـبـانـتْ،
والـصّـومَ لـم يَـدَعْـهُ لـلـغـمـوضِ..
يـرجـو رضـا الإلـهِ فـي خـشـوعٍ،
مـسـتـغـفـرًا بـهـامـسٍ خـفـيـضِ!
عـبّـاسُ! مَـنْ تـركـت لـلـمـغـازي
والـنّـحـوِ والحـديـثِ والـقـريـضِ؟
هـل قـلـت لـلـجـهـالـةِ: «اطـمـئـنّـي!
فـالجـوُّ قـد خـلا لـكـيْ تـبـيـضِـي؟»
أنـت الّـذي دعـوت مَـنْ تَـآخَـوْا
فـي الـضّـادِ لـلـسّـداد لا الـدّحـوضِ...
تـبـغـي لـبـيـرقِ الـنّـبـيِّ رفـعًـا،
والـبـعـضُ يـبـتـغـيـه فـي الحـضـيـضِ!
مـا جـاء عـنـك - قـطُّ - غـيـرُ بـرٍّ
- يـزهـو بـه الـرّوّاةُ - مـسـتـفـيـض..
لـم تـؤذِ عـامـدًا، وكـيـف يـؤذي
حَـامـي ذوي الجـراحِ والـرّضـوضِ؟!

حِـــين انـــبـــرى الـــكـــرامُ لـلـمـعـالـي

خـلَّـوْا أذى الأنـــامِ لـلـبَـعـوضِ...

فـالـعـلـم يـغـمـر الـــورى بـنـفـعٍ،

والجـــهـــلُ بـــالـتَّـرصُّـدِ الـبـغـيـضِ!!

مـــا قـــصـــرتْ يـــداك عـــن عـطـــاءٍ:

بـالـقـضِّ قـد وصـلـتَ والـقـضـيـضِ!

أثـــريـــتَ مِـــنْ جـــواهـــرِ المـعـانـي

لـكـنْ زَهِـــدْتَ ثَـــمَّ فـي الـعُـــروضِ؛

أفـشـلـتَ كـيـدَ مَـــنْ يـكـيـد، تـعـفـو!

كـم كِـيـدَ لـلـكـريمِ.. ثُـــمَّ رُوضِـــي!

لـــم يـتَّـهـمـك بـــالـنِّـفـاقِ فـعـلٌ

أو تـسـعَ فـي تـزلُّـفٍ مـريـضِ...

أوْلـيـتَ سـافـكـي الـدِّمـاءِ ظـهـرًا:

فـالـلـهُ جـــارُ كـلِّ مـسـتـعـيـضِ!

لـلـنَّـفـس قـسـت كـلَّـمـا تـشـهَّـتْ:

«لـو قـد أَمِـنْـتِ مَـكْـرَهُ فـخـوضِـي!..»

... بـين الأُلَـــى تـلـوَّثـوا وبـيـنـي

«لا تـقـربـوا الـنِّـسـاءَ فـي المحـيـض!»

لـلـه - وحـــده - الـبـقـاءُ!.. إنَّـا

ســـودًا لـنـا الـغـنـاءُ مـثـلَ بـيـضِ!

والـلـــه - لا يـــدومُ غـيـره مِـنْ

حـــيٍّ - هُـــوَ المـــلاذُ لـلـمَـرُوضِ،

يـــا ربّ فـــاغـــفـــرَنُّـــه بـفـيـضٍ

يُـغْـنـيـهِ يـــومَ عـــزَّةِ الـــقـــروضِ...

واغـــفـــر لـــه الـــذّنـــوبَ! فـيـهِ شَـفَّـعْ

خـيـرَ الـــورى بـجـاهِـه الـعـريـضِ!..

واســـكـــب عـلـى مـحـمـدٍ صـــلاةً

- والآلِ - سـرمـديّـةَ الـفُـيُـوضِ!!

انجمينا ٤/١١/٢٠٠٢م

****

٤٢ - رياح الخير![1]

[الكامل]

ضَحكتْ رياحُ الخيرِ وَهْيَ دوامعُ:
فعيونُها للمُعْصِراتِ منابعُ
وهَبيبُها لمُّ الغمامَ وساقَهُ،
فسقى الثُّرى مِنْ عِينةٍ تتدافعُ
فإذا بِهِ في حُلَّةٍ مُتَلالِئًا
وبساطُه المفروشُ أخضرُ فاقعُ
وتزيّنتْ كلُّ السُّهولِ بعشبها،
وتدفقتْ وديانُها تتقاطعُ
ودنا الفريكُ الحُلْوُ نحوَ هُواتِه،
وبدتْ مِنَ الخيرِ الجديدِ طلائعُ
وتضلَّعَ الأطفالُ مِنْ مَسَرٍ شَوَوْا،
فتسابقوا واستضحكوا وتصارعوا!
سببانِ سرَّاهمْ كما فرِحتْ لنا
بهما قُرًى قد هلّلتْ وشوارعُ -
وهما الخريفانِ اللّذان توافقا
زمنًا!.. إلهي.. إنّ فضلَكَ واسعُ!

---

(١) (ألقيت في الحفل الذي أقامته وزارة العمل الاجتماعي والأسرة بالاشتراك مع لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) في قاعة وزارة الخارجية بانجمينا صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/٥م بمناسبة استلام الأولى من الثانية مساعدات غذائية لتوزيعها على المحتاجين وانطلاق قافلة اللجنة السادسة عشرة).

فـخـريـفُ غـيـثٍ، ثـمّ أخـرُ مـثـلُـهُ

- شبعت بـه الجـوعـى هـنـالـك - راتـع

حـمـلَـتْـهُ أعـتـى الـطّـائـرات هَـدِيّـةً؛

وبـهـا الـغـيـاثُ الـنّـاجـزُ الـمُـتـسـارِعُ!

وتـواصـلَ الخـيـرُ الـعـمـيـمُ مضـاعـفًـا،

ومـضـى نـدى سـلـطـانِـهِ يـتـتـابـعُ

.. بـيـدٍ تـوالـى خـادمَ الحَـرَمَـيْنِ في

سُـنَنِ الـكـرام الـغُـرِّ لا تـتـراجـعُ

.. وولـيُّ عـهـدٍ ظـلَّ رمـزَ مـروءةٍ

وَهُـوَ الأمـينُ المـخـلـصُ المـتـواضـعُ

.. وبـلـجـنـةٍ مـا لـلإغـاثـةِ فـوقَـهـا

أحـدٌ عـلا: فـالآخـرونَ تـوابـعُ

بـذلـتْ قِـراهـا لـلـورى عـلـنًـا، فـقـد

بَـشِـمَـتْ عـيـونٌ بـالـقِـرى ومـسـامـعُ!

.. وبـأمـرِهـا سـارتْ قـوافـلُ جـمّـةٌ،

وتـعـنّـدتْ لـلـرّاكـعـين جـوامـعُ

وعـلـتْ خـلاوي الـقـارئـين، ووَزِّعَـتْ

كـتـبٌ، ومُـدّتْ بـالـمـيـاهِ مـزارعُ،

ومـضـتْ إلـى الـبـيـتِ الحـرامِ جـمـاعـةٌ،

وَمِـنَ الـيـتـامَـى كـم تُـعُـوهِـدَ ضـائـعُ!

وعـطـاؤهـا المـخـفـيُّ لـيـس بـضـائـعٍ:

أتـضـيـعُ عـنـدَ الـكـاتـبـيَن بـضـائـعُ؟

مِـنـحٌ هَـمَـتْ مِـنْ مـحسـنـيَن نَـحَـتْ بهم

جـهـةَ المـسـاعـي الـطّـيـبـاتِ نـــوازعُ!

فـوقـاهـمُ الـــرَّبُّ الـرّحـيـمُ عـذابَـهُ

وحـسـابَـهُ يـومَ الحـديـدُ مَـقَـامِـعُ

وأحـلَّـهـم دار الـمُـقـامَـةِ مُـنْـعِـمٌ

مـتـفـضِّـلٌ - يـغـنـى سـواه! - ورافـعُ!

.. وهَـدى الإلـهُ المـسـلـمـينَ بـهَـدْيِـهِ

وأعـادَ فـيـهـم ريـحَـهـم لِـيُـقـارِعُـوا

ولـئـنْ شَـكَـوْا يـومًـا إلـيـه ذَهـابَـهـا

أفـمـا تـنـاسَـوْا نَـهْـيَـهُ وتـنـازعـوا؟

وعـدوُّهـم إرهـابُـه مـتـصـاعـدٌ،

ونـصـيـبُـهـم - فـي ظـلِّ ذاك - فـظـائـعُ

فـإن اهْـتَـدَوْا واسـتـعـصـمـوا بكتابهم

وتـغـيَّـرتْ نـفـسٌ.. تَـغَـيَّـرَ واقـعُ!!

انجمينا - في ٢٠٠٣/٩/٥م

****

٤٣ - وَيْلُ العَمَى[1]

[الوافر]

حُـلُـولُ الـغَـوْثِ فِـي أيْـدِي الـضِّـعـافِ
هُـطُـولُ الـغَـيْـثِ مِـنْ بَـعْـدِ الْجَـفَـافِ!
كِـلا الخَـيْـرَيـنِ يُـنْـمِـي حَـيْـثُ يَـرْمِـي،
وَيَـحْـمِـي - حِـيـنَ يَـهْـمِـي - أَوْ يُـعـافِـي!
لَـئِـنْ هُـدَّتْ مَـعَ الأمْـطـارِ بِـئْـرٌ
فَـقَـدْ لا يُـعْـجِـزُ الْـغَـوْثَ الـتَّـلافـي...
وَلَـكِـنْ فـي الـمُـغِـيـثِـيـنَ اخْـتِـلافٌ:
فَـلَـيْـسَ الـكُـلُّ جَـوَّابَ الـفَـيـافِـي،
وأمَّـا الـعَـوْنُ فَـالـمُـعْـطَـى صُـنُـوفٌ:
مُـلَـبٍّ لاحْـتِـيَـاجٍ، أَوْ جُـزَافِـي؛
وبَـعْـضٌ طَـيِّـبٌ حِـسًّـا ومَـعْـنًـى،
وَبَـعْـضٌ شِـيـبَ بِـالـسُّـمِّ الـزُّعـافِ!
عَـلَـى أنَّ الأمِـيـرَ الـشَّـهْـمَ نَـبْـعٌ
لِخَـيْـرٍ دُونَ شَـكٍّ أَوْ خِـلافِ:
فَـعَـبْـرَ الـلَّـجْـنَـةِ انْـثَـالَ انْـثِـيـالاً
بِـغَـوْثٍ... لاَ شِـعـارٍ أوْ هُـتـافِ!

---

(١) المناسبة: ألقيت صباح الجمعة ٢٠٠١/٧/٢٧ بقصر ١٥ يناير في انجمينا خلال حفل افتتاح مخيم لعلاج أمراض العيون نظمته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بالتعاون مع مؤسسة البصر العالمية ضمن برنامج مكافحة العمى في تشاد، تحت رعاية وزارة الصحة ... وقد أضيفت إلى القصيدة عدة أبيات في نفس اليوم عقب انتهاء الحفل ضُمِّنَتْ هنا.

غِـــذاءٍ أوْ بِـــنـــاءٍ فِـــي نَمَـــاءٍ،
وَمَـــاءٍ - مِـنْ بِئـارِ الـعُـمْـقِ - صـافِـي..
وَهَـــذِي الـلُّـجْـنـةُ المِـغْـطـاءُ تـدعُـو
إلـــى أوْلَـــى عِـــلاجٍ كُـــلُّ عَـافِـــي،
فَـــوَيْـــلٌ لِـلْـعَـمَـى مِمَّـــا أعَـــدَّتْ
لَـــهُ مِـــنْ قُـــوَّةٍ مِـثْـلِ الْـطـافِـــي:
أطِـــبَّـــاءُ الـــعُـــيُـــونِ الـعَـالَمِـيُّـو
نَ، أرْقَـــى الـقَـوْمِ أهْـلِ الإحْـتِـرافِ،
رَعَـــوْا بَـرْنـامِـجَ الإبْـصـارِ! بُـشْـرَى
لِـمَـنْ يَـشْـكُـو! وَرَبُّ الـنَّـاسِ شَـافِـي!
رأيْـــتُ الـنَّـاسَ صَـــوْبَ المـالِ تَـغْـدُو
لِجَـمْـعٍ وَاكْـتِـنـازٍ وَاخْـتِـطـافِ
.وعِـــزْرائـــيـــلُ مَـــا بـالَـى بِمـــالٍ،
وَلاَ فِـي الـقَـبْـرِ مَـــرْءٌ غَـيْـرُ حَـافِـي:
إذَنْ فـالـــمَـالُ أوْراقُ اخْـتِـبـارٍ
إذا اسْـتَـغْـصَـتْ فَـلاَ وَقْـتُ إضـافِـي،
وَلَـــكِـــنْ بِـيْـنَـمَـا تَـعْـمَـى قُـلُـوبٌ
تَـعِـي أُخْـــرَى مَـــآل الإنْجِـــرافِ!
كـأنَّ الـنَّـاسَ - فِـي الـتَّـصْـنِـيفِ - نَـفْـطٌ
- هُـوَ المِـصْـفـاةُ - مِـنْ بَـرٍّ وَجَـافِـي!
.. وَلِـلإنْـســانِ بـالإحْـســانِ فَـــرْزٌ
فَـفَـرْزُ الْخَـــامِ رَهْـــنٌ بِـالْـمَـصَـافِـي!

ألاَ يَـا لَجْـنَـةً لِـلْـغَـوْثِ أَحْـيَـا
بِـهَـا سُـلْـطَـانُ أيْـتَـامَ الْمَـنَـافِـي:
بَـقِـيـتُـمْ تَحْـتَ حِـفْـظِ الـلـهِ ذُخْـرًا،
وَمَـا انْـفَـكَّـتْ أيـادِيـكُـمْ تُـوافِـي..
.. ألـوفًـا نَـحْـوَكُـمْ مَـدَّتْ كُـفُـوفًـا،
وَلاَ تَـرْنُـو إلَـى غَـيْـرِ الْـكَـفَـافِ!
جَـزَاكُـمْ رَبُّـنَـا الـوَهَّـابُ خَـيْـرًا:
فَـمَـا تَجْـزِي عَـنِ الْخَـيْـرِ الْـقَـوَافِـي!
ألاَ فِـي الـنَّـاسِ كُـونُـوا أَهْـلَ صِـدْقٍ،
فَـأَمْـرُ الْـغَـشِّ دَوْمًـا لانْـكِـشَـافِ
وَأنْـتُـمْ مِـنْ بِـلادِ الـوَحْـيِ رَهْـطٌ
شَـغَـلْـتُـمْ مَـوْضِـعَ الإسْـمِ الـمُـضَـافِ
... بِـلادٌ خَـصَّـهـا فَـضْـلٌ، فَـمَـا فِـي
سِـواهـا مِـنْ وُقُـوفٍ أوْ طَـوافِ
كَـمَـا شَـعَّـتْ هُـدًى يَـدْعُـو فَـشِـعُّـوا
دُعـاةً لِـلـتَـآخِـي وَالـتَّـصَـافِـي

انجمينا - ٢٠٠١/٧/٢٧م

****

٤٤ - هِيَ العَشْرُ

[المتقارب]

هِـيَ الـعَـشْـرُ لا غَـيْـرَ: عِـقْـدٌ خَـلاَ،
وعِـقْـدٌ يُـزَيِّـنُ مُـسْـتَـقْـبَـلاَ
وَعَـقْـدُ مَـعَ الْحَـقِّ أَنْ يُـقْـتَـفَـى
فَـأَوْفَـى، وَبِـالـمُـعْـجِـزاتِ انْجَـلَـى!

هِـيَ الـعَـشْـرُ، فـي الـمُـنْـجَـزاتِ انْـقَـضَـتْ:
هُـدًى، أوْ فِـدًى، أو غَـدًا مُـعْـجَـلا
.. ونِـقْـطًـا إذَا الـنَّـاصِـرُ اسْـتَـبْـشَـرَتْ
بِـتَـصْـدِيـرِهِ زَغْـرَدَتْ دُنْـقُـلا
كَـهَـذِي تَـكُـونُ الـسُّـنُـونَ الَّـتِـي
تُحَـيِّـا وتُحْـيِـي... وإلاَّ فـلاَ

هِـيَ الـعَـشْـرُ: أنْـعِـمْ بِـعَـشْـرِيَّـةٍ
حَـمَـتْـهَـا قُـلُـوبٌ غَـلَـتْ مِـرْجَـلا،
شَـبـابٌ تَحَـدَّوْا قُـوَى رَثَّـةً
وَطُـغْـيـانَ رَجْـعِـيَّـةٍ مُـخْـجِـلا
.. وَمُـسْـتَـكْـبِـرِيـنَ اعْـتَـدَوْا بَـغْـتَـةً
وَفِـي خِـسَّـةٍ نَمَّـرُوا مَـعْـمَـلا

.. وَدَبَّـــابَـــةً لِـــلـــرَّدَى أُحـــدِثَـــتْ
بِـــدَبَّـــابِـــنَـــا.. دَبَّ مُـسْـتَـيْـسِـلا
سَـــأَلْـــتُ الـثُّـــرَيَّـــا: «ألَـــمْ يَـطْـبَـعُـوا
خُـطَـاهُـمْ عَـلَـيْـكَ؟» فَـقَـالَـتْ: «بـلَـى!
.وَلَـــكِـــنَّ أَقْـــدامَـــهُـــمْ تَـعْـتَـلِـي
مَـقَـامًـا لِـتَـرْقَـى إلـى مَـا تَـلاَ»
فَـيُـبْـلُـونَ - كَـالـشَّـمْـعِ - أجْـسـادَهُـمْ
وَتَـبْـلَـى الـلَّـيـالِـي بِـهِـمْ رُحَّـلا
.. سِـراعًـا إلـى جَـنَّـةٍ - عَـرْضُـهـا
كَـعَـرْضِ الـسَّـمَـاواتِ - بَـعْـدَ الـبِـلَـى
وَهُـــمْ وَحْـــدَوِيُّـــونَ، فِـــي مَـعْـشَـرٍ
تَـــوَلَّـــوْا نَـبِـيَّ الْـهُـدَى الـمُـرْسَـلاَ

رِفـــاقُ الـشَّـهِـيـدِ الـزُّبَـيْـرِ انْـتَـقُـوا
لِـيَـهْـمُـوا عَـطَـاءً قَـدِ اسْـتَـرْسَـلا
بِـــرَغْـــمِ الأُلَـــى أَرْجَـــفُـــوا مَـوْهِـنًـا
مِـــنَ الـلَّـيْـلِ وَاسْـتَـعْـمَـلُـوا الْـمِـعْـوَلا
يَـــقُـــولُـــونَ: «سُـــودَانُـــنَـــا قَـــدْ غَـــدَا
رَهِـــيـــنَ الـخُـصُـومَـــاتِ أَوْ مُـبْـتَـلَـى
... وفِـــي عَـهْـدِنَـا كَـــانَ مُـسْـتَـعْـصِـيًا
عَـلَـى الـنَّـبْـذِ لَـمْ يَـغْـتَـزِلْ مَـحْـفِـلا
أَلَـــنْ يَـصْـدُقُـوا، قَـطُّ، فِـي مَـزْعَـمٍ
كَـمَـا بِـالأكَـاذِيـبِ جَـابُـوا الْـفَـلا

فَـــأَنَّـــى لِـــسُـــودانِ أيَّـــامِـــهِـــمْ
بِـــأنْ يُـــدْمِـــنَ الـسَّـيْـرَ نَـحْـوَ الـعُـلا
وأيْـــنَ الخِـيـــاراتُ كَـــانَـــتْ... إذَا
بِـهِـمْ كَـــانَ بَـــابُ الـعُـلَـى مُـقْـفَـلا
نُـطـيـح بـحُـكَّـامِ عَـجْـزٍ لَـهَـوْا
إلـى رُكْـــنِ مَـا بَـــاحَ وَاسْـتُـبْـدِلا!
فَـطُـوبَـى لَـهـا يَـــوْم أنْ أرْكَـبَـتْ
عَـلَـى الـفَـوْرِ سُـلْـطـانَـهُـم ثَـيْـتَـلا!

وشَـقَّـتْ - لِـئـلاَّ يُـبَـاعَ الحِـمَـى -
طَـرِيـقَ انْـبِـعـاثٍ لَـهُ مُـذْهِـلاَ..
وشَـعْـبٍ وَجَـيـشٍ عَـلَـى كِـلْـمَـةٍ
سَـــوَاءٍ قَـدِ اسْـتَـلْـهَـمَـا الـمُـنْـزَلاَ:
ومَـهْـمَـا يُـعِـدَّاهُ مِـنْ قُـوَّةٍ
يُـعِـدَّا مَـعَ الـدَّانَـةِ المِـنْـجَـلا..
ورغْـمَ الـوَغَـى لِـلـسَّـلامِ ابْـتَـنَـوْا
مِـنَ الـدَّاخِـلِ الـصَّـرْحَ حَـتَّـى عَـلاَ:

وإنْ مَـنْـقَـلاَ وَاخْـضِـرارٍ زَهَـا
.. إلَـى الـثَّـغْـرِ مُـسْـتَـرْفِـدًا مَـنْـقَـلا،
ومِـنْ سَـنْـجَـكٍ رَنَّ طَـنْـبُـورُهُ
.. إلـى سُـومِـي فِـي رَقْـصَـةِ الـكَـمْـبَـلاَ
شُـعُـورٌ - وَحِـسٌّ الـهَـوَى وَاحِـدٌ -
بِـفَـجْـرٍ جَـدِيْـدٍ بَـدَا مُـقْـبِـلاَ:
دمًـا، ثُـمَّ دمْـعًـا وَنِـفْـطًـا مـعًـا -
لِـيُـرْسِـي وِفَـاقٌ وَحُـلْـمٌ غَـلاَ..

وفـــاقٌ لِـفَـجْـرٍ - فَـرِحْـنـا بِـهِ،
عَـلَـى بُـعْـدِنـا - إنْ رَسَـا أُكْـمِـلاَ،
فـلَـمَـا انْـتَـبَـهْـنـا لأنَّـا - وقَـدْ
نَـأَيْـنَـا - اشْـتَـبَـهْـنَـا بِـحِـبٍّ سَـلا..
بَـكَـيْـنَـا كَـمَـا قَـدْ بَـكَـى شَـاعِـرٌ
فِـراقَ الـمَـوَلَّـي مِـنَ الأشْـكِـلاَ!

وأمَّـا فِـرَاقِـي لَـكُـمْ - إخْـوَتِـي!
فَـمَـا عَـنْ نُـفُـورٍ، ولاَ عَـنْ قِـلَـى..
وَلاَ عَـنْ تَـأَسٍّ بِمَـنْ كُـلَّـمَـا
نَـفِـيـرٌ دَعَـا صَـدٌّ وَاسْـتَـمْـهَـلاَ..
وَلَـكِـنْ رِبَـاطًـا عـلَـى فُـرْجَـةٍ
وَيَـبْـقَـى ولاَئِـي لَـكُـمْ أوَّلاَ!!

انجمينا - ١٩٩٩/٨/٥م

****

٤٥ - أتيناكم

[الهزج]

أَتَـيْـنَـاكُـمْ... أَتَـيْـنَـاكُـمْ،
فَـحَـيُّـونَـا نُـحَـيِّـيـكُـم
وَلَـوْلاَ الحَـبَّـةُ السَّـمْـرَا
ءُ، لَـمْ نَـحْـلُـلْ بِـوادِيـكُـمْ!
أَتَـيْـنَـاكُـمْ نُـرِيـدُ الْـوَصْـلَ
وِفْـقَ الـشَّـرْعِ وَالـسُّـنَّـة

فَـرغَـمَ الـنَّـأيِ وَالأنْـوَا
ءِ، وَالأشْـواقِ وَالْـفِـتْـنَـه
عَـلَـى عَـهْـدِ الـهَـوَى الْـعُـذْرِيْ
يِ لَـمْ نَـبْـرَحْ بـلا ظِـنَّـه
لـعـلَّ الـعَـهْـدَ يـعـطـيـنَـا
بِـوادِيـكُـمْ غَـدًا جَـنَّـه
فَـحَـيُّـونَـا لِـكَـيْ نَـحْـيَـا
بِـسِـلْـمٍ فـي مَـغَـانـيـكُـمْ!
أتـيـنـاكـم فَـهَـلْ نَـلْـقَـى
سَـلاَمًـا مِـنْ فـتـاةِ الْحَـيْ؟

فَـــإنْ حَـــيَّـــتْ صَـــحِـــبْـــنَـــاهَـــا
بِـــهَـــا نَـــطْـــوِي الـــصَّـــحَـــارَى طَـــيْ
نـــزفُ الـــرَّكْـــبَ لا يَـــقْـــطَـــعْ
عُـــرَى قَـــيْـــسٍ وَلَـــيْـــلَـــى شَـــيْ
وَإنْ تَـــسْـــكُـــتْ عَـــلِـــمْـــنَـــا مِـــنْ
حَـــيَـــاءٍ ذَاكَ لا مِـــنْ عَـــيْ
فـــحـــيُّـــونـــا عَـــنِ الْحَـــوْرَا
ءِ، وَلْـــتَـــكْـــثُـــرْ أمَـــانِـــيـــكُـــمْ!
أتـــيـــنـــاكـــم وَلَـــولاَ الْحَـــبْـــ
ـــبَـــةُ الـــسَّـــمْـــراء لَـــمْ نَـــأتِ!!

... فـــإنَّ الحُـــسْـــنَ وَالإشْـــرا
قَ، فِـــي الأزْهَـــارِ والـــنَّـــبْـــتِ...
... وَكُـــلَّ الخَـــيْـــرِ وَالإنْمَـــا
ءِ، وَالـــبُـــشْـــرَى مَـــدَى الْـــوَقْـــتِ،
وَجِـــئْـــنَـــاكُـــمْ بِـــأوْفَـــانَـــا:
فَـــتًّـــى يَـــغْـــلُـــو عَـــلَـــى الـــنَّـــعْـــتِ؛
فـــحـــيّـــونـــا يَـــتِـــمُّ الـــسَّـــعْـــ
ـــدُ والـــنُّـــعْـــمَـــى تُحَـــيِّـــيـــكُـــمْ!

دار كجاسة، في ريف تشاد – ١٩٧٣م

****

٤٦ - لِيَخْلُدَ مَا تُشَيِّدُ![1]

[الوافر]

بـقـاؤُكَ لا يمـدِّدُهُ مُـحـامـي:
فـعـمـرُكَ لـلـتَّـنـاقـصِ بـانْـتـظـامِ!
وعـجـزُك عـن شـراءِ دقـيـقـتـيـنِ
يـسـاوي عـجـزَ طـالـبِ الـفِ عـامِ!
وتَـفْـطِـمُـك الحـيـاةُ ولـسـتَ تُـدلِـي
بـرأيٍ فـي الـرِّضـاعِ ولا الـفِـطـامِ..

وإنْ بَـنَـتِ الـيـدانِ قـصـورَ دنـيـا
بـدا فـيـهـا الـقـصـورُ عـن الـتَّـمـامِ:
مـتـى اسْـتَـوَتِ الـقـواعـدُ راسـيـاتٍ
سـرى الـسَّـوسُ المـؤسِّـسُ لانْـثِـلامِ!..

وحـيـث تـنـاطـحُ الـسُّـحـبَ المـبـانـي
تـؤولُ الـنَّـاطـحـاتُ إلـى حُـطـامِ:
فـمـا رفـعَ المـقـاولُ غـيـرَ وهـمٍ،
ومـا اصـطـنـع الـبـنـاةُ سـوى رُكـامِ!

---

(١) المناسبة: أعدت لكي تلقى في حفل للجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بمناسبة الأحداث الثلاثة المشار إليها ضمن القصيدة.

ففيمَ - إذنْ - تُصِرُّ على سرابٍ؟
وأين الخلدُ؟ خلفَكَ أمْ أمامي؟
يسارعُ بعضُ مَنْ جَهِلوا فضلُّوا
إلى بحرٍ من الشَّهَوات طامي
وأنئذٍ يلوذُ مَنِ اسْتجابوا
لربِّ النَّاسِ بالهممِ العظام!

ليخلُدَ ما تشيِّدُ رُمْ مَقَرًّا
لَهُ دارُ الحقيقةِ والمُقامِ
تأسّ بلجنةٍ بيدٍ أغاثتْ،
وبالأخرى أرَتْ سُبُلَ السّلام

تُمَهِّدُ للمئات سبيلَ حجٍّ،
وتأتي، في المجاعةِ، بالطَّعامِ
وفي صلةِ الأراملِ واليتامى
- وللخيراتِ - تسبِق أو تسامي
وفي رمضانَ أطْعَمَتِ الْبَرَايَا
فطورًا بالتُّمُورِ وبِالإدَامِ

إذا اقتتلَ الأحِبَّةُ حَوْلَ بئرٍ
سَقَتْ مِنْ راشدٍ وإلى خُزامِ
بمكّةَ والمدينةِ تُحْفَرَانِ،
وفي البئرينِ مقبرةُ الخِصَامِ!

وهَـا هِـيَ تـبـدأُ الـفَـقَـرَاتِ حَـفْـلاً
بـأعـمـالٍ مـقـدّمـةِ المـرامـي
فـجـامـعُ فَـيْـصَـلَ الـعَـلَـمُ الـمُـعَـلَّـى
تجـلَّـى الآنَ فـي بُـسُـطِ الـكـرامِ
ومَـنْ فَـرَشَ المـسـاجـدَ نـالَ حـظًّـا
مِـنَ الـرّحـمـنِ فـوقَ مُـنَـى الأنـامِ!

وثـمّـتَ جـامـعٌ، فـتـحـوا، جـديـدٌ
عـلـى تـقـوى تـأسّـسَ لـلـقـيـام
دَعَـوْهُ تـيـمّـنًـا، وبـدونِ شـركٍ،
أبـا ذرٍّ؛ فـبـورِكَ فـي الأسـامـي!

وتُـفْـتَـحُ لـلـعـلاجِ ثـلاثُ دورٍ:
عـيـادات مـكـمّـلـة الـنِّـظـامِ
جـزى المـلـكُ المـهـيـمـنُ مَـنْ بـنـاهـا
ثـوابًـا لا يـكـفُّ عـن الـتّـنـامـي!

شـعـورُ قـلـوبِـنـا فـرحٌ وشـكـرٌ،
وبـعـضٌ مـنـه يـظـهـرُ فـي الـكـلام
وفـي كَـلِـمـي سـأنْـظِـمُـه عـقـودًا؛
فـهـل تُـغْـفَـى إذا صـمـتـتْ، حُـزَامِ؟

فـيـا مِـنَـحَ الـرضـا بـتـشـادَ: زيـدي،
ويـا أيّـامَـهـا الـقَـلِـقَـاتِ: نـامـي!

أكِـــنُّ لجـابـري الـعَـثَـراتِ حـبًّـا،
وسـلـطـان الأمـيـرِ لَـهُ احْـتِـرامـي
ويـا قـرنـيُّ دُمْ سَـنَـدًا لـبـالـي
رسـولِ الـبِـرِّ مِـنْ أرضِ الإمـام
مُـنَـفِّـذِ أمـرِ مَـنْ هـطـلـت يـداه،
وأنَّـى سـارَ قـوبـلَ بـاهْـتـمـامِ!
أُذَكِّـرُكَ اسْـمَ مُـؤْتَمَـرٍ نَـنَـادِي
إلـى ثـانـيـهِ عُـطِّـلَ بِـالـلـجـامِ
وأشـكـرُكـم كـمـا فـعـلـتْ ألـوفٌ،
بَـقِـيـتُـمْ مـفـلـحـينَ عـلـى الـدّوامِ!!

انجمينا، في ٢٦/٤/٢٠٠٢م

****

٤٧ - خيوط الجريمة![1]

[الطويل]

تَـلاَقَـتْ عَـلَـى غَـدْرٍ بِمَـغْـنًـى وقـيـمـهْ،
قـلـوبٌ كـأحـجـارٍ وأيـدٍ أثـيـمـهْ:
وطـاويـطُ لـيـلٍ خَـطَّـطَـتْ ثُـمَّ نَـفَّـذَتْ،
وَلِـلَّـيْـلِ آفـاتٌ، هـنـا، مـسـتـديمَـه!
جَـنَـتْ ما جَـنَـتْ، مثلَ الأفـاعِـي، فَبَيَّنَتْ
مـتـى يـصـبـحُ الإنـسـانُ دونَ الـبـهـيـمـه!
بـلا أيّ ذنـبٍ أَطْـلَـقَـتْـهـا رصـاصـةً
- على الـرأسِ، تعني القتلَ عمدًا - يتيمَه!
وسـاعٍ إلـى بـعـضِ الـزَّوايَـا يـزورُهـا،
صـلاحًـا ونـورًا[2]، قـد أعـاقـتْ قُـدُومَـه؛
فـلـمّـا هَـوَى مـسـتـشـهـدًا مـاتَ مـحـسـنٌ
كـريمٌ أخـو ذكـرٍ لَـهُ الْـبِـرُّ شِـيـمَـه
.. يـرى نـفـسَـهُ الْـمَـغْـنِـيَّ بـالـفـعـلِ إنْ رأى
«نـداءً لأصـحـابِ الـقـلـوبِ الـرحـيـمَـه[3]!»
وأنّـى لـه الـتّـسـويـفُ والـخـيـرُ وافـرٌ
وإيـثـارُهُ الْـيُـسْـرَى وطـيـبُ الأَرُومَـه؟
فـمـا اغـتـالَ مَـنْ أَرْدَوهُ نـفـسًـا بـريـئـةً
فـقـطْ إنّـمـا اغـتـالـوا فُـيُـوضًـا ودِيمَـه!

---

(١) (في ليلة الجمعة ٢٠٠٣/٩/٢٦م جرى بانجمينا اغتيال رجل الأعمال والبر والإحسان السوداني الشيخ ابن عمر إدريس يوسف، رحمه الله).

(٢) إشارة إلى زاوية الشيخ/ صالح النور التي كان الفقيد متوجهًا إليها حينما تم اغتياله.

(٣) إشارة إلى باب في بعض الصحف يخصص لطلب المساعدة لذوي الحاجات.

وإبليسُ غشَّاشٌ[1]، نَعَمْ، لكِنِ الْوَرَى
عقولٌ؛ أيرضى العقلُ ألاَّ نَلُومَه؟
تَنَاءَى زمانٌ طالما صبَّ لَوْمُهُ
عَلَى صوتِ غِرْبانٍ وإبصارِ بُومَه!
وما العمرُ إلاَّ مَرَّةً عاشها فتًى
إلى اللهِ يمضِي مؤمنًا ذا عزيمَه
.. ومِنْ بَعْدُ يَلْقَى خصمَهُ دونَ عصْبَةٍ:
قريبًا، أمامَ اللهِ، فصلُ الْخُصُومَه!
.. على أنَّ للأحياءِ حقًّا يصونهم
قصاصًا وتأمينًا، فأين الحكومَه؟
أليستْ عَنِ المشروعِ[2] مسؤولةً هنا
ومَنْ هَمُّهُ المشروع حتَّى يقيمَه؟
وشعبٍ يعيشُ العمرَ صيدًا مطارَدًا:
أمَا آن أن يُلْفَى فَيُكْفَى هُمُومَه؟
ومَنْ، ثمَّ، قد يكفيهِ إلاَّ حكومةٌ
عساها - بِجَدْوَاهَا - تفوقُ التَّمِيمَه!
ولا خيرَ فيها دونَ عطفِ الأمُومة!
وغطَّتْ - على عِلْمٍ - خيوطَ الجريمه
.. أوِ اسْتَهْتَرَتْ بالأمر، أو فيه ماطَلَتْ
كَصُنْعِ الْمُداري طفلَهُ كي يُنْيمَه:
فلا نومَ فينا بعدما عيل صبرُنا
ولا في مآلاتٍ، تراءتْ وخيمه

---

(١) «غشني إبليس» هو اعتذار كثيرا ما يردده مرتكبو الخطايا.

(٢) إشارة إلى مشروع مصفاة انجمينا الصغرى التي تعمل في إتمامها شركة الفقيد.

ولـيـسـت دروبُ الحـكـمِ إلاّ لـعـيـنـةً

تـلـوّتْ وأخـــرى، تُحْـتَـذَى، مـسـتـقـيـمـه!

إنِ الْحُـكْـمُ - حـقُّ الحـكـمِ - إلاّ لـربّـنـا،

ونـعـمـاؤه ظـلّـتْ عـلـيـنـا عـمـيـمـه،

سـألـنـاه رضـوانًـا يـغـطّـي فـقـيـدَنـا،

ومـسـكًـا - على قُـرْبَـى - يـروّي كُلُومَـه،

ويـا أهـلَ قـطـريـنِ اسْـتَـعَـانـوا بـدمـعِـهـم

وصـبـرٍ عـلـى إحـدى الـرّزايـا الأليـمـه:

كـمـا وحّـد الحـزنُ الـشـقـيـقـيـنِ وحّـدوا

مـصـيـرًا.. مـضـى عـهـدُ الْحُـدُودِ الـقـديـمـه!

انجمينا - في ٣٠/٩/٢٠٠٣م

****

٤٨ - رنيـن

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
يرنُّ، يرنُّ كمطرقةٍ؛ ويرنُّ، يصلصلُ ليس يَكِلُّ!
يرنُّ كما تتصايحُ جِنُّ:
دوائرَ مِنْ صخبٍ وصداهُ: يَطِنُّ فتكبرُ حينَ يطنُّ..
وتتسعُ الْحَلَقَاتُ: يظلُّ يُجاوِبُهَا وتَظَلُّ؛
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
يرنُّ بجعبةِ مَمْتَحِنٍ ويَصِلُّ،
يرنُّ وبِالصَّدَمَاتِ يَشُدُّ
عَلَى الْقَلِقِينَ تَوَتُّرَهُمْ: فيثورُ فَتًى ويخرُّ مُسِنٌّ،
وبينَ مكالمتينِ يُضَيِّعُ حَلٌّ..
فيرسبُ ذو كسلٍ ومُجِدٌّ!!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
ونجلسُ مجتمعينَ مَعًا فيرنُّ،
يرنُّ بصلصلةٍ متسلسلةٍ فنكادُ نُجَنُّ؛
يرنُّ، فَتُرْبِكُ جَلْسَتُنَا ونُشَلُّ:
فنحن – بفعلِ حراكِ ذَوِيهِ – أَقَلُّ،
يقومُ مَنِ الْتَصَقَتْ أُذُناهُ بهاتِفِهِ ويَنِدُّ..
تُلَوِّحُ منه يَدَانِ وتضحكُ سِنٌّ؛

فَنَرْجَعُ دونَ نِصابِ لوائِحِنا ونُرَدُّ..
نلوكُ دقائِقَنا، نترقبُ مَنِ جلسوا ونُعِدُّ
لكيْ نتعهّدَ جلسَتَنا، فإذا بجهازٍ سواهُ يرنُّ!
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..
كما يَتَنَحْنَحُ فوقَ يدٍ تتراعشُ غُلُّ!
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..
نقيقَ ضفادعَ: تتعبُ واحدةٌ فتصنُّ
فتنطلقُ الْعَشَراتُ كأنَّ تَعَاقُبَهُنَّ قَضَاهُ سِجِلُّ
وصولتَهُنَّ على الْمُتَسَمِّع حَدٌّ!!
وتذهبُ جلستُنا بددًا وتضلُّ
يُراوِحُ موعدُها - لِتُعاوَدَ - بينَ «أُؤَكِّدُها» و«أَظُنُّ»!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
كأنَّ مِنَ الزّملاءِ هنالكَ مَنْ هُوَ ضِدُّ:
جيوبُ ملابسِهم تتحوّلُ أعمدةً، وتكنُّ
سيوفَ دِمَقْلِسَ إذْ يتنازلُ عدُّ..
ثَوَانِيَ؛ ثمّ تصلُّ؛
هواتفُهم تتبادلُ دَوْرَ مقتَلِنا، وتظلّ تصلُّ؛
تقسِّطُ مهلِكَ سائرِنا بِتَلاحُقِها، ولذلكَ فنُّ
- بمصلحةِ العقلاءِ يخلُّ! -
عليهِ بأرضٍ تَشَادَ بَنو مَدَرٍ نَشَأُوا ومَعَدُّ:
ففي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ نُعَدُّ،
وللأزماتِ هُناكَ صَبَاحَ مَسَاءَ محلُّ!!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!

يرنُّ يفاجئ مُحْتَضَرًا، فيئنُّ؛

يرنُّ خلالَ جراحتِهِ ويزنُّ،

يرنُّ مُدًى تتخلّلُ غفوتَهُ وتقدُّ،

تهزُّ سَكِينةَ ما حقنوهُ فخدّرَهُ وتهدُّ:

كأنَ جهنّمَ ثَمَّ تُطِلّ..

لها صخبٌ يتجلّلُها، ومِنَ الدَّرَكاتِ يُشَنُّ؛

فأينَ نجاةُ مَنِ اخْتَرَقَتْهُ مباضعُ؟ كيف يقيهِ مصَدُّ

وما صَحِبَ الْعَمَلِيَّةَ سدُّ؟؟

وليسَ مِنَ الصّخبِ الْمُتَمَوْسِقِ ثَمَّتَ ظِلُّ:

فها هُوَ هاتفُ بعضِ مَنِ اصْطَحَبُوه يرنُّ!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..

كما شَحَذَ الشُّفِراتِ مِسَنُّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ ..

يرنُّ كما تتصايحُ جِنُّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ !!

(انجمينا ٢٠٠٢/٧/٩م)

****

٤٩ - يَاسينُ فيهمْ![1]

[المنسرح]

سِيقوا إلى حيثُ البِشْرُ والفرحُ،
واهًا لهمْ! إنَّ القَوْمَ قد ربحوا!
عند الّذي ما ضاعتْ ودائعُهُ،
قد زايلوا عهد الموت واطّرحوا!
واللهِ أحياءٌ عنده أبدًا:
يكسوهمُ الاطمئنان والفَلَحُ!
أُوتوا طيورًا خُضْرًا حواصلُها
مأوًى لأرواحٍ كم بها سَمَحوا!
ياسينُ فيهم - إنْ شاءَ خالقُنا -
شيخٌ شهيدٌ، والصّدرُ منشرحُ!
أرضَى ويُرضَى: فالشّيخُ أحمدُ لم
يطمحْ إلى دنيا شأنَ مَنْ طَمَحوا..
بل كان أستاذَ الباذلينَ دمًا،
للحقِّ ما أعطَوْا ثُمَّ ما سفحوا!
يمضي إليك، اللهمَّ، في ثقةٍ؛
أنت الّذي منك المَنُّ والمِنَحُ..
يَمضي وقد أدّى فيك واجبَه:
ربّي الألَى حينَ البأسِ ما بَرِحوا،

---

(١)(في رثاء الشيخ المجاهد/ أحمد إسماعيل ياسين مؤسس حركة «حماس»)

غاياتهم إحدى الحسنَيَيْنِ فقطْ
إذْ تنجلي رؤياهم وتتّضِحُ!
فاضوا حماسًا للدّين كلّفهم
ربًّا لأرضٍ كلٌّ به فَرِحُ!
إنْ تكفِ أقداحُ فالقلوبُ كَفَتْ،
والقدسُ في القَلْبِ القُدْسُ أو رَفَحُ!
تَسقى «حماسُ» الأرضَ الدّماءَ، فلا
ملّتْ «حماسُ» السّقيا ولا القدحُ!
أمّا وقد زفّتْ روحَ قائدها
للخلدِ فالثّأر الآن مقترحُ:
ردًّا على استفسارِ المُسَائل: «هل
خافوا من المحتلّين أم صفحوا؟»
وَالْعُمْيُ - لا في الإبصارِ - أسكرهم
- لمّا رموا شيخًا مُقْعَدًا - مَرَحُ!
في سبعةٍ من أحبابه نُثِروا
غدرًا، على باب المسجد انطرحوا
فجرًا وقد نالوا بالصّلاة رضًا
من ربّهم! ما بعد الرّضا تَرَحُ!
راحوا ضحايا عدوان طائرةٍ
من صنع أمريكا، قد رمت فَمُحُوا!
صيدوا كآلافٍ لا سلاحَ لهم
من قبلهم غِيلوا ثَمَّ أو جُرِحوا!
ما هذه أخلاقَ الحروبِ ولا
آياتِ سلمٍ يا مَنْ لها جنحوا!

«هــل دولـــةٌ أم هــل دولـــتـــانِ هـنـا
نـبـنـي غـــدًا؟» والـــبـــازار مـنـفـتـح!
أقــوالــهــم - لـــولا أنّــهــا طَــرَقَــتْ
مـوضـوع جـدٍّ - قلـنـا: «هِــيَ الـمُـلَـحُ!»
أســرى الــعــروشِ الـوهـمـيِّ أكـثـرُهـا
لـن يـدركـوا أبـعـادَ الّـــذي شـرحـوا!
حُكّامُ ضعفٍ - يا شيخُ، ضِقْتَ بهم -
بـالحرب ضـاقـوا، للصُّلحِ ما صَلَحُوا!
لا نـقـصَ فـيـهـم إلاّ إرادتـــهـــم
- يـا شـيـخُ - شُلَّتْ فـالأمـر مفتضَحُ
مـا كـنـتَ مـشـلـولاً، بـل هُـمُ انـحـصـرتْ
آفـاقُـهـم حـتّـى أنّـهـم كَـسِـحـوا!
ثَـبَّـتَّ وارتـاعـوا، فـزتَ وانـتـكـسـوا،
والـيـوم سـابـقـتَ الـضّـوءَ وانـبـطـحـوا
تـفـدى فـلـسـطـين الـلاّجـئـين، وهـم
يـفـدون وهـمًـا؛ مـعـبـودهـم شَـبَـحُ!
والمـسـجـدُ الأقـصـى لا يـحـرِّرهُ
إلا امـتـثـالُ لـلـحـقِّ إذْ يَـضِـحُ
مـثـلَ الّـذي نـرجـو - دون تـزكـيـةٍ -
أنْ قـد بَـلاَ شـيـخٌ سِـرْبُـهُ رُجُـحُ!
يـا ربِّ فَـامْـنُـنْ واقْـبَـلْ شَـهَـادَتَـهُ،
وانْـصُـر جـهـادًا قـد عـاشَ يَـجْـتَـرِحُ!
انجمينا - في ٢٤/٣/٢٠٠٤م

****

٥٠ - كشف المطمورة عن أبياتِ مغمورة في نجوى نور المعمورة

الْـــبَـــادِئُ بِـــاسْـــمِـــكَ مُـــؤْتَجِـــرُ[١]
وَبِـــحَـــمْـــدِكَ يَـــلْـــهَـــجُ مَـــنْ ذَكَـــرُوا؛
مِـــنْ ذَيْـــنِـــكَ[٢] يَـــصْـــحَـــبُـــنِـــي شِـــوَرُ[٣]
فَـــعَـــسَـــى يَـــأْتِـــي مِـــنْـــكَ الْـــفَـــجْـــرُ[٤]
وَعَـــلَـــى الْـــمَـــذْكُـــورِ بِـــهِ مُـــضَـــرُ
صَـــلَـــوَاتُـــكَ مُـــزْنٌ تُـــعْـــتَـــصَـــرُ[٥]!
بِـــوُجُـــودِكَ تَـــعْـــتَـــرِفُ الْـــفِـــطَـــرُ:
فَـــإِلَـــى لُـــطْـــفِـــكَ فَـــيْـــضٌ مُـــنْـــتَـــشِـــرُ!
وَتُـــسَـــبِّـــحُ بِـــاسْـــمِـــكَ - طَـــائِـــعَـــةً -
أُمَمٌ لاَ يَـــعْـــرُوهَـــا[٦] ضَـــجَـــرُ:
طَـــيْـــرٌ، وَبَـــهَـــائِـــمُ هَـــائِـــمَـــةٌ،
وَجَـــمَـــادٌ أَخْـــرَسُ، أَوْ شَـــجَـــرُ؛
وَكَـــوَاكِـــبُ تَـــسْـــبَـــحُ فِـــي فَـــلَـــكٍ،
وَمَـــعَـــادِنُ تَـــفْـــتَـــأُ[٧] تُحْـــتَـــفَـــرُ

---

(١) مؤتجر: يطلب الأجر من الله تعالى.
(٢) ذينك: مثنّى ذاك.
(٣) شوَر: متاع البيت.
(٤) الفَجَر: الجود، العطاء، كثرة المال.
(٥) مزن: سحب؛ تعتصر: تمطر، وهي المعصرات.
(٦) يعروها: يعتريها، يصيبها.
(٧) تفتأ: تظلّل.

وَدَقَـــائِـــقُ[1] لَـيْـسَ نُـشَـاهِـدُهَـا
بَـيْـنَـا هِـــيَ فِـيـنَـا قَـــدْ تَـكِـرُ[2]
.. كُـلٌّ - إلاَّ الـثَّـقَـلَـيْنِ[3]! - سَـعَـوْا
فِـي الـطَّـاعَـةِ، تَـعْـصِـمُـهُـمْ أُسُـــرُ[4]!
أَمَّـــا الـثَّـقَـلانِ فَـمَـا رَغِـبَـتْ
نَـفْـسٌ: يَـسِـرَتْ[5] أَوْ تَـتَّـزِرُ؛
فَـهُـمَـا فِـي دَارِ بَـــلاَءٍ، إنْ
مَـحَـضُـوكَ[6] عِـبَـادَتَـهُـمْ أُجِـرُوا،
وَمَـصِـيـرُ الأشْـقَـى هَـاوِيَـةٌ،
حَـيْـثُ الْمُـلْـقَـى مَـعَـهُـمْ صَـخَـرُ:
يَـبْـقُـونَ وَقُـــودًا لاَ يَـفْـنَـى،
وَتُحَـرِّقُـهُـمْ - أَبَـــدًا - سُـعُـرُ؛
لاَ مَـــوْتَ يُـرِيـحُ ولاَ مَـنْـجَـى،
وَلَـظَـى تَـشْـوِي.. بَـلْ تَـهْـتَـبِـرُ[7]..
.. لِـيَـعُـودَ الجِـلْـدُ يُـغَـذِّيـهَـا:
مَـا يَـنْـبُـتُ فَـــوْرًا يَـنْـصَـهِـرُ!
فَـمَـعَـاذِي ثُـمَّ مَـــلاَذِي لُـطْـفُـ
ـكَ يَـا رَبِّـــي، فَـهُـوَ الْـعَـصَـرُ[8]!

---

(١) دقائق: كائنات دقيقة.
(٢) تَكِرُ: تسكن، تتخذ وكرًا.
(٣) الثقلين: الإنس والجن.
(٤) أسر: قيود.
(٥) يَسِرَتْ: يُسَرَتْ لليسؤى، تتزر: ترتكب إثمًا وتكسب وزرًا.
(٦) محضوك: أخلصوا لك.
(٧) تهتبر: تقطع.
(٨) العصر: الملجأ.

وَلَـئِـنْ أَعْـدَدْتَ عَـذَابَ لَـظَـى
فَـلِـوَازِرَةٍ، وَبِمَـا تَـزِرُ؛
كَـمْ مِـنْ قَـرْنٍ عَـجَّـلْـتَ لَـهُـمْ
لَـوْ رَاعُـوا الْـقَـصْـدَ لِـمَـا ثُـبِـرُوا[1]
.. لَجُّـوا فِـي طُـغْـيَـانٍ حَـتَّـى
عَـنْ عَـفْـوِكَ أَقْـصَـاهُـمْ زَوَرُ[2]!
فَـبِـعَـدْلِـكَ - رَبِّـي - هُـمْ هَـلَـكُـوا،
وَمَـضَـوْا، لَـمْ يَـبْـقَ لَـهُـمْ أَثَـرُ
فَـبَـوَائِـقُـهُـمْ[3] وَطَـرَائِـقُـهُـمْ
صَـرَعَـتْـهُـمْ عَـائِـدَ[4] مَـا فَـجَـرُوا
وَظَـلامُ الـشَّـكِّ تَـقَـدَّمَـهُـمْ
فَـلَـئِـنْ وَرَدُوا فَـكَـمَـا صَـدَرُوا!
لَـكِـنَّ الـرَّحْـمَـةَ قَـدْ سَـبَـقَـتْ
- بِـالـفَـضْـلِ - عَـذَابًـا يَـسْـتَـعِـرُ
فَـلَـكَ الـلَّـهُـمَّ الْـحَـمْـدُ عَـلَـى
هَـذَا وَلَـنَـا الـفَـرَحُ الأَمِـرُ[5]
فَـبِـفَـضْـلِ الـلـهِ وَرَحْـمَـتِـهِ
فَـبِـذَلِـكَ يَـفْـرَحُ مُـدَّكِـرُ!
أَبْـدَعْـتَ الـكَـوْنَ بِـكَـلْـمَـةِ «كُـنْ!»،
وَتُـقَـدِّرُ فِـيـهِ وَتَـقْـتَـدِرُ

---

(١) ثبروا: أهلكوا.
(٢) زور: ميل وانحراف.
(٣) بوائقهم: آثامهم والمهلكة.
(٤) عائد: جزاء.
(٥) الأمر: الكثير.

وَمَـــــــلأتَ الـصُّـنْـعَـةَ آيَـــاتٍ

تَـهْـدِي الـثَّـقَـلَـيْنِ إذا بَـصُـرُوا

فَـــالـــذَّرَّةُ أَصْـــغَـــرُهَـــا شَـيْـئًـا،

وَالـــــذَّرَّةُ - أيـضًـا - تَـنْـشَـطِـرُ..

.. فَـتُـوَلِّـدُ طَـــاقَـــاتٍ قُـصْـوَى

خَـيْـرًا أوْ شَـــرًّا تُمْـتَـصَـرُ[1]

تَـبْـنِـي - إنْ شَـــاءُوا نَلِـكَ! - أَوْ

فَـتُـدَمِّـرُ أَشْـنَـعَ مَـا دَمَـــرُوا

فَـتَـكُـونُ زَوَابِـــــعُ مِـــنْ نَـــارٍ

إذْ يَـلْـتَـهِـمُ الـكِـبَـرَ الـصِّـغَـرُ!

آمَـــنْـــتُ بِـــكَ الـلَّـــهُـــمَّ، وَفِـــي

آلائِـــــكَ[2] تُـذْهِـشُـنِـي فِـكَـرُ!

والـــطَّـــاقَـــةُ أَنَّـــى يَـــأخُـذُهَـــا

- فِـي حَـالِ تَحَـوُّلِـهـا - مَـعَـرُ[3]؟

مَـــا آلِـــيَّـــاتُ تَحَـوُّلِـــهـــا

مَـا غَـايَـتُـهـا[4] إذْ تَـنْـشَـجِـرُ؟

وذُكَـــــاءُ[5] إلاَمَ تـوفِّـرُهَـا؟

مَـــنْ خَـزَنَـهَـا، فَـبِـهَـا تَـقِـرُ؟

مَـــنْ غَـيْـرُكَ يَـا رَبَّ الـشِّـعْـرَى

عَـبَـدَتْـهُ شُـمُـوسٌ أَوْ بُـــؤَرُ؟!

---

(١) تمتصر: تحلب، تستحلب.

(٢) آلائك: آياتك ونعمك.

(٣) مَعَر: قلة وتلاشي.

(٤) غايتها: منتهى أمرها.

(٥) ذُكاء: الشمس.

وَمَـــــجَـــــرَّاتٍ كُـــبْـــرَى تَـــسْـــرِي

فِـــي سُـــرْعَـــةِ ضَـــــوْءٍ يَـــنْـــفَـــجِـــرُ...

.. بِـــفَـــضَـــاءٍ مَـــدَّ الـــطَّـــرْفِ بِـــلاَ

حَـــــدٍّ، فَـــإِلَـــى أَيْـــــنَ الـــسَّـــفَـــرُ؟

الْـــعِـــلْـــمُ لَـــدَيْـــكَ! فَـــلاَ أَحَـــدٌ

يَـــــدرِي أيَّـــــانَ سَـــتَـــخْـــتَـــدِرُ[1]!

لاَ يَـــعْـــلَـــمُ غَـــيْـــرُكَ مَـــــاذَا فِـــي

غَـــدِنَـــا يَـــطْـــغَـــى أَوْ يَـــنْـــجَـــزِرُ[2]!

وَدُنًـــــــى[3] تَـــتَـــقَـــزَّمُ فـــي حُـــفَـــرٍ،

فَـــتَـــصِـــيـــرُ قُـــــوًى تِـــلْـــكَ الْـــحُـــفَـــرُ

لاَ عَـــيـــن تَـــــرَاهَـــــا بَـــــلْ فِـــكَـــرٌ

وَحِـــســـَـــابٌ، إِذْ كَـــيْـــفَ الـــنَّـــظَـــرُ

وَالـــضَّـــــوْءُ أَسِـــيـــرٌ فِـــي جِـــرْمٍ

لاَ يُـــفْـــلِـــتُ شَـــيْـــئًـــا أَوْ يَـــــذَرُ؟

سُـــبْـــحَـــانَـــكَ رَبًّـــــا قَـــــدْ أَلْـــقَـــى

بِـــالـــسِّـــرِّ لِـــضَـــوْءٍ يُـــنْـــتَـــثَـــر[4]

وَلِـــمَـــسْـــتَـــوَيَـــاتٍ وجِـــــودٍ أو

أَبْـــعَـــادٍ رَاحَـــــتْ تَـــنْـــتَـــبِـــر[5]!

أَبْـــعَـــادُ وُجُـــــودٍ مُـــذْهِـــلَـــةٌ،

لَـــيْـــسَـــتْ فَـــوْضَـــى، لَـــكِـــنْ جُـــزُرُ!

---

(١) تختدر: تختفي، تدخل خدرها.

(٢) يطغى: يزيد؛ ينجزر: ينقص.

(٣) دنى: جمع دنيا، تتقزّم: تتضاءل، وبالإشارة هنا إلى ما يُعرف بالثقوب السّوداء.

(٤) ينتثر: يجذب بشدة.

(٥) تنتبر: تبرز وتعلو.

فَـــقَـــوَاعِـــدُ تَـــسْـــرِي فِـــي بُـعـدٍ
بِـــسِـــوَاهَـــا تَـــنْـــتَـــظِـــمُ الأُخَـــــرُ
لَـــكِـــنَّ الْـــــوَحْـــــدَةَ نَـــامُـــوسٌ
فَـــوْقَ الأَنْـــسَـــاقِ[1] لَـــهَـــا عَـــجَـــرُ!
هَـــذَا عَـــنْ ذَاكَ - وإِنْ قَـــرُبَـــا -
بِـــقُـــيُـــودِ الحَـــيِّـــزِ[2] مُـــحْـــتَـــظِـــرُ
.. إِلاَّ مَـــا شِـــئْـــتَ - إِلَـــهِـــي - مِمَّـــ
ـــا يُـــسْـــتَـــثْـــنَـــى أَوْ مَـــنْ جَـــــدُرُوا!
وَالْـــكَـــائِـــنُ فِـــي كُـــلٍّ مِـــنْـــهَـــا
لأُلُـــــوفٍ أُخْـــــرَى يَـــــزْدَفِـــــرُ[3]
سَـــــيَّـــــانِ نِـــــظَـــــامٌ شَـــمْـــسِـــيٌّ
أَوْ مَـــا بِـــالْـــمُـــجْـــهِـــرِ يُـــجْـــتَـــهَـــرُ
فَـــالْـــكُـــلُّ مُـــــرَكَّـــــبُ أَجْـــــزَاءٍ
تَـــحْـــوِيـــهِ كَـــمَـــا فَـــعَـــلَـــتْ أُطُـــــرُ
ذَرَّاتٍ أَوْ جِـــيـــنَـــاتٍ[4] أَوْ
جِـــزَمًـــا بِـــالـــقُـــدْرَةِ تَـــنْـــضَـــفِـــرُ!
عَـــجَـــبِـــي مِـــنْ كُـــلِّ فِـــي جُـــزْءٍ
يَـــثْـــوِي، وَيَـــغِـــيـــبُ فَـــيُـــبْـــتَـــقَـــرُ[5]!
وَتَـــعَـــالَـــى الـــلـــهُ الْـــوجِـــدُ مِـــنْ
عَـــدَمٍ: لاَ الـــطَّـــبْـــعُ، وَلاَ الـــدَّهْـــرُ!

---

(١) الأنساق: النظم؛ عجر: ظهور وبروز.
(٢) الحيز: المجال المكاني والزماني.
(٣) يزدفر: يجمل.
(٤) جينات: مورّثات.
(٥) يُبْتقر: تشقّ عنه البطن.

سُبْحَانَكَ - رَبَّ العِزَّةِ - عَمْـ
ـمَا قَدْ يَصِفُونَ إذا صَعِرُوا[1]!
مَنْ غَيْرُكَ يَخْلُقُ مِنْ مَاءٍ
كُلَّ الأَحْيَاءِ، وَيَبْتَكِرُ
وَتَدُومُ حَيَاةٌ أَبْدَعَهَا،
فَإِلَى الأُنْثَى يَأْوِي الذَّكَرُ؟
هَلْ غَيْرُكَ مِنْ أَحَدٍ يُحْيِي؟
بَلْ فِيكَ القُدْرَةُ تَنْحَصِرُ!!
مَنْ هَبَّ لَهُ بَلَدٌ مَيْتٌ
- كَالجِيفَةِ - أَوْ عَظْمٌ نَخِرُ؟
مَنْ تَعْنُو[2] طَيْرُ الجَوِّ لَهُ،
وَلِهَيْبَتِهِ انْدَكَّ الحَجَرُ؟
هُوَ أَنْتَ فَقَطْ! لاَ شَيْءَ سِوَا
كَ لَهُ الجَبَرُوتُ أَوِ الخَطَرُ[3]!
مَنْ يُلْهِمُ بَالاً خَاطِرَةً
فَإِذا بِالفِكْرَةِ تَخْتَمِرُ؟
كَيْفَ الرُّؤْيَا تَأْتِي؟ وَمَتَى
غَافٍ عَنْ وَعْيٍ يَنْبَتِرُ؟
مَا الوَعْيُ؟ وَمَا التَّنْوِيمُ؟ وَمَا
هُوَ كُنْهُ الرُّوحِ؟ وَمَا السُّكْرُ؟
لاَ يَعْلَمُ مَخْلُوقٌ شَيْئًا
مِنْ ذَاكَ، قُصَارَاهُ الدَّجَرُ[4]

---

(١) صعروا: مالوا عن الحق.
(٢) تعنوا: تخضع.
(٣) الخطر: ارتفاع القدر والشّرف والمنزلة.
(٤) الدّجر: الحيرة والاندهاش.

أَمْـــرُ الـــرُّوحِ اسْـــتَـــأْثَـــرْتَ بِـــهِ؛
إِذْ لَـيْـسَ لِـغَـيْـرِكَ يَـنْـسَـفِـرُ[1]
فَـتَـعَـالَـى جَـــدُّكَ نَـافِـخُـهـا
فِـــي طِـــينٍ أَفَـــتُّـــهُ الْـــبَـــغَـــرُ[2]!
وَنَـــعُـــبُّ المـــاءَ، فَـــهَـــلْ يَـصْـفُـو
بِـــإِرادَتِـــنَـــا أَوْ يَـــعْـــتَـــكِـــرُ؟
مَـــنْ سَـــيَّـــلَـــهُ مِـــنْ غَـــازَاتٍ،
فَـــهُـــوَ الجـــارِي والمُـــنْـــتَـــثِـــرُ؟
مَـــنْ ذَا يَـــتَـــحَـــكَّـــمُ فِـــيـــهِ إِذَا
فِـــي الجِـــسْـــمِ تَـــغَـــشَّـــتْـــهُ[3] الـــدُّثُـــرُ؟
مَـــنْ مِـــنَّـــا يَـــدْرِي مَـــا يَـــجْـــرِي
فِـــي دَاخِـــلِـــهِ أَوْ يَـــعْـــتَـــوِرُ؟
الـــنَّـــاصِـــرُ أَنْـــتَ، وَتَـــعْـــلَـــمُـــهُ؛
وَلَـــنِـــعْـــمَ الـــعَـــالِـــمُ، أَيْ نُـــصَـــرُ[4]!
كَـــلِـــمَـــاتُـــكَ لَـــيْـــسَ لَـــهَـــا عَـــدَدٌ:
أَيُـــعَـــدُّ المَـــاءُ أَوِ الـــغَـــبَـــرُ؟
يَـــتَـــجَـــلَّـــى لُـــطْـــفُـــكَ مَـــشْـــهُـــودًا
فِـــي كُـــلِّ نَـــوَاقِـــصَ تُـــجْـــتَـــبَـــرُ[5]
.. فِـــي كُـــلِّ كَـــمَـــالٍ نِـــسْـــبِـــيٍّ
تُـــبْـــدِيـــهِ لَـــيَـــالٍ أَوْ نُـــهُـــرُ

---

(١) ينسفر: ينجلي ويتّضح.
(٢) البغر: الشّرب بلا ريّ.
(٣) تغشته: غطّته؛ الدُثر: الأغطية.
(٤) أيْ نُصَر: يا ناصر.
(٥) تجتبر: تجبر وتصلح.

مَـا مِـنْ شَـيْءٍ إلاَّ خَـضِـلٌ[1]
بِـنَـعِـيـمٍ مِـنْـكَ، وَمُـنْـتَـوِرٌ[2]
وَيَـكَـادُ يَـقُـولُ: «خُـذُونِـي شَـا
هِـدَ إثْـبَـاتٍ، إنِّـي نَـكِـرٌ[3]!»
وَتَـكَـادُ الـنُّـعْـمَـى تَـنْـطَـقُ - فـي
لَـسَـنٍ[4] - بِـوُجُـودِكَ، وَالـعُـذْرُ[5]!
فَـبِـمَ الـعُـذْرَى لِـمَـنْ اِرْتَـكَـسُـوا[6]
وَلِـمَـن أَزْرَى بِـهِـمُ الـغَـرَرُ؟!
مَـعَ أنَّ رِسَـالاَتِ الْـمَـوْلَـى
ظَـهَـرَتْ فِـي الـعَـالَـمِ مُـذْ ظَـهَـرُوا
مِـنْ آدَمَ حَـتَّـى مُـوسَـى كَـمْ
مِـنْ مُـعْـجِـزَةٍ لاَ تَـقْـتَـسِـرُ[7]؟!
وَأتَـتْ - مِـنْ بَـعْـدُ - إشَـارَاتٌ
بِـالـكَـلْـمَـةِ، تَـوَّجَـهَـا بَـكِـرُ[8]
يَـحْـيَـى، وَلِـدَتْـهُ - إذَنْ وَلِـدَتْ
بُـشْـرَى عِـيـسَـى! - عُـجُـزٌ عُـقُـرُ!
وَوِلاَدَةُ عِـيـسَـى دُونَ أَبٍ،
فَـسِـمَـاتُ نُـبُـوَّتِـهِ الْـكُـبَـرُ

---

(١) خضل: مبتل.
(٢) منتور: مصطبغ ومتلوّن.
(٣) نكر: داهٍ فطن.
(٤) لسن: فصاحة.
(٥) العُذْر: الأحوال.
(٦) ارتكسوا: ارتدّوا.
(٧) تقتسر: تجبر وتُكره.
(٨) بكر: صاحب بكور قويّ عليه، مبكر.

إِرْهَـــاصَـــاتٌ لِـبِـشَـارَةٍ أَحْـ

ـمَـدَ، وَالـبُـشْـرَى لاَ تَـنْـطَـمِـرُ!

وَالْـوَعْـدُ مِـنَ الـصُّـحُـفِ الأولَـى:

هَـــادٍ أُمِّـــيٌّ مُـنْـتَـظَـرُ!

وَأَرَدْتَ كَـمَـالاً لِـلـنِّـعْـمَـى،

وَبَـلاَغَ الـنَّـاسِ: فَـقَـدْ سَـدَرُوا

فَـأَخَـذْتَ بِـأَيْـدِيـهِـمْ لَمَّـا

أَهْـدَيْـتَ الـرَّحْـمَـةَ تَـبْـتَـدِرُ

فَـبَـعَـثْـتَ بِـجِـبْـرَائِـيـلَ إِلَـى

جَـبَـلٍ فِـيـهِ الـذِّكْـرُ الْـعَـبِـرُ

إِذْ كَـانَ الـرَّحَـمَـةُ فِـي غَـارٍ

يَـتَـحَـنَّـثُ ثَـمَّ وَيَـنْـحَـدِرُ

(.. وَحِـرَاءُ الْمَحْـرَاةُ - الأخْـرَى

بِـالخَـيْـرِ يُـنَـزَّلُ - والـقُـتْـرُ[1]

... فَـهُـنَـا ظَـلَّ الْمَـأْمُـونُ عَـلَـى

دَأَبٍ بِـالخَـلْـوَةِ يَـجْـتَـمِـرُ[2])

فَـهُـوَ الْـمُـتَـحَـنِّـفُ[3]، لَـمْ يَـعْـرِفْ

فَـمَـهُ إِشْـرَاكٌ أَوْ نَـتَـرُ[4]!

تَـدْعُـوهُ أَمِـيـنًـا - بِـالـتَّـعْـرِيـ

ـفِ - قُـرَيْـشٌ أَمْـسِ وَتَـفْـتَـخِـرُ!

---

(١) القتر: الناحية والجانب.

(٢) يجتمر: يتبخّر، أي يكثر من الخلوة.

(٣) المتحنّف: المتعبّد على ملّة إبراهيم.

(٤) نتر: فساد

مِـــنْ دَعْـــــوَةِ إبْـــراهِـــيـــمَ وبِـشْـــ

ـــرَى عِـيسَـى كَـــانَ لَـــهُ الْـبَـكَـرُ[1]

بَـــدَأَتْـــهُ الـــرُّؤْيَـــا صَـــادِقَـــةً

بِـــاسْـتِـشْـفَـافٍ لاَ يَـنْـكَـدِرُ

.. تَـتَـحَـقَّـقُ مِـثْـلَ الـصُّـبْـحِ ذَرَا[2]

فَـــبَـــدَا، حَـتَّـــى أنَ الـعَـفَـرُ[3]

فَـــأتَـــاهُ الـــوَحْـــيُ عَـلَـــى قَـــدَرٍ،

وَبِـــأمْـــرِكَ يَـــأتَمِـــرُ الـــقَـــدَرُ!

وَأَمَـــــــرْتَ مُـحَـمَّـدًا الْـمُـهْـدَى

أَنْ يَـقْـــرَأَ.. فَـانْـبَـعَـثَ الـطُّـهْـرُ!

وَبِمَـبْـعَـثِ أَحْـمَـدَ قَـدْ فُـتِـحَـتْ

أَبْـــوابُ هـــدَاكَ لِمَـــنْ كَـفَـرُوا

فَـهْـوَ الْمِـفْـتَـاحُ - عَـلَـيْـهِ صَـلاَ

تُـكَ، ثُـمَّ سَـلاَمُـكَ - وَالـشَّـبَـرُ[4]!

أَشْـبَـرْتَ عِـبَـادَكَ مِـنْـهُ سَـنًى

وَغِـنًـى وَمُـنًـى لاَ تَـهْـتَـوِرُ!

وَتَـلاَحَـقَ وَحْـيُـكَ فِـي نُجُـمٍ[5]،

وَرَسُـــولُ الـرَّحْـمَـةِ مُـنْـبَـهِـرُ[6]

آيـــاتٍ تَـــتْـــرَى أوْ سُـــوَرٍ

أَمْـسَـى يُـؤْتَـاهَـا الْـمُـصْـطَـبِـرُ

---

(١) البَكَر: التبكير، المبدأ.

(٢) ذرا: مرَّ سريعًا، ارتفع.

(٣) العَفَر: أول سقية سُقيها الزرع.

(٤) الشبر: العطية والخير.

(٥) نجم: قطع متفرقة.

(٦) منبهر: مبالغ، لم يدع جهدًا.

فَـيُـلَـقِّـنُـهَـا صَـحْـبٌ زُهْـرٌ

مِـنْ فِـي[1] مُـهْـدَاكَ لِـيَـنْـجَـبِـرُوا

فَـجَـبَـرْتَ مَـصَـايِـرَ مَـنْ صَـارُوا

بِـكَ أفْـضَـلَ قَـرْنٍ يُـقْـتَـفَـرُ[2]

لِـلـذِّكْـرِ وَعَـوْا، لِـلـهِ سَـعَـوْا

لِـلْـخَـيْـرِ دَعَـوْا مَـهْـمَـا قَـدِرُوا

لِـلْـحَـقِّ رَعَـوْا لِـلْـكُـفْـرِ نَـعَـوْا

إذْ أحْـيَـاهُـمْ كَـلِـمٌ ذَكِـرُ

يَـسَـعُ الأرَضِـيـنَ - وَمَـا وَسِـعَـتْ! -

مِـنْ آيٍ لَـفْـظٌ مُـخْـتَـصَـرُ!

الْـغَـيْـبُ عَـيَـانٌ فِـيـهِ يُـرَى

وَهُـدَى الْـمُـتَـلَـمِّـسِ وَالْخَـبَـرُ!

قَـصَـصُ الْـمَـاضِـيـنَ تُـزَيِّـنُـهُ،

وَدَواءُ الْـمُـهْـجَـةِ[3]، والْـعِـبَـرُ!

دُسْـتُـورُ حـيـاةٍ مُـكْـتَـمِـلٌ،

وَضَـمَـانُ نَجَـاةٍ مُـسْـتَـطَـرُ

وَشَـرِيـعَـةُ مُـجْـتَـمَـعٍ وَدِعٍ

يَـزَعُ[4] الْـمُـعْـوَجَّ، فَـيَـنْـأطِـرُ!

بِـلِـسَـانِ الْـعُـرْبِ أتَـى دُرَرًا

فَـشَـفَـتْ وَتَـلألأتِ الـدُّرَرُ!

---

(١) في: فم

(٢) يقتفر: يُتبع.

(٣) المهجة: الرّوح.

(٤) يزع: يكفّ عن الهوى؛ ينأطر: ينعطف.

حَـــــارَتْ قَـــــوْمٌ لَمَّـــا سَـمِـعُـوا

جَـرْسًـا يَـسْـبِـي: هَـلْ هُـمْ سُـحِـرُوا؟

بَـــــدَأ الـــفـــاروقُ تِـــلاَوَتَـــهُ

بِـحَـمِـيَّـةِ كُـفْـرٍ تمـتَـئِـرُ[1]

وَبِـفِـعْـلِ مَـــذَاقِ حَـــلاوَتِـــهِ

وَسُـطُـوعِ سَـنَـاهُ صَـحَـا عُـمَـرُ!

وَمَـشَـايِـخُ مَـكَّـةَ قَـدْ سَـجَـدُوا

لَمَّـا سَـمِـعُـوهُ، وَمَـا شَـعَـرُوا

فَـهُـوَ الْـمُـتَـحَـكِّـمُ إذْ يُـتْـلَـى

فِـي الْـمَـسْـمَـعِ، لَـوْ هُـوَ مُـنْـفَـغِـرُ[2]

وَالـهـادِي الْحَـقُّ إلَـى رُشْـدٍ

- لَـوْ قَـلْـبُ الـسَّـامِـعِ مُـدَّكِـرُ! -

بِـشَـهَـادَةِ عَـدْلٍ مَـا زَالَـتْ

تَـطْـوِي الأحـقـاب، وتَـشْـتَـهِـرُ:

مِـنْ جِـنٍّ قَـدْ صُـرِفُـوا فَـهُـدُوا

لِـلـرَّنَّـةِ[3]، فـانْـزَاحَـتْ سُـتَـرُ!

نَـفَـرٌ مِـنْـهُـمْ سَـمِـعُـوا عَـجَـبًـا،

وَإذ اسْـتَـمَـعُـوا شُـدِهَ الـنَّـفَـرُ

فَـأتَـتْ فِـي الـتَّـوِّ شَـهَـادَتُـهُـمْ

قُـرْآنًـا تَحْـفَـظُـهُ الـعُـصُـرُ!!

---

(١) تمتئر: تعتقد العداوة.

(٢) منفغر: منفتح.

(٣) الرّنة: الصوت الحزين، والمقصود تلاوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بَـــارَى[1] فُـصَـحَـاءَ الـعُـرْبِ، فَـمَـا
لِـبَـيَـانٍ لِـسَـانٍ يُـحْـتَـضَـرُ؟
بُـهِـتَ الـبُـلَـغَـاءُ فَـمَـا نَـطَـقُـوا:
مِـنْ مـأمَـنِـهِ يُـؤْتَـى الحَـذِرُ!
وَالألْـسِـنَـةُ الـهِـمَـرَى[2] سَـكَـتَـتْ:
فَـلَـقَـدْ قُـطِـعَـتْ مَـنْـهَ الـعُـكَـرُ[3]!
عَـجِـزَ الـعَـرَبُ الأقْـحَـاحُ كَـمَـا
أَغْـيَـا نَـفَـسَ الـغَـرْقَـى سَـدِرُ[4]!!
لَـكِـنَّ عِـنَـادًا أَوْدَى بِـالـ
ـكُـفَّـارِ فَـمَـا تُـغْـنِـي الـنُّـذُرُ
وَمُـعَـانِـدُ ذِكْـرِكَ مَـغْـبُـونٌ،
تَـعِـسَ الـمُـتَـأخِّـرُ والأَخِـرُ[5]!
نـتـلـوهُ، فَـنَـلْـحَـظُ فِـيـهِ رُؤًى،
وَتَـلُـوحُ لأعْـيُـنِـنَـا صُـوَرُ
وَنَـعُـودُ، فَـيُـحْـدِثُ مُـعْـجِـزَةً
تَـتَـجَـدَّدُ، لَـيْـسَـتْ تَـنْـدَثِـرُ!
لَمَّـا قَـرَأَ الـلَّـفْـظَـيْنِ هُـنَـا
- مَـثَـلاً - قَـوْمٌ سَـبَـقُـوا نَـبِـرُوا[6]:

---

(١) بارى: تحدّى.
(٢) الهمرى: الصّخابة.
(٣) العكر: جمع عكرة وهي أصل اللسان.
(٤) الأقحاح: جمع قحّ وهو الخالص؛ سدر: البحر.
(٥) الأخر: الأبعد المتأخر عن الخير.
(٦) نبروا: فهموا.

غَـــرَفُـــوا، فَـــإذا رُوَيَـــــتْ هِـمَـمُ

- مُـتَـضَـلِّـعَـةٌ[1] - بَـقِـيَ الـنَّـهَـرُ!

وَتَـــطَـــوُّرَ عِـــلْـــمٌ مُـكْـتَـسَـبٌ

نُـسْـقَـى مِـنْ أَشْـطُـرِهِ الـقُـرَرُ[2]..

.. فَـبَـدَا - عَـرَضًـا! - فِـي «نَنْقُصُها»

وَ«دَحَـــاهَـــا» مَـعْـنًـى مُـبْـتَـأَرُ[3]!

وَالمُحْـــكَـــمُ سَـــائِـــرُهُ كَـلِـمٌ

أَبَـــدًا عَـــنْ خَـــبْءٍ تَـنْـقَـشِـرُ!

بَـعَـثَ الأمـــواتَ بِـحِـكْـمَـتِـهِ،

فَـوَفَـاةُ الـقَـلْـبِ لَـهَـا سُـــؤَرُ[4]،

حِـكَـمٌ لَـمْ تُـهْـمِـلْ مِـنْ شَـيْءٍ،

أَيُـفَـرِّطُ فِـي الـكَـشْـفِ الـوَهَـرُ[5]؟

لَـكِـنَّ الـفَـهْـمَ لَـدَيْـنـا مَـحْـ

ـــدُودٌ فِـي الـشِّـدَّةِ مُـنْـدَجِـرُ[6]:

وَكَـــذَلِـــكَ يُـنْـسَـبُ نِـسْـبِـيٌّ

لِـلْـمُـطْـلَـقِ: عَـجْـزٌ مُـنْـكَـسِـرُ!

وَكَـــأَيِّـــنْ مِـــنْ إِعْـــجَـــازٍ فِـي

مَـعْـنًـى وَمَـبَـانٍ يَـنْـسَـجِـرُ[7]!

---

(١) متضلعة: منتفخة أضلاعها من كثرة الشرب.

(٢) القرر: جمع قرّة، وهي الحسوة.

(٣) مبتار: مخبأ، مدّخر.

(٤) سؤر: فضلات وبقايا.

(٥) الوهر: التوهج.

(٦) مندجر: مرخيّ.

(٧) ينسجر: يمتلئ أو يتوقد.

مَـــنْ عَـــدَّدَهَـــا فَـلَـسَـوْفَ يَـنِـي،
وَعَـلَـيْـهِ الـعَـدُّ سَـيَـشْـتَـغِـرُّ[1]!
والإعْـــجـــازُ الـــبَـــادِي أثَـــرٌ
فِـــي بَـــدْوٍ جَـــاءَ وَهُـــمْ نَـشَـرُ[2]
فَـعَـشَـائِـرُهُـمْ كَـانَـتْ مِـزَقًـا،
فَـــإذَا عَـقَـدُوا صُـلْـحًـا غَـــدَرُوا
كـانـوا فِـــي جَـــهْـــلٍ: فَـالـدُّنْـيـا
تَمْـضِـي قُـدُمًـا، وَهُـــمُ الأُخُـــرُ
أمَّـــا الـــقُـــرْآنُ فَـبَـدَّلَـهُـمْ
بِـالجَـهْـلِ حُـلُـومًـا[3] لا تـغِـرُ
وسَـــلَامًـــا بـــالإشْـــراكِ: فـهـم
سـلـمٌ لـك - ربِّـي - قـدْ بـشِـرُوا،
فـــإذا بِـــالـــبَـــدْوِ لـهـم رأيٌ
خَـضَـعَـتْ لحَـصـافَـتِـهِ الحَـضَـرُ!
وَمـــنَ الـــصَّـــحْـــراءِ لُـلْـكِ الأرْ
ضِ، بـدا فِـي الـرَّمْـلَـةِ مُـنْـفَـجَـرُ[4]!
ذكـــرٌ - والـلـهِ! - لـهـم حـقًـا!
صـدقـتْ كَـلِـمـاتُـكَ فـانْـتَـصَـرُوا!!
وَكِـتَـابُـكَ - ربِّـي - سَـلَّـحَـهُـمْ،
بَـلْ أصـلـحـهُـمْ، حـتَّـى[5] حـــذَرُوا

---

(١) يني: يكل ويتعب؛ يشتغير العد: يكثر ويتسع ويعظم.
(٢) نشر: متفرقون بلا رئيس.
(٣) حلوما: جمع حِلم، وهو العقل والأناة، تغر: تمتلئ حقدا.
(٤) منفجر الرمل: طريق يكون فيه.
(٥) حذروا: أسرعوا.

وَعَـجَـائِـبُـهُ مـا زالـتْ فِـيـ
ـنَـا، ذَلِـكَ إعْـجـازٌ حَـضُـرُ[1]!
وَالـيَـوْمَ تـوالـى فـيـه بُـحُـو
ثٌ، تـكـشِـفُ عـمّـا قـدْ حَـزَرُوا!
فَـتَـبَـيَّـنَ - مِـنْ إحْـصـاءاتٍ -
إعـجـازٌ حـرْفـيٌّ غُـدَرُ[2]
قَـسـمًـا مَـا كـانَ بِـلاَ حَـاشُـو
بٍ، أوْ إلْـهـامٍ يـنْـسـبِـرُ[3]
فـالأحْـرُف - إذْ تـتـضـاعـفُ فِـي
مَـتْنٍ - تَـتَـخَـلَّـلُـهـا سِـرَرُ[4]
أعْـدَادٌ يُـسْـتَـجْـلَـى مِـنْـهـا
تَـرْتِـيـبٌ، لا وَضْـعٌ نَـثَـرُ[5]
وَعِـبَـاراتٌ لِـتَـكَـرُّرِهـا
نَـسْـقٌ ذُو مَـغْـزًى، أوْ صَـوَرُ[6]
وَإشـاراتٌ لا يَـفْـهَـمُـهـا
عَـجْـلَـى الـقُـرَّاءِ، وَلاَ الـصُّـبُـرُ
فـإلـى أنْ تَـأتِـي كـاشِـفَـةٌ
سَـيَـظَـلُّ بِـهَـا خَـبْـأً ثَـمَـرُ!
سُـبْـحـانَـكَ يـا مَـن أنـزَلَـهُ
حُـكْـمًـا عَـرَبِـيًّـا يَـزْدَجِـرُ

---

(١) حضر: الحاضر الجواب؛ ذو البيان.
(٢) غدر: بقية.
(٣) ينسبر: يدرك ويقاس.
(٤) سرر: جمع وجمعه أسارير: وهي الخطوط.
(٥) نثر: مشتت، منتشر.
(٦) صور: ميل، أي لذلك.

إذْ لاَ يَـأتِـيـهِ الـبـاطِـلُ مِـنْ

أيِّ الجِـهَـتَـيـنِ[1]، ولا يَـتِـرُ!

وَيُمَـثِّـلُ إعْـجـازًا سَـبْـقٌ

لِـبَـادِئَ أنْـكَـرَهـا الـغَـمِـرُ[2]

كَـمْ لاَقَـاهـا فِـي الـبَـدْءِ أذىً

أوْ تَـلْـفِـيـقـاتٌ، أوْ سَـخَـرُ!

لَـكِـنَّ كِـتـابَـك مـحـفـوظٌ،

ومـبـادئـه لا تَجْـتَـفِـرُ[3]!!

جَـعَـلَ الحُـرِّيَّـةَ لِـلإنْـسـا

نِ: أطِـيـعُـوا المَـوْلَـى، أوْ فَـذَرُوا!

جِـنْـسُ الـبَـشَـرِيَّـةِ كَـرَّمَـه:

فـالـواجِـبُ والمُـعْـطَـى دَرَرُ[4]،

بَـلْ حَـرَّرَ كُـلَّ كَـرِيمٍ مِـنْ

رِقِّ الأرْبـابِ، وَهُـمْ هَـدَرُ[5]

فَـالـسَّـادَةُ دِيـنـوا فِـي الـنَّـدَرَى[6]

وَالـقَـيْـصَـرُ أيْـضًـا والـنَّـعَـرُ

فَـمُـدَارُ الأمْـرِ عـلـى الـشَّـورَى،

وَمَـنـاطُ الـسُّـلْـطَـةِ مُـؤْتَمَـرُ!

---

(١) أيّ الجهتين: بين يديه ومن خلفه؛ يَتِر: ينقصه أو يدركه بمكروه.

(٢) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٣) تجتفر: تنقطع، أو تذل.

(٤) درر: متقابلة، على قصد واحد.

(٥) هدر: الذين لا خير فيهم.

(٦) الندرى: فيما بين الأيام.

رَفَـــعَ الـــقُـــرْآنُ بَـنِـي الإِنْـسَـا

نِ، وَفَـضْـلَـهُـمْ، أَفَـمَـا فَـكَـرُوا؟

أَعْـطَـاهُـمْ أَمْـسِ حُـقُـوقًـا لَـمْ

يَـبْـلُـغْـهَـا لِـلآنَ الـبَـشَـرُ!

بِمُـسَـاوَاةٍ قَـدْ بَـشَّـرَ بِـيْـ

ـنَ الـنَّـاسِ، فَـإِنْ وَقِـرُوا[1] شَـطَـرُوا!

عَـلِـمَ الأَخْـيَـارُ عَـجَـائِـبَـهُ،

فَـمَـضَـوْا يَـتْـلُـونَ، بِـهِـمْ ضُـمُـرٌ[2]

وَتَـعَـضُّ عَـلَـيْـهِ نَـوَاجِـذُهُـمْ،

فَـيُـقَـرِّبُـهُـمْ إِذْ هُـمْ شُـطُـرٌ[3]

فَـتُـحَـدِّثَ فِـي المَـلأِ الأَعْـلَـى

بِـتِـلاَوَتِـهِـمْ... عَـظُـمَ الـفَـخَـرُ!

فَـاجْـعَـلْـنِـي مِـنْـهُـمْ، مُـعْـتَـصِـمًـا

بِـكِـتَـابِـكَ، تَـرْفِـدُنِـي[4] دِرَرُ

وَاجْـعَـلْـهُ رَبِـيـعَ فُـؤَادِي - يَا

رَبِّـي - وَلْـيَـحْـدِقْ[5] بِـي خَـفَـرُ

بَـرَكَـاتٌ فَـاضَـتْ مِـنْـهُ عَـلَـى

مَـنْ، صَـارُوا أَهْـلاً، فَـاشْـتَـكَـرُوا[6]

---

(١) وقروا: صمّوا؛ شطروا: صاروا شطّارًا، أي عصاةً مارقين.

(٢) ضُمُر: هزال، أي من عكوفهم عليه وتدبّرهم معانيه وهمّهم بأمر الآخرة.

(٣) شطر: بعيدون.

(٤) ترفدني: تمدّني؛ درر: جمع درّة، وهي هطول الغيث أو كثرة اللبن.

(٥) يحدق: يحيط.

(٦) اشتكروا: نبتوا في أصول ما هو أكبر منهم.

وَاجْـعَـلْـنِـي فِـي أَهْـلِ الـقُـرْآ

نِ كَـمَـا لَـزِمَ الْـقَـوْسَ الْـوَتَـرُ:

أَقْـفُـو شُـهَـدَاءَ عُـلاه.. فَـهُـمْ

فُـلْـجٌ حَـاكَـاهُـمْ مُـؤْتَـشِـرُ[1]!

وَلَـئِـنْ أَتَـطَـفَّـلْ بَـيْنَ كِـرَا

مٍ، بَـاعُـوا أَنْـفُـسَـهُـمُ فَـشُـرُوا

فَـمَـعَ الْـمُـسْـتَـحْـضَـرِ[2] قَـدْ يُـؤْتَـى

بِزْقًـا فِـي الْمَـأْدُبَـةِ الْحَـضِـرُ!

وَأَقِـرُّ بِـأَنِّـي لَـسْـتُ كَـمَـنْ

مُـلِـئُـوا بِـالْخَـيْـرِ.. أَنَـا الـصَّـفِـرُ[3]

هُـمْ شَـعُّـوا إِيـثَـارًا، لَـكِـنْ

- بَـدَلَ الإِيـثَـارِ - أَنَـا أَثِـرُ[4]

وَإِلَـى لَـهْـوِي مِـنْ سَـهْـوِي لاَ

أَلْـوِي أَوْ يَـرْدَعُـنِـي قَـعَـرُ[5]!

لِـمَـتَـاعِ الـدُّنْـيَـا بِـي شَـرَهٌ،

فَـأَنَـا بَـجِـرٌ[6] مَـجِـرٌ نَجِـرُ

وأَغَـالِـبُ شَـيْـطَـانِـي حِـيـنًـا

وَمَـرَارًا ثَـمَّـةَ أَنْـدَحِـرُ!

---

(١) مؤتشر: متفلّج، يصطنع الفلج بين أسنانه.

(٢) المستحضر: المدعو؛ الحضر: دون دعوة، الطفيليّ.

(٣) الصفر: الخالي.

(٤) أثر: أناني.

(٥) قعر: عقل تام.

(٦) بجر: من يشرب ولا يرتوي، وبجر ونجر مرادفتان أو إتباع.

أَبْـتَـاعُ الـيَـهْـيَـرَى[1] سَـفَـهًـا
وَالْـبَـائِـعُ خَـصْـمٌ مُـقْـتَـشِـرُ[2]!
قَـدْ ضَـاعَ شَـبَـابِـي فِـي عَـبَـثٍ:
أَوَ بَـعْـدَ شَـبَـابٍ مُـعْـتَـصَـرُ[3]؟
يَـا وَيْـحِـي! أَيْـنَ أَنَـا مِمَّـنْ
رَاضُـوا الأَمَّـارَةَ[4] وابْـتَـهَـرُوا؟!
مَـالِـي إِلاَّ الـتَّـوْحِـيـدُ عُـرًى
فَـأَمُـتُّ إِلَـيْـهِـمْ وَالـذِّكَـرُ
.. وَأَمَـامَـكَ تَـسْـأَلُـنِـي بِـهِـمَـا
أَسْـتَـسْـهِـلُ[5] مِـنْـكَ، فَـهَـلْ أَعِـرُ؟
حَـاشَـاكَ - إِلَـهِـي! - أَنْ تَـأْتِـي
مَـنْ قَـامَ بِـذَيْـنِ، فَـيَـنْـفَـقِـرُ[6]!
.. وَإِلَـى حُـبِّـي إِيَّـاكَ أَضِـيـ
ـفُـهُـمَـا، فَـعَـسَـانِـي أَغْـتَـمِـرُ[7]!
فَـأُحِـبُّـكَ حُـبًّـا زَلْـزَلَـنِـي،
وَبِـحُـبِّ رَسُـولِـكَ أَعْـتَـجِـرُ[8]
وَأَنَـا - مَـعَ ذَلِـكَ! - ذُو قُـلٍّ،
وَقَـرِيـبُ[9] الـهِـمَّـةِ، مُـقْـتَـصِـرُ

---

(١) اليهيري: السّراب، الباطل.
(٢) مقتشر: متجرّد، عارٍ، أي ظاهر العداوة.
(٣) معتصر: العمر والهرم.
(٤) الإمارة: بالسّوء أي النفس؛ ابتهروا: جدّوا، أي في العبادة.
(٥) استسهل: أصلب اليسرى والتسهيل لها؛ أعِر: أصبح وعرًا، قاسيًا.
(٦) ينفقر: ينكسر ظهره.
(٧) أغتمر: يعلوني الماء ويغطيني.
(٨) أعتجز: أتعمّم، أي أتخذه عمامة.
(٩) ذو قلّ: لا أستكثر من العمل الصالح؛ قريب الهمة: أي في الطاعات.

فَـأَعِـنِّـي - رَبِّ - عَـلَـى نَـفْـسِي
بِـالـقُـرْبِ إِذَا جَـاءَ الـسُّـحَـرُ!
وَتَـبَـارَكَ مَـنْ بُـسِـطَـتْ يَـدُهُ
لِـيَـتُـوبَ مُـسِـيءٌ مُـعْـتَـذِرُ
فَـبِـدُونِ الـتَّـوْبَـةِ لَـنْ تَـبْـقَـى
حَـيْـرِيَّ الـدَّهْـرِ[1] لَـنَـا دِيَـرُ؛
وَالـنَّـاسُ - وبِـالـضَّـعْـفِ اتَّـصَـفُـوا -
مَـا إِنْ ضَـعُـفُـوا حَـتَّـى خَـسِـرُوا!
إِنَّ الإِنْـسَـانَ لَـفِـي خُـسْـرٍ
فَـعَـسَـى إِحْـسَـانُـكَ يَـنْـثَـجِـرُ[2]،
إِذْ نَـحْـنُ بَـنُـو مَـاءٍ بَـدْءًا،
جَـافَـانَـا مُـذْ ذَاكَ الْـيَـرَرُ[3]!
وَلَـقَـدْ أَسْـقَـطْـتَ لَـنَـا حُـجَـجًـا
بِـالـذِّكْـرِ، فَـرَاحَـتْ تَـنْـضَـمِـرُ!
وَأَقَـمْـتَ عَـلَـيْـنَـا حُـجَّـةَ مُـقْـ
ـتَـدِرٍ فَـأَحَـاطَ بِـنَـا حَـصَـرُ..
وَالـحُـجَّـةُ جَـسَّـدَهَـا بَـشَـرٌ
مَـشْـرُوحُ الـصَّـدْرِ وَمُـشْـتَـمِـرُ
خُـلُـقًـا هُـوَ تَـرْجَـمَـةٌ مُـثْـلَـى
لِـكِـتَـابِـكَ يُـدْرِكُـهَـا الـبَـصَـرُ

---

(١) حيريّ الدهر: أبدًا.
(٢) ينثجر: ينفجر، ينبعث سائلا.
(٣) اليرر: الصلابة.

قَــدْ زَانَ سَــجَــايَــاهُ الحُــسْــنَــى
رِفْــــقٌ، ونَــــأَى عَــنْــهَــا خَــــوَرُ
بَــــرٌّ بِــالــنَّــاسِ - يُــسَــايِــرُهُــمْ،
إلاَّ فِــي مَــعْــصِــيَــةٍ! - يَــسَــرُ[1]
بِــالــنَّــفْــسِ يُــوَاسِــي لَــوْ مَــسَّــى
أَدْنَــــاهُــــمْ مَــنْــزِلَــةً عُــسْــرُ!
يَــسْــتَــفْــهِــمُ - قَــصْــدَ مُــدَاعَــبَــةٍ
لِــعُــمَــيْــرٍ -: مَــا فَــعَــلَ الــنَّــغَــرُ[2]؟
فَــيُــلاَطِــفُ - فِــي مِــقَــةٍ[3] - طِــفْــلاً
وَهُــــوَ المُــنْــشَــقُّ لَــهُ الــقَــمَــرُ!
نَمِــــثُ الأَخْــــلاقِ، فَــلَــمْ يُــسْــمَــعْ
أَبَــــدًا لِــلْــخَــادِمِ يَــنْــتَــهِــرُ
لَــمْ يَــرْضَ لَــنَــا عَــنَــتًــا[4] أَبَــدًا
فِــفِــدَاهُ الأَنْــفُــس والــبِــدَرُ[5]!
لِــلْــحَــقِّ تَجَــــرَّدَ.. لَــمْ يَــقْــبَــلْ
بِمُــسَــاوَمَــةٍ، مَــهْــمَــا وَأَرُوا[6]
فَــرَفَــعْــتَ قَــدِيمًــا قُــدَمَــتَــهُ[7]
لِــيَــكُــونَ مُــقَــدَّمَ مَــنْ عَــبَــرُوا..

---

(١) يسر: سهل، لين الانقياد.
(٢) النغر: طائر، والإشارة هنا للقصة المعروفة حينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عميرا: يا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟
(٣) مقة: محبة.
(٤) عنتا: مشقة.
(٥) البِدَر: جمع بدرة، وهي الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف، والمقصود الأموال.
(٦) وأروا: هددوا وخوّفوا وأرهبوا.
(٧) قدمته: المقدمة هي السابقة في الأمر.

وَحَـلَـفْـتَ لَـهُ قَـسَـمًـا حَـكَـمًـا

فِـي الْـمُـؤْمِـنِ لَـوْ قَـوْمٌ سَـبَـرُوا

لاَ مُـؤْمِـنَ إلاَّ مَـنْ رَضِـيَـتْ

بِـقَـضَـائِـكَ نَـفْـسُـهُ والـنَّـظَـرُ!

مَـغْـصُـومُ حِـجـىً، قَـوَّامُ دُجـىً،

بَـكَّـاءُ شَـجـىً، لَـكَ مُـغْـتَـمِـرُ!

فَـعَـلَـيْـهِ صَـلاَتُـكَ - خَـالِـقَـنَـا! -

وَسَـلامُـكَ، مَـا تُـلِـيَـتْ سُـوَرُ

وَعَـلَـيْـهِ صَـلاةُ مَـلاَئِـكَـةٍ

فَـرِغُـوا لِجَـلالِـكَ مـذْ أُثِـرُوا

وَعَـلَـيْـه وآلِـهِ مِـنْ بَـرَكَـا

تِـكَ أشْـمَـلُـهـا، فَـهُـمُ الـغُـرَرُ

لَـمْ يَـسْـأَلْ غَـيْـرَ مَـوَدَّتِـهِـمْ

أجْـرًا أَوْ شَـيْـئًـا يُـدَّخَـرُ

مَـعَ أنَّ مَـآثِـرَهُ الـعُـظْـمَـى

يَـعْـيَـا أنْ يَـحْـسَـبَـهَـا الـشُّـكُـرُ[1]!

كَـمْ مَـدَّ عُـرًى! كَـمْ رَدَّ قُـرًى

عَـنْ صَـولَـةِ إشْـراكٍ تَحِـرُ[2]!

كَـمْ حِـلْـسٍ[3] ثَـرًى رَبَّـاهُ سُـرًى

فَـإذا بِـذُرَى وَهِـيَ الـوَطَـرُ!

---

(١) الشكر: جمع الشَكور.

(٢) تحر: يسممها الغلّ والحقد.

(٣) حلس: ملازم.

فـي الأمْـــرِ يُـــشـــاوِرُ: لا اسْـتِـبْـدا

دَ، كَـــإمْـــرَةِ قـــومٍ قَـــدْ أُمِـــــرُوا[1]

فـــإذا مَـــا مَـــسْـــأَلَـــةٌ عَـــرَضَـــتْ

وَتَـــعُـــمُّ، يُـعَـمِّـمُـهـا الـنَّـضِـرُ

يَـــدْعُـــو لِـــصَـــلاةٍ جـامِـعَـةٍ

- أيْ مُـؤتَمَـرٍ - حَـيْـثُ الخَـيْـرُ[2]..

.. فَـيَـبِـتُّ الجَـمْـعُ - عَـلاَنِـيَـةً -

فِـيـمَـا يَـخْـتـارُ وَيَـخْـتَـبِـرُ!

وَالـــصَّـــادِقُ كَـــانَ يُـعَـلِّـمُـهُـمْ،

ويُـقِـيـلُ الـعَـثـرَةَ إنْ عَـثُـرُوا!

أسْـقَـى فَـــرَوَى، وَوَقَـــى، وأوَى،

وَرَوَى فَـحَـوَى، فَـطِـنٌ عَـطِـرُ!

صَـهَـرَ الـصَّـلِـداتِ بِـتَـرْبِـيَـةٍ

وَبِـــهِ الـبُـعَـدَاءُ قَـدِ اعْـتَـشَـرُوا[3]

وأدَارَ مَـدِيـنَـتَـهُ الـفُـضْـلَـى

بِمُـــؤاخـــاةٍ لا تَـــنْـــتَـــشِـــرُ[4]

فَـــالـــدِّيـــنُ الحَـــقُّ مُـعـامَـلَـةٌ

تُـــدْنِـــي الـقَـاصِـيَ وتَمْـتَـشِـرُ[5]!

---

(١) امروا: صاروا أمراء، أي حكموا.

(٢) الخير: المقصود ما يعرف اليوم بالخيارات.

(٣) اعتشروا: تعاشروا.

(٤) تنتشر: تنقطع.

(٥) تمتشر: تجمع الكلأ.

لَـمْ يَـسْـعَ سُـدًى، بَـلْ طَـمَّ هـدًى
بِمَـدًى وَصَـدًى عَـجَـبٌ جَـهِـرُ!
مُـنْـجٍ بِـنَـدًى - والخَـلْـقُ غَـدًا
غَـرْقَـى[1] كَـمَـدًا! - لَمَّـا جَـأَرُوا
بَـسَـطَ الحَـرِّيَّـةَ، فَـاسْـتَـغْـشَـى
أَعْـدَاءُ الـفِـطْـرَةِ وانْـذَعَـرُوا!
أَعْـدَى مِـنْ لَـيْـثٍ إنْ حَـمِـيَـتْ[2]
أنْـدَى مِـنْ غَـيْـثٍ يَـغْـتَـدِرُ!
قَـدْ قَـامَ يُـجَـاهِـدُ فِـيـكَ جِـهَـا
دًا، ظَـلَّـتْ تَـرْوِيـهِ الـسِّـيَـرُ
لاقَـى أعْـدَاءَكَ فِـي غَـزَوا
تٍ، تِـسْـعٍ لَـيْـثًـا يَـهْـتَـصِـرُ
وغَـزَا مِـثْـلَـيْـهَـا دُونَ قِـتَـا
لٍ يَـفْـدِيـهِ الـنَّـفَـرُ الـظُّـفُـرُ
لَـكِـنَّ بُـعُـوثَ عَـسَـاكِـرِهِ
وَسَـرَايَـاهُـمْ لَمَّـا نَـفَـرُوا
لَـثَـمَـانِـيَـةٌ مِـنْ بَـعْـدِ ثَـلاَ
ثِـينَ، انْـفَـقَـرَتْ[3] فِـيـهَـا الـفُـقَـرُ!

---

(١) غرقى كمدًا: أي غرقى في عرقهم من الكمد، والإشارة لما يحدث في اليوم الآخر حينما لا يجرؤ غير سيّد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال المولى عزّ وجلّ أن يرفع عن الخلق.

(٢) حميت: أي الحرب؛ يعتدر: ينهمر.

(٣) انفقرت فيها الفقر: كثرت فيها الدواهي.

فَـالـطَّـعْـنُ ظِـئَـارُ[1] أُنَـاسٍ قَـطْـ

ـطِ بِـدُونِ طِـعَـانٍ مَـا ظُـئِـرُوا!

كَـمْ جَـالَـدَ عُـبَّـادَ الـدُّنْـيَـا

بِـزَوَاجِـرِ حَـقٍّ فَـانْـزَجَـرُوا!

فَـأَنِـلْـنَـا - رَبِّ - شَـفَـاعَـتَـهُ

فِـيـمَـنْ سُـتِـرُوا ثُـمَّ انْـسَـتَـرُوا،

وَاحْـشُـرْنَـا دَاخِـلَ زُمْـرَتِـهِ:

فَـإِلَـيْـكَ تُـسَـاقُ غَـدًا زُمَـرُ،

وَارْزُقْـنَـا خِـدْمَـةَ سُـنَّـتِـهِ

زُلْـفَـى[2] حَـتَّـى يَـقِـفَ الـعُـمُـرُ،

فَـنِـهَـايَـةُ خَـادِمِـهَـا نِـعَـمٌ،

وَنِـهَـايَـةُ هَـادِمِـهَـا سَـقَـرُ!

مِـنْ شَـرِّ عِـبَـادِكَ أَقْـوَامٌ

مَـكَـرُوا بِـالـسُّـنَّـةِ، وامْـتَـكَـرُوا[3]،

خَـلَـعَ الْجَـانُـونَ مُـعَـذَّرَهُـمْ[4]،

وتَمَـادُوا سَـاعَـةَ قِـيـلَ[5]: «قِـرُوا»!

وَكَـأَنَّ الـهَـمْـسَ دَوِيٌّ!.. إِذْ

مَـا قِـيـلَ «قِـرُوا» حَـتَّـى وَقِـرُوا!

---

(١) ظئار: مدعاة للعطف والإمالة؛ ظئروا: عطفوا.. أي أن الحرب ضرورية لتقويم بعض الناس وإرجاعهم إلى جادّة الحق.

(٢) زلفى: قربى.

(٣) امتكروا: تَخَضَّبوا.

(٤) خلعوا معذرهم: أي لم يطيعوا مرشدا.

(٥) قروا: فعل أمر من الوقار.

بِـنِـفـاقٍ كَـمْ غَـرَسُـوا فِـينَـا
مِـنْ مُـبْـتَـدَعـاتٍ أوْ نَـشَـرُوا!
وَعِـبَـادَتُـهُـمْ عَـمَـلٌ نَـزِقٌ
فـإذا رُزِقُـوا فِـرَةً[1] أَفِـرُوا
وإذا رُزِئُـوا يَـوْمًـا فَـتَـرُوا
فَـلَـبِـئْـسَ الـقَـوْمُ وَمَـا خَـتَـرُوا[2]!
هَـجَـرُوا خَـطًّـا مَـحْـمُـودَ خُـطًى،
وَبِـدِيـنِـكَ سـمْـعَـةً ابْـتَـهَـرُوا
دِيـنٌ نَـصَـبُـوهُ فَـقَـطْ شَـرَكًـا
لِـلـدُّنْـيَـا، بُـغْـيَـةَ أنْ يَـفِـرُوا
فَـأضـاعُـوا الآخِـرَةَ الأَبْـقَـى،
وَسَـتَـهْـلَـكُ فـانِـيَـةُ غُـدَرُ[3]!
رَبَّـاهُ!.. ألاَ جَـنِّـبْـنَـا أَنْ
نُـغْـرَى بِمَـهَـالِـكَ تَـهْـذَخَـرُ[4]!
وَاهْـدِ الـلَّـهُـمَّ مَـنِ انْـخَـدَعُـوا،
وَاتْـرُكْـهُـمْ حَـتَّـى يَـنْـتَـسِـرُوا[5]
وَلْـيَـخْـتَـرْ كُـلٌّ مـا يَـبْـغِـي؛
فَـهُـمـا هَـدَفـانِ لِمَـنْ خَـبَـرُوا:
دُنْـيَـا أخَـاذَةُ شَـكْـلٍ.. أمْ
زُهْـدٌ وَمَـعـادٌ مُـسْـتَـتِـرُ؟!

---

(١) فرة: وفرا؛ افروا: نشطوا.
(٢) ابتهروا: اشتهروا دون حق.
(٣) غُدَرُ: غدّارة.
(٤) تهذخر: تختال وتتبختر.
(٥) ينتسروا: ينفكّوا وينحلّوا مما يربطهم.

وَالـنَّـاسُ مَـذَاهِـبُـهُـمْ شَـتَّـى،
وَبِـسُـوقَـيْنِ اثْـنَـيْنِ اتَّجَـرُوا
لِـلأَوَّلِ دَرْبٌ مَـطْـرُوقٌ،
والآخَـرُ مَـسْـلَـكُـهُ وَعِـرُ،
فَـرِجَـالٌ تَـتْـبَـعُـهُـمْ خَـدَمٌ،
وتُـوَرِّخُ سِـيـرَتَـهُـمْ زُبُـرُ
وَعِـبَـادٌ غُـفْـلٌ[1] زُهَّـادٌ
بِـالحَـقِّ سَـرَوْا، لِـلـحَـقِّ أرُوا
وَأرَى الحِـزْبَـيْنِ: فَـمُـنْـطَـلِـقٌ
- يَـدْعُـو الـرُّوَّادَ - ومُـنْـشَـمِـرُ
أفْـعَـى وَذُبَـابٌ[2] فـي مَـثَـلٍ
لأولـي الألْـبَـابِ... لِـيَـعْـتَـبِـرُوا!
فَـوَضَـاعَـةُ مَـظْـهَـرِهِ عِـسَـلٌ،
وَنُـعُـومَـةُ مَـلْـمَـسِـهـا خَـطَـرُ!
مَـا كُـلُّ ذَواتِ الـدَّرِّ[3] قَـرَى:
فَـمِـنَ الـلَّـبَنِ المُـزْجَـى صَـبِـرُ!
أَإِذَا - رَغَـبًـا - حُـلِـبَـتْ بَـقَـرٌ
أَكَـذَلِـكَ يُـحْـتَـلَـبُ الـعُـشَـرُ؟!
مَـا أشْـقَـى مَـنْ لَـبُّـوا دَعْـوَى
أعْـداءِ الـزُّهْـدِ، فَـقَـدْ جَـخِـرُوا[4]!

---

(١) غفل: غير معروفين.

(٢) ذباب: ذباب العسل، أي النحل.

(٣) الدر: اللبن؛ قرى: أطعم؛ المزجى: القليل.

(٤) جخروا: امتلأت بطونهم فذهب نشاطهم وانكسروا.

والـــزُّهْـــدُ طَـــرِيـــقَـــةُ سَـــيِّـــدِنَـــا:
فَـــالـــسُّـــنَّـــةُ مَـــصْـــدَرُهُ الخَـــضِـــرُ
والحَـــــــقُّ مُـــبِـــينٌ لاَ يُـــخْـــفَـــى
- إبْـلِـيـجَـاجًـا[1] - أوْ يُـخْـتَـجَـرُ!
يَـــكْـــفِـــي أمْـــــرانِ لِـــــرَدِّ ذَوِي
لُـــبٍّ لِـلـسُّـنَّـةِ لَـــوْ فَـــسَـــرُوا:
الْـبِـشْـــرُ عَـلَـى وَجْـــهِ المُحْـيِـي
دَرْبُ المَـغْـصُـومِ، فَـــلاَ كَـــدَرُ
وَغِـيـــابُ الـــرَّدِّ إذا سَـــأَلُـــوا
مُـتَـنَـكِّـبَـهـا[2]: لِـمَ يَـنْـتَـحِـرُ؟!
بِمُـحَـمَّـدٍ الـرُّسْـلُ اخْـتُـتِـمَـتْ،
وَبِـسُـنَّـتِـهِ نُـسِـخَ الـضَّـرَرُ!
فَـلَـسُـنَّـةُ أحْـمَـدَ مُـنْـتَـجَـعٌ[3]
مُـغْـرٍ، مُـثْـرٍ، خَـضِـرٌ، مَـضِـرُ
يَـجِـدُ الـسُّـعَـدَاءُ مَـآرِبَـهُـمْ
فِـيـهـا، وَيُـفـارِقُـهُـمْ وَضَـرُ!
أنَّـــى تُـسْـتَـقْـصَـى رَوْعَـتُـهـا
فِـي شِـعْـرٍ أشْـطُـرُهُ[4] نُـزُرُ؟!
وَالأبْـيـاتُ المَـغْـمُـورَةُ ذِي[5]
جَـهْـدٍ مَـنْـقُـوصٌ مُـبْـتَـسَـرُ

---

(١) إبليجاجًا: وضوحًا وإضاءة.

(٢) متنكبها: عادلًا عنها متجنبًا إياها.

(٣) منتجع: منزل في طلب الكلأ؛ خضر: غُضٌّ؛ مضر: إتباع.

(٤) أشطره: أبياته أو أثداؤه؛ نزر: قليلات الدر.

(٥) ذي: اسم إشارة؛ مبتسر: في غير وقته، غير مناسب.

فَـاغْـفِـرْ لِـعُـبَـيْـدِكَ نـاظِـمِـهَـا،
وَهُـــوَ الخَـــطَّـــاءُ المُـفْـتَـقِـرُ
وَارْحَـــمْـــهُ بِـأحْـسَـنِ خَـاتِمَـةٍ،
كَـيْـلا يَـتَـصَـيَّـدَهُ الـشَّـرَرُ،
وَاجْـعَـلْ فِـي الجَـنَّـةِ مَـنْـزِلَـةً
لِـذَوِي قُـرْبَـاهُ، وإنْ غَـبَـرُوا[1]،
وَاقْـبَـلْ - بـالـفَـضْـلِ! - قَـصِـيدَتَـه،
مَـعَ أنَّ بِـضَـاعَـتَـهُ الـعَـوَرُ!
وَزِدِ الحَـسَـنَـاتِ لِـمُـنْـشِـدِهَـا،
وَلِـسَـامِـعِـهَـا، وَلِـمَـنْ حَـضَـرُوا!
وَلِـسَـائِـرِ أمَّـتِـنَـا هَـذِي:
وَبَـرٌّ[2] أواهُـمْ أوْ مَـدَرُ
وَانْـصُـرْ أهْـلَ الإسْـلامِ عَـلَـى
أعْـداءِ الـدِّيـنِ إذِ[3] اشْـتَـغَـرُوا
وَعَـلَـى بِـدَعٍ، وَهَـوًى خَـافٍ،
وَخِـلافٍ جَـافٍ يَـشْـتَـجِـرُ!
وَحِّـدْهُـم - رَبِّ! - عـلـى سُـنَنٍ[4]
كَـيْ يَـعْـتَـدِلُـوا، وَلِـيَـزْدَهِـرُوا
لِـتَـكُـونَ - إلَـهِـي! - غَـايَـتَـهُـمْ،
فَـإلَـيْـكَ المَـنْـجَـى والـوَزَرُ[5]!

---

(١) وإن غبروا: وإن قدموا.
(٢) وبر آواهم أو مدر: أي بدوًا وحضرًا.
(٣) اشتغروا: تطاولوا وافتخروا.
(٤) السنن: الطريق والنهج والوجهة.
(٥) الوزر: الملجأ.

وَصَـفِـيُّـكَ يُـصْـبِـحُ قُـدْوَتَـهُـمْ
فـي الخَـلْـقِ، لِـئَـلاَّ يَـنْـفَـطِـرُوا
وَاجْـعَـلْ تَـنـزيـلَـكَ شِـرْعَـتَـهُـمْ
وَمَـلاذَ الـنَّـفْـسِ إذا حُـصِـرُوا
وَالـهِـمَّـةَ إعْـلاَءَ الـعُـلْـيَـا[1]:
فَـالـكُـلُّ جَـوَادٌ مُـذَّخَـرُ
وَيَـكُـونَ الـشَّـأنُ جِـهَـادًا فِـيـ
ـكَ عَـلَـى مَـنْ ضَـلُّـوا أوْ دَعَـرُوا
وَاسْـتِـشْـهَـادًا؛ حـتَّـى يُـنْـقَـى
أعْـدَاءُ الـدِّيـنِ، وَيَـنْـبَـذِرُوا[2]!
وَقِـهِـمْ بِـكِـتَـابِـكَ مِـنْ فِـتَنٍ
كَـثُـرَتْ، وَلْـتُـخْـطِـئْـهُـمْ[3] غِـيَـرُ
ألْـزِمْـهُـمْ سُـنَّـةَ أحْـمَـدَ كَـيْ
تَـتَـعَـهَّـدهُـمْ مـهـمـا صـبـرُوا!
هَـذِي حَـاجَـاتِـي أرْفَـعُـهـا
- مـوْلايَ الـفَـرْدُ! - ألاَ فَـمُـرُوا
بِـزِيَـادَةِ سُـؤْلٍ أرْجُـوهَـا
بَـعْـدَ الحُـسْـنَـى، يـا مُـقْـتَـدِرُ:
بِـجَـلالِ بَـهَـائِـكَ كَـحِّـلْـنِـي،
وَأقَـارِبَ لِـي بِـالـشَّـوْقِ بُـرُوا[4]

---

(١) العليا: أي كلمة الله؛ مذّخر: مهيّأ ومعدّ للجهاد.

(٢) ينبذروا: يتشتّتوا.

(٣) غير: أحوال الدهر المتغيرة.

(٤) بروا: رقّوا ونحفوا.

أَبَـــــوَيَّ وإِخْـــوَانِـــي وعَـشِـيـرَ

تَـنَـا، فـالأفْـلُ هُـمُ الأفَـــرُ[1]!

وَبَـقِـيَّـةَ إخـوانِـي فـي الـلـهِ، فَـهُـمْ -

لِـــنْ اسْـتَـسْـقَـى - هُـجُـرُ[2]!

لَـكَ فِـي الأُولَـى حَـمْـدٌ يَـهْـمِـي

غَـدِقًـا، ثَـرًّا لاَ يَـنْـحَـسِـرُ!

والآخِـــرَةُ الحَـمْـدُ الأسـنَـى

فِـيـهـا حـكْـرٌ لَـكَ مُـحْـتَـكَـرُ!

وَصَـلاتُـكَ - رَبِّ - عَـلَـى الـهَـادِي

لِـصِـراطِـكَ دعْـهـا تَـنْـهَـمِـرُ

وَعَـلَـى أسْـلافٍ مِـنْ رُسُـلٍ،

سَـبَـقُـوهُ زَمَـانًـا وَأْتَـبـروا[3]

وَالـعِـتْـرَةِ[4]، والأصْـحـابِ، ومَـنْ

تـبِـعُـوا المَـعْـصـومَ ومَـا فَـتَـرُوا

وَعَـلَـى إخْـوانٍ حَـدَّثَ عَـ

ـنْـهُـمْ، هُـمْ فِـي سِـكَّـتِـهِ أُسَـرُ

غُـرَبـاءُ، وقـدْ قَـبَـضُـوا جَـمْـرًا

طُـوبَـى لَـهُـمُـو، فَـقَـدِ انْـتُـقِـرُوا[5]!

---

(١) الأهر: ما بطن من متاع البيت.

(٢) هجر: أحواض عظيمة.

(٣) إتبروا: استصلحوا نخلهم واستزرعوا.

(٤) العترة: الآل عليهم السلام.

(٥) انتقروا: اختيروا واصطفوا.

حَـــمَـــدُوكَ، واحْـــمَـــدُكَ الـــلـــهُـــمْ[1]

مَ فـــغُـــفْـــرانًـــا يَـــا مُـــغْـــتَـــفِـــرُ

غُـــفْـــرَانًـــا - رَبِّـــي - غُـــفْـــرَانًـــا:

فَـــبِـــلاَ غُـــفْـــرَانِـــكَ أُجْـــتَـــزَرُ[2]!!

****

(١) اللهمم: اللهمَ، رسمت هكذا لاعتبارات عروضية.

(٢) اجتزر: اقطَع وانحر، اي أَعَذَّب.

عبد القادر محمد أبه[1]

١ - لك الله يا قدس

[البسيط]

أيـن الجـهـابذُ فـي الإسـلام هـل قُـبـروا؟

أم ابـتـلـوا فـجـأة لـكـنـهـم صـبـروا

صـبـرًا يـكـاد يـكـون الـيـأس شيمته

فـأيُّ صـبـر لـنـا والـهـود إنـتـصـروا

يـافـا، وحـيـفـا، وبـيـت الـقـدس، مقدسنا

قـد دنَّسـتْـه بـقـايـا الـهـود والـكـفـر[2]

---

(١) عبد القادر محمد أبه: شاعر تشادي ولد في سنة ١٩٦٥ في العاصمة أنجمينا وتخرج من جامعة تشاد المعروفة الآن باسم جامعة أنجمينا سنة ١٩٩٠م بعد أن نال الإجازة في اللغة العربية. ثم نال شهادة التأهيل التربوي «المتريز» من المعهد العالي للعلوم التربوية بأنجمينا، والمعروف بـ «اليوسيد».

ويعمل مدرسًا للغة العربية بالمعهد العلمي الإسلامي، ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي، ومن الثائرين على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في بلاده، وفي العالم العربي.

وله ديوان شعري بعنوان «إعصار في فؤاد» لم يطبع. ويتسم شعر الشاعر بطابع التجديد. يقول: وغالب شعري بالشعر الحر لأنه يسمح لي أن أعبر عن الانفعال بحرية أوسع.

وحيث إن الشاعر نشأ في العاصمة أنجمينا ولم يبرحها إلى غيرها من المدن إلا أن العاصمة - كغيرها من عواصم الدول الإفريقية - تعج بالمتناقضات، من حيث الأيديولوجيات والعادات والعصبيات واللهجات، إضافة إلى الحروب الأهلية الآكلة للأخضر واليابس، وذاقت تشاد وعانت منه في حربها الأهلية سنة ١٩٨٠م، لذلك فإن شاعرنا لم يشعر بالرضا، ولا عرف الراحة والسعادة، فراح يُفرغ طاقاته في كتاباته الشعرية.

ولا غرو أن نجد شعره يتسم بالقلق والتمرد والثورة، فاتسم شعره بالاتجاه التجديدي الثائر.

لقاء بمنزلي مع الشاعر في العاصمة أنجمينا في ٢٠٠٢/٢/٢٤م.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

عـاث الـيـهـود فـسـادًا فـي مـواطـنـنـا

وقـتَّـلـوا قـومـنـا صـبـرا وقـد قـهـروا

وشـــردونـــا وذلـــونـــا وقـــد عـلـمـوا

نـحـن الـذيـن لـنـا الـتـاريـخ معتبر

يـا أيـهـا المسـجـد الأقـصـى الـذي سجدت

بـأرضـه جـبـهـة الأصـحـاب بـل عُـمَـرُ

مـسـرى الـنـبـي رسـول الـلـه قـد طـهـرتْ

مـر الـعـصـور فـلا الـتـدنـيـس لا الـعـهـر

فـكـيـف نـتـركـهـا لـلـهـود تـرتـعـهـا؟

نـسـل الـخـنـازيـر بـالـتـوراة قـد كـفـروا

قـد نـصَّـبـوا الـعـجـل ربًّـا، كـم لـه سـجـدوا

بـنـو الـقـرود بـقـتـل الأنـبـيـا اشـتـهـروا

وكـيـف نـتـركـهـا لـلـهـود عـاصـمـة

يـا لـيـت شـعـري مـتـى الـهـيـجـا سَـتـسـتـعـرُ

ولـيـت شـعـري مـتـى تـأتـي الـجـمـوع ضـحـى

بـعـاديـات لـهـا هَـمٌّ هـو الـنـصـر

تـثـيـر نـقْـعًـا وتـوري الـقـدح عـاديـةً

تـطـارد الـهـود والأوبـاش مَـنْ فَـجَـروا

والـيـوم مـاذا تـرى فـي الـقـدس غـيـر دمٍ

يـسـيـل نـهـرًا ومِـقـلاعٍ بـه حـجـر

طـفـلُ الحـجـارة يـا قـلـب، لـه عـزمٌ

لـعـلّ عـزمـك فـي الإسـلام ينتشر

وفـي الأزقـة ألـيـاتٌ لـهـا هـدرٌ

وتـنـفـث الـنـار تـنـدكُّ بـهـا الـقُـصَر

ونَـوْح ثـكـلـى تـنـادي الـولـد تـنـدبـه

أو مـوكـبًـا صـارخًـا يـبـكـي لـه عـبر

فـتـلـك إذلالـة تُـرْدي كـرامـتـنـا

تـقـطّـع الـقـلـب إرْبًـا وهـو مـنـفـطر

عـبـر الإذاعـات تـنـديـد لـه جَـلَـبٌ

وداخـل الـقـاع جـمْـعٌ وهـو مـؤتـمـر

وفـي الأخـيـر قـرار لا تـعـدُّ بـه

وكـيـف تـعـتـدّ مـا لـم يـجـمـع الـنـفـر

ولـم تـعـدُّ لـهـا خـيـلٌ مـسـوَّمـةٌ

ولـم تـنـاوش لـمـا يـظـهـر الـخـطـر

لـكِ الـلـهُ يـا قـدس الـسـلـيـبُ عـلـى الـمـدى

هـا نـحـن نـأسـى بـدمـع لـيـس يـنـهـمـر

ونـحـن نـتـلـو قـول الـلـه نـحـفـظـه

أيـن الـنـفـوذ الـذي أوصـت بـه الـسُّـور

أيـن الجـهـادُ الـذي فـي الـنـصر حـقّ لنا

بـل أيـن نجـدتُـنَـا مـن تمـلأ الـسِّـيـر

مـاذا أصـاب جـمـوع الـمـسـلـمـين عـسـى

لـغـيـرِ طـريـق الـلـه قـد نـفـروا

فـغـيِّـر الـلـه نـصـرًا قـد أعـدَّ لنا

لأن فـي نـهـجـنـا الإبـدال والـغِـيَـر

نـحـنُ جـيـوش رسـول الـلـه عـزَّ لنا

طـردُ الـيـهـودِ مـن الأقـصـى فـيـا عبر

ومـا الـيـهـودُ ومـن مـا يـأتـهـم مـدد

مـن (الـولايـات) إنْ مـا أزمـع الـنفر

هـيـا نـفـرُّ إلـى الـقـدُّوس نـسـألـهُ

نـصـرًا وعـونًـا تـعـالـى فـهْـو مـقـتـدر

عبدالقادر محمد أبه ٣/١٠/٢٠٠٢م

****

٢ - حسرة الفراق

[الرجز]

لـلـه حـمـدًا ربـنـا نِـعْـمَ المعـين
إلـيـه نـشـكـو ويـه سـنـسـتـعـينْ
إلـيـه نـلـجـا فـي مـلـمـات السـنـين
ومـن زمـان دأبُـه دومًـا ضـنـين
قـد كـان فـينـا نـخـبـة مـن عـالِـمـين
مـدرسـين مـتَّـقـينَ واعـظـين
ومـرشـديـنَ واهـبـين صـالـحـين
وعِـلْـمـهـم عـذبٌ زلالٌ مـن مَـعـين
مـعـينُ عـلـمٍ خـاتَمٍ لـلـمـرسـلـين
فـدرِّسـونـا عـلِّـمـونـا دائـبـين
عـلـى الـصـلاة والـصـلاح كـل حـين
والـعـلـم زانـهـم سَـنًـا عـلـى الجـبـين
والـيـوم جـلُّـهـم غَـدَوْا مـغـادريـن
مـغـادريـن الحـقـل والجـوعُ دفـين
يـا ويْـحَ قـلـبـي فَـتَّـهُ حـزنٌ دفـيـنْ
إيـابـكـم يـا لـيـتـه يـؤْجَـل سـنـين
يـقـول قـلـبـي بـاكـيًـا ومـلـئـه الحـنـين
لـو أنـهـم لـكـنْ ولاتَ حـين

انجمينا/ عبد القادر محمد أبه (٢٠٠٤/٦/٢٤م)

****

٣ - انتصار الروح

[البسيط]

يـا مـيُّ مـهـلًا أهــذا الحــب يشقيكِ

وإن شـقـيـت فـأشـعـاري تـواسـيـكِ

أنــا وأنــتِ خـصـيمًـا تـلـكـمُ إمــرأةٌ

كـانـت تجـادِلُـنـا فــي بـيـضـة الـدّيـك

كـانـت تـعـانـدُ أقــــدارًا تُـسـايـرنـا

كـانــت تـنـمُّ لأطـيــاف تـنـاجـيـك

كـانـت تـقـول إذا مـا قـلـت قـافـيـتي

هــذا الـفـقـيـرُ أبـو الـكـلـمـات يـقْـريـك

نِـعْـم الـرجــال عـطـايـاهـم جـواهـرهـم

لـكـن ذا الـقـوم ألـفـاظـا سـيـهـديـك

عِــدِّي كـنـوز سـلـيـمـى مـن أحـبّـتـهـا

مــاسٍ ولـؤلـؤ ومــرجــان تحـديـك

وأنــت مـا أنـت فـي أوسـاط مجـمـعـهـم

إلا كـحـلـمٍ سـرى فـي عـمـق مـاضـيـك

أنــتِ الجـمـالُ وأنــتِ الحـسـنُ ربّـتُـهُ

أنــتِ الـعـفـافُ وأنــتِ رمــزُ واديـك

والـيـوم عُـدَت كـؤوس الـسـحـرِ تـنـزعك

وذا الـمـشـعـوذ بـالـكـلْـمـات يَـرْقـيـك

ثُـويـي لـرشـدكِ فـالأيـامُ مـعـركـةٌ

ودولـــةٌ ثُـــمَّ دهـــرٌ قـــد يـعـاديـك

إذا طَـلـبْـتِ هـل الألـفـاظُ تـعـطـيكِ

وإن مـرضـتِ هـل الأشـعـارُ تـشـفـيك

ولِّـي بـلـحْـظِـك فـي الألـوان واتـئـدي

ذا بـالـقـصـائـد يـهـذي ثـم يـؤذيـك

****

٤ - الطوطم[1]

فلسطينُ
يا نصلًا تغلغلَ في فؤادي
وانكسرْ

يا حجرًا بلهب القلب
ساحَ وانصهرْ
يا لذعةَ الموت المعبأِ في دمي المشنوق
من ملح البحرْ

فلسطينُ
يا داءً تَغَلَّغَني منذ الصغرْ
يا نغم الطبولِ بقريتي في سكون الليلِ
تبكي تنتحبْ
يا وجع الزنوج بغابةٍ
لم تدغدغها السُّحبْ
يا طوطم العرب المُنصب في دواخلنا
يحركه الغضبْ

---

(١) الطوطم: رمز أسطوري حيواني أو شكل إنساني عند بعض الأفارقة من باب التفاؤل وهي معربة من الفرنسية وتسمى توتام.

يا صرخة البطل المضرَّج واقفًا

ما هدّه يومًا تعبْ

يا ثديًا لعمتنا أطعناه

فأرضعنا الأدبْ

فلسطينُ

يا طفلًا صغيرًا عاث رميًا بالحجرْ

يا قصة الحجر الذي وصل القمر

حجرًا تحدى آلة الحرب

وما إن حسبناهُ حجرْ

يا طائر الفينيق في شمم تردى

ثم لملم موته لما تردى واندثرْ

من سبي بابل قد سرت في عزمه بعضُ العبر

وخيالُ خيبرٍ طاقة في يأسه رسمت أثر

وتسللت في عزة تسري به ذكري عمر

فإذا به قد طل منتفضًا ليرمي بالحجرْ

فلسطينُ

يا رعشةَ الصوت المكبل في دواخلنا

تعالى صارخًا حتى انتحرْ

فلسطينُ

يا دمَ الشهداءِ يرسمه خبرْ

يا حزنَ الأرامل والثكالى

يا اهتزاز اليتم من برد المطرْ

يا مأتمًا للعرس – تندبه خطب بمحضر مؤتمرْ

يا قمة الوزراء يا حقًّا يضيعه الهزرْ

يا موكبَ الشهداءِ في ألم يسطره القدر

يا خنجرًا في القلب مغروسًا على مرِّ العمرْ

أقضية الموت الذي قد عاد غرضًا للشعر

يا وصمة العار المكلل في جباه الإنس في هذا العصر

أبكيكَ في سري وفي شعري

وأمام الشاشة الصماء والمذياع

حتى في السمرْ

وفي انتظار الأمل يا قدسي

فصبرًا سوف نلعقه الصبر

حتى تنادي شجرة الزيتون في همس:

أيا رامي الحجرْ

هذا يهودي تخبَّى تحت جذعي

فاصنع به ما يصنعُ الإنسان في جنس البقرْ

حتى يحين الوقت يا قدسي

فصبرًا سوف نلعقه الصبر

يا اندحارًا انتصرْ

الأحد ١١/٥/٢٠٠٣م

أنجمينا/ عبد القادر محمد أبه

****

٥ - رجاء وعذر

[مجزوء الوافر]

أُريـــــــدكَ تـــرســـمُ الـــقَـــمـــرا
لُجـيـنًـا يُـبْـهِـر الـنَّـظـرا
وتـــخـــلـــطـــه بـــيـــاقـــوتٍ
فـيـصـبـحُ لـــونُـــهُ الـتِّـبـرا
أحـــبـــكُ تـــقـــطـــفُ الأزهـــا
رَ، تـسـكـبُـهَـا شـــذًى عَـطِـرا
وتـــهـــطـــلُ عـــطـــرهـــا مـــوجًـــا
فـــأعـــصـــرهُ لـــنـــا خـــمـــرا
أريـــــــدكَ تـــعـــزف الألحـــا
نَ، لحـــنًـــا يـــلـــهِـــبُ الجـــمـــرا
عـــلـــى قـــلـــبـــي ويـــحـــرقـــهُ
يـــحـــيـــلُ غـــرامَـــهُ جـــهـــرا
أحـــبُّـــكَ تـــســـكـــرُ الـــغَـــيْـــمـــا
تِ، حـــتـــى يـــســـقـــطَ المـــطـــرا
فـــيـــغـــمـــرنـــي ويـــغـــرقـــنـــي
دوامًـــــــا داخـــلـــي بـــحـــرا
لـــيـــخـــمـــدَ ذلـــك الـــواشـــي
ويـــصـــبـــحَ حـــبُّـــنَـــا ســـمـــرا

أحـــبـــكَ تـــخـــرسُ الأفـــوا

هَ، حـتـى أسـمـع الـسـحـرا

تـــنـــظِّـــمُـــهُ وتـــنـــثـــرُهُ

جـــواهـــرَ جـلَّـهـا دررا

أريـــــــدكَ تـــغـــزل الأنـــوا

ر، خـيـطًـا طـائـلـةً دهـــرا

أحـــبـــك فـــاســـقـــنـــي خـمـرا

مـــن الـكـلـمـات كُـــنْ سـحـرا

حـبـيـبـي ذق مـعـي حـبًّـا

عـفـافًـا واسـقـنـي الـطُّـهـرا

حـبـيـبـي وارونـــــي ســـحـــرًا

وفـــــاءً وارســـــم الـقـمـرا

****

عبد الواحد حسن السنوسي[1]

شاعر تشادي ولد في مدينة «فايا» سنة ١٩٦٧م وسط عائلة دينية. إذ كان أبوه داعية لدين الله تعالى.

وانتقل شاعرنا في طفولته إلى مدينة «أجدابيا» في ليبيا، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي فيها، وقضى في مكتبتها الخضراء أوقاتا طيبة، وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره.

وفي سنة ١٩٨٠م عاد الشاعر إلى وطنه تشاد، وهي السنة التي اشتعلت فيها نار الحرب الأهلية، فانتقل إلى مدينة «الجنينة» السودانية مع غيره من اللاجئين. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى وطنه تشاد، وتم ابتعاثه إلى جمهورية مصر العربية ليلتحق بالمرحلة الثانوية في الأزهر الشريف، فنال شهادتها سنة ١٩٨٦م.

ثم رجع إلى وطنه، والتحق بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب جامعة أنجمينا في سنة ١٩٨٧. ثم انخرط في الجيش الوطني التشادي سنة ١٩٨٨م، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتخصص في إنزال المظلات وبعد عودته إلى وطنه سافر في بعثة إلى العراق سنة ١٩٩٠؛ ليتدرب في سلاح الجو.

وبعد هذه الرحلات والبعثات، استقر شاعرنا في وطنه؛ ليعمل في الجيش التشادي وقام الشاعر بعدة أدوار متميزة في مجال السياسة والثقافة من أهمها:

---

(١) اعتمدت الترجمة على لقاء بيني وبين الشاعر في منزلي وقتئذ ٢٠٠٢ الكائن في شارع شارل ديجول وانظر جريدة أنجمينا اليوم عدد١٢١، ١٩٩٤/٣/٢٨ ص٤. وانظر: عبد الواحد حسن السنوسي حياته وأدبه للباحث محمد بشير عثمان بحث متريز بجامعة أنجمينا إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٣م.

- عضو مؤسس للمؤتمر من أجل الدفاع عن اللغة العربية بتشاد، حتى أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في دستور البلاد.

- أسس الندوة التشادية للثقافة والفن (اتحاد كتاب وأدباء وشعراء تشاد) ١٩٩٣م.

- وللشاعر نتاج شعري عبارة عن قصائد مخطوطة مبعثرة طاب للشاعر أن يضع لها ثلاثة عناوين:

١ - رفراف قلب.

٢ - طيور البطريق.

٣ - بكائيات قيثارة بلدية.

- وثمة عدة عوامل شكّلت شاعرية شاعرنا أهمها:

نشأته الدينية، وحفظه للقرآن، والأوقات الكثيرة التي قضاها في المكتبة الخضراء في مدينة أجدابيا الليبية. إذ قرأ «رحلات السندباد» و«قصر الأقزام» و«أليس في بلاد العجائب» و«حذاء السندريلا».

ثم الغربة والضياع، بسبب الحرب الأهلية، وترحاله إلى السودان، ثم الجماهيرية الليبية، ثم مصر. فهذه الأسفار كلها زادت من ثقافته وألهبت شاعريته.

- وتدور جل قصائده الشعرية حول: الغزل، والوطنيات، والاجتماعيات، ثم التأملات. وهو شاعر رومانسي، وتوفر هذا المنحى في جل نتاجه الشعري فهو شاعر الوجدان الذاتي بل والجماعي في آن واحد. ويتميز بطول النفس الشعري، ورسم الصورة الشعرية بكل براعة فنية.

****

تشادي وإن لامني اللائمون

(من ديوان بكائيات قيثارة بلدية للشاعر: عبد الواحد حسن السنوسي)

بلادي أقولُ فهل تنصتين.. بلادي وهل أنت لي تسمعين.. أنا لستُ من ثلة الكاذبين.. أنا لست من عصبةُ الغاصبين.. أنا لست من ثلة المفسدين.. أنا لست من عصبة الطامعين.. وما كنت من ثلة الناهبين، ولا كنت من عصبة الخائنين ولا صرت من عصبة العابثين.. ولا بت من عصبةُ اليائسين..، أنا واحد من بنيك بلادي، بلادي فديتك أمَّ البنين، ليعلو منارُك في المشرقين وتشرق شمسك في المغربين، ويسمو مكانك في العالمين... بلادي هنالك هل تنظرين.. هنالك في الأفق المستبين، هنالك آمال جيل أمين.. عليك على الغد فيك بلادي ليشرق نورًا على الكادحين.

بلادي أمات شبابك.. لا لا .. بلادي أماتت أمانيك لا لا

بلادي أمات نضالك.. لا لا .. بلادي شبابك حي.. ولكن

وحلم عيالك حي ولكن، وتاريخ ماضيك حي ولكن

ولكن لماذا إذًا تحزنين لماذا أراك إذًا تدمعين.. لماذا بلادي إذًا تنزفين.. جداول حزن ودمعًا سخينًا، يقطع في خافقيّ الوتين

ويُلبسني ثوب عارٍ دفين

يلازمني رغم كر السنين؟؟

بلادي أقول فهل تنصتينْ، بلادي وهل أنت لي تسمعينْ، بلادي وإن لامنا اللائمونْ، لأنّا زرعناك حقل شجونْ، وكنّا نحارب والآخرونْ، يشيدون بنيانهمْ يعمرون، وكنا نحارب والآخرونْ ينقّون أفكارهم يكتبونْ، وكنا نحارب والآخرون يصيغون ألحانهم يعزفون وكنا نحارب والآخرون يربّون أطفالهم يعددونْ، وكنا نحارب والآخرون يديرون آلاتهم يصنعونْ..

وكنا نحارب والآخرونْ ينمون أموالهم يفتنونْ.. وكنا نحارب والآخرون يصفون أعنابهم يشربون وكنا نحارب والآخرون لما زرعت يدهم يحصدونْ.. ونحن زرعناك شوكًا بلادي.. ونحن زرعناك حقل شجونْ.. بلادي وإن لامنا اللائمون، فإنّا عرفنا وما يعرفون.. عرفنا معانيك أنت بلادي وأنك فوق الذي يحسبون.. عرفنا بأنك أنت لنا..

عرفنا بأنك كنزٌ لنا، وأنك في الغدِ ذُخرٌ لنا، وأنك أغلى جواهرنا وأنك للكل أم حنون، بلادي وإن لامنا اللائمون.

(١)

[المتقارب]

تشادي هواكِ جرى في دمي
وأضحى نشيدك ملءَ فمي
تشادي فداك أنا فاسلمي
تشادي فداك أنا فانعمي
تشادي فداك الفدا فاعلمي
فداك المسيح مع المسلم
تشادي شبابك فجر الغد
ورمز التقدم والسؤدد
تشادي بنيك هنا فاصمدي
فدرب هواي هوى الأوحد
تشادي وإنيَ من مولدي
إلى يوم يلْحدني لاحدي
سأبقَى أناضلُ كي تسعدي
وفيًّا وفيًّا إلى الأبد
تشادي وإن لامني اللائمونْ

٢١/٣/١٩٩٤م – انجمينا، تشاد

****

٢ - يا عيدُ ما معناك؟[1]

[الكامل]

زعـمـوا بـأن الـعـيـد أقـبـل زائـرًا

لـيـزيـل عـنـي وحـشـتـي وأسـايـه!!

أوَ جَـاءَ يـوقـظ فـي الجـراح نزيفـهـا؟

أوَ جـاء يـبـعـثُ حـرقـتـي وجـوايـه؟

أو جـاء يـنـبـشُ عـن خـفـايـا غـصَّـتـي؟

أو جـاء يُـذكـي لـوعـتـي وضـنـايـه؟

أو جـاء يـؤلـمـنـي ويـرسـلُ عـبـرتـي؟

أو جـاء يـبـلـو طـاقـتـي وقِـوايـه؟

أو جـاء يـسـخـرُ بـي ويـقـلـقُ وحـدتـي؟

أو جـاء يـرسـم لـلـشـمـاتـة آيـه؟

أوَ لـيـس فـي دنـيـا الـغـريـب محـطـةٌ؟

أو لـيـس فـي دنـيـا الـشـريـد عـنـايـه؟

أو لـيـس لـلـسـيـل الحـزيـن تـوقـفٌ؟

أو لـيـس لـلـدرب الـطـويـل نـهـايـه؟

يـا عـيـد مـا جـدواك فـي زنـزانـتـي؟

يـا عـيـد مـا مـعـنـاك فـي مـنـفـايـه؟

أنـا لـسـتُ أفـرغ فـيـك وهْـمَ تـشـاؤمـي

لـكـنْ سـأبـكـي فـيـك عـهـد صـبـايـه

---

(١) (قصيدة في رثاء العيد وأيام الصبا والطفولة).

أَوَ لستَ تدري أنّ عهد طفولتي
ولّى وعهد سعادتي وهنايه؟
قتل الزمانُ العيدَ في كبدي أنا
فأتيت في مرثاهُ وا أسفايه
انظر إليّ وقد تعالت زفرتي
وتكحلت بدموعها عيناية
انظر وقد مُزجت حياضي بالأسى
فشكت مرارة طعمها شفتايه
انظر وقد طمسَ الزمانُ مسالكي
فتراعشت فوق الدروب خُطايه
انظر وقد عبثَ الزمانُ بمذهبي
فتحيرتْ في خَوْضه قدمايه
أو بتَّ تعرفني على بُعد المدى؟
حُسنًا.. فلم يكُ من ترى إلاّيه!
قتلَ الزمانُ العيد فيَّ كبدي أنا
فأضاف مقتولًا إلى مَوْتايه
قتلَ الزمانُ العيد في وما درى
أني أفضِّلُ قتله إيّايه
أو ليس يدري الموت أنّي هيكل
غُيّبتُ قبل الموت في مثوايه؟
أم ليس يدري العيدُ أني ضائعٌ
قد ضلَّ عن حوض المنى مسعايه!
أَوَ بات يعرفني على طول المدى؟
حسنًا فلم يك من يراهُ سوايه!

أنـا مـن تـدلَّـلَ فـيـه حـيـنًـا فـي الـصّـبـى

أنـــا مـــن بـلـغـتُ إلـــى هـــواه ذرايـــه

أنـــا مـــن أُعـــــذَّبُ حـــين يـقـبـل زائـــرًا

أنـــا مـــن أعـــــذَّب فـيـه بـعـد هـوايـه

أنـــا مـــن أُمـــــزَّقُ فـيـه فـــوق تمـزُّقـي

أنـــا مـــن أُمـيـتَ الـعـيـدُ فـي مـعـنـايـه

أوّاهُ مـــا أقـســـاهُ فـــي زنـزانـتـي

أوّاهُ مـــا أحـــــلاهُ فـــي ذكـــرايـــه

التاسع والعشرون من يونيو – حزيران عام ١٩٨٤م

الموافق ٢٩ رمضان ١٤٠٤هـ

م – د –أنجمينا، تشاد

****

٣ - صبرًا كويت

صبرًا كويتْ.. صبرًا أيا عُرسَ الخليج، ودُرَّة الغوَّاصِ
يا معطورة الأردان بالريحان والمسك الفتيتْ..

صبرًا كويت..
صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليتْ..
فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويتْ.

صبرًا كويتْ..
صبرًا على الولهى على الثكلى
على الأسرى... على كلّ الذي عانيتْ

صبرًا كويتْ...
صبرًا... وليس تصبرًا بعسى وليت
لكنه الصبرُ الذي يبني له بالجد... في ثكنات هذا الصبح
متراسًا وبيتْ..

☆☆☆☆

يا أيها الطامع في هذا الكويت
قد بوّت إن شرًا وإن خيرا بما كنت نويتْ..
وتركتنا نحن الكويتُ.. كما لاقيتنا عن الكويتْ
فاكتب لنا يا أيها التاريخ ما أنت رأيتْ..
رأيتْ..

عجبًا أيا رجلاً خانته ذاكرة السنين

أعمت بصيرته فما عاد يرى أو يستبين

أقبلت تغزو بالرجال وبالسلاح وبالسفين

أقبلت كالحجاج تحتصد الرؤوس وبالمحارم تستهين..

وأتيت مُنبئًا على جرباء من نوق المطامع

قد عقدت خطامها بالغل والحقد الدفين

وبكل ما أسررت في صدرك من شرٍ وما أوعيتْ..

كم منزلاً دمَّرت.. كم بطنًا فريتْ

كم أعزلاً عذَّبت كم جلدًا كويتْ

ورفعت بهتانا شعاراتِ التقى

وزعمت أنك إنما لحماية الحرمين من شرٍ أتيتْ

وأعدت للأذهان تاريخًا قديمًا... قد طويتْ

ورجعت مقهورًا... فلا حقدًا شفيت ولا غلاً رويتَ ولا

للناقةِ الجربا هنيتْ

غادرت ولدان العراق هناك في وسط الكديد

معفرين وضُرَّجًا بدمائهم

ونكصتَ إذْ «بوشٌ» يصول «ومرغريتْ»

وجحافل الأبطال من جند الكويت

غادرتهم وفخارك المزعوم وهمٌ كالسراب

والرأس منك مطأطأ فوق اليبابْ

أين اعتدادك أنيه؟ ومزاعم العزِّ المنيعة.. اينها والعزّ ميِّتْ..

ماذا كسبت؟ أتستطيع إجابتي؟؟ ماذا جنيت؟؟

ماذا كسبت سوى الشنار ووصمة العار التي بها مُنيتْ

ورجعت تجترّ الهزيمة... عدت بالنكصان والخذلان

عدت يا «زيدًا كأنك ما غزيتْ».

☆☆☆☆

وشرخت في صرح العروبة شرخةً مأمومةً لها نزيفْ

شرخةً كادت تخيف

كادت تزعزع ذلك الصرح المنيف – صرح المكارم والمحامد

والعلا.. تسمو بأجنحة لها دومًا رفيقْ...

☆☆☆☆

عصر الخلائق بالعروبة.. طيبٌ..

عهدٌ يُجسِّد نيلها ويترجم الفعل الشريف..

فعروبة العربيِّ تعني: إنه الحارس للصرح المنيف..

صرح العروبة والإسلام والدين الحنيف

فخيارهم في الجاهلية أصبحوا أخيارهم في دوحة الإسلام

ذي الظل الوريفْ

عهدوك دومًا أيها العربيُّ مِئثارًا.. أبيًّا..

ترفض الظلم ولا ترضى بحيفْ

عهدوك دومًا أيها العربيُّ مضيافًا كريمًا قائمًا

تهبُ القِرى في قرة البرد وفي لهيب الصيفْ

تحمي الذّمار وتطعم الأضيافَ والجيرانَ أكتالَ الشواء

وما طعمتَ وما اشتريتْ

عهدوك مأمون الجوار تجتر من كل ما أوتيتْ

عهدوك معفوف الأزار تغازل المحبوب تحضنه

وفي الحضين تبيتْ

فتبيتُ بين خلاخل ودمالج وجدائل ومراسلٍ

وتقوم عنها ما فجرتَ ولا زنيتْ

إلا الهوى العذريّ والشعرَ الذي ترويه بيتًا تلو بيْتٍ

أبعيد هذا العز تنتهك المحارم تضرب الأخلاق عرض

حوائطٍ شيدتها بالمكرمات وابتنيتْ؟؟

صبرًا كويت.. صبرًا.. وليس تصبُّرًا بعسى وليتْ..

فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويتْ..

☆☆☆☆

المال والبترول... والسيف الصليتْ

لغة لعصرٍ جاهلي مستميتْ..

عادت إلينا الجاهلية من جديد

في آلة صماء من صلب الحديدْ

عاثت فسادًا في جميع حياتنا

عبثت بأقدار الشعوب وصيرتنا كالعبيدْ

ذبحت بنا الأخلاق من أقصى الوريد إلى الوريدْ

أفهل هنالك من مزيد؟؟؟

صبرًا كويت

صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت..

ذبحوكِ حين غزوكِ أو هم حاولوا أن يذبحوك

لأجل زيتْ

هيهات أن تُذبح صبرًا فوق مذبحة المقيت

صبرًا كويت صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت

☆☆☆☆

صبرًا جميلًا.. يا جميلًا جمل الحسن وكلَّل صدره بالغار

يا أمةً فازت على بلوائها ومضت على غُلوائها...

بنفائس وكريم أحجار

فاكتب لها يا أيها التاريخ ما كنت رأيتْ

صبرًا كويت.. صبرًا فإن الفجر في عطفيك بشِّر بالغدِ

الآتي بمشهور الفخار...

وبكل ما ستناله من عِزَّةٍ وذيوع صيتْ

☆☆☆☆

صبرًا كويت... صبرًا وليس تصبُّرًا بعسى وليتْ..

لكنه الصبر الذي ابتنى له في ثكنات النصر متراسًا وبيتْ..

شتَّت شمل جموعهم وظفرت إذْ سهم المنون لهم بريتْ

وهَزَمْتهم وأسرت أسرك واستبيتْ

وعَفَوتَ حين قدرت لا ضعفًا عفوتْ

ورددتهم لبلادهم لله درك ما طغيت ولا بغيتْ

أحسنت صنعًا يا كويت وما رميت إذا رميتْ

لكن ربَّكَ قد رمى والرب حيٌّ لا يموتْ

فلك السلام مضمخًا بعطوره

ولك التحية ما حييتْ

(السادس من أكتوبر عام ١٩٩٥م)

****

٤ - هي الدنيا

[الوافر]

تطلُّ بثغرِها البسامِ «عوفي»[1]

فأفرحُ رغمَ حزني رغم خوفي

لها إطلالةُ الأنسام تسري

على الأرواح في عزِّ المصيفِ

إذا ما أشرقتْ جذبتْ إليها

هوى الأذواق من شتى الصنوف

لها عينانِ ناعستانِ حُسنًا

تخالهما مغامدَ للسيوف

يحيطُ سوادَ عينيها بياضٌ

كما الأقمارُ حاطت بالخسوف

لها خصرٌ كما الأغصانُ رخصٌ

قليلُ البذل ذو طبع أنوف

وشعرٌ في عقائصه نفورٌ

تبارت فيه ألوان الطُّيوف

لها روحٌ تكادُ تذوبُ لطفًا

كروح الورد يعبقُ بالأنوف

---

(١) عوفي: اسم محبوبته في السوادن ١٩٨١.

يـضـوعُ ذكـاؤهـا كـالمسـك طـهْـرًا

فـتـأنـس مـنـه كـالـطـيـف الأَلـوف

هـي الـدنـيـا إذا ضـحـكـتْ حـواهـا

كـتـابُ الـزهـر سُـطِّـر بـالحـروف

تـراهـا فـي تـرائـبـهـا قـضـيبًـا

مـن الأنـوار يـسـطـع فـي الـكـهـوف

هـي الآمـالُ إن ألِـفَـتْـك يـومًـا

تَـغُـذُّ الـسَّـيـرَ نـحـوك بـالأُلـوف

****

٥ - دمعة فرح[1]

[الكامل]

عـــادت إلـــيَّ الـــروحُ بـعـد رجـوعِـهـا
لحـمـاتـهـا أرضـــي الحـبـيـبـةِ «فـــايـــه»[2]
وتَـكـفـكـفَ الـدمـعُ الـهـمـيـرُ وداعـبـتْ
عَـــبَـــرات تـــوقٍ ضـمـامـهـا خـدَّايـه
وجـــرت دمـــاء الـعـزِّ فـي جـسـدي كما
قـــد أذرفـــــت عـبـراتـهـا عـيـنـايـه
وســـجـــدتُ شـــكـــرًا لـلإلـه مُـعَـظِّـمًـا
نجـداتـه الـلائـي ظـلَـلْـنَ خَـفـايـه
يـا وردةَ الـصـحـراءِ يـا ريـحـانـهـا
يـــا كـــلَّ أحـــلامـــي وكـــل مُـنـايـه
صـبـرًا فـسـوف يـظـل فـجـرك حـامـلاً
لـكـائـد الأعـــــداء شـــر نـهـايـه
ويـظـل بـطـشـك بـالـعـدا مـتـسـطِّـرًا
فـــي صـفـحـة الـتـاريـخ أعـظـم آيـه

****

(١) كتبت بتاريخ ١٩٨٢/٤/٤م بالمركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم.
(٢) فاية: موطن الشاعر في تشاد.

٦ - جدران المعتقل[1]

[الرمل]

يا رفيقي..
أيـهـا الـنـازل فـي هـذا المـكـانْ
لا تـقـلْ أنـي سـبـقـتُ الـنـازلـينْ
حـلَّ بـالأمـس خـلـيـطٌ مـا هـنـا
عـنـد مـهـد الـفـجـر هـبّـوا راحـلـين
أنـتَ طـيـفٌ مـرَّ فـي عـقـد الـلـيـالـي
أنـت فـردٌ فـي قـطـار الـبـائـسـين
أنـت طـيـفٌ ضـاع مـن نـسْـجِ الأمـانـي
أنـت صـوتٌ أنَّ فـي لحـنٍ حـزيـن
عـنـدمـا غَـنَّـتـكَ أعـوادُ الـشـجـونِ
جـرَّكَ الـلـحـن لـركـب المـنـتـشـين
يا رفيقي..
هـذه الجـدران مـثـوى بـؤسـنـا
مـسـرح الآلام والحـزن الـدفـين
كـم سـجـينٍ كـان فـي أحـضـانـهـا
يـرتـمـي كـالـطـفـل يـبـكـي كـم سـجـين؟
كـم سـجـينٍ قـام فـيـهـا ضـارعًـا
عـائـذًا بـالـلـه مـن جـيـم وسـين؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، قصيدة جدران المعتقل، كتبت عام ١٩٨٧م بالخرطوم.

كـم بـــريءٍ نـــاح فـــي ديـجـورِهـــا

يشتكي مـا يلقى مـن ضَـيْـمِ السِّـنـين؟

يا رفيقي..

هـــذه الجـــــدرانُ لا تـهـوى الـكـلام

شـأنُـهـا فـي الـصَّـمـت شـأنُ الـصَّـامـتـين

هـــذه الجـــــدرانُ ظـمـــأى لـلـدمـوع

فـاسْـقِـهـا بـالـلـه حـيـنًـا بـعـد حـين

جُـــدْ لـهـا بـالـلـه لا تـبـخـلْ عليها

جُـــدْ لـهـا بـالـلـه مـن كـــأس الحـنـين

يا رفيقي..

هـــذه الجـــــدرانُ مـيـدان الـرجـالِ

مـنـهـل الأخـــلاق والـــعـــزم المـتـين

مـــن هـنـا يـنـســلُّ كـل الـثـائـريـن

مـــن هـنـا يـنـســلُّ كـل الـرافـضـين

يا رفيقي..

عـنـدمـا تـنـسـلُّ يـومًـا مـن هـنـا

تـــاركًـــا لـيـلَ المـــآسـي والأنـــين

قـبِّـلِ الجـــدرانَ وانـــدبْ بُـعـدهـا

مـثـلـمـا تـبـكـي فـــراق المـخـلـصـين

إنمـــا نـــؤيـــاكَ عـــن نـبـعٍ مـتـين

إنمـــا نـــؤيـــاك عـــن خـــلٍّ أمـين

****

٧- بلدي[1]

[المتدارك]

بلدي أقسمت بعزتها وبروحي ألاّ أنساها

كلماتٌ نقشتْ في شفتي وبقلبي يكمن معناها

بلدي مهما بعدت زمنًا ففؤادي يحفظ ذكراها

وحنيني شلالٌ لا يذكر يومًا إلا إياها

وصلاتي ألحان أبدًا لا تدعو إلّاها

سأناديها وأناجيها وسأقسم أني أهواها

بلدي والسُّمرةُ تكسوها كعروس عذبٌ ريّاها

بلدي بالسمرة تعرفها وبقلب السّمرة تلقاها

☆☆☆☆

بلدي يا بسمةَ أيامي يا رمزَ الحبِّ بأحلامي

بلدي يا بلسمَ آلامي يا كلَّ منابع إلهامي

☆☆☆☆

بلدي إن أنسَ فلا أنسى سمراواتٍ من شاطيكَ

يلبسْنَ جمالًا لا يبلى كجذور النخل بواديك

ونسائمُ صيفكِ ما رقّت وليالي الأنس بناديك

والسّهلُ الأخضر منسجمٌ بصفاء مياه سواقيك

---

(١) عبد الواحد السنوسي، السابع من يونيو عام ١٩٨٣م انجمينا، تشاد.

وجبال (تبستي) شامخةٌ و(الشّاري) رقٌّ يناجيك[1]

☆☆☆☆

أعوام الهجرة لا تمحو ذكرى أشذاء (أشمُمُها)
فثغاء شياهكِ لا ينسى وخريرُ الماء يلازمها
وحقولُ القمح بسمرتها والطير تودد يضمُمُها
ورمال البيد تململ في قبضات الحُرِّ ليرحمها
والنجمة سارحة حَيْرى والبدر يكاد يكلِّمُها
والقمةُ قد تعبتْ فَجَرتْ تشكو للفجر مظالمها
وثريّا قد ملّت سهرًا وسهيلٌ كان يقاسمها
والليل تناهض في كسلٍ يلفظ جُمَلاً لا أفهمها
وزهورُ السوسن ناعسةٌ والطلُّ تَسَاقَطَ يلثمها
ودماء شهيدك عابقةٌ والمجْدُ هناك ينادمها
والشمس تمطّت في كسلٍ ولها أشكال ترسمها
وأحاسيسٌ قد أعلمها وأحاسيسٌ لا أعلمها

☆☆☆☆

إنّ الأوطانَ لساكنةٌ بحواصلِ تلك الأطيار
فإذا ما حنّت خاطبَها شوقٌ ما صوبَ الأوكار
فتشقُّ الجوَّ مُلبيةً في توقٍ رغم الأخطار
فتعلّمْ يا هذا منها فالحبُّ سراجُ الأفكار

****

(1) شاري: نهر شاري يمر بالعاصمة انجمينا ويقع غرب تشاد.

٨ - طقوس رومانسية[1]

[مجزوء الرمل]

يـا هـوى الـعـشّـاق أقـبِـلْ نـحـونـا.. خـذنـا إلـيـكْ
نـحـن مـا عـدنـا نـريـد الـكـأس إلا مـن يـديـك

☆☆☆☆

يـا هـوى الـعـشّـاق يـا عـطـرَ الحـيـاةِ
أنـت عـنـوانُ الأمـانـي والـشّـذا والـذكـريـاتِ
أنـت مـا أجـنـاكَ غـرس فـي ضـمـيـر الـكـائـنـات
أنـت مـا أسـمـاكَ لـيّنٌ لـلـقـلـوب الـقـاسـيـات
فـيكَ سـرٌّ قـد يـسيلُ الـدمـعَ سـحًّـا مـن عـيـون الـراهـبـات
فـيك طـهـرٌ قـد يـحـيل المكر نسكًا فـي عـيـون المومسات
عـش لـنـا حـيًّـا سـخـيـا.. لا بـكَـتْـك الـنـائـحـات

☆☆☆☆

يـا هـوى الـعـشـاق يـا رمـز المحـنْ
لا تـقـل إنـي وحـيـد الـدار مـهـجـور الـسـكـن
أو تـقـل إنـي طـريـد فـي مـتـاهـات الـزمـن
أنـت مـا أنـت لـنـا إلا نـديمٌ فـي الـعـلـن
أنـت قـد صـرتَ لـنـا روحًـا تـسـامـتْ فـي الـبـدن
فـدروبِ الـشـوك هـذي سـوف نمـشـيـهـا مـعًـا
وسـنـمـشـيـهـا عـلـى الـدرب كـمـا نـهـوى خـطًـا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، «طقوس رومانسية» مخطوطة كتبت بتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٥م انجمينا تشاد.

فلتشيعنا المآسي ولتواكبنا الفتن
ولتظللنا الرزايا وليمزقنا الوهن
فسينأى البؤس عنا عندما نُشفى غدًا
فاسقنا بالحب جودًا منك كاسات الحزن
ودع الأرواح تملى من صبابات الشجن
قد أبينا نحن من نهوى مرارات المحن
من فتاة أو فتًى.. أن نذوق الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

ليت شعري قبل أن نلقاك حبًّا كم سعينا
والدياجير التي ضمت معاني الصمت كم فيها اكتوينا
فالفراغات التي خلَّفتْها في خافقينا
طوَّقتْنا فانطوينا.. وانطوى الإحساسُ فينا
ومع الأوهام سِرْنا وإلى الوهم مشينا

☆☆☆☆

بينما نحن حيارى طِبْتَ إذ أشرقت كالفجر علينا
فاستفقنا فرأيناك كحلم يتحدى ناظرينا
وانتصبنا فلمحناك فتًى ترنو إلينا
وعطورٌ منك فاحت أيقظت حسًّا دفينا
فجرى الإحساس في الأعماق كالنبع معينا

☆☆☆☆

وورود منك فاحت ثم صبت نشرها في وجنتينا
واستفاقت عبرة فاغرورقت في مقلتينا
والصَّبا هبَّتْ من الآفاق عطرًا فانتشينا

فاستفاق الشوقُ فيها ومن الشوق جرينا
وعدونا رغم نزف الجرح منا والتقينا
وانكفأنا فوق رجليك انحنينا وارتجينا
وكما الأطفال قلنا وصرخنا وشكينا
فانتشلنا من يدينا.. وعلى صدرك ذبنا وبكينا
وهتفنا: لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

هكذا اخترناك حبًّا واصطفينا

☆☆☆☆

عندما جئت فكفكفت دموع العاشقينا
عندما جئت فنوَّرتَ طريق البائسينا
جئتَ بالآمالِ تُحيي البائسينا
جئت أيقظتَ ضميرا مُستَكينا
فانتقينا خليلاً ما حيينا
ودعانا عهدنا الماضي ولكنا أبينا
وأمرنا أن نفارقك ولكنّا عصينا
وسمعنا عنك أقوالاً ولكنّا ارتضينا
وارتقى الواشونَ نارًا وارتضيناها حنينا
فاستقينا لا تعتقد أنا اكتفينا
قد نهلْنَا منك لكن ما ارتوينا
إذ شَربنا منك دهرًا وارتوينا منك حينا
غير أنا لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

كم أنقنا قبل أن نلقاك نسيانًا وذلا
وتجرَّعنا مرارات الجوى نهلاً وعلاً
والردى من حولنا نسرًا مُدلاً
قد وُلِدنا يوم أن أقبلتَ كالصبح مُطلاً
وصرخنا في غراب الشؤم جهرًا أن يفارقنا وإلا
فنأى هاربًا عنّا وولّى
حيث أنا لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

بينما القوم حيارى يتشاكون العناءْ
إذْ بصوتٍ سرمديٍّ رنَّ في ذاك الخلاء
أيها الرُّحَّل مهلًا واسمعوا هذا النداء!!
أيها العطشى أتصدّون وفي الحب ارتواء؟
أيها الجوعى أتطوون وفي العشق غذاء؟
أيها المرضى تعالوا جرِّبوا هذا الدواء
أيها النُّوَّام قوموا وامْلأوا كفَّ المساء
زاحموا الأيام واقضوها نعيمًا وهناء
واهجروا الأكدار كي يحلو لكم هذا الصفاء
إنما العيش بلا حبٍّ لكالموت سواء
حبك الدنيا وإلا فهي وهْمٌ وريـاء
ضاع من عاش لمالٍ أو نساء
ضاع من عاش لعرشٍ أو لواء

إنمـــــا ذاك نـــعـــيـــمُ الأغـــبـــيـــاء

إنمـــــا ذاك خـــيـــالُ الأدعـــيـــاء

إنّ فـي أعـمـاركـم حـبًّـا تـوارى خـلـف أسـتـار الـغـبـاء

وارتـــــدى مـــن ظـلـمـة الأوهـــــام والخـــوف كـسـاء

فـاكـشـفـوا عـنـه ونـــادوا فـي ثـبـات الأوفـيـاء

☆☆☆☆

نـحـن مـا عـدنـا نـريـد الـكـأس إلا مـن يـديـك

****

٩ - قلب بلا مفتاح[1]

[المتدارك]

الليل الداجي قد ألقى فوق المعمورة ما ألقى
وأنا في محرابي أتلو.. صلواتُ الشكر لمن أهوى
وسكونُ الليل يخاطبني بعيون رقتْ بالنجوى
وشجوني قد عادت تبحث في الليل الهادئ عن مأوى
حتى «الجمّيزة» قد هدأت وكأنْ قد مسّتها العدوى

☆☆☆☆

فإذا أشواقي تتقدمْ
نحو المحراب ولا أعلمْ
حتى إذ أخذت مجلسها
منّي ولها صدري استسلم
أخذتْ تتوسل إلحافًا
أن أبدي السِّرَّ ولا أكتم
أخذتْ تتوسل لي وأنا
كالطلل الأخرس أتألم
كالجرح الصّامت أتألم
لكنْ لا بلْ لن يتكلم

☆☆☆☆

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، انجمينا في التاسع من اغسطس عام ١٩٨٣م/ كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التعديلات، فكانت من قبل التعديل بعنوان «سكن الليل».

قـــالـــت أشـــواقـــي يـــا هـــذا

رحـــمـــاك بـنـفـســك رحـــمـــاكَ

لـــم تحـــمـــل فـــي نـــفـــســك ســـرًّا

كـــــادت تـــفـــضـــحـــه عـــيـــنـــاك

وإلـــــى مـــــا تحـــمـــل أثـــقـــالا

كـــانـــت أمـــسًـــا فـــي دنـــيـــاك

تـــتـــفـــطـــر فـــيـــهـــا مـــنـــفـــردًا

تـــلـــجـــم فـــي الـــبـــوح بـــهـــا فـــاك

مـــا انـــفـــكَّـــت أشـــواقـــي تـنـبـش

مـــا عـــنـــدي مـــن نَـــبْـــحٍ وجـــراح

وتحـــــاول أن تـــســـكـــن عـــبـــثًـــا

فـــي قـــلـــبٍ لـــيـــس بـــه مـــفـــتـــاح

حـــتـــى إذ كـــلَّـــتْ مـــن جـــدلـــي

عـــــادت تـــبـــكـــي فـــي الإصـــبـــاح

****

١٠ - قلبي يحار[1]

[البسيط]

قلبي يحارُ وصمتٌ منكَ يُشكتني
خوفًا من النفس لا خوفًا من الزمنِ
إني عهدتُ سكونَ النفس يطفئها
لكنْ سكون فؤادي صار يحرقني
فلستُ أدري إذا ما النفسُ قد ذكرتْ
أبكيكَ في السِّرِّ أم أبكيكَ في العلن
ولستُ آمن نفسي حين أطْلقها
أن يأتي منها ملامًا منك يحرمني
أنّي لنفسيَ أن تنساك يا حُلُمًا
في صحوتي ومنامي دمت تشغلني
يا من أسرت فؤادي في تَيَقُّظِهِ
ألستَ تقْدر أن تسبيه في الوسن؟
هلاّ تذكرتَ أيامَ الصَّفاء معي
يا من وجودك في الأحياء أوجدني
قد كنت أبكي وكأس الوصل تنعشني
فصرت أبكي وناب الهجر تنهشني
شتان ما بين دمعٍ سال من طربٍ
وبين دمعٍ جرى قهرًا من الحزن

---

(١) كتبت بتاريخ ٣/١٠/١٩٨٣م مرجان دفق، أنجمينا تشاد (عبد الواحد حسن السنوسي).

هَبْنِي هربتُ من الدنيا بأكملها

فكيف أهربُ من حُبِّي ومن شجني

إن كنتَ تنكرني أو كنت تجهلني

فاسأل وقوفك بالأطلال والدمن

فالدَّربُ والقِفْر والأسوار تعرفني

والهمس يشهد لي والليل يعرفني

إن كنت عذبت نفسي في تَقَوُّلِها

ألستَ أنت الذي بالبين عذبني

ألست أنت الذي قد أسال النار في كبدي

دربًا من الهجر والنسيان مزقني

إن كان هذا عذابي فيك أو شجني

فالحبُّ باقٍ وحاشا الحب أن يهن

****

١١ - عودة الطفل العنيد[1]

[مجزوء الرمل]

هـا أنَـا أمّـاهُ قـد عـدتُ وقـد طـالَ غـيـابـي
حـامـلاً قـلـبـي عـلـى كـفـي جـوابًـا فـي إيـابـي
هـا أنـا أمّـاهُ قـد عـدت إلـى مـهـدي الـصـغـيـر
بـعـدمـا أيـقـنـتُ أنـي لـم أزل طـفـلاً كـبـيـر

☆☆☆☆

هـا أنـا أمـاهُ قـد عـدت وفـي ركـبـي تـبـاريـح الـنـدمْ
غـائـرُ الـعـيـنـيـنِ حـانـي الـرأس مـوفـور الألـم
عـدت مـن دنـيـا الأمـانـي مـن وجـودٍ كـالـعـدم

☆☆☆☆

هـا أنـا أمـاه قـد عـدتُ وقـلـبـي يـتـفـطّـرْ
بـعـدمـا قـد بُـحَّ صـوتـي فـي نـدى مـن لـيـس يـؤمـر
هـا أنـا أمـاهُ قـد عـدتُ وحـلـمـي قـد تـبـخـر
وصـبـاحـي فـوق شـعـري عـاثَ فـي لـيـلـي فـأكـثـر
هـا أنـا أمّـاهُ قـد عـدتُ وحـيـدًا أتحـسـر
هـا أنـا أمّـاهُ قـد عـدت وذهـنـي قـد تحـيَّـر
لـيـس فـي مـاضـي حـيـاتـي غـيـرُ طـفـلٍ قـد تـكـسـر
هـا أنـا أمّـاهُ قـد عـدت وفـي ظـهـريَ خِـنْـجـر

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، انجمينا تشاد ١٩٨٣/٨/٣م كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التغييرات.

هـــا أنـــا أمّـــاه قـــد عـــدت خـــيـــالاً لـــيـــس يـبـصـر

هـــا أنـــا عـــدت لـعـلـي فـــوق مـــهـــدي أتـــدثـــر

☆☆☆☆

هـا أنـا أمّـاه قـد عـدت رمـادًا تحـت رايـات الـريـاحْ

هـا أنـا أمّـاه قـد عـدت خـيـالًا أعـمـلـت فـيـه الـرمـاح

هـا أنـا أمّـاه قـد عـدت بـشـيء مـن كـيـان مستباح

عـدت يـا أمـي ومـا بـي غـيـر هـاتـيـكَ الجـراح

هـا أنـا أمّـاه قـد عـدتُ إلـى دفء يـديـك

عـدت أسـتـدركُ مـا قـد فـات مـن عـمـري لـديـك

هـا أنـا أمـاهُ قـد عـدت فَـمـدِّي سـاعـديـك

هـا أنـا أمـاهُ قـد عـدت فـضـمِّـيـنـي إلـيـك

وازرعـي الإيمـانَ فـي روحـي كـمـا فـي مقلتيك

☆☆☆☆

هـا أنـا أمّـاه قـد عـدت فَـعـدِّي لـي فـراشـي

واحـضـنـيـنـي عـلَّ أن يـذهـب خـوفـي وارتـعـاشـي

واسـكـبـي الـنُّـورَ عـلـى نـفـس تـغـشـتـهـا الـغـواشـي

☆☆☆☆

هـا أنـا أمّـاه قـد عـدتُ وفـي قـلـبـي حـكـايـهْ

إنـهـا قـصـة عـصـفـورٍ غـدا لـلـحـزن غـايـه

لـم يـكـنْ لـلـحـزن صـيـدٌ غـيـرهُ مـنـذ الـبـدايـه

لـم يـكـن لـلـحـزن صـيـدٌ غـيـره حـتـى الـنـهـايـه

☆☆☆☆

فـإذا مـا خَـيَّـمَ الـلـيـلُ عـلـى الـدنـيـا ووشّـاهـا الـنَّـسـيـمْ

فسأحكي قصتي في ذلك الليل البهيمْ
فاسمعي أمّاهُ مني وامسحي الأدمع عنّي
إنها قصةُ كل الكادحين
إنها قصة كل البائسين
إنها قصة كل الحائرين
إنها قصة كل الضائعين
إنها قصة أبراج النجوم
قصة الإنسان هذا باحثًا عن مصدر النور بأعماق السديم

☆☆☆☆

عندما غادرت وكْري وعلى ثغريَ بسمه
ثابت الخطوة مختالًا وفي عينيَ همّه
والنّدى يقطر من ثوبي وفي إثريَ نسمه
أحسب الأحلام صيدًا سوف أجنيه برحمه
والأماني ربما كالقطر قد تهديه غيمه
لم أكن أمّاهُ أدري أن أقدامي ستدمى
لم أكن أعلم أني سوف أتيك وفي صدريّ نغمه
وعلى كتفي غبار وعلى وجهي وصمه
وعلى ثغري لحنٌ لقنتنيه الليالي المدلهمّه
بعدما أيقنت أن الله لم يخلق سوى قلبك يا أماه رحمه

☆☆☆☆

إنها أقصوصة الطفل العنيد
حين خلّى الصيدَ في النهر وراح

راح في الطين يصيد

فالتقى في الطين أقذارًا وخبثًا.. ما عليه من مزيد

☆☆☆☆

إنها قصةُ طفلٍ كان يُغريه الجديدْ

إنها قصةُ طفلٍ ليس يدري ما يريد

إنها قصةُ طفلٍ نحتَتْ فيه السدود

قصة الأعمار تفنَى تحت أقدام الخلود

قصة الإيمان يذوي في متاهات الجحود

قصة الآمال غرقَى في محيطاتِ الجمود

إنها قصةُ طفلٍ مات إذ كان وليد

إنها قصةُ طفلٍ كان للأحزان آيه

****

١٢ - البكاء على صدر أفريقيا

[المتدارك]

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك ولكني

أخشى من بطشك إذ إني

كالفرخ الأمرد لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيكِ ما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فلا تبكي

فعيونك تزرع أحزاني

ودموعك تسقي أشجاني

وتكاد تمزق أركاني

وأنا كالفرخة لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

حتى أسترجع عافيتي

حتى أستلهم رابيتي

لأرى كل الدنيا تبكي

من أجل عيونك سيدتي

من أجل دموعك سيدتي

من أجل عذابك سيدتي

فلماذا العجلة ملهمتي

وأنا كالفرخة لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلاً

إني أهواك فضميني

فجدائل فرعك تدفيني

وشذا في نشرك ينسيني

عبقات زهور النسرين

وأنا كالنحلة سيدتي

وعبيرك دومًا يغريني

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعنى

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فواسيني

وابني من كأسك واسقيني

وخذي عرشي مع مملكتي

فإذا ما ذبت فلا أقوى

أن أشعر أنك قد لُمْتِ

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا ذوبانًا

وبثغرك سيدتي نار تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

مهلًا يا سيدتي مهلا

حتى أستوحي شيطاني

حتى أتخيل أكواني

حتى تستجمع أوزاني

حتى تتناسق ألواني

وأنا لا أحسن تصويرا

حتى أتعذب تفكيرا

وبحار صفاتك تغرقني

إن لم تأتيني تقطيرا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فلا تلقي

أسباب اللوم إلى جهتي

فملامك ينصب مشنقتي

ويفكُّ طلاسمَ خاتمتي

فابتسمي سيدتي ابتسمي

فجيوشك قد هزمت خدمي

وجراحك تسخر من ألمي

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا سيلانا

وبثغرك نارٌ سيدتي

تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

لتضيء الشمعة في نفسي

لأرى كل الدنيا تحتي

تبكي وتحلّق وتغار

وتزاحم من حول النار

نار في ثغرك سيدتي

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا سيحانا

وبثغرك سيدتي نار

تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

****

١٣ - مهزلة النفس[1]

[الكامل]

أفَـــلَ الحـــنـــينُ ولـلـحـنـين أفـــولُ
لا تـســألـنْ بـالـلـه كـيـف يـــزولُ
هـــذي الـنـفـوسُ قـويُّـهـا وطـريُّـهـا
طـبْـعُ الـوفـاء بـعـرفـهـن قـلـيـلُ
إن الـتـغـيُّـر فـي الـزمـان سجـيـةٌ
سَـئِـمْـتُ الـصـبـاح عـن المـسـاء يميل
حـتـى إذا مـا مـكَّـنـتـهُ عـروشـهُ
شـمـل المـسـاءَ ولـلـمـسـاء شـمـول
حـتـى إذا عـزَّ الـهـدوء سفينتي
والـبـحـرُ مـن كـأس الـصـفـاء شمول
فَـغـرتْ فـتـاةُ الـيـمِّ عـن أنـيـابـهـا
وتـقـطـعـتْ صـلـتـي وحـان رحـيـلُ
وتـراقـصُ الأشـبـاح حـول سفينتي
فـعـلـمـت أنـي حـيـنـهـا مـقـتـول
والـرِّيمُ فـي المـرعـى يـجـوش بـعشبهِ
هـو آكـلُ لـكـنْ غـدًا مـأكـول
أم لـم تـرى لـلـشـمـس كـيـف يـكـون في
بـلـد الـصـقـيـع شـعـاعـهـا مـقـبـول

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٨٣/١٢/٢٥م أنجمينا تشاد.

فكأنها في الجو ألحان سمت

فهي الشذا والهمس والتقبيل

فإذا سكنت إلى البراري خِلْتَها

وحشٌ تربع في السما أو غول

أم لم ترى للطير في تغريدها

عند الربيع وللهواء عليل

قد غادرت بعد الربيع وكورها

وتباعدت يحدو بها الترتيل

ولَرُبَّ وجهٍ كنت أنسُ قربهِ

قد خانني في بعضه التعليل

ولَرُبَّ أرضٍ زرتها متفائلاً

والنفس يطربها المنى فتميل

فتركتُها يومًا كَسِيفًا نادمًا

والشوم يقطر في دمي ويسيل

ولَرُبَّ يومٍ بتُّ آملُ مركبًا

لا يستقر ببحره فيطيل

أنِّي لنفسيَ أن تكون قنوعةً

تبًّا لنفسٍ إنها لملول

مَن لي بنفسٍ لا تملّ لحاظها

فالقبح قبحٌ والجمال جميلُ

****

١٤ - فات الأوان[1]

[الكامل]

وقفتْ تودِّعني وترسلُ دمعها
مثلُ اللآلئ حسنُها ونظامُها
ورنتْ إليَّ بمقلةٍ مشبوبةٍ
عصفت صبابتها ولاحَ ملامها
وبدتْ كراهبةٍ ترقرقَ دمعُها
وطغى تغرُّبُها وطال صيامها
مكلومة أضنى الهوى كبدًا لها
فاستعبرتْ وبدا نحول قوامها
والسَّاكنين تحرَّكوا في خافقي
والروحُ هامتْ بي وطال هيامها
عجبًا لحاظكِ لا يبين كلامُها
وربوعُ قلبكِ لا يفيق نيامها
إلا وقد أزف الرَّحيلُ بموكبي
واليأسُ خلف مسالكي وأمامها
يا باعثَ الحبِّ الكبير بمهجتي
لما ارتخت من مقلتيك سهامها
أو لا يحين لمقلتيك تكلمًا
إلا ونفسي قد طغت أسقامها؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا تشاد ١٩٨٤/٢/٧م.

وحسبتُ أنـي في الحياة معذبٌ
من بعد أن خَوِيتْ وعمَّ ظلامها
وتقطعتْ آمالُ قلبي في الهوى
والعينُ أرّق جفنها تسجامها
ما أعجب الدنيا إذا لاحت لمن
ظمئت مواردُه وعزَّ مرامها
في مقلةٍ ماسَ الفؤادُ لسحرها
كالريح إذ هبَّتْ فماسَ غمامها
صوتان يصطرعان في صوتي فلا
تدري لأيهما يميل غرامها
صوتٌ يقول ليَ الرحيل إلى الرُّبا
إن الحياة كثيرة آلامها
وصدى يقول لي التمهّل بالنوى
إن التسرُّع في الأمور تمامها
ما زالت الدنيا تنيل مشوقها
دِيَمَ الهوى وتنيله أحلامها
وتكاد تثني بالأخير عزيمتي
لولا مقاديرٌ جَرَتْ أقلامها
إني مللت من الحياة وأهلها
ولمست كم ظلاَّمة أحكامها
ولذا عزمت على الرحيل إلى الرُّبا
حيث الطبيعة دافئ إكرامها
حيث الحياةُ بلا قناعٍ حاجبٍ
فالحبُّ جوهرها وليس لثامها

أصـغـي إلــى الأطـيــار فــي تـرنـيـمـهـا

وإلـــى الجـــداول حـلـوة أنـغـامـهـا

وأهـيـمُ خـلـفَ الـرِّيم فـي سَـرَحـاتـهـا

مـتـمـتـعًـا بـقـعـودهـا وقـيـامـهـا

وأظـلُّ أرشـفُ فـي الـطـبـيـعـة سـحـرهـا

وأمـيـلُ أنَّـى مـا يـمـيـل زمـامـهـا

وأديـرُ طـرفـي فـي الـنـجـوم مـنـاجـيًـا

مـتـقـربًـا مـن أُنـسـهـا وسـلامـهـا

وأدورُ فـي فـلـك الـسـمـاء مـسـبِّـحًـا

مـتـفـكـرًا مـتـأمـلاً أجـرامـهـا

أعـلـو بـهـا صـوب الجـمـال مـفـارقًـا

آلامـهـا ومـطـلِّـقًـا آثـامـهـا

فـإلـى الـلـقـاء إلـى الـلـقـاء أمـيـرتـي

فـي روضـةٍ صَـبـغَ الـهـوى أنـسـامَـهـا

وتـقـبَّـلـي حـتـى الـلـقـاء أمـيـرتـي

روحـي فـدًى حـتـى يـحـين حـمـامـهـا

****

١٥ - رواحة الظلال[1]

[الرمل والكامل]

أنا من أنا؟

أنا مَن قَلَّبْتُ صحائفي فوجدت فيها كل شيء غير نفسي

أنا من تلطّف مسمعي فسمعت منطق كل شيء غير همسي

أنا من فقدت ملامحي وكسبت رمسي

أنا من أنا؟

أنا لست أعلم أي شيء دون حسي

بل لست أدري ما الذي يعنيه حسي

أسعادتي في مولدي أم مولدي هو يوم نحسي؟

أغدي الذي أهذي به هو ما تلاشى خلف أمسي؟

ما للحياة جراحها تدمي ولا (بلسام) يأسي

ما لي تؤرجحني فما أنفكُّ أصبح ثم أمسي

والموت ما هذا الذي أرمي فيخطئ فيه تَوسُّمي؟

فإذا رماني سهمه أودى بسلطاني وبأسي

إن قلت أن الرمل يأكل جثتي وعظام رأسي

أترى سيأكل لذتي ويذيب جنسي؟

أترى سيأكل كل أخلاقي وأفراحي وتعسي؟

أم سوف يأكل بعض أحلامي وآمالي وبأسي؟

☆☆☆☆

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، انجمينا تشاد، ٢٤ فبراير ١٩٨٤م.

لست أدري من خفاء الكون غير المنظر

أرقب الظلماء تزهو بالهلال المقمر

وانبثاق الشمس حينًا وانهمار المعصر

أسمع الطير تغني في الصباح الباكر

ومزامير المراعي ونشيد السمر

ثم لا ألبث أن أهوي ويهوي منبري

في حفيرٍ أو ترابٍ مدلهمٍّ مغْبر

يستوي الموسر فيه بالفقير المعسر

☆☆☆☆

من أين جئنا بالحياة وأين مرساها بنا

أين حبي أين شعري أين أيام المنى

أحسب الأيام تفنى فإذا الفاني أنا

وإذا الأيام عمرٌ ذاهب من عمرنا

وإذا بالموت دلاَّل بما لا يُقتنَى

وإذا الحفائر قد أبت أن ترتزقْ من غيرنا

أتعود ذاتي نفسها تحيا ويملؤها السنا

أم سوف تظهر من هناك خلاف ما كانت هنا

صوتي وألحاني وشعري كلها ثمن العنا

هل أنا الجاني بها

أم بها الموت جنى

☆☆☆☆

أنا سائرٌ لكنَّ ظلي سائرٌ في موكبي

ليت شعري هل صوابٌ أم خيالٌ مذهبي

هل أنا الموجود أم ظلي الذي يلتاث بي

هل أنا حي وظلي تابع كالكوكبِ

هل أنا كالنجم أو كالبرق ومضٍ خُلَّبِ

أم أنا كالشمس أُطوى مثلها في مغربي

بل أنا كالريح أو كالغيم أو كالمركب

سائر في البحر والآلام تُوهي منكبي

لست أدري أين يرسو سيدي أو صاحبي

☆☆☆☆

ويح نفسي ما الذي تعنيه أطوار الحياةْ؟

ما بها الأرواح ظمأى والمآقي باكياتْ؟

ما بها أكبادنا تحيا ليطويها الرفات؟

قيل لي الإنسان يحيا كي تربيه العِظات

قلت مهلا هل جَمَعْنا ما جمعنا للشتات

هل نربي إذ نربي لليالي الفانيات

ليتكم علمتمونا فنّ سُكنىَ الحافرات

كيف نحياها حفاةً كيف نحياها عراة

كيف نحيا باللحود الصامتات المظلمات

ما بكم كلَّفتمونا كل هذي الحسرات

ليتكم لقنتمونا غير هذي البسمات

قيل حسْبُ المرء يحيا في نسيج الذكرياتْ

ليت شعري ما الذي تجديه دورٌ خاويات

هل تعيد النفث في روحي بقايا الذكريات

قيل لي للكون مغزى غير ذرف العبرات

قلت تبًّا ثم تبًّا للمغازي الآفلات

ما الذي أجنيه من تلك الأماني الذّاويات

قيل لي للكون أسرار عِظامٌ خالدات

قلت أَوْلَى أن نعي من دونها سرّ الذوات

حسب نفسي ما حوَتْها من معانٍ خافيات

كل ما أبنيه يذوي كالنجوم الغاربات

إن في ذاتي لسرٌّ فاق سرّ الكائنات

من أنا؟ من أين آتي؟ كيف يغشاني السُّبات؟

لذةٌ في العمر أحيا ثم يطويني المماتْ

****

١٦ - أتسألني ؟!(١)

[الوافر]

أتسألني وأنتَ خبرت حُبِّي
ومالَ إليكَ دون الناسِ قلبي؟
وقد ألِفَتْكَ في الماضي حياتي
وضمَّك حاضري ودعاك غيبي؟
وكنتُ قد اتخذت هواكَ قوتًا
وصُمْتُ عن الشَّراب فكان شربي
وإني لا أشاور فيك ظنّي
ولستُ أطيعُ فيك دخيل ريبي
أتُغلِقُ بالسؤال هدوء روحي
وتزرعُ بالسؤال ضفاف دربي؟
فصار يسير من هَمٍّ لِهمٍّ
وكان يسير من صبٍّ لصبِّ
وإني لا أكادُ أفيقُ حزنًا
وإشفاقًا عليك وحَقِّ ربي
لأنك قد أسأت إلى وفائي
وإخلاصي فحق عليك ذنبي
أتصنع من بذور الورد شوكًا
وتغري غربة الدنيا بحربي

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، انجمينا تشاد، مرجان دفق ١٩٨٤/٣/٩م.

أضـــرُّك أن أرى دنـيـاكَ مـأوًى
وشـأنـك أن يـكـونَ هـواك ثـوبـي؟
ألـم تـكُ كـالـسُّـنـا أمـلاً مضيئًا
وكـان عـلـى هُـداك يـسـير ركْـبـي
تُـسـائـلـنـي ولـيـس سـواك يـدري
وتَجـرحُـنـي ولـيـس سـواك طـبِّـي
فـأنـتَ أنـا وإن آثـرتَ بـعـدًا
وإنـي أنـت فـي بـعـدي وقـربـي
تـنـاديـنـي فـتـسـمـع ردّ روحـي
وتـدعـونـي وعـهـدك بـي ألَـبّـي
فـلـم أكُ بـالـذي يُـعـيـي نـوالًا
ولـم تـك بـالـذي سـيـقـول حـسـبـي

****

١٧ - عيون أفريقيا السوداء[١]

[الكامل]

كل الموانئ جُبْتُها

فوجدتُ أن البرد فيها سيد لا يحتملْ

كل العيون وردْتُها

فوجدت أن الكل منها قد نَهَلْ

لكنما عيناك علَّمتا بسحر لحاظها دفء الموانئ والعيونْ

ولست في شفتيك أوتار القُبَل

ولكم تراعش خاطري فزعًا إذا الليل اشتملْ

حتى كرهتُ سواده ونفرتُ منه إذا امتثلْ

فإذا السواد بمقلتيك تذوب في دنياهما كل المخاوف والظنون

وإذا السواد مع البياض تَحاضَنَا وتقاسَمَا سرَّ المُقَلْ

☆☆☆☆

والليلُ ماذا قال لي يومًا إذا البدر اكتمل

قل لي بحبك يا فتى ماذا يضير الليل من نجمٍ أفل

أو لم تكن نجمًا تَرَاعَشَ خائفًا مني ومن ذاك السكونْ؟

فمضى بعيدًا من هنا تحدوه أطياف الملل

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ٢/١٠/١٩٨٤، وأعيدت كتابتها في عام ١٩٨٦م وفيها عدل الشاعر عن العنوان الأول «من وحي الليل في عينيها» إلى «عيون أفريقيا السوداء».

فأجبته طربًا وقلت: أجلْ أجلْ

ها قد رجعت إليك يحدوني الأمل

قد علَّمَتْني مقلتاها أن لليل سوادًا ذاب في سحر العيونْ

وقد انتشى قلبي بأُنسٍ لا يزعزعه الوجل

****

١٨ - فلسفة عصفورة[1]

[الكامل]

طـارت تـرفـرفُ فـي الـفـضـاء ومـا بها
غـيـر الـسـرور تـصـوغـهُ ألحـانـا
قـالـتْ عـجـبـتُ لـكـم بـنـي الأرض الـتـي
مُـلِـئـتْ سـرورًا عِـفْـتُـمُ الأشـجـانـا
لِـمَ كـل هـذا الحـزن فـي أنـغـامـكـم
لِـمَ والحـيـاةُ بـصـدرهـا تـلـقـانـا؟؟
طـيـروا مـعـي وتـنـسَّـمـوا مـن عـطـرهـا
إن الحـيـاة بـطـبـعـهـا تَـهْـوانـا
لِـم كـلُّ هـذا الـشـكّ فـي أبـصـارِكـم
لـمَ تـخـلـقـونَ مـن الـرؤى أحـزانـا
تـلـك الخـمـائـلُ أيـن مـنـك جـمـالـهـا
والمـاء يـرقـص تـحـتـهـا نـشـوانـا
وشـذى الـبـسـاتـين الـذي فـي روضـهـا
لـبـس الـهـوى أثـوابـه وازدانـا
والـفـجـرُ يـنـسـابُ الـنـدى مـن جـفـنـهِ
والـوردُ يـرضـع مـن يـديـه حـنـانـا
والـلـيـلُ يـأتـي كـي يـكـفـكـف مـا بـنـا
مـن حـادثٍ أو طـارقٍ أشـجـانـا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، كتبت بتاريخ ١٩٨٤م انجمينا تشاد، ثم أعيدت كتابتها فغيرت بعض الألفاظ، ونشرت في صحيفة الحوار ضمن صفحات عددها التاسع الصادر بتاريخ الأربعاء ٢ نوفمبر ١٩٩٤م.

والـريـحُ يسبقها الـهـزيم مـزمـجـرًا

مـتـبـوِّئًـا بـين الـغـيـوم مـكـانـا

أَوَ لـسـتَ تـنـظـر كـيـف أرسـل غيمه

والمـاء فـي أكـمـامـه فَـرَوانـا

والجـوُّ يـعـبـقُ بـالـنَّـسـيـم لأجـلـنـا

والجـدول الـسَّـيـال لا يـنـسـانـا

والـبـدرُ يـزهـو فـي الـسـمـا مـتـلألـئًـا

والـنـجـمُ يـسـهـر حـولـه جـذلانـا

كـم مـن زمـان ضـاعَ مـنـك تـشـاؤمًـا

وتَـطَـيُّـرًا يـا لـيـتـه مـا كـانـا

كـم مـن جـمـيـل قـبَّـحَـتْـهُ خـصـالـنـا

كـم مـن عـزيـز شـرَّدَتْـه يـدانـا

فـحـذار أن تـتـذكـروا مـا قـد مـضـى

كـم مـن قـديم قـد مـضـى فَـرَثـانـا

ويـكـى لأنـا لـم نُـحِـطْـهُ بـأُنْـسِـنَـا

وتـهـيـجـتْ أشـجـانـه فـبـكـانـا

لِـيـكُـنْ نـوال الـلـه إيمـانًـا لـنـا

وانْـعِـم بـه أمـلاً وإيمـانـا

لمـن الحـيـاةُ تـزيـنـت وتـعـطـرتْ

ولِـم الحـيـاةُ تـواجـدت لـولانـا

****

١٩ - ماذا أقول[1]

[مجزوء الكامل]

أخـــتـــاهُ هـــل حـــانَ الـرَّحـيـلْ
ومـضـى بـركـبِـكُـمُ الـسَّـبـيـلْ
أخـــتـــاه فـيـمـا تَـرْكُـكـمْ
فـيـنـا المـــرارةَ والـعـويـل
والحـــزنُ يـدعـمـه الأسـى
بـفـجـائـعِ الخـطـب الجـلـيـل
أوَ لـيـس يـكـفـي أنـنـا
نـسـقـي بِـقِـرْبَـتِـنـا المـثـيـل
أخـــتَ الـــفـــؤاد أهـكـذا
يـشـفـي المـمـات بـك الـغـلـيـل
أخـــتَ الـــفـــؤاد أهـكـذا
يمـضـي الـرّكـاب بـلا دلـيـل
ويـلـي عـلـيـك مـن الـنّـوى
فـي حـلـكـةِ الـدرب الـطـويـل
أخـــتـــاه مـــا ذنـبـيـهـمـا
عـصـفـورتـا الـعـشِّ الـظـلـيـل
مـــاذا أقـــول إذا هـمـا
سـألا عـن الـركـب الـنـبـيـل

---

(١) في القصيدة يرثي الشاعر أختًا له توفيت عام ١٩٨٤م بصعقة كهربائية وكانت أمًا لولد في السابعة من العمر وبنتًا في التاسعة من عمرها.

انظر: فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصًا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢ صفحة ٣٥- ٣٦.

أأقـــــــولُ قـــد رحـــلـــوا ومـــا

تـــركـــوا ســـوى الـــدمـــع الـهـمـيـل

أأقـــــــــولُ إن بـــقـــاءهـــم

قـــد كـــان ضـــمـــن المـســتـحـيـل

أأقـــــــــولُ إن الأمـــهـــات

لـــهـــنّ فـــي الـــدنـــيـــا بـــديـــل

مـــــــاذا تـــرانـــي قـــائـــلٌ

لـــهـــمـــا وبـــرهـــان عـــلـــيـــل

أخـــتـــاه لـــيـــت فـــداءكـــم

بـــالـــدرِّ والـــذهـــب الـصـقـيـل

وبمـــــا تجـــــودُ بـــه الحـــيـــاة

مـــن الـــنّـــعـــيـــم ومـــا تُـــنـــيـــل

وبمـــــا إذا مـــــا جـــاءنـــا

أفـــنـــى الـــكـــثـــيـــر مـــن الـقـلـيـل

****

٢٠ - تقاطيع فينوسية[1]

[الكامل]

قولي معي ماذا أرى؟!

عينان ينبوعان؟ أم طفلان سوَّاحان تاها

في تقاطيع الظلام، وفي سرايا الحاجبين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

خدان أم حُلْمان ورديان؟

أم أنشودتا فرح يضمهما السلام حمامتين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

رمشان أم زغرودتان جميلتان على الدوام؟

أم هل هما شمسيتان ظليلتان أظلتا العينين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

شفتان أم كأسان معسولان من عذْب الكلام؟

أم هل هما شطّان من خمر تعتق مرتين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

جِيدٌ كتمثال من العاجِ المنقَّع في المُدام؟

أم أنه نهر من المسك المعتق مستقيم الساحلين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

صفٌّ من الأسنان؟ أم صنفٌ من البَرَد الذي هجر الغمام

ليقيم بين الشفتين؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أكتوبر ١٩٨٥م القاهرة.

أم أنه موج من الزَّبد المطعم بالزنابق

حار بين الضفتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

شعرًا أرى أم ثورةً للزنج تُؤْذن بالقيامْ؟

أضفيرتين أنيقتين أراهما؟

أم غضبة الشعب الحريريِّ المرابط ليلتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

نهدان أم تلأن بركانان خافا الإنصدامْ!

أم هل هما مَلَكان من نسل العظام

أم هل أرى سهلاً من (المرمرْ) أو (العنبرْ) توسط تلتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

خضرًا أرى؟ أم واديين وربوتين

توازيا في انتظام؟

أم هل هما عينان شلالان صبًا

عند سفح الربوتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

ساقان عنقودان أم غرسان ورديَّان صِيغا في انسجام؟

أم هل هما غصنان فوّاحان معصوران عصرًا من رحيق الوردتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

****

٢١ - مذكرات بحّار مجهول[١]

[الوافر]

مساءُ الخيرِ يا كبرى

مساء الخير يا سمرا[٢]

مساء الحب والذكرى

أرى عينيك يا كبرى

على بعد المدى عَبَرا!؟!

لماذا الدمع يا كبرى؟

لماذا الحزن يا سمرا؟

أَمَا سنعود يا سمرا

بلى سنعود يا كبرى

وحق المقلة العَبْــرى

فكفِّي الدمع يا سمرا

فإنا إن قضينا يومنا هجْرا

قضينا في غـدٍ أمــرا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦/٥/٤م، القاهرة جمهورية مصر العربية، أعيدت صياغتها فأدخلت فيها بعض التغييرات.

(٢) كبرى وسمرا: اسمان اختارهما الشاعر لبلاده «تشاد».

فكُفِّي الدمع يا كبرى

فلن والله ننساكم

وحق المقلــة العَبْــرا

☆☆☆☆

غدًا سيحين لقياكم

لتغمرنا المنى غمرا

غدًا سيحين لقياكم

ليغدو عمرنا عمرا

سنلقاكم هنالك في الرُّبا الخضراء

هنالك في ربا أفريقيا الخضـراء

هنالك حيث دنيانا

تفوق الحلم والسحرا

فكُفِّي الدمع يا كبرى

فلن ننساكمُ والله

وحقّ المقلــة العبـرا

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أنا وحدي وما أدراك ما بالبعد يا سمرا!؟!

أنا وحدي هنا في هذه الغربة

بلا أهل بلا وطن بلا صحبة

مساءُ الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكـرى

هنا في البعد يا كبرى

حياةٌ تحزنُ القلبا

هنا الإنسان بالإنسان لا يعبَا

هنا الدولار نصَّب نفسه ربًّا

هنا دوامةٌ تستهلك الإحساس والحُبَّا

وتبنِي للمنى قبـرا

هنا في البعد يا كبرى

أحاسيسٌ تراودني

فتجرحني جراحًا

ليتها تبرى

مساء الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكـرى

أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى

أنا وحدي هنا في عرض بحر البعد يا سمرا

أقول البحر يا كبرى !!

وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

غدوت الآن بحّارًا ببحر البعد تبحاري

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أقول البعد يا كبرى!!

وما أدراك ماذا البعد يا سمرا!

هنا في البعد يا كبرى

حياة تحزن القلبا

حياة لا تلائمني ولكني بها غصبا

هنا في البعد يا كبرى

ملايين من العربات تنهب دربها نهبا

جماعات وأقوام تخير أيهم دربا

تفاهات وأوهام قشور تكتسي لبا

تصبّحني فتلطمني على وجهي ولم أجني بها ذنبا

وتأتي كي تمسّيني فتشعل في دمي حربا

هنا في البعد يا كبرى

هنا في البعد يا كبرى

حياة تحزن القلبا

ضجيج الناس يفزعني

وأنوار على الطرقات تفضحني

وأبواق تمزقني وتدفنني

بعيدًا عن ذُرا وطني

بعيدًا عن زمانكمو

زمان الأهل والسَّكنِ

هنا في البعد يا كبرى

تفاهات تجرِّعني كؤوس الذل والعفنِ

وتنفث سُمُّها الفتاك في قلبي وفي بدني

وتنفخ في شراييني صديد القيح والنتنِ

وتهجرني وتنفيني وتحرمني زمان الشهد واللبنِ

زمان الأهل والسكنِ

زمان الحب والذكرى

يصيغ البحر أخيلتي وينسجها وينثرها

أناشيدًا من الأشواق تغزو كل أفكاري

أنا وحدي هنا في عرض هذا البحر يا سمرا

أنا وحدي وليس هنا سوى موجٍ يصارعني فيصرعني

سوى أشتات أمتعةٍ تنادمني فتسرقني وتبعدني

وتبعد كل أوكاري وتطمس كل آثاري

أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى

أقول البحر يا سمرا!

وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

****

٢٢ - وحي القصيدة

الحب والعطاء الصادق صفتان نبيلتان كانتا منذ الخليقة مفتاحًا للقلوب التي تحس وتشعر بكل براءة الفطرة الخيرة، وجسرًا للأرجل التي لم يدنسها اللؤم وحب الأذى والكراهية إلى الضفة الأخرى من عالم الصفاء وشرف الضمير وحياة الإنسانية الحقة.

ولكن هل نجح الحب والعطاء الصادق في فتح كل القلوب وجذب كل الأرجل إلى عبور الجسر للضفة الأخرى؟ لا طبعًا. «والأمر بسيط» فمنذ أن خلق الله الخير وجد الشر معه ومنذ أن وجد الحب تواجدت الكراهية معه، ومنذ أن عرف الطهر عرفنا اللؤم بنفسه، ولكن إذا فشل الحب والعطاء في فتح باب ما، فهل يعني ذلك أن ينتهي، طبعًا لا... سيستمر الحب والعطاء باحثين عن حب آخر يستحق فضلهما متناسيين الباب الأول المليء لؤمًا وكراهية وكأنه لم يكن ولم يوجد قبلًا أم أنه كان ومض على اعتبار أنه (لا شيء) وهذه تسع مقاطع ترددها القصيدة لهذا الـ(لا شيء).

تسع مقاطع للا شيء[1]

[المتقارب]

(١)

غـرسـتُـكَ فـي الـقـلـب يـا لـلـغـباءْ
غـرسـتُـك حـلـمًـا يـجـوب الـفـضـاء
ويـسـبِّـح فـي مـلـكـوت الـسـمـاء

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٤/٧/١٩٨٦م القاهرة جمهورية مصر العربية، وأعيدت كتابتها وأدخلت فيها بعض التغييرات ونشرت في جريدة «انجمينا اليوم» ضمن صفحات عددها الـ (١١٥) من السنة الثانية لها. الصادر بتاريخ ٣/٣/١٩٩٤م ومنها نقلنا «وحي القصيدة».

غـرسـتُـكَ طـيـفًـا شـديـد الـوفـاء
غـرسـتُـكَ لـلـقـلـب أشـفـى عـزاء
فـلـمـا تمـكّـن مـنـكِ الإبـاء
وأحـسـسـت أنـكِ أغـلـى الـنـسـاء
تحـولـت داءً.. تحـولـت داءْ

(٢)

غـرسْـتـكِ فـي الـقـلـب لـلـعـطـر نـهـرا
غـرسـتـك وردًا غـرسـتـك زهـرا
غـرسـتـك لـلـقـلـب شـمـسًـا وبـدرا
غـرسـتـك شـهـدًا غـرسـتـك خـمـرا
فـلـمـا شـبـعـت غـرورًا وكِـبْـرا
وعـادت طـبـاعـك تـشـتـاق مـكـرا
تحـولـت غـدرًا.. تحـولـت غـدرا

(٣)

غـرسـتـك فـي الـقـلـب نـارًا ونـورا
غـرسـتـك شـمـسًـا وبـدرًا مـنـيـرا
غـرسـتـك لـلـطـهـر فـيـضًـا غـزيـرا
فـلـمـا بـلـغـت مـكـانًـا خـطـيـرا
وطـاولـت بـالـغـلـواء الـصـقـورا
تحـولـت جـورًا تحـولـت جـورا

(٤)

غـرسـتـك فـي الـروح عـودًا نـديًـا
وقـوّيـتُ ضـعـفـك مـن مـقـلـتـيًـا
ووسّـدت خـديـك قـلـبًـا وفـيًـا

فلما تلمست مهدًا نديًا
وأحسست بالدفء في خافقيًا
سكبت بسُمِّكِ في رئتيًا

(٥)

غرستك في القلب كنزًا ثمينا
غرستك عرشًا وملْكًا مكينا
غرستك تاجًا يَزِين الجبينا
فلما رفعتك في العالمينا
تحولت طينًا تحولت طينا

(٦)

غرستك في القلب كل الأماني
غرستك رمزًا غزير المعاني
غرستك في القلب شوقًا حواني
يلوّع أُنْسي وكيف اعتراني
وشذّب شخصك فيض بناني
فلما تخيرت شرط المكان
رميت بسهم من الغدر قاني
وعاد.. توفُّرُ شرطِ الزمان
رميت بسهم من القَدْر ثانِ
فيا لك من سهم غدرٍ رماني

(٧)

غرستك في القلب كونًا مهابا
غرستك ملْكًا تسامى وطابا
وقصرًا عظيمًا يشقُّ العبابا

فلما ولجتك بابًا فَبَابا
وجدت سرابًا... وجدت سرابا

(٨)

غرستك في القلب طيفًا أغنْ
وطرفًا كحيلاً شديد الوسن
تدفق فيضًا غزيرًا وفن
فلما تَواهَنَ فيك الوهن
قلبتِ لقلبيَ ظهر المِجَن

(٩)

غرستك في القلب واهًا وواها
غرستك في القلب طهرًا تناهى
وحبات قَطْرٍ سمَتْ بعُلاها
فلما تكاملت عزًّا رجاها
هدمت القصور على من بناها

****

٢٣ - العبارات المتحجرة[1]

[الكامل]

ماذا أقول حبيبتي لتصدِّقينْ

ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين؟؟

جُمَلي التي ضمنتُها ما تعلمين

وهمست فيها بالذي قد تشتهين

عادت إليَّ سقيمة خرساء كالحة الجبين

ولقد قطعت إلى رضاك الأرض سعيًا بالقدم

فإذا بطيفك سابح فوق البحور

وإذا بعرشك رابض عند القمم

وأنا أهسهس في الحجور

ماذا أقول حبيبتي لتصدقين

ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين؟؟

كَذَّبْتِنِي في همسةٍ همستُها

وزعمتِ أني كنتُ قد أعددتها

كذَّبتِني في زفرة أطلقتُها

وزعمتِ أني كنت قد نَقَّحتُها

كذبتني في دمعة ذرفتُها

وزعمتِ أني بالرِّياء مزجتها

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦م القاهرة جمهورية مصر العربية.

راحت سدًى كل الأحاديث التي

ثرثرتُها وبكيتُها وشدوتُها

نَفَدتْ قواميسي التي استعملتُها

ذبلتْ رياحيني التي زرعتها

وحروف صدري كلها لملمتُها

وعدوت صوب الصمت ثم دفنتها

وبفضلةٍ من أدمعي رشرشتها

وهجرتها ونسيتها وسلوتها

ماذا أقول حبيبتي لتصدقينْ[1]

ماذا أقول حبيتي كي تفهمين[2]

عبثًا أحاول أن أهونَ فلا أهونْ

عبثًا أحاول أن أكون فلا أكون

أشكو إليك صبابتي والحب يدنيني فتملأك الظنون

وأعود حين الخوف يقصيني لأخفي عنك أشواقي فتغمرك الشجون

حقًّا حديثُ الحب هذا ذو شجون

وأنا هنا متذبذبٌ لا أستريحُ ولا أكون

ماذا أقول حبيبتي لتصدقينْ[3]

ماذا أقول حبيتي كي تفهمين[4]

لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف

لغتي التي استعملتها جفت كأوراق الخريف

لغتي التي كررتها عادت كأحجار الرصيف

كذّبتِني حتى قسا قلبي العنيفْ

كذبتني حتى ذَوَى حبي العنيف

---

(١)و(٢)و(٣) و(٤) هكذا وردت في الأصل.

حـــاولـــتُ أن أســـقـــيـــكِ مـــن حـــبـــي الألـــيـــفْ
حـــاولـــت أن أرويـــــك مـــن عـــشـــقـــي الـــنـــظـــيـــف
حـــاولـــت أن يـــبـــدو رضـــــاك يُـــنـــال بـــالـــشـــيء الـــطـــفـــيـــف
لـــكـــنـــنـــي قـــد عـــــدتُ أركـــــض خـــائـــفًـــا ومـــــن الـــمـــخـــيـــف؟
أنـــــت الـــتـــي واجـــهْـــتِـــنـــي بـــالـــظـــن والـــشـــك الـــســـخـــيـــف
نـــزفـــت ســـيـــول مـــدامـــعـــي حـــتـــى تـــهـــرَّتْ بـــالـــنـــزيـــف
رفَّـــــت ســـتـــائـــر خـــافـــقـــي حـــتـــى تـــفـــرّت بـــالـــرفـــيـــف
مـــن أيـــن لـــي أن أســـتـــوي مـــلـــكًـــا يُـــخـــاطَـــب بـــالـــحـــفـــيـــف؟
مـــن أيـــن لـــي أن أرتـــقـــي لـــمـــشـــارف الـــمـــلـــك الـــمـــنـــيـــف
مـــن أيـــن لـــي أن أرتـــقـــي وأنـــــا الـــضـــعـــيـــف؟؟
لا لـــم يـــعـــد لـــي مـــا أقـــــول ومـــــا أضـــيـــف
إن لـــم يـــكـــن فـــي الـــحـــبِّ غـــيـــر الـــظـــلـــم والـــشـــكِّ الـــمـــخـــيـــف
فـــكـــفـــى بـــه الإنـــســـان أن يـــحـــيـــا قـــنـــوعًـــا بـــالـــهـــواء وبـــالـــرغـــيـــف
لا لـــم يـــعـــدْ لـــي مـــا أقـــــول ومـــــا أضـــيـــف
لـــغـــتـــي الـــتـــي اســـتـــعـــمـــلـــتـــهـــا جـــفَّـــتْ كـــأوراق الـــخـــريـــف
لـــغـــتـــي الـــتـــي كـــررتُـــهـــا عـــــادت كـــأحـــجـــار الـــرصـــيـــف
مـــاذا أقـــول حـــبـــيـــبـــتـــي لـــتـــصـــدقـــيْـــنْ[1]
مـــاذا أقـــول حـــبـــيـــتـــي كـــي تـــفـــهـــمـــيـــن[2]
مـــاذا أقـــول وقـــد تـــحـــجَّـــرتِ الـــعـــبـــاره
مـــن أيـــن لـــي غـــيـــر الـــلـــغـــات الـــمـــســـتـــعـــاره
هَـــبْـــنـــي أشـــــرت فـــهـــل ســـتـــفـــهـــمـــك الإشـــــــاره؟
هَـــبْـــنـــي ســـكـــتُّ فـــهـــل ســـتـــتـــفـــق الـــحـــجـــاره
قـــلـــبـــي غـــــدا كـــالـــقـــبـــر مـــا فـــيـــه إنـــــاره

(١)و(٢) هكذا وردت في الأصل.

ودمـــــي يـــكـــاد يـــضـــيء مـــن فـــرط الحـــــراره
ومـشـاعـري عـــادت إلـــى قلـبـي كـأبـكـار بـلا تـلـك الـبـكـاره
فـبـكـارتـي ضـيـعـتـهـا مـن غـيـر أن أجـد الأمـــاره
مـــاذا أقـــول حـبـيـبـتـي لـتـصـدقـيْ[1]
مـــاذا أقـــول حـبـيـتـي كـي تـفـهـمـيْ[2]
مـــاذا أقـــول وقـد تحـجـرت الـعـبـاره؟
مـن أيـن لـي غـيـر الـلـغـات المـسـتـعـاره؟؟
إن كـــان فـــي لـغـة الـتـفـاهـم قـد بـدا عـجـز الحـضـاره
فـبـأي ذنـب تحـكـمـين عـلـى الـذي مَـلَـكَ الـشـطـاره
فـبـكـى وزفَّـــــر واســـتـــشـــاط مـــن الحـــــراره
واســـتـــعـــبـــرتْ عـيـنـاه فـــي تـلـك الـــفـــزاره؟؟
أَوَ كـــلُّ ذلـك لا يُـسـمَّـى بـالـشـعـور ولا الـطـهـاره؟
أو كـل ذلـك لا يـنـال عـنـان قـلـبـك عـن جـداره؟
إن كـان ذلـك لـيـس يـكـفـي كـي يـكـون هـو الـشـرارة
فـتـعـال يـا قـلـبـي لـنُـلـقـي فـوق ذكـراهـا الـسـتـارة
فـمُـنـاك قـد ضـاعـت سـدًى ضـاعـت خـسـاره
وأنـا الـذي قـد قـلـت مـا قـالـوه كـل الـنـاس قبلي
لا لـم يـعـدْ لـي مـا أقـول ومـا أضـيـفْ
لـغـتـي الـتـي اسـتـعـمـلـتُـهـا جـفَّـت كـأوراق الخـريـف
لـغـتـي الـتـي كَـرَّرتُـهـا عـادت كـأحـجـار الـرصـيـف

****

(١) و(٢) هكذا وردت في الأصل.

٢٤ - إني موجود يا وطني[1]

إضاءة

كتب صديقي الصحفي والأديب والشاعر عز الدين مكي يقول في صفحة آخر العنقود التي كان يحررها بجريدة «أنجمينا اليوم» بتاريخ ١٠فبراير عام ١٩٩٤م والذي وافق آخر أيام شهر شعبان، كتب يقول تحت عنوان «مطلوب القبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي»: «لو أني أملك حق القرار لأصدرت أمرًا بالقبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي بتهمة إهدار ثروة قومية ولحبسته في قصر يطل على نهر (الشاري) ليتفرغ فيه للإبداع» فرددت عليه بهذه القصيدة:

[المتدارك]

(مطلوبٌ) القبض على شخصي
عنوانُ قارئِهُ يحتارْ
«انجمينا اليوم» تسجِّلهُ
في آخر عنقود الأخبار
في اليوم العاشر من فبرا
ير، آخر أيام الإفطار
وصديقي «مكي» كاتبه
ما كان صديقي بالمهذار
أعرفه رجلاً إنسانًا
يأتي الحسنى ويصونُ الجار

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا اليوم ٢٢ فبراير ١٩٩٤م، نشرت القصيدة في العدد١٣ بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٩٤م لجريدة أنجمينا اليوم بعنوان «أهي موجود يا مكي».

ويـــحـــاول أن يـصـنـع شـيـئًـا
فـــي وطـــنـــي المـــهـــزوم المـنـهـار
لـــكـــنَّ الـــــواقـــــع يمـنـعـه
دومًـــــا وتـــعـــانـــده الأقـــــدار
إنـــــي مـــــوجـــــودٌ يـــا وطـنـي
مـــوجـــودٌ مـثـل غـريـب الـــدار
وحـــــدي فـــي بـيـتـي مـعـــزولٌ
لا ســـمَـــرَ هـــنـــاك ولا سُـــمّـــار
مـــســـقـــومُ الجـــســـم بـــلا مـــرضٍ
مـــشـــتـــوت الخـــاطـــر والأفـــكـــار
أوجـــــــاعُ بـــــــلادي تـــؤلـــنـــي
فـــنـــزيـــف جـــراحـــي ذا فـــوّار
فـــبـــلادي فـــوق شـــفـــا جـــرفٍ
هـــــارٍ تـــنـــهـــار.. وكـــم تـــنـــهـــار
وأراهـــــــا مـــكـــتـــوفَ الأيـــــدي
لا قـــــوةَ أمـــلـــكُ لا أنـــصـــار
أنـــظـــر لـــبـــنـــائـــي يـــتـــداعـــى
ومـــصـــيـــري تـــنـــهـــشـــه الأخـــطـــار
مـــا كـــنـــتُ لأطـــلـــب يـــا وطـــنـــي
ســـكـــنًـــا فـــي الـــشـــاطـــئ لـــلأشـــعـــار
مـــا كـــنـــتُ لأطـــلـــبَ لـــي قـــصـــرًا
وحـــــدائـــــق تـــزهـــو بـــالأزهـــار
لـــــو أن بـــــــلادي تـــســـمـــعـــنـــي
تـــســـمـــعـــنـــي رغـــم هـــوا الإعـــصـــار

إعـــصـــار حـــنـــاجـــر تـــتـــهـــاوى

تـــتـــقـــمـــص آلاف الأدوار

الـــكـــلُّ يـــغـــازلُ طـــلـــعـــتَـــهـــا

ويمـــثـــل فـــارسَـــهـــا المـــغـــوار

إعـــصـــارُ ضـــمـــائـــرَ مـــيّـــتـــةٍ

تـــتـــقـــبَّـــل حـــتـــى عـــارَ الـــعـــار

مِـــن أجـــل مـــنـــافـــعَ فـــانـــيـــةٍ

مـــن أجـــل فـــرنـــكٍ أو دولار

إنـــي بـــأتمِّ اســـتـــعـــدادٍ

أن أســـكـــنَ فـــي أحـــقـــرهـــا دار

فـــي كـــوخ أو بـــيـــت فـــراءٍ

فـــي كـــهـــفٍ نـــاءٍ أو فـــي غـــار

لـــو أن بـــلادي تـــســـمـــعـــنـــي

مـــن خـــلـــف مـــلايـــين الأســـوار

مـــن خـــلـــف مـــلايـــين الـــثـــوار

مـــن أجـــل الـــدرهـــم والـــديـــنـــار

يـــأتـــون إلـــيـــهـــا قـــد لـــبـــســـوا

أثـــواب الأبـــنـــاء الأبـــرار

حـــتـــى إنْ ســـكـــنـــتْ فـــي يـــدهـــم

لـــبـــســـوا فـــيـــهـــا ثـــوب الأشـــرار

وبـــدون ضـــمـــيـــر حـــلـــبـــوهـــا

حـــلـــبـــوا ثـــروتـــهـــا كـــالـــفـــجـــار

فـــالأمـــةُ لـــيـــســـت تـــعـــنـــيـــهـــم

والـــوطـــن الـــغـــالـــي خـــيـــط بـــخـــار

فـــبـــلادي فـــي عـــرف أولـــئـــك

لا تـــعـــدو مـــن بـــعـــض الأبـــقـــار

مـــا كـــنـــتُ لأطـــلـــب يـــا وطـــنـــي

شـــيـــئًـــا لـــو أن يـــدي تـــخـــتـــار

لـــو أن بـــلادي تُـــبْـــصـــرنـــي

أو تـــبـــصـــر فـــرســـي فـــي الـــضـــمـــار

يـــعـــدو مـــن أجـــل ســـعـــادتـــهـــا

مـــهـــمـــا يمـــتـــد بـــنـــا الـــشـــوار

لـــكـــنـــي وحـــدي مـــعـــزولٌ

فـــي وطـــنـــي مـــثـــل غـــريـــب الـــدار

وضـــمـــيـــر الـــوطـــنـــيـــة مـــيـــت

قـــد ألـــقـــى الـــمـــوتُ عـــلـــيـــه ســـتـــار

وبـــلادي الـــقـــســـوةُ تـــنـــهـــشُـــهـــا

وتمـــزِّقـــهـــا حـــمَّـــى الأظـــفـــار

وأراهـــا مـــكـــتـــوفَ الأيـــدي

لا حـــول أحـــوزُ ولا أنـــصـــار

لا أمـــلـــك غـــيـــرَ الحـــبِّ لـــهـــا

قـــد تـــفـــنـــى فـــي الحـــبِّ الأعـــمـــار

****

٢٥ - إجدابيـا

[الكامل]

إضـاءة

خرجت من مدينة إجدابيا قاصدًا بنغازي.. ذات أصيل من عام ١٩٧٩م ولم أعد إليها ثانية إلا ذات صباح من عام ١٩٩٥م بعد خمسة عشر عامًا من الغياب والنوى وكانت إجدابيا عزيزة على قلبي، ففيها كان مهد طفولتي وأيامها الذهبية الغالية وفيها تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة «زيد بن ثابت» الحبيبة، ولقد تعودت السفر واعتدت ولوج المدن دون انفعالات، ولكن لأن لإجدابيا مكانة خاصة في قلبي من بين كل المدن على وجه الأرض؛ فقد أوحت لي رؤيتها والسير في شوارعها التي تغيرت كثيرًا بهذه الأبيات[1]:

إجدابِيَا.. لو أن إخلاصًا يكال إذًا لكلـ
ـتُكِ من وفاء القلب كيلًا وافيا
أجدابيا.. لو أنني خيرت بين مدائن
أخرى وأنت لكنت لي أجدى بِيَا

في حضنكِ الميمونِ عشتُ طفولتي
ونهلتُ ثمةَ سلسبيلاً صافيا
فطلولُ ذاك العهد فيك تشدّني
وتشيدُ بي صرحًا قديمًا باليا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي - إجدابيا - ليبيا ١٩٩٥/١١/١١م.

ومـــــدارجُ الأطـفـــال تـســري فــي دمــي

وتـضـخُّ ذكـــرى الـطـفـل فــي شـريـانـيـا

مــا إن مـــلأتِ بـفـيـض حـسـنـك نـاظـري

حـتـى اسـتـعـاد الـقـلـب نـبـضًـا سـامـيـا

نـبـضُ المحـــب إذا اسـتـعـاد حـبـيـبَـهُ

فــلــهُ الـــشـــاعـــرُ أولاً ومـثـانـيـا

عـشـنـا الـــغـــرامَ أنـــا وأنـــتِ فـحـالُـنـا

فــي الحـــبِّ لـم يـكُ، قـطُّ، يـومًـا خـالـيـا

كـــنَّـــا كـــوالـــدة تـهـيـم بـطـفـلـهـا

أو تـــوأمـــين تـعـاشـقـا فـتـفـانـيـا

كـــلُّ الـــــدروبِ تـعـيـدنـي لـطـفـولـتـي

إذ سِـــرْتُ فـيـهـا والـــدروبُ خـوالـيـا

فـهـنـا هـنـالـك أو هـنـالـك أو هـنـا

دومًـــا أعـــود بـهـا لحـسـن مَـغَـاديـا

****

٢٦ - قانون غزية/ أو على كنبة[1]

[الكامل، الوافر، المتقارب]

(١)

على كنبة

جلست أمام منزلنا المطيّن ذات يوم أستريحْ

وهلِ الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح

وطني جريحْ..

وسَّدتُهُ قلبي الجريح

فالجرح فوق الجرح ما انفك يسيح

وطني أنا وطنٌ عجابْ!!

وطنٌ قرأت لأجله ألف كتاب

فلم أجد غير الخرابْ

وضمائر ميتة يحكمها قانون غاب

وطني أنا وطنٌ عجابْ

وطن به يلقى الدخيل الأجنبيُّ مراسمَ الترحاب

رغم التدخل واختلاس المال والأفكار والذهب المذاب!!

أما المواطن صاحب الحق فلا يلقى سوى سوط عذاب

فالحاضر الموجود من أبنائه تلقاه محكومًا بقانون الغياب

فحياته فيها اغتراب في اغتراب في اغتراب

والغائب المفقود من أبنائه وهم كأوهام السراب

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد في يوليو، تموز عام ١٩٩٧م.

وطني أنا وطن عجاب

وطن إذا حدثتكم عنه بألف قصيدة وقصيدة

ما كان لي فصل الخطاب

وطني أنا وطن عجاب

وطني الذبيحْ

وطني الذي جرد فيه كل فرد خنجرا

ليصيب غَنْمًا أو لحقٍّ الغير فيه يستبيح

نسجوا جميعا كيدهم واتفقوا أن يذبحوا وطني الذبيح

ذبحوه حتى العظم ثم انتهبوا أمواله

وتفرقوا يتفاخرون بعزه ويدندنون باسمه

بل يقسمون برأسه وحياته، وطني الذبيح

هم كاذبون منافقونْ

لكنهم للشعب دومًا خادعون

والله يعلم أنهم كذبه

وصحائف التاريخ تشهد أنهم كذبه

وأنا شهيد معها من منبري هذا، على كذبه

(٢)

على كذبه

جلستُ أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

أفكر في بيع بيتي الوحيد

لأذهب نحو البعيد البعيد

لعليَ أرتاد ذاك الجديد

وهل من جديد؟؟

على كنبه

أفكر في بيع أرضيتي

أمزق أوراق جنسيتي

لعلي أحقق أمنيتي

ببيت جديد يظللني فيه حسن الأمان

وحس الكرامة معْ زوجتي

وطفلي معي فيه أو طفلتي

على كنبه..

جلست أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

ثلاثون عامًا على كنبه

أجالس شخصًا يسمى همومْ

يقاسمني جلسة الدكة

ثلاثون عامًا على كنبّ

أراقب أوساخ هذي الأزقّ

تراكم تزداد في كل يوم

ثلاثون عامًا أراقب حولي خليط السمومْ

تطنُّ عليها جيوش الذباب

جيوش النهار وقبل الغروب

وبعد الغروب.. تروح وتأتي جيوش المساء

جيوش البعوض.. تدق الطبولْ

وتصبح مثل جيوش المغول

وتبدأ فور الوصول الهجوم

وترسل نحو الجيوش السهامْ

تمص الدماء وتنفث فيها بقايا السموم

لتذهب في الصبح ملء البطون لكيما تنام

ويبدأ جيش البعوض البديل

يُرِيش النبالْ

ويعرض رتل الصفوف الطّوال

ليبدأ هذا المساء الهجوم

حروبٌ حروبٌ.. حروب هنا وحروب هناكْ

بغير انتصارٍ وغير انكسارْ

صباحًا مساءً شتاء وصيفْ

يمزق فيها القوي الضعيفْ

ويُلقَى به في مهاوى الزوال

ولكنْ محالٌ محال محال

فسرعان ما يستعر الذمار.. يدور المدارْ

يعود إلينا الضعيف قويًا

فيفتك يفتك بالآخرينْ

بنفس الطريقة نفس المدارْ

يدور المدار

يحل مكان الصغار الكبار

وتذهب عنا شموس الصغار

وتغرب تغرب نحو الزوال

ولكن محال، محال، محال

يدور المدار، يدور المدار

لأنا ركِبْنا على عربات الحروبْ

لأنا ركبنا على عربات الدمارْ

ورغم التوقف بعض المساءْ

وجزء من الليل أو من أوان النهار

فسوف يدور المدار كشأن الإطار

إذا ما تحركت العربه

على كتبه

(٣)

على كتبه

جلست أراقب الأيام تمضي والزمانْ

أتجرع الصمت المهينْ

أتجرع الآلام من كأس الهوان

لا تحسبوا أني جبان

فالصمت عجز حين تمتلك اللسان

لكنه إذ لا حياة لمن تنادي

بات عجزًا أن تنادي أمة الموتى

وترسل صرخةً تمتصها الوديان

فلطالما ناديْتَها الأوثانْ

لكنه ما من مجيبٍ دعوتي

جنى رجيع صدى ندائي ذاب في أودية النسيان

الأذن الصماء في مسيرة الكلام أعتى عَقَبه

تتعطل الألسن ما تتعطل الآذان

لا تحسبوا أني جبانْ

فلطالما كافحتُ أشباحَ التخلف والهوان

وبذلت من كنز العطاء على امتنان

وأضأت عمري شمعة تهدي طريق التائه الحيران

ونصبت نفسي مرشدًا يدل كل حائر توهان

جردت من نفسي طلائع ثورة تعاند الظروف والمكان والزمان

راهنت عصرًا عشته بحماستي ومبادئي ورضيت بالرهان

غامرت مدفوعًا بكل حميتي وتطلعي للوطن الواحد

رفَّتْ فوقه ألوية الحب كسائر الأوطان

ومضيت أحمل شعلتي في أول الطريقْ

غير آبهٍ بظلمة السبيل وانعدام عنصر الأمان

ونظرت خلفي رامقًا طول الطريق

فوجدْتُني وحدي أسيرْ

لا تابعٌ خلفي يسير ولا نصير

كلٌّ مضى لسبيله كلٌّ مضى لقبيله

وخسرت أشراط الرهان

ووجدتني وحدي غريقًا تصرخ الأنواء حولي

صرخة مجنونة مصطخبة

وبحثت عن طوافة تنقذني عن قشة عن خشبة

فوجدت بعد اليأس هذي الكنبة..

على كنبه

(٤)

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيالٍ وأجيال تمرُّ ودونها عقبه!!

وما أدراك ما العقبه؟!

خلوُّ قلوبنا الحيرى من الإيمان يغمرها

فلا الإيمان بالأوطان يعمرها

ولا الإيمان بالمستقبل المرجوّ يُسْكرها

ولا الإيمان بالباري الذي بالروح أقرنها

وأسكنها حشايا الجسم والجلده

وطمأنها وثبتها وأسكنها وكانت قبل منقلبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدَّه الإعياء إن يجلسْ على كنبه؟

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيال وأجيال تمرُّ ودونها عقبهْ

وما أدراك ما العقبهْ؟!

خلوُّ رؤوسنا الوسنى من الأفكار غير الأكل والأزياء

واللذات والضوضاء والجّلبه

خلوُّ حياتنا العجلى من التدبير والتفكير فيما يَعْمر الوطنُ

المكون من طلول ديارنا الخربه

خلو الساحة الكبرى من الأبطال يبتدرون للحلبه

فساحات الحقول اليوم في بلدي خَلَتْ من طيف زارعها

وساحات النضال خلت هنا من طيف سائغها ودارعها

وساحات العلوم خلت من العلماء والشعراء والكَتَبه

ولم تخلدْ من الساحات إلا ساحة اللذّه

هنالك تعدد العدّه

وتلقى في ملاعبها رباط الخيل والشِّده

فثمة تُضرمَ النيران للحرب التي فيها

تتم هزيمة الإيمان والأخلاق

ويحصد معشر الأعداء في يسر حصاد النصر والغلبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدَّه الإعياء إن يجلس على كتبه؟

ولم تخلدْ من الساحات إلا ساحة اللذه

ففي ساحات هذا الغول يأكلنا

ويذبح كل يوم فوق مذبحةٍ ضحايا الكفر والرده

ترى عرباته يحملن آلاف الشباب إلى مجاهله

فلا وصلوا إلى شاطٍ أمين ثَمَّ يحفظهم ولا استبقتهم العربه

فآلاف الشباب اليوم في بلدي

يتوه بلجة الظلمات في وضح النهار

وآلاف البنات اليوم في بلدي

بكارات ضحايا الجهل والإهمال مستلبه

فلا مستقبلٌ للبنت في بلدي سوى المفروض في واقعها المشحون

باللذات منتهبه

وحتى قصة التزواج لا تعدو سوى استبدال بعض مصالحٍ

بالطول أو بالعرض محتسبه

وحتى معشر الأزواج مضطرون رغم الحب أن يستبدلوا العتبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدّه الإعياء إن يجلس على كتبه؟

تمامًا مثل ما فكرت

على كنبه

هناك أمام منزلنا المطيَّن ذات يوم أستريحْ

(٥)

على كنبه.. جلست أراقب الأيام تمضي لا تعودْ

كل يوم هي تمضي لا تعودْ

وأرى بلادي بلغت شيخوخة العمر وأضناها الصمود

وأرى بنيها جردوا أنفسهم من كل أشكال الضمير فجاوزوا كل الحدودْ

فالكل يأكل من بلادي عنوة نهبًا وسلبًا من عهودٍ وعهودْ

فكأنما هي جثة ميتة في قبرها قد وسِّدتْ

وكأنما أولادها من حولها سوسٌ ودودْ

عجبًا لهم وبلادهم تشكو التقهقر والتأخر والركود

لكنهم لا يفقهون القول إذ ليسوا يجيدون

سوى لغة التواكل والقعودْ

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العودْ

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العودْ

ساءلت نفسي ما لها بلدي أنا بالذات يكره أهلها

معنى الولاء لأرضها ولحبها المفقود؟؟

ما بالها بلدي تربي وتغذي ثم لا تلقى جزاءً

غير صدٍّ وعقوق وجحودْ؟

ما بال أقوامٍ بنوا إيمانهم بالمنطق القائل أن العقل شخصٌ أبيض

والعقل لا يوجد في عقول سود

ما بال أقوام إذا ما أبصروا جلادهم

ذلُّوا وخرُّوا ركّعًا وسجود

ما بال أقوام إذا ما أُذِلوا لثموا أيادي مذلليهم والخدود

ما بال، بل ما با لها ما بالْ

طرح السؤال على السؤالِ

فعاد يسألني السؤالْ

ولا جوابَ سوى الشرود.. والشرود متعبة

لا يملك الشارد في شرود

إلا اجترار المسغبه

لا حيلة يملكها لا قوة لا تجربه

وما أنا سوى مواطن غريقٍ لم يجد سوى الشرود مركّبه

فقاده الشرود نحو ميناء يسمى كنبة.. على كنبه

(٦)

على كنبة.. جلست أمام منزلنا المطيّن ذات يوم أستريحْ

وهل الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح؟

فكّرتُ في تلك البليه

تلك التي يدعونها بالقبليه

تلك التي ألقت بنا في قعر هاويةٍ قصيّه

تلك التي انقدْنا لها لجنونها

فتطلعتْ لغة الحوار وغيبت كل الحلول المنطقيه

وبها أثرنا الحقد مارسنا الحروب الهمجيه

وعلى مذابحها ذبحنا نفسنا يا ويح أنفسنا الغبيه

قومي أقول القبليه

عشنا بها مأساة فقدان الهويه

ذُقْنا بها أقصى صنوف الفقر والإملاق ذقنا التبعيه

تبعيةٌ في كل شيء من غطاء الرأس حتى اللغة المحكيهْ

قومي أقول القبليه

ما زال قومي من غزيه

يسترشدون برشدها يغوون إن كانت غويَّه

ما زال قانون غزيَّه

يحتل في وطني الممزق عرشه يحتل أركانا قويه

فغزية هي في قلوب الناس أعمق من هويه

وغزية أرفعُ قدرًا من شعور الوطنيه

وطن الجميع تراه في الترتيب يأتي ثانيًا أو ثالثا أو آخرا

أما غزيةُ فهْي تأتي أولًا حتى يكاد لسان حال الناس

يهتف قائلا: واعلو غزية.. واعلو غزية

مجدٌ قديم حازه هذا الوثنْ.. هذي الغزيه

هذي التي تجسدت بالقبليه

قَومي أقول القبليه

قومي أقول القبليه

هذا الذي سحر القلوب بسحره منذ العهود الحجريه

هذا الذي طبع القلوب بطابعٍ من معطيات البربريه

هذا الذي في بلدي لوّن كلّ عصبةٍ بلونْ

فكل فرقةٍ في بلدي تمتاز عن لدَّاتها بلون

وكل عصبة تختال في أعطافها لأنها بزعمها أصليه

وكل فرقة في بلدي تزعم أنها هي الأساس

وأن أي فرقة أخرى دخيلة دعيه

لكن وطني المنبوذ لا يكسوه أي لون

لأنه وطن الجميعْ

ولونه شعورنا بالوطنيه

تغمد الله شعورنا بالوطنيه

برحمة من عنده ونسأل الله لأهلها

صبرًا وسلوانًا على الرزيه

وهكذا عادت بي الأفكار بعد رحلة مسترقه

قامت بها الأفكار فوق ورقه

عادي بي الأفكار نحو واقعي كئيبةً حبيسةً منغلقه

وكانت الأفكار قبل في عوالم الأحلام حرة طليقة منطلقة

عادت وعدتُ للشرود مُعْرض ومعْرضه

عن كل ما يمتّ للأحلام بِصَله

ما كانت الأفكار غير لحظات وامضه

ما كنت أحلم غير حلم اليقظه

سافرتُ عبره في رحلةٍ مضطربه

وجدت نفسي بعدها قدّام منزلنا المطين

جالسًا أراجع الأحداث فوق كنبه

على كنبةٍ جلست أمام منزلنا المطين ذات يوم أستريح.

****

٢٧ - ذكرى الحرية[1]

[الكامل]

(١)

وإذا المساء أتى وقنديل المساء
ومضى ينير الأرض من وجه السماء
وجلستُ أرقبُ ضوءَهُ عند العراء
ساءلت عن ذكراكِ قنديل المساء
ذكراكِ أسئلتي لقنديل المساء

(٢)

وإذا أبى غيثُ الزمان نوالا
فرثى الورود وحطَّم الآمالا
وغدا رجائي كله أطلالا
ساءلت عن ذكراكِ أطلال الرجاء
ذكراك أسئلتي لأطلال الرجاء

(٣)

وإذا استدار القرصُ يُؤْذن بالأفول
وكسا بصفرتِهِ تعاريجَ السهول
وأوتْ إلى الأعشاش أطيارُ الحقول
ساءلتُ عن ذكراكِ أطيارَ الحقول
ذكراك أسئلتي لأطيار الحقول

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٩٨م.

(٤)

وإذا تهادى الليلُ في إثر النهار وأدبرْ
ومضتْ طيوفُ الأمس تلحقُ بالزمان الأغبر
وبدا ركابُ اليوم حين الصبح فينا أسفر
ساءلتُ عن ذكراك طيف الأمس
ذكراك أسئلتي لطيف الأمس

(٥)

وإذا رياض الورد فاحت واستشاط عبيرها
وتأوهت فيها البلابل واستعرَّ زفيرها
وتنهدت فيها جداولها وأنَّ غديرها
ساءلت عن ذكراك آهاتِ البلابل
ذكراك أسئلتي لآهات البلابل

(٦)

وإذا المواسمُ شمَّرتْ عن ساعديها للعطاءْ
وسنابلُ القمح المحمَّلةِ استقامت في ثراء
وتوقفَ الفلاّح يرمِقُ حقله في كبرياء
ساءلت عن ذكراك قاماتِ السنابل
ذكراك أسئلتي لقامات السنابل

(٧)

وإذا المساء تلبّدتْ خلف الغيومْ
وأوت إلى أعشاشها كلُّ النجوم
والبرقُ صوَّب ناظريه على الكروم
والرعد حطَّمَ غاضبًا قيدَ الوجوم
وتراعشتْ قطعُ الحصى والرمل من هول الهزيم
ساءلت عن ذكراك حبّات المطر
ذكراك أسئلتي لحبات المطر

(٨)

وإذا الخـريـفُ أتـى يـلـوِّح بـفـأسـهِ
وتراعشتْ كلُّ الغصون مخافةً من بأسه
فـالـكونُ قطَّب وجـهـه يشكو مـرارة كأسـه
سـاءلـت عـن ذكـراك أغـصـان الشجر
ذكـراك أسـئـلـتـي لأغـصـان الـشـجـر

(٩)

وإذا المحاريثُ استدارت تحت أقدام التلالْ
وترعرعتْ تلك البذور بنغمة الماء الزُّلال
حتـى غـدت ثـمـرًا تـفـيـضُ بـه الـسـلال
وتسامقتْ أفنانها بالظل في قيض الجبال
والقافلين العابرين تفيؤوا تلك الظلال
سـاءلـت عـن ذكـراك كـل الـعـابـريـن
ذكـراك أسـئـلـتـي لـكـل الـعـابـريـن

(١٠)

وإذا طـوَتْ ذكـراكِ أعـدادَ السنين
فـعـكـفـتُ أنـشـرُهـا بـأنـات الحنين
وتـسـاءل الأصـحـاب أيـن الـراحـلـين
سـاءلـت عـن ذكـراك كـل الـسـائـلـين
ذكـراك أسـئـلـتـي لـكـل الـسـائـلـين

****

٢٨ - كلنا في الضّاد شرق[1]

[الرمل]

الحمد لله الذي جعلني مسلمًا وشرفني بالإسلام والحمد لله الذي جعلني عربي القلب واللسان وعلمني من العلم ما لم أعلم وحباني بقراءة القرآن أم العلوم وأسبغ على نعمه تدبر معانيه، إنما أقف اليوم بين أيديكم جنديًّا صغيرًا من جنود هذه اللغة لأقدم واجبًا من واجباتي التي أعتبرها مقدسة، قداسة هذه اللغة التي نزل القرآن الكريم بها وجعلها لغة التخاطب في الحياة الآخرة، فتقبلوا مني هذه القصيدة عنوان حب وشهادة وفاء وصك ولاء.

جـــادَكَ الـغـيـثُ إذا الـغـيـث انـهـمـرْ
يـــا تُـــرابًـــا ضَـــمَّ هـــذا المـؤتـمـرْ
بـــــارِكَ الـــلـــهُ لمـــن نـــــادى لـه
وطـــــنٌ لـــبّـــى نـــــداءً فـحـضـر
نـحـن مـــا جـئـنـا لـنـلـهـو ســاعـةً
أو لـنـقـضـي بـعـضَ أوقـــاتِ الـسَّـمـر
أمَّـــنـــا تـجـمـعُـنـا أقـــدارنـــا
مـثـلـمـا يـجـمـعـنـا مـــاضٍ غـبـر

(١) قرأت القصيدة في الندوة العالمية الدولية «عالمية الأدب الإسلامي» التي أقيمت في الفترة ما بين ٢٧ من رجب - ٢شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٥- ٨ من أكتوبر ٢٠٠٢م في رحاب جامعة الملك فيصل بأنجمينا، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالمملكة العربية السعودية ومركز رسائل النور بتركيا، والقصيدة الآن مكتوبة على الكمبيوتر ومحفوظة لدى الأمانة العامة بجامعة الملك فيصل.

كلُّنا في الضَّاد شرقٌ واحد
دربُنَا «صنعا» وإن طال السفر
جمعتَنْا لغةٌ سامية
لغةُ المحكم من آي السور
أنزل الله بها فرقانه
بيِّناتٍ هاديات للبشر
خذ لها السبع المثاني مثلا
أو فخذ «هودا» و«طه» و«الزمر»
خُذْ من القرآن ما شئت لما
شئت واصدع بالمثاني وأتمِر
باركَ اللهُ لدِينٍ ضمَّنا
ووقانا من غواياتِ الكِبَر
فعسانا قد أقمنا حجةً
لصلاح الأرض واستئصالِ شر
فهي ميراثٌ لنا إن صلحتْ
ذاك ما سطِّر في متنِ الزُّبر
نحن يا قومُ حَزَمْنا أمْرَنا
وعلى الجمر مشينا نحتصر
وعَجَنَّا الضَّادَ من أدمائنِا
فتجلَّى في بنينا واختمر
من أراد الضادَ يلقاها هنا
بين فرثٍ ونجيعٍ مُنهمر

نحن يا ضادُ مشيناكِ خُطًى

وارتضيناكِ قضاءً وقدر

حفروا خندقهُمْ من حولنا

وأبادونا وقوفًا كالشجر

طمسوا تاريخنا أو حاولوا

طمسه ليلاً وهل يخفى القمر

كلما كادوا لنا كيدًا غوى

مثل كيد السحر يغوى من سحر

قتلوا أعلامنا واستعملوا

كبكبًا لم يُبقِ حيًّا أو يذر[1]

كم من الشهداء قد ماتوا وكم

ملأتْ أجسادهم تلك الحفر

قَرروا إفناءنا من جهلهم

قل لهم هيهاتَ أن تَفنَى مُضر

نهبوا أملاكَنَا واستلبوا

أرضَنا كلُّ نفيس منطمر

لم يراعوا الله في أقواتنا

كيف يرعى الله رعيان البقر

خدعونا وادَّعوا استغلالنا

إنما ذاك خداعٌ للبصر

---

(١) في البيت إشارة إلى حادثة الكبكب (الساطور) التي نفذت عام ١٩١٧م بمدينة أبشى والتي استشهد فيها أكثر من ٤٠٠ عالم وشاعر.

تـركـوا طـابـورَهُـم فـي أرضـنـا
عـيِّـنـاتٍ مـثـلَ فـأر المـخـتـبـر
وبـهـم صـالـوا وجـالـوا وسْـطـنـا
فـرضـوا كـلَّ بـغـيـضٍ محـتـضـر
لـغـة الأعـجَـام لا مِـنَّـا ولا
نـحـن فـي بـاديـة أو فـي حـضـر
فـرضـوهـا ثـم قـالـوا إنمـا
لـغـةُ الـقـرآن شـرٌّ مـسـتـطـر
لـعـنـة الـلـه عـلـيـهـم كـذبـوا
لـيـس مـنـا كـلُّ كـذابٍ أَشِـرْ
عـرفَ الحـقَّ فـلـم يـؤمـنْ بـه
ومـتـى يـؤمـن قـلـبٌ مـن حـجـر
خـتـم الـلـه عـلـيـه خَـتْـمـه
فـهـو لا يـبـصـر إلا فـي سـقـر
نـحـن يـا إخـوتَـنـا تـاريـخـنـا
سـيـرةُ لـلـضـاد مـن أزكـى السِّـيـر
وامـتـداد لخـطـى أسـلافـنـا
إنمـا الـنـارُ نـتـاجٌ لـلـشـرر
نـحـن يـا إخـوتـنـا قـد رابـنـا
دفْـرُنـا لـكـنـنـا لـم نـنـدثـر
قـد قـضـيـنـا الـعـمـرَ نـرجـو حـقَّـنـا
فـي مـيـادين الـوغـى كـرٌّ وفـر

ودفَــعْــنــا كــل غــالٍ فــديــةً
كــي يــرى الــنــورَ كــهــذا المـؤتمـر
واحـتـسـبـنـا الـلـهَ فــي إخـوتـنـا
ذهــبــوا قــبــل اجــتــنــاءات الـثـمـر
فــإذا مــا خــانــنــا الـتـوفـيـقُ فـي
بـعـض أشـيـاء فـعـنـهـا الـمـعـتـذر
نـحـن يـا ضــادُ إذا الـخـيـلُ عَــدَتْ
فــي كـديـد الحــرب جـئـنـا نـبـتـدر
نـطـعـنُ الأعــلاجَ فــي أَنْـحُـرِهِـم
فَــهْــيَ إحــدى الحـسـنـيـين لا وزر
نـحـن يــا ضــاد لـنـا أيـامـنـا
فــي لـظـى الـصـحـراء إذ ولـوا الـدبـر
أرض «مـنـقـلـمـي» و«صــلاّل» الـتـي
كــان فـيـهـا عـبـرة لـلـمـعـتـبـر[1]
إذ تـركْـنـا فـوقـهـا أشــلاءَهُــمْ
مــزقًــا مـثـل الـهـشـيـم المحـتـضـر
وتــركــنــا عــنــدهــا أرواحَــهــم
طـعـمـةً لـلـنـار بـئـس المـسـتـقـر
وأذقــنــاهــم عــذابًــا حــاضــرًا
وعــــذاب الــلــه أدهــــى وأمــر
نـحـن يــا ضــادُ فـديـنـاك فـدًى
لـيـس يـفـديـه ذلـيـل مـنـكـسـر

---

(١) «منقلمي» و«صلال» أسماء لأماكن في تشاد.

بـــالـــدم الـــغـــالـــي وبـــالـــروح مـــعًـــا

لا أنـــــامَ الـــلـــهُ عـــين المـــنـــدحـــر

نـــحـــن مـــا صـــنْـــاكِ إلا بـــعـــدَ مـــا

بـــلـــغَ الـــســـيـــل زبـــــاه وانـــحـــدر

زعـــمـــوا أنـــــك لا تـــرقـــى إلـــى

ســـــدةِ الـــعـــلـــم، فـــمـــن أيـــن المـــفـــر؟

وعـــلـــومُ الـــكـــون فـــيـــضٌ ســـال من

بـــحـــرك الـــزاخـــر دومًـــــا بـــالـــدرر؟

زعـــمـــوا أنـــــكِ ضـــيـــفٌ عـــنـــدنـــا

كـــيـــف يُـــســـتـــبـــضَـــعُ تمـــرٌ فـــي (هَـــجـــر)؟

إن مـــن يـــســـخـــر يـــا ضـــــادُ بـــنـــا

إنمـــــا يـــصـــطـــاد فـــي المـــــاء الـــعـــكـــر

إن يـــكـــن حـــبـــك خـــمْـــرًا فـــمـــلائـــي

كـــأســـهـــا حـــبًّـــا وهـــــاتـــــي نـــخـــتـــمـــر

(هـــل رأى الـــحـــب ســـكـــارى مـــثـــلـــنـــا)

لا يـــفـــيـــقـــون مـــن الـــعـــشـــق الـــخـــطـــر

أيـــنـــمـــا يـــشـــمـــلـــنـــا حـــبٌّ لِـــمَـــا

هـــو حـــق يـــوم لا تُـــغـــنـــي الـــنُّـــذُر

لـــغـــة الـــفـــردوس إذ تـــحـــكـــي بـــهـــا

حـــورُ عِـــينٍ فـــي مـــآقـــيـــهـــا حَـــوَرْ

لا أفـــــاقَ الـــلـــه مَـــثـــمـــولًا لـــنـــا

مـــا دعـــــا لـــلـــه داعٍ أو شـــكـــر

نحن يا إخوتنا في خندقٍ

واحدٍ رغم اختلافات النظر

ديننا إسلامُنا يجمعُنا

ولسانٌ يعربيٌّ مشتهر

ورسولٌ واحدٌ قدوتُنا

هو خير الخلق من جنس البشر

نحن يا إخوتَنا في كربةٍ

من أحابيل العدى جوًّا وبَر

كم دهانا القرحُ في بلوائهم

فشكرنا اللهَ من مسّ الضرر

بَلْبَلَ الكفار أجيالًا لنا

وغزَوْنا بثقافات الصور

داوموا إغراءنا واستعملوا

كل أسلوبٍ دنيء منتكر

زيَّنُوا للناس دنياهُمْ فها

قد سرى في الناس (أفيونُ) الخَوَر

فَنَسَوا أننا ملكْنَا أمرهم

بهُدَى القرآن والذِّكْر العَطِر

فافتحوا أعينَكُم يا قومَنا

واستفيقوا من رقادٍ وخدر

من يكن أسلافه أسلافَنا

قطعَ النومَ بأسياف السهر

أيـــن مـنـا خـالـدٌ سـيـفُ الـوغـى
مـن سـيـوف الـلـه مـسـلـول الخـطـر
وعـــلـــيٌّ لا فـــتـــى إلاه مـن
(أُحُـــدٍ) أو (خـيـبـرٍ) حـين انـتـصـر
وأبـــو بـكـرِ الـــذي لـو مـنـعـوا
مـن جـبـايـاه عـقـالًا مـا صـبـر
وابـــن خـطـابِ الـــذي فـي عـهـده
فُـتِـحَ الـقـدس بمـفـتـاح الـظُّـفـر
عـــدلُـــه كـــان مـثـالًا يـحـتـذى
طَـبَـقَ الأفـــق ودوّى وانـفـجـر
أيـــن مـنّـا حـمـزةُ لـيـث الـشّـرى
سـيـدُ الـشـهـداء مـشـهـور الخـبـر
وشـهـيـدُ الـــدار عـثـمـان الـذي
سـيّـر الجـيـشَ وأقـــرَى ونـحـر
وابـــن جـــراحٍ أمـيـنًـا قـائـمًـا
يـحـكـم الـثـغـر ويُـــزْدي مـن كـفـر
أيـــن مـنـا عـقـبـةُ الخـيـر غـزا
بـخـيـول الـلـه بـيـضـاءِ الـغُـرر
والمـثـنـى وابـــن وقـــاصٍ ومـن
بـهـم الإسـلام فـي الأرض انـتـشـر
وصـــلاحُ الـديـن شـمـسٌ سـطـعـت
فـي سـمـاء الـقـدس صـبـحًـا وسـحـر

هـــزمَ الـصُّـلـبـانَ رغـــمَ جـمـوعِـهـا

والـتـقـى بـالـسـيـف كـيـد مـن غـدر

أيـــن مـنـا فـيـصـل الحـــقِّ الـذي

كـــان اسـمًـا مـن مـسـمَّـاه صـدر

مـلـكٌ مـن خـيـر مـن زكَّـــى ومـن

خـيـر مـن صـلَّـى وحـج واعـتـمـر

زارنـــا والخـــيـــر فـــي أعـطـافـهِ

فـابـتـنـى فـيـنـا صـروحًـا وعَـمَـر

تـــاركًـا ذكـــرًا كـريمًـا خـالـدًا

عـابـقًـا بـالمـسـك والـزهـر الـعَـطِـر

مـسـجـدًا حـاكـى الـــذي فـي يـثـربٍ

أثـــرًا يـــا حـبـــذاه مـــن أثـــر

فـتـأمـلْـهـا عـــروسًـــا زُيِّـنـــتْ

بـجـمـال الـعـلـم بـالـورد الـنـضـر

بـــرزتْ فـــي خـدرهـــا مـن بـعـدمـا

أطـفـأت شـمـعـاتـهـا الإحـــدى عشر

بـــارك الـلـــه رجـــالًا صـارعـوا

كـل صـعـبٍ مـن صـعـوبـات الـغِـيَـرَ

وأقـــامـــوا صـرحـهـا واسـتـقـبـلـوا

بـســلاح الـعـلـم أتٍ مـسـتـتـر

عـــرقُ الأعـــوام مـــا ضـــاع سـدى

وجـهـود الأمـــس مـــا راحـــت هَـــدِر

فـهـي مـسـتـقـبـلُ أجـيـال لـنـا

كـاد مـسـتـقـبـلـهـا أن يـحـتـضـر

فـبـهـا رايـاتـنـا قـد تـعـتـلـي

وبـهـا طـوفـانـهـم قـد يـنـحـسـر

فـاحـمـدوا الـلـه الـذي سـدَّدَنـا

وهـدانـا لـسـلـيـمـاتِ الـفِـطَـر

إن حـمـدَ الـلـه مـحـمـودٌ إذا

جـادك الـغـيـثُ إذا الـغـيـثُ انـهـمـر

****

محمد عمر الفال[1]

١ - وَفْدُ فَهْدِ الخَيْرِ

[الطويل]

نُحيِّيكَ يا وفدُ وها أنت شاهدُ
وقد كنتَ ربَّ الدار في القلبِ نازلُ
فما بين هذي الدارِ يا وَفدُ في العُرى
وبين رياضِ (النَّجدِ) هذي الشمائل
تعاظَمَ فينا الخيرُ ما دام بيننا
ومادام وفْدُ (الفَهْدِ) فينا يُواصل
وفودكمُ - يَا فَهْدُ - تهدي إلى الهدى
وتسعى إلى الخيراتِ ما سال سائل
أيا خادِمَ الحرمينِ إنك ها هنا
وإن غبْتَ عنا إن خيرَك واصلُ

---

(١) الشاعر الدكتور محمد عمر الفال شاعر تشادي ولد سنة ١٩٦٨ بمحافظة البطحاء الشرقية وتعلم القرآن الكريم على يد والده، ثم سافر إلى ليبيا وأتم فيها دراسته الابتدائية ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف ومنه نال الشهادة الإعدادية سنة ١٩٨٤ ثم سافر إلى سوريا وهناك درس المرحلة الثانوية ثم الجامعة، ثم سافر إلى السودان فنال درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة أم درمان سنة ١٩٩٧م وبعدها نال درجة الدكتوراه في سنة ٢٠٠١ وقد التحق بصفوف ثورة «فرولينا».

وعمل محاضرًا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا، ثم انتقل ليعمل محاضرًا في كلية الدراسات الإسلامية الليبية.

وللشاعر ديوان مخطوط بعنوان «أصداء النفس»، ويعد من الشعراء المحافظين في تشاد، ويتسم الديوان غير المطبوع بمسحة دينية محافظة وملتزمة بأصول الشعر القديم، وفي الوقت ذاته يعبر عن همومه الذاتية وهموم مجتمعه من حوله.

مقابلة مع الشاعر في مبنى كلية الدعوة الإسلامية بأنجمينا، أبريل ٢٠٠٢م.

نُنـاديـك مـن بُـعْـدٍ وهـا أنـت هـاهـنـا
يُـجـاوِبُ عـنـك الـقـومَ فَـضْـلٌ ونـائـلُ
فـضـلْـتَ عـبـادَ الـلـهِ سـعـيًـا إلـى الـعُـلا
ولا شـكَّ حـامـي الـبـيـتِ والـبـيـت فـاضـل
قـدومُـكُـم يـا وفْـدَ (فَـهْـدٍ) يـغـيـثـنـا
وشـادكـمُ مـحْـلٌ وذا الـغـيـثُ هـاطـل
إذا غـاب عـنّـا فـيـصـلٌ جـاء بـعـده
فـيـاصـلُ غـيـثٍ بـعـده وفـيـاصـل
أقـيـمـوا بـنـي الأحـرارِ فـيـنـا مـنـائـرًا
تَـزيـنُ سـمـاءَ الـشـادِ، والأرضُ مـاحِـل
غـشَـاهـا زمـانُ الحـرب حـتـى تـعـاقـبـتْ
عـلـيـهـا جـنـود الـفـقـر: ركْـبٌ وراجـل
تـنـاوب فـيـهـا الخـطْـبُ حـتـى كـأنـمـا
إذا جـاءهـا (قُـسٌّ) تـنـحـنـح (بـاقِـلُ)
وقـد كـان لـلأجـيـال مـن قـبـلُ فـيـصـلٌ
بـنـى مـجـدَه بـالمـالِ، والمـال راحـل
سـمـا فـيْـصـلٌ يـبـنـي - ومَـنْ بَـعْـدُ فـيـصـلٍ -
قـلاعًـا يـشـيـخُ الـدهـر فـيـهـا، ومـائـل
أفـي الأرض مَـنْ يـبـنـي قـلاعًـا عـلـى المـدى
تُـقـارع رَيْـبَ الـدهـر، والـدهـرُ زائـل؟
بـنـاهـا فـأعـلـى ثـم قـال عـلـى المـلا
إلـى مـثـلِ هـذا المـجـدِ، مـا أنـا فـاعـل

أُسابق هذا الدهرَ بالبذلِ جاهدًا
وإن مِتُّ، باقي الحمدِ عني يناضلُ
فما الموتُ يخشى غير أنّ لدى الفتى
رغائبَ خيرٍ حال عنها الحوائل
يموتُ الفتى لا شكَّ والموتُ لاحق
سوى أن موتَ الخيِّرينَ يُعاجل
فقدناك - يا مَلْكٌ - وقد عِشْتَ بيننا
فها أنت فينا اليومَ ماضٍ وقابل
وحاضرُ عِلْمٍ فوق دينٍ فإننا
نحييك ما عِشْنا كأنك ماثل
بنى مركزًا للدين في (الشادِ) شاهقًا
فقائلةٌ مَنْ شاد هذا وقائل؟
تخرّج منه الجيلُ والجيلُ لم يكن
له أبدًا يومًا سواه بدائل
إذا سابقتْ أجيالهُ القومَ مالها
سوى السّبْقِ يومًا حين يأتي الأوائل
ولم يكُ ذاكَ الفوزُ إلا لأنه
وراء وراء الأمرِ هادٍ وعاملُ
رجالٌ يرون المجدَ أدنى مُناهُمُ
ولو هَدَّمتْ ما يبتغون المعاول
قليلٌ همُ في النّاس لا شك أنهمْ
- بما قدّموا للخير فينا - قلائل
فمنهم وزيرُ العلمِ (آدمُ قُجَّةٍ)
رعى ما رعى والنّاسُ: سالٍ وسائل

تحمّل عِبْءَ (الضادِ) حتى كأنه
ينوء بأحمالٍ لهنّ حَمائل
ومنهم إمامُ الدين أعني (حُسَيْنَهم)
فقد عَظُمَتْ أفعالُه وَهْوَ ناجِل
إمامٌ يحبُّ الخيرَ للناسِ ما ونَى
يلاحقه منهم لئيمٌ وجاهل
ولكنه لم يُلْقِ بالاً، فما المدى
على رأيه إلا رحيل وراحل

بتاريخ ٢٠٠١/١/١١ أنجمينا – تشاد
نظمت بمناسبة حفل تكريم خريجي
مركز الملك فيصل الإسلامي يوم ٢٠٠١/١/١٢ بقصر ١٥ يناير

****

٢ - لم يبق لي فيك عذر

[البسيط]

إن قلتِ: ما لك تلحاني وتعذلني
جرّاءَ ما عثرت إياك بي قدمي
خطيئةٌ بَدرتْ في زَخْم مكرمةٍ
مني على عجل لولاك لم تُقَمِ
إني أرى من يقع في مزلق لَزِجٍ
لا يعذر الدهر مرهونًا بجرم دم
أهكذا حكم كل الناس إن حكموا
على بريءٍ من الآثام منفصم
قد كنتُ أحسب ما فعلي بمنخفض
إليك أنتَ، ولا قولي بمنجرم
أرقتُ فيك دموعَ الشوق تسعفني
مبادئ نلتها من خير محتدم
ناضلت دونك من أعطوا مودتهم
في سالف الدهر غذّوني من النعم
وما شكوت لظى حرب يُؤجّجها
لحرق أهدافنا جيشٌ من اللُّؤَم
وصيَّرتْني ملاكًا في بنات أبي
معاركٌ خضتها في أحلك الظُّلَم

أمـــام ســـورٍ مـــن الـــعـــادات يصـرفـنـا

عـن الـلِّـحـاق بـركـب الـصـحـب فـي الـقِـدَم

فـفـزتُ فـيـهـا بـسـهـم الـنـصـر جـائـزةً

مـن الـضـعـاف صـغـار الـعـزم والـهـمـم

لـم يـبـقَ لـي فـيـك عـذرٌ فـي مـحـاجـجـتـي

هـــذا جـمـــاعُ، لـمـا أخـفـــاه مـنـك فـمـي

أقـــول: لا تـضـرعـي فـي سـاح مـغـفـرتـي

فـــإن مـثـلـكِ لا يـجـثـو عـلـى قـدمـي

بـرئـتُ مـنـك بـــراءَ الـذئـب يـوم جنى

أبـنـــاءُ يـعـقـوبَ فـاحـتـالـوا لـه بـدم

ألـقَـوا أخـاهـم مـن الأحـقـاد منتسكًا

فـي قـاع بـئـر، ولـم يـلـووا لمرتطم

وأذرفـــوا الـدمـع تـصـديـقًـا لـفـعـلـهـمُ

فـي صـدر يـعـقـوب خـالـي الـذهـن مـن نقم

كـــذاكَ أنـــتِ، فـلا يـخـفـى خـداعـك لي

وقـد بَـقَـى أزمـنًـا يـسـري خـلال دمـي

مـا أشـبـهَ الـيـومَ بـالأمـس الـذي ذُكِـرَتْ

أخـبـارهُ فـي كـتـاب الـلـه، لا قـلـمـي

قـد كـنـت فـي غـفـوة لـيـلاً بُـهـرتُ بـهـا

والـيـوم أيـقـنـتُ أن الـنـورَ فـي حلمي

إيـــاك أن تـقـربـي أنـــوار مـسـرجـتـي

فـإن قُـنْـسِـيَ مـحـروس عـن الـظُّـلَـم

حـاشـايَ أن أرتـضـي عـذرًا لجانية

كـانـت تُـدنِّـسُ فـي قـدسـي وفـي حـرمـي

حـاشـايَ أن أقـتـفـي رسـمًـا لـظـالمةٍ

قـد حـار فـي أمـرهـا مـجـمـوعـة الأُمم

سـحـبْـتُ كـل رصـيـدٍ كـنـت أُودعـه

لأنَّ (بَـنْـكَـكِ) لـم يـسـلـم مـن الـتُّـهـم

حررت يوم ١٩٩٥/٦/٥م - الخرطوم

****

٣ - موقوف ٢

[الكامل]

لا تحزني من عَرْشِكِ الخَرِبِ
كلاًّ، ولا مِنْ أمْسِكِ الدابرْ
لا تقْرَبِي يا هندُ ضارعةً
إيَّاكِ، إنّي لستُ بالغافرْ
أختاهُ إنَّ الحُبَّ في زمنٍ
فيه العَفافُ علامةُ الفاجِر
لا أرتضيهِ وقدْ بدا قمرِي
يُنوِّر الأكوانَ للسائر
لا تَخْدِشِي خدَّيْكِ آسِفَةً
مِنْ فَوْتِ حُبٍّ مَرَّ كالزائر
فالنّاسُ في أهوائهم حُمُرٌ
يتفاخرون ومَا لَهُمْ فاخِر
لا تَعْجَبِي أختاه من غَضَبِي
فالحُبُّ فَوضَى، فاقِدُ الناظر
أختاهُ إنَّ الحُبَّ مختلِفٌ
عندي، وفي مفهومِهِ الخاسر
أنْ لا حبيبَ بِذِي الدّيارِ ولا
حُبٌّ كما كُنّا على الغابر

أخـــتـــاهُ إنَّ الـــوصـــلَ مـنـقـطـعُ

فـابْـكِـي جَـــوًى مِـــنْ حـظِّـكَ الـعـاثِـر

لا تـــأسَـفِـي مـــن حـبِّـكِ الـنَّـجِـسِ

كـــلاَّ، ولا مِـــنْ طُـــهْـــرِكِ الـسـافـر

لـلـنَّـاسِ فـــي عُـشَّـاقِـهِـم بَـــدَلٌ

إنْ صـــحَّ ذا أو مِـيـلَ فـي آخـر

لا تَحْـسَـبِـي يَـا مَـنْـبَـتَ الـدِّمَـنِ

أنِّـــي سَـكَـنْـتُ الـقـلـبَ فـي الـظـاهـر

خـضـــراءُ حُـســنٍ زَانَـــهـــا حَـــوَرٌ

لـكـنَّـهـا أُلْـــعُـــوبَـــةُ الـسَّـامـر

فَـلْـتَـذْهَـبِـي يـا ظـبـيـةَ الـعَـطَـنِ

خـــضـــراءَ حُـــســـنٍ خـــاثـــرٍ فـاتـر

قـد قـــالَ ذاكَ الْمُـصـطـفـى قِـدَمًـا

فَـــهْـــوَ الـدَّلـيـلُ عـلـى نـوى الْمَـاكـر

فـــالحـــبُّ فـــي قـلـبـي تُمـــزِّقُـــهُ

ذِكـــــراكِ لـيـت الـلُّـــبَّ كـالـظـاهـر

يـــا هـــنـــدُ إنِّـــي عـــنْـــكِ مـرتـحـلُ

فـابْـكِـي إلـــى أنْ يـعـطِـف الـجـائـر

لا تَـــرْكُـضـــي أخـــتـــاهُ فـــي أثَـــرِي

إيَّـــاكِ أنْ تَـــسْـــرِي عـلـى الـخـاطـر

قـــد كـنـــتِ فـــي قـلـبـي مُـعـظَّـمـةً

والآن أشْـــكـــو مـــن هَـــوَى الـبَـائِـر

قَــدْ خــابَ ظـنِّــي فـيـكِ أنـزعُـهُ
كَـيْـلاَ تَـبَـقَّـى ذِكْـــرَةُ الـذاكِـر
قَــدْ صِـــرْتِ فــي عـيـنـيَّ حــينَ أرَى
مـثـلَ الـقَـذَاةِ عـلـى الـنَّـقـا الـطـاهـر
قـد دُنِّـسَـتْ فــي مُـقـلـتـيـك يـدي
وَاحَــسْــرَتــاكِ عـلـى يــدي الـغـائـر
أخــتــاهُ لا يَــغْــرُرْكِ فــي طـلـبِـي
أنِّــي سَـكَـنْـتُ الـقـلـبَ فـي الـظـاهـر
لــي شِـيـمـةٌ لـم يُـعـطَـهـا أحـدٌ
غـيـري، إذا مـا عِـفْـتُ كـالـطـائـر
أعـلـو وأسـمـو فــي الـعُـلا أنِـفًـا
- كـيـلا أُدَنَّـس - فـي الـهـوا الـطـاهـر
أخــتــاهُ مــا لــي فـيـكِ مُـطْـلَـبٌ
فـابْـكِـي إلــى أن يـسـمـعَ الـعـابِـر
أخــتــاهُ إنَّ الـحـبـل مـنـقـطـعٌ
بـيـنـي وبـيـنـكِ رِفْـقَـةُ الـسَّـائِـر

****

٤ - القلب النابض

[الكامل]

تُـريـدُ صـدِّي عـن هـوايَ لعلَّما
أجِـدُ السُّلُوَّ بنأيها وأُصَنِّفُ

لا، لن أشُقَّ عصا المودة بعدما
عَلِق الفؤادُ بمن أُعِزُّ ويكنِف

لو كنتَ تُبلَى ما بُليتُ رحَمْتني
بالحب يُعرفُ مَن يضِنُّ ويُسرف

يا عاذلي حكم الإلهُ بودِّنا
يوم انثنى زهرُ الرياض يُرفرف

رغْم البِعادِ يلومني فيك الأنا
مُ، ولم تزل آمالُنا تُستأنَف

حَذَرَ الوُشاةِ أُريد بُعْدكِ راجيًا
منكِ السلامَ، وليتني أستكشف

منكِ الجوابَ، وقلَّما يستصغرُ
ليَ ما رجوتُ من السرور فآسف

رَصَدَ الوُشاةُ بحقنا سهمَ العِدى
ولقد جَهِدتُ أصدُّهم وأُعَنِّف

تبَّتْ يدا المتقاعسين عن العُلا
ولما بَقِيْتُ لأُعرِضَنَّ وأَصْدِف

شـاهـتْ وجـوهُ الـلائـحـين عـلـى الـهـوى

ودَعَـــوْتُ (عَـبْـدًا) بـالـكُـنـى وأُحَـــرِّف

إسـمًـا يـبـدِّد ذكْـــرُهُ فـيـنـا الـقـوى

وإذا رأيـــتُ خـيـالَـه أتـلـهَّـف

أنـا لـن أمـوتَ ولـي قُـلَـيْـبٌ نـابضٌ

ولـقـد بُـلـيـتُ هـوى الأحـبَّـةِ أهـتـف

(يـا لـيـتَ شـعـري مَـنْ بـدا لـي نَـأيُـه

ذا الـعـام يـبـدا بـالـوئـام ويـعـطـف)

نظمت بتاريخ ١٩٩٢/٣/٥م

دمشق

****

٥ - لك التحيات

[البسيط]

لـــكِ الـتـحـيـاتُ أهـديـهـا مـعـطـرةً
لـتعلـمي أنـنـي بـــاقٍ عـلـى الـعـهـدِ[1]
عـهـدِ المـــودةِ إذ تحـلـو مـجـالـسُـنـا
مـن فـائـح المسك أو مـن طـيِّـب الشـهـد
أيـــامَ نـسـتـرقُ الـلـقـيـا وتـرقـبـنـا
عـيـنُ الـوشـاةِ، فـلا نـامـت إلـى الأبـد
مـا بـالُ عـينِ الحسـود الـدهـرَ ترصدُنا
تـبـت يـــداهُ وعـانـــى حـرقـة الـكَـبـد
أُحِـــسُّ دونـــكِ بـالحـمُّـى تُـعـكِّـر لـي
صفو الحـيـاة عـلـى مـا كـان مـن جَـلَـدي
تـهـواكِ نـفـسـي إذا مـا رحـتُ أصـرفـهـا
خـلاف مـا تـشـتـهـي إلاَّكِ لـم تُـقَـدِ
حـتـى طـربـتُ وصـار الـكـون يحسدني
مـن أن ظـفـرتُ بـذاتِ الـديـن تُـرْبَ يـدي
لـولا الحـيـاء ولـولا الـديـن يعصمني
لـكـان لـي فـي هـواكِ الـيـومَ معتقدي
فـيـكِ الخـلالُ الـتـي تُـبـدي بـواكـرهـا
أصـالـةَ المـنـبـت المـرعـيّ بـالجَـهَـد

---

(١) يلاحظ أن القافية تدور بين الخبن والقطع.

إن كـان لـي فـيـكِ حـظٌّ قـد بـدا قمري

يـنـوِّرُ الـكـونَ مـن ظَـلْـمـاءِ يـومِ غـدِ

نبني الأصـالـةَ بـل نسقي الـثـمـار معًا

مـن روضـة الحـب نـغـذوهـا عـلـى كبد

سَـلِـمْـتَ يـا سـاكـنَ الـبـطـحـاء فـيـكَ نـدًى

تُـنْـدي رذاذاتُـه مـا جَـفَّ مـن جسدي

أنـا المـريـضُ وعـنـدي فـيـك مُـطْـلـبـي

هـلاَّ سـعـيْـتَ لأشـفـى فـيـكَ يـا وعـدي

٢٨/٤/١٩٩٥م الخرطوم

****

٦ - رفقة السوء

[الوافر]

يـقـول لـيَ الـرفـاقُ ألاَ تـأنَّـى
وتـنـفـقُ بـعـضَ وقـتـك فـي الـغـوانـي
وتـشـربُ فـي صِـبـاك ولا تُـبـالـي
بـكـأسٍ كـان سُـكْـرك أم بـثـانِ
وتـتـرك مـا دأبْـتَ عـلـيـه دومًـا
لـتـبـلـغ جـاهـدًا سُـبُـلَ الأمـانـي
تُـضِـيـع شـبـابـك الـورديَّ جَـهْـدًا
بمـا كـلَّـفْـتَـه عِـظَـم المـعـانـي
وتجـري دائـمًـا مـن غـيـر وَهْـنٍ
كـأنَّـك فـاتحٌ أرضَ الـشَّـشَـانِ
أقـول: فـإنـكـم تـرضـون عـيـشًـا
أذلُّ مـن الـبـهـائـم فـي الـقِـران
عـزيـزُ الـقـومِ لـيـس لـه فـراغٌ
يُـضـيِّـعُ فـي المـراقـصِ والـدِّنـان
فـإنـي مـن سـلالـة قـوم مـجـدٍ
أبـتْ هـامـاتـهـم عَـيْـش الـهـوان
وإنـي أسـتـغـلُّ فـراغ وقـتـي
بـشـأنِ الأهـل أو أدبِ المـثـانـي
كـذاك يـقـول ربِّـي فـي المـثـانـي
فـإن تـسـتـغـفـروا لـكُـمُ جِـنـانـي

نظمت يوم ١٩٩٨/٤/٣م أنجمينا

****

٧ - الحنين

[البسيط]

إنـــي ذكـــرتـــكِ يـــا نـــعـــمـــاء مشـتـاقـا

والـــقـــلـــبُ يـــخـــفـــقُ إجـــــلالًا وإشـــفـــاقـــا

والـــنـــفـــسُ مـــن حـبـكـم تـصـفـو ويصـقـلـهـا

قـــلـــبٌ يـــحـــنُّ إلـــى الأحـــبـــاب تـــوَّاقـــا

لـم يَـحْـلُ مـن بـعـدكـم طـيـبُ الـحـيـاة وقـد

لـــذت مـــعـــايـشـــنـــا بـــالـــقـــرب إغـــداقـــا

حـتـى ظـنَـنَّـا وكـــان الأُنْـــسُ يشـمـلـنـا

والـــــودُّ يـــجـــمـــعـــنـــا، والـحـــبُّ دفـــاقـــا

أن الـحـــــوادث قـــد نـــامـــت نـــواظـــرهـــا

مـــنَّـــا، فـــكـــان غـــــراب الـــبـــين نـــعَّـــاقـــا

يـــومًـــا فـــصـــبَّـــحـــنـــا بـــالـــبـــين مـــبـــتـــهـــجًـــا

أن لا مُـــقـــامَ، فـــكـــان الـــعـــزم إخـــفـــاقـــا

لـيـتَ الـــفـــراقَ مـــن الأحـــبـــاب مـنـعـدم

ولـــيـــت لـــي لـــقـــطـــار الـــبـــين إعـــواقـــا

لم أدرِ مـا الـبـين حـتـى صـافـحـونـي ضـحًـى

فـــكـــان تـــوديـــعـــهـــم إيَّـــــايَ إطـــراقَـــا

لـــو أمـــســـكـــوا طـــرف الـمـنـديـل فـــي أثـــري

ولـــوّحـــوا لـــكـــفـــانـــي ذاك إشـــفـــاقـــا

لكنهم أطرقوا إطراقَ محتسبٍ
لله مرتقبٌ في البين رقراقا
ففارق القلبُ مني أهل مرحمةٍ
لهم أكون طوال العمر مشتاقا
ليت المنايا تُناجيني وأقْبَلها
ولا يكون وداعٌ منكِ فرّاقا
قد كنت من قبل أرجو البين معتقدًا
أن التفارق يُبْدِي الحُسْنَ أنساقا
فالآن قد بانَ ما أجحفتُ من طلب
فيه الفراقُ ويَبْقَى الوصل دَهْداقا
وصِرتُ في بلد، لا مَن يشاطرني
فيها، وكان هناك الشمل رفّاقا
أهيمُ لا أشتفي مما يُخالجني
حتى يكون خيالٌ منكِ طرّاقا
لا يسكن الروع مني حين أذكركم
قلبي يفرّ من الأضلاع خفّاقا
تكاد تقتلني الأشواقُ يدفعُها
مني خيال من الأحباب برّاقا
إن غرّد البلبلُ الصداحُ يطربني
حسبْتُ ذاك من الأحزان مزّاقا
وإن تثنّتْ مع الإيقاع يوم ضُحَى
قسيمةُ الحسن بي، ما حَرّكَتْ ساقا

لـم ألـق دونـكِ أسـبـاب الـهـنـاء ولا

طـابـتْ مـجـالـسـنـا يـا نِـعْـمُ إشـراقـا

والـنَّـومُ فـي غـرفٍ زالـت مـونِّـسُـهـا

ممـن يـكـون لـهـا أُنـسًـا وتـريَـاقًـا

كـالـنَّـوم فـي خِـيَـمِ الأعـراب هـدهـدهـا

ويمـلأ الـروحَ إبـهـاجًـا وأشـواقًـا

مـتـى يـعـود عـزيـزُ الـنـفـس يُـسـعـدنـا

ريـحٌ تُـقـلِّـع أوتـادًا وأعـلاقـا

حررت يوم ١٩٩٨/٨/٧م

أنجمينا - تشاد

****

٨ - الألم الدائم

[الوافر]

إلـــى ألـــمٍ ومـــن ألـــمٍ مـصـيـري
فـمـا أدري غُـــدوِّي مـــن رواحـــي
ومِـــن صـغـرٍ إلـــى كـبـرٍ أعـانـي
مـصـائـبَ قـد مـلـلـتُ بـهـا كـفـاحـي
كـــأنّ سـهـامـهـا لـمـا تـعـنّـت
قـنـابـلُ فُـجِّـرت فـي قـصـرِ (طـاح)
فـظِـلْـتُ أذودهـــا حـتـى تـثـنّـت
قـنـاةُ عـزائـمـي وعـدِمْـتُ راحـي
سـئـمـتُ مُـصـابـهـا والخـطـب هـمٌّ
يـــروح ويـغـتـدي مـــن كـل ســاح
ورُحْـــتُ إذا نَـدَبْـتُ سُـــرَاةَ قـومٍ
أجـــاء بـك الـهـجـين إلـى الـصُّـراح؟
قـضـيْـتُ عـواتـق الأيـــام عـمـري
فـمـا أدري غُـــدُوِّي مـن رُواحـــي
فـلـسـتُ مـبـالـيًـا عـن قـولِ لاح
عَـرَفْـتُ هُـدى الـسـمـو مـع الـصـلاح
ضَـــرَبْـــتَ مـشـارق الآفـــاق أبـغـي
جـحـاجـح تـبـتـنـي قـصـر ارتـيـاحـي

دفعت عظائم الأحداث جَهدي

تساقط، ما لبستُ لها وِشاحي

لمحتُ بوارقَ الأيام تحكي

رويدَكَ، ما بلغتَ ذُرى الفلاح

بُليتَ مصارع الأحداث تترى

تبيد، وما يبين لك انشراحي

أراك تصافحُ الأمجاد تعلو

وما في الخلق من يرجو امتتاحي

ثلاثُ عقودِ عهدك قد تقضّت

وحتى اليوم أنت من الطُّلاّح

فقلت، أمامكِ الآنام تحكي

بأنَّ ليَ النّجاح مع النجاح

وقد يجدُ الخطيبُ رجال بأسٍ

بغانيةِ العفافِ عن السِّفاح

كذاك مشاهِدُ التاريخ تروي

سباق ذوي المروءة في الصلاح

وتاريخُ الشباب إذا تزيّا

رِدا العَلْياء حُقَّ له امتداحي

١٩٩٤/٥/٥م ميدغري – نيجيريا

****

٩ - تناقض الأخلاق

[البسيط]

في الناس يا قومُ إنسان تُضاهي به
أضعافَ من أنجبتْ في الأرض حواءُ
صَدْقٌ صَدُوقٌ كأنّ الصُّحْبَ شِيعتُه
والرسلُ قدوته لم تثنهِ لاءُ
لا يقذف الكِلْمة العَوْرَاءَ من غضبٍ
لسوءِ فِعْلٍ وإن مسّتْه ضرّاء
ولا يجازي ذوي الإحسانِ مأثمةً
كيلا يكونَ كمن في عقله داء
لو تبتليه طوال الدهر مختبرًا
وجدته صادقًا ما فيه شنعاء
مواسيًا للأُلى صانوا كرامته
أيّامَ كان فقيرًا ما له شاء
ومنهُمُ من إذا قلّبْتَ معدنه
وجدته قِربةً لم يَرْضَها الماء
إن شئتَ مزّقْتَها من غيرِ ما أَسَفٍ
أو شئتَ أبقيْتَها أو قُلْتَ: جوفاء
لا يُحسِنُ القول إلا حين تدفعه
لُعَاعَةٌ من ذوي الإكرام برْشاء

لا يـعـرفُ الـصـدقَ إلا أنـه سَـفِـهٌ

وأنّـــه بـفـواتِ الـغُـنْـم مَـشّـاء

تـــراه مـبـتـهـجًـا مـن فـاقـةٍ نـزلـتْ

بـــدار أصـحـابـه تـعـلـوه سـرّاء

١٢- يُـؤَلِّـبُ الـنّـاسَ إن ضـاقـت بـه سُـبُـلٌ

كـيـلا تَـحُـلَّ عـلـى الأصـحـابِ نَـعْـمَـاء

لـذا يُـلَـوِّنُ لـلأصـحـاب سـيـرتَـه

كـمـا تَـلَـوَّنُ فـي الأشـجـار حِـرْبـاء

فـذاك بـالـصـدق مـفـطـورٌ تـلـوذُ بـه

إذا غَـشَـتْـك مـع الأيـام حَـوْبـاء

وذا يُـزخـرف فـي الأقـوال لـيس لـه

مـن بـعـض مـا تـدَّعِـي الأقـوامُ إطـراءُ

نظمت يوم ١٩٩٨/٦/٢٤م

أنجمينا - تشاد

***

١٠ - الغنى أو الفقر[1]

[البسيط]

هـذي المقـادير يـا قـومـي فَنحضنُها
أم سـنَّـةُ الـلـهِ فـي الأرزاق تبنينا
أن نـحـرثَ الأرضَ والأنـعـامَ نحفظها
ونـنـشـر الـعـلـم تـهـذيـبًـا وتحسينا
ونمنـع الـقـطْـعَ فـي الأشـجـار نتركها
ظـلاًّ ظـلـيـلاً مـن الـرمـضـاء يـأوينا
ونُـغـلِـقُ الجـوَّ والأنـهـارَ نحرسها
مـن الـعـدوِّ، أشَـرِّ الخـلـق تكوينا
عاشوا على الأرض أعوامًا وقد علموا
أنَّـا مـع الـفـقـر مـا زلـنـا يـعـادينا
قـالـوا: نبثُّم على أرضٍ يُحيط بها
فـقـرٌ، فـقـلـنـا: كـذبـتـم ذاك يكفينا
لا فَـقْـرَ فـي أرضـنـا الـيـمـونُ حارسُها
وإنَّمـا الـفـقـر مـن صُـنْـع المُـرَابـيـنـا
قـد أرهَـقَـتْـنـا ديـونُ الـغـرب يُلزمنا
بـأن نـردَّ إلـيـه الـقِـرْشَ عشرينا
وإن حَـبَـوْنـا بـقـايـا الأُرْزِ فـي سَـغَـبٍ
صـارتْ مـنـائـحـهـم لـلـنـمـل تمـوينا

---

(١) قيلت بمناسبة خطاب رئيس الجمهورية/ إدريس دبي في مدينة ماساكوري في شهر يونيو١٩٩٨م، ١٩٩٨/٧/١١م أنجمينا - تشاد.

لـم نـدرِ مـا الـوُجْـهَـةُ الـلاتـي تـكـون بـهـا
وصـــار إحـسـانُـهـم لـلـفـقـر تمكينا
لا خـيـر فـي مـوطـن الأحـــرار إن عُـقِـدتْ
حـريـة الـقـوم فـي شَـحْـذِ الـمـلايـيـنـا
أنـبـتـغـي الـقـوتَ مـن أصـقـاعَ نـائـيـةٍ
والمـــاءَ نـطـلـبُـهُ - يـا قـومُ يـكـفـيـنـا -
وتحـــت أرجـلـنـا الأنـــهـــارُ جـاريـةٌ
وفـــوق هـامـاتـنـا الأمـــطـــار تـرويـنـا؟
يـا أيـهـا الـشـعـب إن كـانـت لـكـم أُذُنٌ
تُـصـغـي لأحـســنِ أقـــوالِ المحـامـيـنـا
فـالحـقُّ مـا قـالـه إدريـــس[1] قـائـدنـا
إنـــا عـبـيـدٌ إذا كـنَّـا مـديـنـيـنـا
هـيَّـا لـنـخـرج هـــذا الـنـفـطَ مـنـدفـعًـا
ونَـعْـمُـرَ الأرضَ بُـنْـيـانًـا وتمـديـنـا
إنَّـــا عـزمـنـا عـلـى اسـتـخـراج معدننا
وإن أبَـــى عُـمُـلاءُ الـشـعـب تـعـديـنـا
فـفـي الحـــدود جـنـودُ الحـق تحرسنا
وفـي الحـقـول أُسُـــودُ الـغـاب تحمينا
فَـلْـيَـهْـنَـأ الـشـعـبُ إذ راحـــتْ قـيـادتُـه
تُـطـهـر الأرضَ مـن ســوء الإداريـنـا

****

(١) إدريس: هو الجنرال إدريس دبي رئيس جمهورية تشاد ما زال يحكم تشاد منذ الانقلاب الذي قام به وأزاح الرئيس حسين حبري وفر إلى الجزائر.

١١ - نشيد / عمّار

عـمّـار يـا حبيبْ قـلـوبـنـا تـهـيـبْ

مـيـلادك العجيب وكـلـنـا نجيب

ذي ثمرة النضالْ

ذي ثمرة النضالْ

ذي ثمرة النضالْ

عـمّـار يـا عـمّـارْ قـلـوبـنـا تَخْـتَـارْ

لشخصك المختارْ بـحـبـهـا المـدرارْ

يـا طلعة الـهـلالْ

يـا طلعة الـهـلالْ

يـا طلعة الـهـلالْ

عـمّـار يـا صغيرْ جـعـلـتـنـا نـصـيـرْ

نُـسـالـم الحقيرْ ونـرحـم الـكـبـيـرْ

لـنـبـلـغ الـكـمـالْ

لـنـبـلـغ الـكـمـالْ

لـنـبـلـغ الـكـمـالْ

عـمّـار أنـت قـدوه لجـيـلـنـا وأسـوه

كـيـاسـرٍ وزوجــه وابـنـهـم وصـبـره

ومـثـلـهـم بــلالْ

ومـثـلـهـم بــلالْ

ومـثـلـهـم بــلالْ

وأنــت يـا عُـمَـيـزْ قد جئتنا عُصَيزْ

مـن يومنا الأخيزْ كـمـا أتــى عُـذَيـزْ

لـتُـصْـلـح الـفـعـالْ

لـتـصـلـح الـفـعـالْ

لـتـصـلـح الـفـعـالْ

قـد جئت يا عمارْ لـتـعـرف الأســرارْ

فـي عـالـم مـحـتـارْ يـسـوده الأشــرارْ

أخـيـارهـم أنــذالْ

أخـيـارهـم أنــذالْ

أخـيـارهـم أنــذالْ

تـعـال يـا عـمـارْ لـنـغـمـر الـقـفـارْ

ونـعـبـر الـبـحـارْ ونـرفـع الـشـعـارْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

عمار يا عمارْ/ عمار يا عمارْ

****

١٢ - أغاني المدن

[الوافر]

أغـانـي المـجـدِ يـرسـلُـهـا فـؤادي
إلـى شـتـى المـدائـنِ مـن بـلادي
مـدائـنُ شُـيِّـدت فـي عـهـد عـزٍّ
وقـاهـا الـلـه مـن شـرِّ الأعـادي
مـدائـنُ حُـرِّرت مـن عـهـد قـهـرٍ
لـطـاغـي الـدهـر مـذْ (إرْمٍ وعـاد)
فـمـن تـلـك المـدائـن (أُمُّ حَـجْـرٍ)[1]
كـأنّ رمـالَـهـا فُـرشُ المـهـاد
عـروس الـوادِ لـم أخـطـبْ سـواهـا
ولـيـس لـدونـهـا أبـدًا ودادي
عـزيـز الـنـفـس مـن يـحـمـي حـمـاهـا
ويـطـلـب ودَّهـا قـبـل الـتّـفـادي
عـلـى أحـضـانـهـا أممٌ تـآخـت
وفـي أرجـائـهـا عِـظَـمُ الـبـوادي
عـلـى هـذا الـتـراب قـد اشـرأبّـتْ
نُـهَـى الأجـيـال، مـا شـغـفـت فـؤادي
أأم حَـجَـرٌ رُبـاكِ لـهـا مـعـانٍ
تـصـوغ لـشـعـبـهـا سُـبُـلَ الـرشـاد

---

(١) أم حجر: مدينة تشادية موغلة في التاريخ وأشاد الشاعر بآثارها وحضارتها.

أصـــوغ لـوصـفـهـا دُرَرَ المـعـانـي

تَـــآلَـــفُ مـــا يـــجـــفُّ لـــهـــا مـــدادي

فـمـن رام الـسـكـيـنـة عـــاش فـيـهـا

ومـــن جـــاب الـبـطـاح رأى مـــرادي

نظمت يوم ١٩٩٨/٥/٣١م

أنجمينا – تشاد

****

١٣ - الثورة على الجهل

[البسيط]

حُسنَى المعالم يُجْلِيها أُولو ثقةٍ
بالنفس لم تستطعْ إغواءهم أممُ

ثاروا على الجهل والتجهيل حين أبى
أضعاف أضعافهم، فالخالدون همُ

لم يشتكوا ألمًا كَيْما يخالطهم
وهنُ الضعاف ولا زلّتْ بهم قدم

وجرّدوا السيفَ سيفَ العلم في شعَبٍ
كان التخبطُ في أهدافه شِيَمُ[1]

كما تجرّد سيفُ الله في أمم
كانوا من الدين في حرْفٍ ولم يَهِموا

حتى أقاموا - وفي الأوطان - غيرُهُمُ
منارةَ العلم، فَهْي اليومَ تختتمُ

إنجاز ما قدمت أبطالُها فغدتْ
حصنَ الحضارة، زالت دونها القمَمُ

يا مبعث النور هل يرضيك أن لنا
في الليل والصبح من ذكراك مبتسم

يا قلعةَ العلم هل لي فيك ممتدحٌ
فالمدحُ قد ترتضيه الغُرب والعَجَم

---

(١) الصواب: شيما.

إنـــي وهـبـتـك هــذا الـــدُّرَّ مـتـسـقًـا

كـالـعـقـد فــي عـنـق الـحـسـنـاءِ يـنـتـظـم

مـا أجـمـل الـنـظـمَ والإنـشــادَ مـا نُـثـرتْ

مـنـك الـعـلـوم، وهــذا الـجـمـع يـقـتـسـم

يـا رايــةَ الـعـلـم سـيـري لـلـعـلا قُـدُمًـا

لـطـالـمـا قـــادك الأعـــلام، لا الأكَـــمُ

رعــايــة الـلــه كــانــت فــوق رايـتـكـم

وهـــل تُـنـكَّـس رايٌ قــادَهــا عَـلَـمُ؟

☆☆☆☆

مـسـتـودع الـعـلـم يـحـيـيـنـا ووا أسـفـا

أن لا يـــزال عـلـى أذهـانـنـا سـقـم

إلامَ يـا قـومُ أن نـبـقـى عـلـى جـهـل

ومـبـدأ الـعـلـم فـيـنـا (نـــونُ والـقـلـم)

هـل يـصـلـح الـنـاس مـرضـى لا شـفـاء لـهـم؟

ولا شـفـاء إذا جـهَّـالـهـم حـكـمـوا

كـم مـن مـكـائـدَ قـد حِـيـكـت ووا أسـفًـا

فـي إخـــوة بـيـنـهـم أنـســابٌ أو حـرمُ

كـــم مـــن مـــخـــدَّرة بـلـهـاء سـاهـيـة

لـم تـدرِ مـا الـفـحـشُ إلا اصـطـادهـا الـوَجَـمُ

فـدُنـسـت فـي خـبـاء الـطُّـهـر حـيـن جـنـى

مـن لا يـخـاف عـلـيـهـا والـــورى صـمـمُ

كـم مـن حـلـيـلـةِ زوجٍ لـيـس يـظـلـمـهـا

إلا تـــودّد فـــي إغـوائـهـا الـحَـشَـمُ

كـم مـن خطيبة حُـبٍّ كـاد يُمهرها
إلاّ تـبـين أن الحـبّ منقسم
فـالشطر مصطنع كـي لا يخالجه
وهْـمُ الشكوك، وفـي ثانيهما الخدمُ
أيُبتنى البيت من أوهـامَ كاذبةٍ
لـولا التراحمُ راح العقد يَنْفَصِمُ؟
عـرائسٌ لم يدم في شهرها سَعَدٌ
إذا بها يتدبّى خلفها الندم
وهكذا يتعرّى البيت عن قيم
فيها الوداد وفيها الحب منخرم
هـذا على الضرب مجنون يتيه به
وتلك أفضل من إبقائها العدم
إن جاء من شأنه لا يستكين لها
وهْـيَ العبوس تناهى عندها السأَمُ
لـم تنتصب صُعُدًا إلا مدافعةً
بالغشّ والنهب، أو في الجنس تَختصم
إن قيل بالدار نهب ليس مقتسمًا
تهافتت عنده الأشـرافُ والقزمُ
لا يشتكي أحدٌ منا على أحدٍ
إلا على تُهمٍ من خلفها تهمُ
كـأنّما عُمّيت أبصارنا وكفى
أن تستوي عندنا الأنوارُ والظّلم

شتانَ ما بين شعبٍ ظلَّ مرتهنًا
للجهل، في وهدةِ الآثام يرتطم
وبين شعبٍ رأى في العلم غايَتهُ
فسار مندفعًا تقتادُهُ هِمم
فاستعمروا الكون إذ صِيغَتْ مناهجهم
على دلائل قولِ الله، وانتقموا
منَّا، وكانت عُرى الإسلام تجمعنا
ومسرح الكون في قرآننا نِعَم
فَادَّارك الغرب ضَعفًا ظل يرقبهُ
فينا، فأصبح مرعانا له طَعَم
إذ أصبح الجيلُ فينا جيلَ مفسدةٍ
وأصلح الناسَ فينا الصُّمُّ والبكمُ
يا خيرةَ الشعب هبوا من رقادكم
فقد طغى الجهلُ وازدادت به النِّقَم

☆☆☆☆

ما هذه الفرحة اللاتي نُشيد بها
إلا بداية تخطيط الألى عَلِموا
أن المكارم لا تُبنى على جَهَلٍ
كما الفضائل لا تأتي بها اللُّؤَم
جيلُ المعارف كونوا للورى رسلاً
تبشرون أناسًا ما لهم حِكَمُ
يا فتيةَ الخير إني لا أرى حَكَمًا
كالعقل والعلم فيمن كان يحتكم

فَلْنَنبُذِ الجهلَ والتفريقَ والفتنا

والعنصرية، يا فتيان واعتصموا

بالدِّين، فالشعبُ لا يرضى لكم أدبًا

ما لم يكن زانه الإسلام والقيمُ

(نظمت بتاريخ ١٩٩٨/٦/٢٤م

بمناسبة احتفال جامعة الملك فيصل بأنجمينا - تشاد

بخريجيها للمرة الأولى وذلك يوم ١٩٩٨/٦/٢٥م)

****

١٤ - سودان التَّوالي

[البسيط]

سـودانُ يـا مـوطـنَ الأحـبـاب إنَّ لنا
ذكـرى تـعـاودُ فـي أذهـانِـنَـا الـطَّـرَبَـا
كـم فـي ربـوعـكَ متَّـعـنـا نـواظـرَنـا
حُـسـنًـا يـضـارع فـي تـأثـيـرِهِ الـذَّهـبـا
وفـي ضـفـافِـكَ جـنـاتٌ مـرصَّـعـةٌ
يمـشـي الـعـلـيـلُ عـلـيـهـا لا يـرى تـعـبـا
إن حـاصـر الـدهـر مـن أحـداثـه أحـدًا
رامَ الـسـكـيـنـةَ فـيـهـا، والـغـنـا طـلـبـا
جـنـائـنٌ لـم تـدعْ مـن حـسـنـهـا هـرِمًـا
إلا اسـتـعـاد هـوَى الأحـبـاب واصـطـحـبـا
بـدائـعٌ أتـقـنَ الـرحـمـنُ صـنـعـتـهـا
لا لـغـو فـي ظـلـهـا دومًـا ولا لـغـبـا
يـرتـادُهـا الأعـزبُ المحـتـار فـي وَلَـهٍ
وصـاحـب الـزوج فـيـهـا يـحـسـنُ الأدبَـا
تحـنـو عـلـيـهـا الـعـذارى فـي مـحـاسـنـهـا
حُـنُـوَّ عـاقـرةٍ قـد أنجـبـت (وَهَـبـا)
ولـلـولائـدِ وَالـولـدانِ مـرحـمـةٌ
يـلـهـونَ فـي حـجـرهـا لـم يـشـتـكـوا وصـبـا

☆☆☆☆

سـودانُ يـا ممسكًا بـالـذّيـن كنت لنا

رمـزَ الـفـداء وصـرتَ المـارد اللجبا

إن الـقـرارَ الـذي حـررتـه لـهـبٌ

يُـكـوى بـه كـل مـن يستنجد الـغُـرَبَـا

لـكـنـه نِـعَـمٌ لـلـشـعـب دانـيـةٌ

مـن كـل فـرد حمـى الإسـلام واحتسَبا

ظـلُّ الـسـيـاسـة ممـدودٌ فـقـصُـرهُ

أن يـأخذ الـشعبُ فـي أمصـاره السَّبَبا

أفِـي اتِّـخـاذك مـنـهـاجًـا تُـديـرُ بـه

أمـرَ الـبـلاد، يـصيح الـغـرب منتَحبًا

أيـن الـعـدالـةُ يـا غـربُ تـهـددنـا

إذا امـتطينا حـصـانَ الـعـزِّ محتسبا

أيـن الـعـدالـةُ يـا غـربُ تُحاصِـرنـا

إذا اتـخـذنـا قـرارًا لـيس منشعبًا

أن يـأكـلَ الـشـعـبُ ممـا كـان يـزرعـه

ويَـلْـبَـسَ الـقـطـنَ مـا فـي صـنْـعِـه دَأَبَـا

☆☆☆☆

سـودانُ يـا مـنشئ الـدَّبَّـاب فـي وطـن

سيقت عليه الـقُـوى فـاستعذب الـكُـرَبَـا

(جُـوبَـا) تُـنـادِي وَلـيـت الـشـرق يسمعُها

والـغـربُ مـن ذعـره يستكثرُ الخُـطَبَـا

لـبَّـيْـكِ (جـوبـا) فـحـزبُ الـلـه مـا غُـلِبتْ

قُـواتُـه، مـا الـتقى الجـيـشـانِ واحـتـرَبـا

(جوبا) تنادي وصوتُ النصرِ يطربُها
والشرقُ في نومه لم يسمع الطَّرَبا
إنَّ الخوارجَ في الإسلام حُكْمهم
نفيٌ وقطعٌ وساء القتل مرتقبا
إن كان ذا فكذا، أو ضعفه وكفى
لمَّا أتوا حتفهم قد أصبحوا سلَبا
(جوبا) أضفتِ إلى الإسلام ملحمةً
قد سطَّرَ الغربُ من آياتها كتُبا
إنْ كان للدهر في أحداثِه نسب
فإن في يوم بدرٍ منكِ منتسَبا

☆☆☆☆

سودانُ يا موطنَ الإسلام دمتَ لنا
فخرًا يعانقُ في مشروعه السُّحُبا
مشروعُ حكم رأى الأعداء غايته
أن يوقفَ المسلمون الغش والكذبا
أعلنْتَه في بني الإسلام قاطبَةً
وقلت للغربِ: يكفي حُسْنُ ذا دَأَبَا
خير البلاد بلادٌ ليس يحكمَها
إلا توالٍ من الرحمن قد وَجَبَا
هذا التوالي رضينا أن نحكِّمَهُ
فينا، وننبذ أحزابًا غدت شغَبا
لا للتحزب والإسلام يمقته
حكم الشريعة شورى، فاتركوا اللعِبَا

لا نبتغي نُظُمًا رعناء واهيةً
تكلف الشعب في أوطانه حُزُبا
قالوا نظامٌ جديدٌ في تفرده
بالزُّورِ تحكم فيه النملة النُّقَبَا
قلنا لدينا - بني الإسلام قاطبةً
نصٌّ يشاور في حكامه الشعَبَا
لا حزب في نُظُمِ الإسلام إن لنا
شورى تحدد من يستجمع اللقَبا
لا فرق في ذاك بين العُرْبِ والعُرَبَا
والبيضِ والسودِ في التشريع، ذا كُتِبَا
إنا أبينا نظام الغرب نرفضه
ما كل ما يُهتدى يستجلب العجَبا
ليس العجيب من الأعداء تمنحنا
شرًّا يرادُ به أن نأكل الحطَبا
وإنما العجب المفضي إلى عجبٍ
أن نحسبَ الشرَّ منهم خيرَ ما جُلِبا

بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢٩م

أنجمينا - تشاد

****

١٥ - أقمار الخير ورسله[1]

[الطويل]

لـك الـعـزُّ مـا أنـفـقـتَ يـا شـعـبَ زايـد[2]

فـقـد كـنـتَ مـرجـوًّا وقـد كـنـتَ تـدفـع

فـلـو كـان فـي الأقـوامِ شـعـبٌ يـهـمّـهُ

- كـمـا هـمُّـكَ - الإحـسـانُ مـا هـبّ زعـزع

أيـا زائـدَ الخـيـر الـرفـيـع مـكـانُـه

سـمـوتَ فـلـم تُـدركْ وخـيـرك مَـهْـيَـع

كـمـا الـشـمـسُ تـبـدو لـلـعـيـانِ بـعـيـدةً

ولـكـنَّ نـور الـشـمـس فـي الأرض يسطع

كـذاك أُولـو الإحـسـانِ يـعـلـون فـي الـعـلا

وخـيـرهُـمُ دانٍ عـلـى الـنـاس يَفْـرَع

فـأشـرقـتِ الأنـوارُ مـن كـوكـبٍ دجـا

سـرى، دونـه الأقـمـار تـسـري وتَـتْـبـع

سنا الشرقِ قد ضاءت بك، الشاد، تبرقُ

ومـن قـبـلُ كـانـت (شـادُ) بـالـشـرق تلمع

إذا جَـفَّ مـنـهـا - آل نَـهْـيـانَ - منبعٌ

مـن الخـيـر مـنـكـم جـادهـا بـعـدُ منبع

---

(١) نظمت هذه القصيدة بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٩م، وهي قصيدة شكر وتقدير لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة بوجه عام، ولسمو الشيوخ: سرور وسيف وطحنون أبناء محمد آل نهيان، ولرسوليهما الكريمين خلف المهيري وجوعان المزروعي إلى تشاد بوجه خاص.

(٢) زايد: سمو المرحوم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله ثراه.

أبَـى المجدُ أن تبقوا - وأنتم أعـزَّةٌ -
علـى نـاطـحـات الـعـلا، لا تَـصَـدَّع
وسـرتم إلـى الـعـافـين لـيـلا يـقـودكـم
عـفـافٌ وإقـدام وفـضـل مـوسَّـع
طُبعتم على الإحسان من قبلُ طبعة
فصرتم هوى الكتاب والناس تطبع
إذا اخترمتْ أحداثُ دهرٍ أعزةً
قصدناكُمُ - يا آل نهيان - نطمع
فإن كانت الأرحامُ تدنو محبةً
فقد كان حبلَ الدين أدنى وأنفع
فإخوانكم في الدين لم يَقْوَ جَدُّهم
حديثًا، فصار الفقر يرمي ويصرع
فيا آل نهيانٍ جُبِلتم مودةً
فكنتم رُؤى الأحباب في القلب تترع
ثلاثةُ أقمارٍ تتابعْن خِلْفةً
علينا، فصارت (شادُ) بالخير تسطع
سرورٌ وسيفٌ[1] للعُلا ليس يَكْهَمُ
وطحنونُ خيرٍ، ثالثٌ لا يُزَعْزَع
سرورٌ سرى للناس ليلا يسرُّهم
فغنَّت له نفسٌ ونفسٌ توقع
وسيف العلا ماضٍ على الناس فعلُهُ
جوازمُهُ إن طالتِ الفعلَ تقطع

(١) سرور وسيف وطحنون: من رجالات دولة الإمارات من آل نهيان ومن اصحاب الأيادي البيضاء في افريقيا.

وطحنونُ - لا مَسَّتْهُ في الدهر كربةٌ -
فقد كان يُعطي الخيرَ و(الشادُ) ترضع
أضأتم سماء (الشاد) بالخير تزدهي
فكنتم لها أنوارَ هَدْيٍ تَشَعْشَع
فإن ضاء منكم كوكبٌ ضاء بعده
كواكبُ خيرٍ ليس فيها تَبَرْقُع
رسولُكُم في (الشادِ) شادٍ إلى العلا
وهادٍ إلى الخيرات ما كان يزرع
أيا خَلَفٌ خَلَّفْتَ ذكرك عندنا
بما كنت تملي منك خيرًا وتبدع
وَصَلْتَ بحار الخير، خيرًا مدَدْتَهُ
إلى (الشاد) ترعى في مداه وترتع
ومستكشف أنت المهيريُّ[1] في الورى
بلادًا بها فقر يعض ويلسع
تلطفت حتى كنت كالمُهْر منظرًا
ووجهُك وضّاحٌ وقولُك يُسمَع
بُعثتَ رسول الخير في كل موضعٍ
وضعت به خيرًا، وما لك موضع
أمينٌ رعاك الله للخير راعيًا
فنفذْتَ ما يرجو الأنامُ ويطمع
وهل يكذب الأقوامَ رائدُ قومهِ
إذا كان خيرُ الفرع للأصل يرجع

---

(١) المهيري وجوعان: رسولا الخير إلى تشاد من قبل آل نهيان.

رسـول الـرضـى فـينـا، رضـيـنـاك جملةً

فقد كنتَ روضَ (الـشـادِ) والـشـادُ بَلْقـع

فـإنـا لـنـرجـو أن تـكـونَ خـلالـنـا

لـتـكْـمـل مـا خـطَّـت يـــداك، فـنـهـجـع

وثـانـي رسـولِ الخـيـرِ (جـوعـانُ) عندنا

فـقـد كـان مـرتـادًا لـنـا، الخـيـرَ يصنع

ومـن سـمَّـهُ (الجـوعـانَ) لا شـك أنـه

رأى فـيـه ضـدَّ الـشـيء بـالـشـيء يُدفـع

فكان لنا خيرًا - ولا جُـوعَ فـي اسـمه -

وكـان رسـولَ الخـيـر، والاسـمُ مُشْـبِـع

رســولانِ كـانـا فـي الـبـلاد مـحـبـةً

فـصـارا حـديـثَ الـنـاس فـي الـنـاس يشفع

****

١٦ - نعم الوُلْدُ والنسل[1]

[البسيط]

أرضُ الإمـــاراتِ راعٍ والـــورى نِـعَـمُ
فـحـبّـذا الأرضُ والإنـســانُ والـنُّـزلُ

رضـا الجـمـاهـيـر فـي (شـــادٍ) يُـغـالـبـه
سَـيْـبُ الإمـــاراتِ لـمـا ضـنَّـتِ الـدول

ســارت/ أبـو ظـبـيٍ/ غـريبًـا لـيس يعجبها
مـن كـان يـخـطـبـهـا، غـيـر الألـــى سـألـوا

فـيـهـا رجـــال إذا اسـتُـدعـوا فـآخـرُهُـم
يـخـتـار أوّلَـهـم بـالـخـيـر، مـا بَـخِـلـوا

ســاروا مـع الـمـجـد مـا كـلّـت نـفـوسُـهُـم
يـسـتـكـشـفـون أُنـاسًـا أرضُـهـم مَـحَـلُ

كـم مـن مـعـاهـدَ قـد شـيـدت عـلـى يـدهـم
كـم مـن مـدارسَ قـد شـادت بـهـا الأُوَلُ

مـن مـشـرق الأرضِ مـدَّ الـخـيـر رائـدُهُـم
مـن آل نـهـيـان نـحـو الـغـرب يـنـتـقـل

فـزايـدُ إبـنُ سـلـطـانٍ ومـن نـسـلـوا
مـن آل نـهـيـان، نـعـم الـوُلْـدُ والـنَّـسَـلُ

جـحـاجـحٌ وبـنـو مـلـكٍ لـنـا سـبـقـوا
بـالـخـيـر كـلُّ الـورى والـمـرتـقـى وَحَـل

---

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح المدرسة العربية الثانوية للبنين بمدينة أبشة والتي بنيت بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان - من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م.

يـا زائـدَ الخـيـر زادَ الـلـه فـيك سمًا
يـسـمـو بـه كُـلُّ مُـن إيـاك يـرتحـل
يـا آل نـهـيان مـا كـانـت لـ (لا) أبـدًا
مـواطـنٌ، حـين يُـخـذى الجـارُ والأهَـلُ
فـمـا أتـاكـم شـريـدٌ بـائـسٌ فَـزِعٌ
إلا عـطـفـتـم بـه والـكـون مـنشـغـل
وإنـكـم مـا نـهـيـتـم طـالـبًـا أبـدًا
يـا آل نـهـيـان والمـعـروف مُـرْتَـذَلُ
تجـري الـدراهِـمُ فـي أيـديـكُـمُ بَـدَدًا
لا المـالُ بـاق عـلـى الأيـدي، ولا الكسل
خَـلُّـوا فـضـائـلـكـم تحـكـي الأنـامَ ومـا
كـانـت أيَـاديـكُـمُ الـبـيـضـاءُ تعـتـمـل
فـفـي مـرابـعِ (أبْـشَّـا)[1] يُـراودنـا
سَـيْـبٌ لـطـحـنون[2] تلـميذِ الألـى وصـلـوا
سـكـانَ (أبْـشَّـا)، مـا عـاشـوا يدغدغهم
سُـمُـوُّك الـفـذُّ يـا طـحـنـونُ والأمـل
قـد أشـرق الـنـورُ غـربًـا فـي مدائـنـنـا
مـن شـمسِ طـحـنونَ، فـانـزاحـت لـه الشُّعَلُ
طـحـنونُ يـا طـاحـنَ الجـهـلِ الـذي صَـدِأتْ
بـه الـعـقـول فـمـا تـنـفـكُّ تـأتـكـل
مَـن مِـثْـلِ طـحـنـونَ فـي قـولٍ وفـي عملٍ
إذا ارتـضـى مـا يـرى، يـا حـبـذا الـرجـل

---

(١) أبشا: مدينة تشادية تقع جهة الشرق.

(٢) طحنون: طحنون بن محمد آل نهيان من رواد المنفقين في أفريقيا.

إن الـرجـالَ عـلـى شَـكْـلٍ سـواسِـيَـةٌ
لـكـن يـمـيـزهـم فـي الـفـضـل ذا الـعـمـل
بـنـى سُـمُـوُّك يـا طـحـنـونُ صَـــرْحَ عُـلا
لـم يَنْسَـه الجيلُ بعد الجيلِ، مـا انتقلوا
بَـنَـيْـتَ مـدرسـةَ الأولادِ فـي وطـن
لـم يـحـتـمـلْـهـا سـواك الـيـومَ مـحـتـمِـل
بـل زدت وقـفًـا لـهـا والـوقـف مـحـتـجـبٌ
والـوقـف مـاضٍ كـمـا جـاءت بـه الـرسـل
لـقـد سـنـنـتَ لأهـل الـخـيـر سُـنَّـةَ مَـن
لا يـبـتـغـي بـــدلاً، فـي فـعـلـه الـبـدل
بـنـيـتـهـا بـــديـــارٍ كـــان يـحـكـمـهـا
عـبَّـاسِـيُّـون بـهـدي الـلـه مـا انـخـذلـوا
دانـــت لـهـم دُوَلٌ بـالـحـق فـانـبـسـطـتْ
شـريـعـةُ الـلـه بـالإنـســان تـتـصـل
وذي بـنـاتُـك فـي (أبْـشـا) يُـراودِهـنْ
كـمـا يُـــراود حِـبًّـا سَـيْـبُـك الـعَـجَـل
أن تـبـتـنـي مـعـهـدًا لـلـعـلـم يـحـفـظـهْـنـ
ـنَ بـالـهـدى والـتـقـى، بـالـحـب مـشـتـمـل
وهـل يَـضـيـرك يـا طَـحـنـونُ مـا طـلـبـت
مـنـك الـبـنـاتُ وأنـت الـمـحـسـن الـبـطـل؟

نظمت بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٠م أنجمينا – تشاد

****

١٧ - عطاءٌ بلا منّ[1]

[البسيط]

خيرُ العطاءِ عطاءٌ ما له مِنَنُ
يرضى به الأفلُ والتاريخُ والوطنُ
مدحُ البهاليلِ لا مدحُ الألى انخذلوا
هل يستوي الروضُ في العَلْيَاءِ والعَطَنُ
هل يستوي من يُريقُ المالَ مرتقبًا
في الله محتسبًا، ما مسه وَهَنُ
ومن يُبَدِّدُ أموالَ العبادِ ضُحًى
لحُضْنِ غانيةٍ لم يَغْلُهُ ثَمَنُ
أعني سُمُوَّ الذي لم يُخْصَ نائلُهُ
مهما تكاثرتِ الأحداثُ والفتن
ذاك الذي ذهبت أموالُهُ بَدَدًا
من آل نهيان منه الخير مرتهن
لا يُمسك المالَ إلا رَيْثَ يَصْرِفه
حتى استوى عنده الإسرارُ والعَلَنُ
هذي مدينةُ (بلّ الطينَ) قد غرقت
من فيضِ جودِك حتى اغتاظتِ المِحَنُ
ثاني المساجدِ في (شادٍ) يُشيِّدُه
من آل نهيان طحنونُ الذي يزن

---

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح مسجد (بلتن) الذي بني بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان - من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٥/٢/٢٠٠٠م.

آلاف آلاف ممن قصّروا مُدَدًا
في سعيه للعُلا، تحدو به الفِطَنُ
بني المَعَالِي في شعب يُجمّعه
الله أكبرُ والقرآنُ والسُّنَنُ
من آل نهيان ساعٍ للعُلا بطل
في قمة المجد يعلو، دونه القُنَنُ
إن المساجدَ في (بِلْتِنْ)[1] يَعمُرها
من كان يَعْمُرُه الإيمانُ لا المُؤَنُ
لم يبق فيها سوى نقصٍ يُكمِّله
أن تبتني معهدًا للجيل يحتضن
وهل يَضيرك يا طحنونُ ما طُلِبا
وبحرُ جودِك قد ضاقت به السفن
حيًّا سُمُوَّك هذا الشعبُ مبتهجًا
إذ ناله منك ما لم يمحُهُ الزمن
إنا لَنرفَعُ للمولى أيادِيَنَا
أن يحفظ الله قومًا، ما لهم إحَنُ
ويمنحَ الشيخَ شيخَ الدولةِ النِّعَمَا
أعني سُمُوَّ الذي ازدانت به المُدُنُ
إذْ فَرَّقَ الخيرَ في الآفاقِ منتشرًا
فَسُرَّتِ النفسُ والعينانِ والأُذُنُ

****

(١) بلتن: مدينة تشادية ذات صبغة إسلامية.

١٨ - اعتزاز المسلم

[الطويل]

أنـا المسلم الشادي إليك تحيتي
سلامًا من الرحمن والبركاتِ
بها يسلم الباغي ومن خاف سطوتي
فإن أمان الخائفين صفاتي
ليَ العِزُّ في الدنيا وإن متُّ عقبتي
جِنانٌ تفوق الوصف والنُّعَتاتِ
أنا الليثُ إن نُوزِعتُ حقي وفي الوغى
أصُدُّ خميس الجيش بالطعنات
أنا الفارس المِغْوار إن نال من أخي
خِداشُ عدوٍّ، ما تلينُ قناتي
أنا السَّمْح في خُلْقي أنا السمحُ في الورى
أنا الضارب القاسي بحقِّ عِداتي
أعيشُ عزيزًا ما حييتُ ولو أبى
أكابرُ كُفْرٍ أن تُقامَ صلاتي
بها أتَّقي ربي ويخشانيَ العِدا
أنال جزائي يوم هاكَ وهاتِ
بذاك يُقامُ الدِّينُ عن أُسِّ أُمِّه
وينزاح عني من يجوب فلاتي

بـكـفٍّ أذودُ الـشـركَ فـي عُـقْـر دارهِ

وتـصـفـعُ أخـرى مـن يـروم شـتـاتـي

بني الكفر لا تبكوا على صَـرْح منهجي

فـإن مُـكـاءَ الـكـافـريـن أذَاتـي

لـيَ الـسَّـبْـقُ دون الـعـالـمين ومـن يرى

تـنـافُـسَ مـجـدي تـزدهـيـه بُـنـاتـي

عـلـيكم سـلامُ الـلـه يـا خـيـرَ فـتـيـةٍ

تَـسَـارَعُ صَـوْبَ الـمـارقـين أُبَـاةِ

لـهـا الـخـيـرُ كـلَّ الـخـيـرِ مـا دام عـزُّهـا

ومـا قـام شـرعُ الـلـه بـالـصَّـلـوات

نظمت يوم ١٩٩٢/١٢/٣٠م

****

١٩ - الهياكل النيابية

[البسيط]

يـا مـن يُـصـوِّتُ أو يُـدْلِـي بِـذِمَّـتِـه
هـلاَّ مَـنِ اخـتـرْتَ كـان الـنـائـبَ الـكُفْـئَـا

أتُحـسـن الـظـنَّ فـيـمـن كـنـتَ تـعـرفـهُ
ويُـحْـسِـنُ الـفـعـل مـا لـم تُـعـطِـه شَـيْـئـا

إن جِـئْـتَ تـوقـظـه لـلاجـتـمـاع أبـى
وقـال: لـم أدرِ مـاذا نـاقـشـوا بَـدْءَا؟

وإن تـربَّـع عـرشَ الـبـرلـمـان تـرى
فـي رأيـه خَـلـلاً يَـهْـذِي بـه طَـرْءَا

وإن تمـدَّد فـي كـرسـي الـنـقـاش غفا
بـل نـام نـومـةَ مـجـنـونٍ رأى بُـرْءَا

وهـكـذا أمـسِ هـذا كـان يـخـدعـنـا
وقـال: إن فـزتُ أُرضِـي الشِّـيب والنُّشْـئَـا

يـا مـن تُـمـثِّـلُ شـعـبًـا كـان مـطـلـبُـه
مـنـك الـدِّفـاعَ بـرأيٍ يَـسْـتُـرُ الـسَّـوْءَى

إلامَ تَـغْـرَقُ فـي نَـوْمٍ وقـلـتَ أنـا
حـامـي مـصـالـحـكـم لا أبـتـغـي شـيْـئَـا

إلامَ تـرفُـلُ فـي ثَـوْبٍ تُـزَفُّ بـه
كـمـا تُـزَفُّ عَـروسٌ فـي الـضـحـى بُـطْـئَـا

يا نائبَ الشعبِ إن الشعبَ قال كفى
لا نابَ في دارِنا مَنْ يُثْقِلُ الوَطَنَا
يا نائبونَ علينا ما لكم هَدَفٌ
في البرلمان سِوَى بطنٍ تُرى مَلأى
أهكذا المنهج الساري بِذِمَّتِكم
لتخدعوا الشعبَ كي يبقى لكم فيْئَا
تدور في حكمكم للشعبِ دائِرةٌ
لا نُضْجَ في رأيكم فيها ولا نَيْئَا
لقد سَئِمْنا كلامًا كان أفضلُهُ
نَجْتَرُّهُ - كارهينَ - القَيْءَ والقَيْئَا
هيّا أقيموا مع الأحزابِ مائدةً
تُبِينُ للشعبِ من آرائكم مَرْأى
ماذا جلبنا من الأحزابِ تِعدادُها
تسعُ وتسعونَ حِزْبًا فاقدًا جُزْءًا
ما ضرَّنا أننا أنْ لا يكونَ لنا
تسعونَ حزبًا لشعبٍ يأكُلُ الخَبْئَا
حِزْبانِ لا غيرَ، إمَّا ذاك يحكمنا
رَدْحًا من الدهر، أو هذا الذي يَنْأَى
هذِي وصاتي لكم يا قومِ فانتبِهوا
كيلا تكونوا كمن يستمرِئُ الخَطْئَا

٢٤/ ١٠/١٩٩٩م أنجمينا - تشاد

****

٢٠ - نشيد أفريقيا

[مجزوء الرجز]

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوةُ
فـــتَّـــاكـــةٌ ضِـــــدَّ الـــعـــدا
إذا اتحـــــدنـــــا كـــلـــنـــا
صـــــارت قـــوانـــا كـــالـــقـــذى
فـــي أعـــــين الـــســـتـــعـــمـــريـــ
ـــــن الحـــاقـــديـــن ســـرمـــدا
نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوة
فـــتَّـــاكـــة ضـــد الـــعـــدا

☆☆☆☆

وهـــــــــذه أفـــريـــقـــيـــا
حـــزيـــنـــة تـــبـــكـــي الأُلـــــى
صـــانـــوا الـــبـــلاد ورفـــرفـــت
أعـــلامـــهـــم نـــحـــو الـــعـــلا[1]
حـــتـــى اســـتـــقـــلـــت خِـــلْـــفـــةً
وحـــــان قـــطـــف المـــبـــتـــغـــى

---

(١) البيت من مجزوء الكامل.

إذا الحـــــــروب دُبِّـــــــرت

لـشـعـبـهـا فـــي المـنـتـأى

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوة

فـــتـــاكـــة ضـــــد الـــعـــدا

☆☆☆☆

هـــيّـا لـنـحـمـي الـــقـــارة الـسـ

ـــسَـــمـــراء رمـــــــزًا لـلـفـدى

هـــيّـــا لـــنـــحـــمـــي قـــارة

أضـــحـــت تـــســـيـــر الـقـهـقـرى

فـــالـــغـــرب لا يـــريـــدنـــا

أن نـــســـتـــغـــل أرضـــنـــا

لـــــــذا يُـــــؤجـــــج نـــــاره

مـــــن هـــاهـــنـــا وهـــاهـــنـــا

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوةٌ

فـــتـُّـــاكـــةٌ ضـــــدُّ الـــعـــدا

☆☆☆☆

بـــالـــعـــزم يـــا إخـــوانـــنـــا

نـــحـــمـــي الـــديـــار كـلـهـا

كـمـا حَـمَـى أرضَ الـشّـوا

مِ الألـــعـــيُّ المـفـتـدى

ابـــن الـــشّـــرى مـتـرفّـعًـا

عـــن كـــل حـــلٍّ يُـهـتـدى

إذ قـــال: لا لـــسِـــلْـــمِ عُـــزْ

بٍ قـــاصـــرٍ وألـــــف لا

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوَّةٌ

فـــتَّـــاكـــةٌ ضـــد الـــعـــدا

يوم ١٩٩٨/٨/٢٥م

أنجمينا – تشاد

****

٢١ - الذئاب

[الطويل]

ألا فـي خِـلال الـنـاس مـا هـو يشهدُ
عـلـى لُـؤْمِـهِـم فـي الـعـالـمِـيَن ويُـنْـقَـدُ
فـبـعـضٌ لـبـعـضٍ كـالـذئـاب يُحيطهم
ذئـابٌ ومَـن يـغـشـى جِـمـاهـم مـهـدَّد
خَـبَـرْتُـهُـمُ رَدْحًـا مـن الـعـمـر مـا لـهمْ
صـديـقٌ يُـواسـي فـي الـنـوائـب يـرفـد
يُـلَـوِّن فـي أخـلاقـه كـلَّ سـاعـةٍ
كـمـا تـفـعـل الحِـرْبـاءُ أيْـانَ تَـقـعـد
يُـريـكَ مـن الأخـلاق مـا لـيـس مـاكـثًـا
كـظـل الـضـحـى يـبـقـى قـلـيـلاً فـيـشـرد
أفـي كـلِّ يـومٍ خُـدْعـةٌ مـن صـداقـةٍ
أرى ودَّهـا يـدنـو إلـيَّ ويـبـعـد؟
ومـا زلـتُ أرجـو الـصِّـدق فـي كـل خُـلَّـةٍ
ولـكـن وُدَّ الـنَّـاس عـنـدي مـبـدَّد
لأنـي بَـلـوتُ الـنَّـاس فـي كـلِّ فـتـرةٍ
فـمـا سـاءنـي إلا جَـبَـانٌ وقُـعْـدُد
وطـالـبُ مـعـروفٍ أراه مـهـذَّبًـا
وفـي ثـوبـه لُـؤْمٌ مـن الـخـيـر أجـرد

وإن سِـــرْتُ أبـغـي المـجـد فـي كـل بـلـدةٍ
وجـدتُ بـهـا وَغْـــدًا مـن الـنـاس يَـحْـسِـد
لـذلـك لا يـحـمـيك مـن لـــؤم أَربَـــدٍ
مـــــررتَ بـــه إلاّ حُـــســـامٌ مـهـنـد
ولـو صـار حكم الـنـاس عـنـدي حصدْتهم
فـلـم يـبـقَ إلا خـيِّـرٌ أو مُـــزَهّـــد
وجـنَّـبْـتُ خـيـر الـنـاس شـــرًّا أتـى بـه
بـقـايـا مـن الـفُـسَّـاق عـاثـوا وأفـسـدوا
يـحـاربـنـي قـــوم إذا اشـتـدَّ سـاعـدي
أتَـــوْنـــي مـــــرارًا يـحـسـدون وأعـقـد
فـأنـفـث فـي الآفـــاق كـيـلا تُـصـيـبـنـي
شـــــرورٌ، بمـا جـــاءوا إلـــيَّ وهـــددوا
كـأنـيَ بِـــدْعٌ فـي الـرجـال يـهـابـنـي
كـــرام، ويـرعـى، فـي حِـمَـايَ المـبلَّـد
أرى الـنـاس مـا أعلنتُ عن جـزء منهجي
وبـيَّـنْـتُ مـا أبـغـي، تـداعَـوْا ونـــدَّدوا
ومـــا كـنـت أبـغـي غـيـرَ مـجـدٍ أُعِـــدُّه
لأكـشـف مـجـهـولاً بـه الـكـون يسعد
ومـــا لـيَ عـيـب غـيـرَ حُـسـنٍ يُـزيـنُـنـي
ولـــي هـمـةٌ كـبـرى عـن الـــذل تبعد
ولـي مـطـلـب فـي الأرض لـم أرض دونـه
حـيـاةٌ بـهـا عـيـشٌ هـنـيءٌ مُـخَـلَّـد
وإنـــي لأُعـطـي الخِـلَّ جَـهْـدِي وفكرتي
ولا أمـنـع المـضـطـرَّ إن جـاء يسهد

وإنـــي رســـولُ الخـيـر فـي كـلِّ مسلكٍ

سـلـكـتُ بـه يـرجـو عـطـائـي مـشـرُّد

ويَحْسَب خيرُ النّاسِ أنْ لـوْ وَصَلْتُه

لـكـان لـه وصْـلـي مـع الخـيـر سُـؤْدَدُ

وتـطـلـبُ وُدِّي كـلُّ خَـوْدٍ خـريـدةٍ

تـرى مـجـدهـا فـي سـاعـديَّ وتـنـشـد

ألا يـا رسـول الخـيـر مـثـلك أرتـضـي

وأُهـدي إلـيـه الـقـلـبَ، يَـهـدي ويـرشـد

دعـانـي إلـيـك الحـبُّ والـودُّ يـا فـتـى

فـهـل لـيَ عُـدْتَ الـيـومَ، والـعَـوْدُ أحـمـد

أنجمينا يوم ٢٤/٩/١٩٩٩م

****

أحمد عبدالرحمن إسماعيل[1]

١ - الوداع

[المتقارب]

وداعًـــا أيـــا أرض إجـــدابـــيّـــا[2]

فـــقـــد شـــتَّـــتَـــتْ شـــمـــلـــنـــا مـــافـــيـــا

وحـــبِّـــي الـــذي قـــد سـمـــا لِـلـسَّـمـــا

وأمـــســـى أنـــيـــسُ الـــورى زاهـــيًـــا

أَجُـــــنَّ الـــوشـــاةُ فـــلـــمَّـــا رأوا

بـــشـــيـــر المحـــبـــة كـــــادوا لِـــيَـــا

- شاعر تشادي ولد سنة ١٩٧٣م بمدينة أبشة/ مدينة العلماء والشهداء بالقرب من وادي «أم كامل/ مقبرة الشهداء» والذي شهد مأساة الكبكب. لذلك تهيأت الأجواء النفسية والاجتماعية لشاعرنا، فتشكلت روحه الثورية وتمرده على الواقع المتردي، نتيجة جغرافية المكان، وأعني ضفاف وادي شهداء مذبحة الكبكب.

ونشأ الشاعر في أسرة متدينة، فحفظ القرآن الكريم، وأتم دراسته الإعدادية في سنة ١٩٩١. ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، والتحق بالمعهد العلمي ثم انتقل إلى ثانوية الملك فيصل، فنال شهادة الثانوية. ثم سافر إلى ليبيا لمواصلة الدراسة الجامعية سنة ١٩٩٤م، لكنه مرَّ بتجارب قاسية في غربته؛ إذ كان يعمل ليرتزق مع استكمال الدراسة، فتعرض للاعتقال من قبل السلطات الليبية، وأخيرًا تم ترحيله إلى تشاد سنة ١٩٩٧م. فهذه الحياة الحافلة بألم الغربة، وأمل الوطن، جعلت شاعرنا من رواد الشعر الوجداني في تشاد، فألهبت شاعريته، ووسمته بالصدق الفني في تجاربه الرومانسية.

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في منزلي بالعاصمة أنجمينا ٢٠/٢/٢٠٠٢م.

وانظر: صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متريز الطالبة قمسو جرمه، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤، كلية الآداب جامعة أنجمينا.

(٢) إجدابيا: مدينة ليبية.

وداعًـــا أيـــا أرض عَـــرْفَـــايَ قـدْ
رمـــى بـيـتـنـا عُـــذَّلـــي ألـــفَ سَـــدْ
وإن كـنـتُ أجـتـازُ مـا قـد رمـوا
وأمْـحـو الـسُّـدُودَ بـعَـزْمٍ وَصَـدْ
وتـأتـي الأمـانـي بِمـا أرتَجـي
لأنَّ الـعـزِيمَـةَ مِـنِّـي وَتَـدْ
سِـوَى إنَّ حـبِّـي بـدا عـاجِـزًا
مَـهِـيـنًـا تَـوَلاَّهُ تـيـهٌ وصَـدْ

وأم سُـلَـيْـمَـى تَـسُـوقُ الأسـى
وتَمْـسَـحُ فـي وجـه سَـلْـمَـى الأنـا
بـريـشـةِ لَـهْـبٍ تُـعَـذِّبُـنِـي
وتُمْـتِـعُـهـا نَـكْـسَـتِـي والـوَنـا
كـأنَّـا دخـيـلـون فـي أدم
فـجـادَلَـنـا دَهْـرُهـا بـالـضَّـنَـى
فـقُـولـي خَـسِـئْـتِ أرأس الأذَى
ألـم تَـدْرِ غَـيْـرَ الجـنـا والخـنـا

فـمـاذا تـريـديـنَ مـنِّـي وقـد
وهـبـتُ إلـيـكِ جـمـيـل الـثـنـاء
فـمـاذا تـريـديـنَ بـعـدُ ألـم
أُصَـفِّـي إلـيـكِ دِمـاء الحـشـاء

إلـــى أن سُـلِـبـتُ مـــن المحـتـوى
وأزريـتـنـي والـهـوى فـي الـهـواء
أكـــل طـمـوحـكِ أن تَـشْـهـدي
عـذابـي مَـهِـيـنًـا عـديم الـرَّجـاء

وداعًـــا سـلـيـمـةَ يـا جُـمْـجُـمَـه
بِـذا شـئْـتِ أم شـاءتِ الـشّـرذمـهْ
فـلـسـتِ سـوى نَـعْـجَـةٍ قـدْ رَعَـوْا
فـلـمـا اسـتـقـامـوا دعـوك الأمـهْ
فـلـمـا سـمـنـتِ رأوا خِـسَّـةً
وإن قـلـتِ: قـالـوا صَـهٍ أنـتِ مَـهْ

تـسـائـلـنـي مـا الـذي حـلَّ بـي
وبـيـن يـديـكَ جـوابُ الـسـؤَالْ
فـكـيـف الـسُّـؤالُ ومـنـكَ الأذى
وأنـت الـظَّـلُـومُ وأنـت الـنـبـالْ
تـركـتَ دمـوعـي تُـذيـبُ الحَـصَـا
وأرقـى بـزهـوٍ فُـحـولَ الخَـيَـالْ
وُئِـدْتُ ولـم أدرِ مـعـنَـى الأذى
ومـعـنـى الـسَّـلامِ ومـعـنـى الـقـتـال

فـإن قـيـل مـا ذنـبُ مـوءودةٍ
فـمـاذا تـقـول فـهـل تـنـطـقُ
بـمـاذا تُـجـيـبُ؟ فـصـمـتًـا عـلـى
قـبـيـحِ فـعـالـك يـا أحـمـقُ

فـمـاذا الجـوابُ وقـد كـنـتَ فـي
غـيـابـات جـبٍّ بـهـا تُحْـرَقُ
عـجـزتَ فـذق طـعْـمَـهـا المشـتـهَـى
لـقـد شـاب فـكـرُكَ والمـنـطِـقُ

فـقـولـي فَـدَيْـتُـكِ يـا مـولـدي
فـكـم مـن مُـؤامَـرَةٍ دَبَّـرُوا
طَـلاسِـمَ هـاروتَ لـي رُسِـمـتْ
ومـن سِـحْـرِ مـاروت قـد أكـثـروا
فـحـلُّـوا الـقـلـوبَ بـصـرف الـهـوَى
وبـاعـوا سـلـيـمـى فـهـل أثْـمَـرُوا
فـأنـتِ حـرامٌ عَـلَـيَّ فـلـن
أُكـحِّـلَ عـيـنـي بمـا أبـكـروا

فـقـولـي فـديـتـكِ يـا مـولـدي
فـمـا حـالُ سـلْـمَـى فـهـل وفَّـتِ
بـأغـلـى الـعـهـودِ عـهـودِ الـهـوى
لأن الـشـكـوكَ سـبَـتْ دمـعـتِـي
أحَـيَّ أنـا بـيـن أحـشـائـهـا
أمِ انِّـي وئِـدت بـجـبَّـانـةِ
فـقـولـي أم انَّـكِ أيـضـا عـلـى
صُـفـوف الـذيـن بـروا مـوتَـتِـي

وداعًـا تُـعَـرْبِـدُ فـي نَـبْـرَتِـي
وتَـسْـكُـبُ فـيـهـا لـظًـى مُـسـتَـعِـرْ

تـركـتـكِ والـــدَّمْـــعُ يـجـري دمًـــا

عـلـى مـدمـعـي الـبـائـس المـنـكَـسِـرْ

ومـــحـــمـــودُ بـــالٍ أقـــول وَلاَ

أُسِـــيء الـظُّـنـونَ بِـحُـكْـمِ الـقَـدَرْ

تـــركـــتـــكِ لـــكـــنَّـــنـــي آمـــلٌ

لِـقـــاءَ وَدَاعٍ فَـــهَـــلْ يُـنْـتَـظَـرْ

أنجمينا/ يوليو٢٠٠٢

بيضت في ٢٨/٨/٢٠٠٢م

****

٢ - قَرِّبِينِي

[مجزوء الرمل]

لَيْتَنِي أَلْقَاكِ عُمْرِي

فَتَصِيرِينَ ثِيَابِي

وَأَصِيرُ القِسُّ أَبْنِي

مَعْبَدًا بالنَّهْدِ أَوْ حِصْنًا حَصِينَا

لَيْتَنِي صِرْتُ حَلِيبًا

قَرِّبِي لِي الثَّغْرِ حِينَا

قَرِّبِينِي يا فَتَاتِي كَيْ أَكُونا

مِرْوَدا للعَيْنِ، أَوْ للنَّهْدِ (تِنْيُونًا) أمينا

قرِّبِينِي قَدْ لَحَا وَجْهِي جَلاَلا

بَثَّ في نَفْسِي جُنُونَا

لَوْنُكِ السَّاجِيُّ سِحْرٌ

إِسأَلِي المِرْآةَ يَوْمًا تَعْلَمِينا

قَدْ أتاكِ اللَّيْلُ سَعْيًا

واهِبًا لوزًا وتِينَا

صَمِّغِي عُودَ القَمَارِي

وانشُرِي الرَّيْحانَ فينا

قدْ دَعانا الحَوْضُ هَيًّا

الْبَسِي الشَّفَّافَ وامْضِي

انزِلِي بِي في إناءٍ يَحْتَوِينا

خَبِّئِيني مِن صَقيعٍ، جَفِّفِيني

وانهضِي بي مِنْ سرير العاشِقِينا

هدْهِدِينِي يا نُوَيْباتِي قَلِيلاً

اتركيني،

وامكثي في (المقر) حتى

تنعِشي الدر المصونا

أسرعي هيا افتحي الدولاب سلِّي

مسحة النعناع منه

وانفثي العطر الثمينا

أسمعيني صوت شعري دون ناي

واعزفي لحنًا حنينا

وانتشي مني ومنه

فكلانا يبتغي الإبحار فيك

يبتغي أمنًا أمينا

أطفئ الأنوار حينًا

واتركي الأخضر ينأى

ينشر الأضواء فينا

واخلعي ثوب العذارى

ثاكلاً نادى الجبينا

إنه للوصل سد

إن رأينا الحب دينا

قربيني وامنحيني لحظات

سلبت منا سنينا

اخزنيني في المحيا

علني إن ذبت أنسى في محياك الأنينا

أنجمينا ٢٤أغسطس٢٠٠٢

****

٣ - لو كانت

[الكامل]

النصر هلَّ وحقَّ لي أن أفتخرْ

النصر هل على يديكِ وهلَّ لي مجدٌ أَغَرْ

سَابقتهم فَسَبَقْتهم

وجعلتِ كلَّ النصر من إعجاز نصرك ينبهرْ

فتقدمي يا درّة المجد افتحي

لنون جنسك مسلكًا كيما يثور ويفتخر

فتقدمي لتحطمي

خرافة الواو الأَشِر

النَّصر هلْ

ماذا أقول حبيبتي فالقول فَرْ

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئة والقدر

أذَّنتُ في كل القرى جل البوادي والحضر

أذنتُ في كل الكبار وفي الصغار بأن هلموا يا بشر

«حيوا الأميرة والقمر»

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئةُ والقدر

لَطُفْتُ في الناس الرقود

وقت الظهيرة والسحر

ووضعتهم صفًا ببابكَ..

.. لاهجينَ مهنئين

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذا المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئة والقدر

أذنت في الناسِ النيامِ

وقدتهم مترنمين في سكونٍ مثل عباد الصليبْ

مهنئين..

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذ المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئةُ والقدر

أَذَّنتُ في الرياض في الفراش أن

زفوا التي على يديها النصر خَرْ

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

أذنتُ في الوادي وفي السهول

تَحْتَ لآلي المطرْ

أَذَّنتُ في الطيور فوق غُصُونِ الشَّجر

«أن غردي غنى لها لحن النصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

غنيت ألحاني الجميلةَ يا منى قلبي..

.. وهندست الفرائد والدُّرَرْ

ونسجتُ بين يديك كل قصائدي

ورسمت وجهك لوحةً هي النفائس والعبر

☆☆☆☆

لو كانت الكينونة الكبرى تثنت لي أنا

لو كان في يديّ قَدْر

أحضرت بين يديك كل النجوم

كيما تُحَيِّي أخت هاتيك الثريا والقمر

«مبارك لك بالنجاح مبارك بالنصر»

لو كانت الكينونة الكبرى هنا..

أخذت وجهك الكريم كي أُحَلِّقَ في العلى

في عوالمنا التي لم تَرْنُها عينٌ رأَتْ

ولا أحَسَّتْها أحاسيس البشر

هناك أُهدي للخدود قبلةً

وهمسةً

وكلمةً هي هذه...

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك بالنصر»

أنجمينا ١٧/٨/٢٠٠٣م

****

٤ - الأشواق

[المتدارك]

آهٍ أرحلتَ ولم تتركْ
نبأً وبحثتُ فلم أجدِ
إلا همسات في أُذني
من مهدك جاءت من مهد
يتدفَّق دمعي حين أرى
في الحارة صحبك يا ولدي
يتدفق إن خرجوا قُطْنًا
للنزهة في شطِّ الرّهد[1]
والحسن[2] الزين[3] معي أبدًا
والليث عليٌّ[4] في البلد
كغريب أبقى بينهمُ
كأسير يرجو فك يد
أبديت لهم لمّا سألو
ني ما لي غائبة وحدي
الفرح الزيف على وجهي
شَرَرٌ يتطاير كالبرد

---

(١) الرهد: غدير.
(٢) أخو الشاعر.
(٣) أخو الشاعر.
(٤) أخو الشاعر.

لـكـنـك تـهـجـرنـي وأنـا
كـالـطـفـل حـنـانـك مـفـتـقـدي
تـهـجـرنـي تـرسـل لـي شـوقًـا
تُـنـبـئـنـي شـوقـك مـلءُ يـدي
عـجـبـا مـن قـول أنـت لـه
تـفـنـى الـسـاعـات ومـا تـبـدي
إلا مـثـقـالًا مـن كـفٍّ....
هـذا مـا عـنـدك لـم تـزد
تَـعْـبَـثُ بـالـوجـدان تـقـلـبـ
ـهُ إن تـتـأَنَّ رضـا تجـد
آهٍ مـن شـوقـك يـأسـرنـي
فـتـعـال خـذ مـنـي قـيـدِي
آهٍ لـو تـنـظـر أحـشـائـي
تـغـلـي والـلـهـو لـهـا جـسـدي
هـبْـنـي وعـدًا لا نـخْـلـفـهُ
ولـئـن خـيِّـرت أقـول غـدي
فـنـهـاري دهـرٌ مـذْ رحـلـت
بـيـض الأيـام إلـى أمـد
مـن وعـدك نـبـضـاتـي تـدنـو
وثـوانـي الـسـاعـة فـي بـعـد
إنـي لـمـا.. لا.. لـيـتـك.. إن..
غـبـتَ فـلا تـأتِ بـلا مـجـد
أدعـوك إلـهـي أجـمـع شـمـلاً
واحـضـر مـن غـاب إلـى الـبـلـد

****

٥ - سَمْرَاء

[المتقارب]

وسمرا بحي الدقيل[1] انثنتْ

لها مهجتي ألف مرة

وقابلتها في خشوع الدراويش

حين تخيم حضرةْ

وحييتها في انهزام العبارات

بالرمز مليون مرَّةْ

وماتت بحلقي صنوف البلاغةْ

وماتت إشارات ضاديَ حسره

وفرت عقول

وباتت نواتي

تجابه في الخلد بالسر ثَوْرَةْ

فأيُّ لسانٍ يقول العباره

وَأيُّ عُقَيْل جرئ يُخَمّر فكره

☆☆☆☆

وتدخل سمراء فينا

ترافِقُ شمسًا وَبَدْرا

وتجلسُ بالقرب منّي

---

(١) الدقيل: حي من احياء العاصمة انجمينا.

وتجلسُ بشرى

تفيضُ بَجَنبي حياءً

تَفِيضُ وَقَارًا

تفِيضُ عَفَافًا وَطُهْرا

وَسَمْراءُ ألقت تحايا

كَحُقْنَاتِ مُرْفِين في الجلدِ تسْرِي وَتَتْرى

وَحَيَّت فُؤَادِي تحايا

كَرَنات لحنٍ تُداعِبُ وتْرا

ستبقى التَّحايا بِقلبيَ شفعًا

وتحيى سُمَيْرا بخلديَ وترا

وَغَطَّى سَمَانا صُماتٌ

فلا أنا أدري ترى كم مَضَى

ولا هِيَ واللهِ مِنِّيَ أَدْرَى

وَفِي الصَّمْتِ حادَثْتُ سَهْرا

وخاطبتُهَا

وما في خِطَابي حُرُوفُ

وما في خطابي كلامٌ

وما في خطابي نَبْرَه

وسَاءلتُ سَمْرا

سُلالاتُ حَوَّا عَرَفْتُ كثيرا

حَفيداتُ حَوَّا عرفتُ كثيرا

قَرأتُ عن الجنِّ أيْضًا كثيرا

ولَمْ أرَ مثلَكَ في الناس عَذْرَا

أراقَتْ دمائي بِطَرْفٍ حَيِّي

أذابتْ فُؤادي بِنَظْرَه

أُلاقِي بها

مذاقًا لتقوى الإله وَذِكْرا

فما أجملَ اللَّحَظَاتِ سُمَيْرايَ

حين يُسرِّحُ للشمس أسرى

وحينَ تُسرِّحُ نفسٌ

قَضَتْ في شواطي الضَّلالاتِ دهرا

☆☆☆☆

وقلَّبْتُ سَمْراءَ أسفارَ من رحلوا

في الزمانِ القديم، ولم أرَ مثلك سمراء عذرا

رمتني برمحٍ، وتُصْدر في الحينِ حُكمًا

بإعدامنا قبلَ أن تُلْقِيَ الرُّوحُ للرُّوح زفره

فهل أنتِ سَمْرا حَفِيدةُ حَوَّا

أم انَّك يا شمسُ أُخرى

فَقُولي فُديتِ

فمن أيِّ دُنيا قدمتِ

فمن أَيْنِ أنتِ «أقهره»

فقالَتْ

نَعَمْ: إنَّ حَوَّاء أمي

ولكن هُناك فُرُوقٌ بدت بين جذرٍ وفرع

ومنها سماتٌ سمت للسما

وزانته فرعيَ نضره

ومنها فُرُوقٌ بَدَتْ بَيْنَ نَكْهاتِ طينٍ

وبين الزهور إذا أنفق الزهرُ عِطرَه

وقلتُ بنبراتِ صوتٍ حنينٍ

رأتْ مُهْجتي منكِ طرفًا

تعاطتْ بِسِرٍّ من الطرف كأسا

فباتَتْ لَياليَ سَكرى

فقالت:

أبارك كُلَّ هواها

وأسأل ربّيَ تحقيق بشرى

أنجمينا ٢٨/٧/٢٠٠٣م

****

٦ - نار الفراق

[مجزوء الرمل]

أنتِ في ذاكرتي
والنَّفس أعْياها العتابْ
ما لنا نَبْني بأيدينا مَتَاريسَ الفراق
أنتِ في ذِكْرايَ حِبِّي
حينما اجتزت السَّحابْ
في خيالاتي ارتباكٌ وانقلابْ
أنا في ذكراكِ عمري
والسَّحابُ الرَّاكضُ المجنون دوني كالهضاب
وهو أحياناً كَرَضْمات (تِبِسْتِي)
حين يَغْشاها السَّرابْ
هالَني في ذا الفضاء الرَّحب سِحْرٌ
إنّما الطَّيْرانُ يمحو ذا الثوابْ
عابسُ الوجْه لأنّي
فاقدٌ نصفي، ونصفي أنت، قولي
أوَزَعْمٌ كلماتي أم صوابْ
ثَغْرُكِ البسَّام جنبي
يَحْضِنُ الخدَّ المذابْ
كُلَّما فكَّرت حينًا
جاءني مثل السَّرابْ
يُنقِذُ القلب المهينا

إن رأى فيه انتحابْ

أنتِ منّي في فؤادي

في سويدي ذا الذي يشكو العذابْ

أين منك الآن طيفي

أعناق نال طيفي أم سبابْ

أنا في ذكراك

والإبحار في فضاء الله خوفٌ مستطاب

هَمْسُك الشعر المقفّى

حين أروي منه شيئًا للصِّحابْ

وهو في الخلواتِ وِرْدي

وهو فكْرٌ في كِتابْ

ريقكِ الشَّهْد المصَفَّى

منه سكرى، وانتشائي، وانجذابْ

إنَّني في البعد حزنٌ وحَنينْ

وأنينٌ مثل تصويت الغرابْ

أنا في ذكراكِ إن جاء الغروبْ

أو أميطتْ عن دياجينا الحجابْ

أنا في ذكراك روحي

قد سباني في بعادي إشتياقْ

على سطح الخطوط الإفريقية

١٩/٧/٢٠٠٢م

****

٧ - شاري[1]

[مجزوء الوافر]

رجـــعـــتُ إلـــيـــكَ يـــا نـــهـــري
ويـــــا مـــــددي ويـــــا قـــــدري
رجـــعـــتُ إلـــيـــكَ ولـــهـــانًـــا
وحـــبُّـــكَ فـــي دمـــي يـــســـري
ولـــلـــغـــايـــات فـــي الـــوادي
ولـــلـــصـــفـــو الـــذي يـــجـــري
ومـــــاؤكَ ســـلـــســـبـــيـــلـــيٌّ
أزاح الـــداء مـــن صـــدري
ولـــلـــرمـــل الـــتـــرامـــي فـــي الـــ
ـــحـــواشـــي الـــبـــيـــض والخـــضـــر
كـــأنَّ الـــلـــه أنـــزلـــه
لـــنـــا هـــبـــة مـــن الـــبـــدر
رجـــعـــت إلـــيـــك يـــا شـــاري
أيـــا شـــكـــلاً مـــن الـــتـــبـــر
أذوق فـــيـــك أن أغـــدو
مـــذاق الـــشـــهـــد والخـــمـــر
فـــلا تِـــبْـــرٌ ولا شـــهـــدٌ
ولا خـــمـــرٌ لـــذي شـــكـــر

---

(١) شاري: اسم نهر في تشاد ومن أكبر أنهارها.

فـــأنـــت الـــكـــوثـــرُ الـــصـــافـــي

وبـــاقـــي الـــنـــبـــع مـــن عـــكـــر

رجـــعـــتُ إلـــيـــكَ شـــريـــانـــي

عـــلـــيـــلُ الـــقـــلـــب والـــفـــكـــر

فَـــــزوِّدْنِـــــي بـــجُـــرعـــاتٍ

لـــتـــبـــقـــيـــنـــي عـــلـــى سُـــكْـــر

مَـــلَـــلْـــتُ الـــصُّـــحْـــوَ فـــي فـــكـــر

مـــلـــلـــت الـــقـــيـــدَ فـــي الأســـر

مـــلـــلـــت الـــمُـــكْـــثَ فـــي فـــزعٍ

فـــرجِّـــعـــنـــي إلـــى الجـــذر

رجـــعـــتُ إلـــيـــك مـــرعـــويًـــا

ومـــغـــلـــوبًـــا عـــلـــى أمـــري

فَـــســـكِّـــن روعـــــةَ الـــقـــلـــب

فـــإن الخـــوف يـــســـتـــشـــري

ســـتـــبـــقـــى بـــيـــنـــنـــا دومًـــا

أريـــــجُ الـــطـــيـــبِ والـــعـــطـــر

وتـــعـــطـــيـــنـــا بـــلا حـــصـــر

طـــوال الـــعـــمـــر والـــدهـــر

ســـتـــبـــقـــى لـــلـــعَـــطـــا أبـــدًا

فـــلـــم تُحـــبـــسْ مـــدى الـــدَّهـــر

١٩٩٦/٦م

****

٨- أحبِّيني

[الوافر]

أَحِبِّينِي فَدَاكِ اللهُ سَيِّدَتِي
كما أحْبَبْتُكِ إنَّ العِشْقَ أفْنانِي
عَواصِفُ عِشْقِيَ المَجْنُون تَلْطِمُنِي
بِأمْواجٍ وتَطْرَحُنِي بِشُطْآن
أنا الأطْفالُ كيْفَ أَطِيقُ عاصِفَةً
وأينَ أَفِرُّ إنَّ المَوْجُ يُغْشانِي
أَحِيطِينِي فَإنَّ الْبَرْدَ يَقْرِصُنِي
وَضُمِّينِي أنا والنَّهْدُ صِنْوانِ
خُذِينِي زينة الروضات وابْتَعِدِي
وَخَلِّي عَنكِ ذاكَ الأبْخَرَ الفانِي
بُعِثْتُ أُبَدِّدُ الظُّلُماتِ فِيكِ فَكَيْـ
ـفَ مِثْلَكِ أنتِ يَشْكُو ظُلْمَ جِرْمانِ
أَحِبِّينِي تَرَيْ في الحُبِّ مُعْجِزَةً
فَحُبِّيَ الطِّفْلُ صَارَ اليَوْمَ (نُوشانِ)

أنجمينا ٨/١١/٢٠٠٣م

***

٩ - البحث عن الغفران

[مجزوء الوافر]

بـنـاتُ الحَـيِّ قُـلْـنَ لـنـا
فـطـيـمـةُ حـولـهـا جـنـدُ
فـلا تـقـربْ مـعـاقـلَـهـا
فـتـأكـلْ لحـمـكَ الأُسْـدُ
فـإن الأُسْـدَ رابـضـةٌ
ومـنـهـا يـظـهـر الجـدُّ
وقـصـر فـطـيـمـةَ الـنـائـي
حَـوَتْـه فـوارسٌ عـمْـد
فـمـن هـانـت لـه روح
فـذاك الحـصـنُ والـسَّـدُّ

فـقـلـت لـهـن لا أخـشـى
طـيـور «أمْـعَـك»[1] إذ تـشـدو
إذا مـا بـان شـاهـينٌ
يـجـيءُ الـسَّـام لا الـضِّـدُّ
تمـوتُ قُـبـيـلَ قـبـضـتـهِ
ويـفـنـى الـهـزلُ والجَـدُّ
فـظـنـوا الـسُّـدَ يمـنـعـنـي
فَـخَـرَّ الـسَّـدُّ والإدُّ

(١) طيور أمعك: نوع من الطيور ذو تغريد مزعج وصوتٍ عالٍ وحركة عالية.

أُحَـــلِّـــقُ فـــوق قـــمـــتِـــهِ
فـلـيـس الـــقَـــدْر يـنـصـدُّ
وأمـــشـــي نـــحـــو غـرفـتـهـا
ومـــثـــل الـــضـــوء أمـــتـــدُّ
وإن قـــفـــلـــوا نـــوافـــذهـــا
هـــــواء كـــيـــف أنـــصـــدُّ
وإن جـــــاءوا بـــتـــعـــويـــد
يـــحـــطُّ الـــلـــه مـــا عـــدُّوا
فـــأهـــلـــك كـــلـــمـــا عـــقـــلـــوا
فـــــإن الحـــــقـــــد يـــشـــتـــد
فـــــإنَّ الـــذنـــبَ ســـيـــدتـــي
هـــوانـــا مـــنـــه ذا الـــنـــكـــد
يـــأن نـــحـــيـــا عـــلـــى حـــالٍ
أبـــاهـــا الـــلـــه والـــعـــبـــد
فـــكـــانـــوا كـــلـــمـــا صـــلُّـــوا
دعـــوا بـــالـــنـــكْـــد فـــانـــصـــدوا
حـــكـــيـــم فـــــوق جـــهـــلـــهـــم
وأصـــفـــح إن هـــمُ لَـــدُّوا
فـــصـــور الـــفـــخ إن مـــدت
بـــــأفٍّ ســـــوف تـــنـــهـــد
ســـألـــت الـــلـــه يـــهـــديـــهـــمْ
لِـــيَـــحـــيـــا الـــــودُّ لا الـــضـــد
لأجـــلـــك أنـــــت أكـــرمـــهـــم
لأجـــلـــك أنـــــت أرتـــــدُّ

لأنـــســـى كـــلُّ آلامـــي

وأُرخـــي إن هُـــمُ شـــدُّوا

لأجـــلـــك أنـــت أكـــرمـــهـــم

وإن مـــكـــروا وإن هـــدُّوا

بـــنـــائـــي لـــن أعـــاديـــهـــم

لأنـــي فـــوق مـــا جـــدُّوا

أتـــيـــتُ الآن ســـيـــدتـــي

بـــذاتٍ مـــا لـــهـــا نـــدُّ

هـــجـــرتُ ديـــارَ أحـــبـــابـــي

قَـــلـــيـــتُ ديـــار مـــن جـــدّوا

****

١٠ - هوى أم وسواس

[المتدارك]

المناسبة: كتبتها حينما قابلتني فتاة، وألمحت لي بالحب لكني أعرضت عنها، بسبب ارتباطي بخطيبة فتاة أحبها وهي المرموز لها بولادة.

(١)

يا من تتسربُ في صدري

قل لي من أنت... لأني لا أدري

يا من يتغلغل في خَلَدي

فأنا أدعوك لتدري أَني لا أدري

(٢)

يا من تتسلل مختبئًا مثل الفأرهْ

أدعوك لتدري أني في حيرهْ

واعلم أني الآن على جمرهْ

رغم جهودالعرافات ورغم جهود السَّحَرهْ

احترقت كل الآمال وذابت معها الأحلام النضرهْ

ومصير بات على أيدٍ قذرهْ

بنحيب الحسّ أنين يخترق الصخرهْ

بعد اليأس أتيت الآن تذكِّرنا وتصيح بنا بشرى، بشرى

عفوًا اذهب بئس الذكرى

(٣)

يا من تتصفَّى في نفسي

إني الآن على بأس

بعد تآمر شيخ الخزرج معْ أوس

اختلطت كل الأشياء على نفسي

واختلطت هاتيك الأفراح مع البؤس

وغدت (وَلاَّدَة) في بَونٍ أصْبَحْتُ أراني في نُكْسِ

لو كان بمقدوري أن أمحو نفسي...

أو كان بمقدوري أن أقلب أحرف نفسي...

أفعلْ...

لكني الآن أُعاني من هوس النكس

يا ضيفي ارجع ليس الآنْ

(٤)

ارجع... إني لا زلت رضيعًا أجهل فن غرامْ

مذ غادرتك ولاَّدهْ

قالوا فيَّ غريب كلامْ

ولذا أجد النفس بحالات ليستْ كالعادهْ

وبرغم الصدق أيا ضيفي أعتذر الآنْ

لا عفوًا ليس الآنْ

لا أنكر أني في حاجهْ

لا امرأة تشبه ولادهْ

وتجيد اللحن بأنواع إجادهْ

وطقوس الحب وكل عبادهْ

تجعل في النحر رموز الحب قلادهْ

تعرف كيف تهدهدني

كيف تناغيني مثل الطفل حديث ولادهْ

أحتاج إلى امرأة تجتاح حماقاتي

أحتاج إلى واحدة إن قلت أواهٍ...

وَثبت من تحت ملاءتها صاروخَ إبادهْ

كي تحميني من فزعي كالفزع...

وتشيّد بي أحلامًا ساميةً وإرادهْ

أحتاج إلى أُخرى أجتاز على عينيها كل مخاطر

أحتاج إلى كبرى أتلقى منها فن قيادهْ

أحتاج إلى بشرى أتخلص فيها من قيد وسادهْ

أحتاج إلى واحدة أنسى بين ذراعيها الأحزانْ

ومكايد أهلِكِ ولأُدهْ

لكن لا عهد يصاغْ

إذ إن العهد شهادهْ

يا ضيفي ارجع ليس الآنْ

(٥)

لا أنكر أنّي شاورت الكهانْ

فصاح إليّ

قالوا أهل الشانْ

من أعنيها بين يدي

أن أدفع ثمن الإتيانْ

أعطاني الطِّلسُم به اسمي واسم المحبوبة واسم الجانْ

ودنا من أذني قال سأخرق هذي الورقاتْ

فإذا ما اشتد دخانْ

احضر يا رِوحانُ ويا روحانْ

احضر ذات الثغر العنقودْ

احضر ذاتَ الأمل المنشود

احضرها الآن الآن الآنْ

وبت أنادي يا روحان ويا روحانْ

وخلطت الشرك مع الإيمانْ

ومللت الرقص مع الهذيانْ

وسكبت الدمع ولي أسفانْ

ورجعت بثوب القسيسينْ

أروي للناس عقوبة أهل العشق

وأرسم في الأذهان النيرانْ

وبزهد دراويش باعوا الدنيا لغد أسمى

ورجعت لأحيا في مرتبة فوق الإنسانْ

لكني أمشي بعصا أعمى

بعد مذاقي طعم الزهد أتيتَ الآنْ

كي تقنعني بهوى أسمى

هي ذي الكبرى

أو فاختر ما بين رياض أو قطبانْ

لا عفوًا ليس الآنْ

(٦)

لا أنكر أني وسطت إلى من أعنيها

أهل الودع وأهل الخطّ ومن يقرا السرُّ على الفنجانْ

قالوا من أعنيها شبه خيالْ

من أعنيها أُسطورهْ

نقلتها الأجيال إلى الأجيالْ

وستبقى لا لا شك محالْ

قالوا لي من تعنيها ليست من جنس الإنسانْ

وسكبت الآهة في الوجدانْ

وصرخت وبي غليانْ

لا؛ هي من جنس الإنسانْ

لكن من أعنيها ليست من نسل الزنج ولا من نسل البيضانْ

من أعنيها سمرا قمحيهْ

تسكن في المنفى لكنْ في دار الشط لها شريانْ

من أعنيها فيها سمة التقليديهْ

لا تهتم بزيف المدنيهْ

رغم ثقافتها وتجولها في البلدانْ

لم تلبس إلاّ قطن تشادْ

(٧)

وذهبت لأبحث عنها في كل مكانْ

في غابات الأمزون وبين روابي «العريانْ»[١]

وذهبت لأبحث فوق جبال «الهملايَ» وتحت تلال «النعسانْ»[٢]

لكني عدت بخفٍّ حُنين تحملني أحزانْ

---

(١) مكان مرتفع يقع شمال ابشة.

(٢) مكان يقع بالقرب من مدينة آيكا.

وسفرت العمر أفسر أحلامي والأوهامْ

بتصرف ولهانٍ حيرانْ

وذهبت لأسأل عنها كل الأشياءْ

وسألت البحر وموجَ البحرْ

وسألت الرعد وبرق الرعدْ

وسألت الليل سألت نجوم سماهْ

وأخيرًا عدت بثوب الحمدْ

لم ألقَ سوى صمتي وندائي ليس له أصداء

(٨)

عدت وعادت كل الأهوال ورائي

عدت أُفتش عن أيامي البيض بشكل عشوائي

عدت إلى ربِّي أدعوه شفاءً

أدعوه ولاءً

أدعوه لقاءً

وأتيت أيا ضيفي الآن تكركر كالفرسانْ

كي تأسرني .. توهمني وتقول غدًا أبقى السلطانْ

لا؛ عفوًا ليس الآنْ

(٩)

يا من تتسلسل مثل النبع إلى الإحساسْ

قل لي من أنتْ

أهوى كهوى ولادة أم وسواسْ

عد فالآمال بنفسي ملء البحرْ

فغدًا ألقى ولادة والفجرْ

****

١١ - قسمة ونصيب

[المتقارب]

أحـــبُّـــكِ حـــتـــى يـــطـــلَّ المـشـيـبْ
أحـــبُّـــكِ حـــتـــى انـقـســام الـــدروبْ
وحـــتـــى أذوبَ رويـــــدًا عـلـى
مـطـاهـي الـغـرام عـديم الـضـريـب
أحـــبُّـــك أنـــت أتـــــدري لمـا
لأنـــك أنـــت دواءُ الـقـلـوب
بَـرَانـــي هـــواكِ فـروحـي الـشّـفـا
ولـيـس الـــدواءُ بـوصـف الحبوب
فـقـولـي أحـبّـك هـــذا الـــدوا
وَشَـــرِّح فـــؤادي طـبـيـب الـقـلـوب
أخـلِّـي فـــؤادي بـقـولٍ طـريٍّ
وحـلِّـي الحـديـثَ بـقـولٍ مـريـب
وقـولـي أحـبّـك حـتـى الـفـنـا
وكُـفِّـي أعـاصـيـرَ عـشـقـي الـرهـيـب
تَجـلّـي ولا تحـرمـيـنـي الـرُّؤى
أريـنـي الـكـنـوزَ وصـدِّي الـرّقـيـب
تـعـالَـي (فـواطـمُ) كـي نحـتسي
كـؤوس الـهـوى فـي زمـان الـهـبـوب
هـــواك يُـقـطّـع مـنـي الحـشـا
ويـنْـظـم شـوقـي عـقـود الـلـهـيـب

وأبـــكـــي إلـــيـــك بـــصـــوت الـظـبـا
وأمـــشـــي إلـــيـــك بمـــشـــيٍ دبـيـب
ويـــــوم ســـألـــتـــك فـــيـــه الـــهـــوى
فَـــــلانَ الحـــديـــثُ بـــجـــوٍّ مـهـيـب
وهـــبـــتـــك ذاتـــــي بـــأمـــر الـــهـــوى
فـبـات المـصـيـرُ بـأيـدي الـنَّـصـيـب
بِمُـحـيـيـا عـيـونـك فـــاح الـشـذى
فـغـطـى الـعـبـيـرَ وصـــدَّ الـشـعـوب
جـــلالـــك - فـــاطـــمُ - لـمـــا بـدا
تـــداعـــت نجـومـك نـحـو الـغـروب
بـطـرْفـك ســحـرٌ تجـلَّـى لـعـيـنـي
فـقـولـي فـتـاتـي فـإنـي مـجـيـب
سَـلـي قـسـمـة الأمـــر أيـــن انـتـهـت
فـقـد مـسَّ حـسـي وذاتـــي لـغـوب
مـــلاذي إلـــيـــك فـمـن يـا تـرى
أســـيـــلُ إلـــيـــه وإنِّـــــي غـريـب
فـخـذ بـيـديَّ - حـبـيـبـي - ولا...
تـذرنـي وحـيـدًا أسـيـر الـنُّـحـيـبْ
أصـلِّـي إلـهـي وأدعـــوك كـي
تحـقـق حـلـمًـا لـعـبـدٍ سـلـيـبْ
فَـطـيـمـةُ تـســأل مـن يـشـتـري
- فـخـفـت الحـديـث بـأنـي الحـبـيـب -
فـــؤاد يـــؤجـــل أن الـــهـــوى
ويـرمـي فـــؤادي بـسـهـم الـنُّـصـيـب

****

١٢ - أَنينُ عاشِقْ

[المتدارك]

(١)

آهٍ من نارٍ تَشْتَعِلُ
تَلْهُو بِبُطَيْنٍ خَفَّاقِ
تَغْلِي بِشَرايينِي
لَكِنْ أَتَلَذَّذُ بِالإحْراقِ
وَبِجَوْرِ قُيُودِي وَوِثَاقِي
آهٍ مِنْ هَوَسٍ لا يَنْفَصِلُ
أَتَجَزَّأُ عِنْدَ الحَضْرَةِ أتصلُ
كي أَتَحَسَّسَ في الذَّاتِ العُلْيَا أَشْواقِي
آهٍ مِنْ سَهْمٍ مَزَّقَنِي
فَبِرَغْمِ نَزِيفِي وَبِرَغْمِ دُعاءِ الرَّاقِي
أَتَذَوَّقُ طَعْمَ جُرُوحٍ لا تَنْدَمِلُ
إنّي أشْكُو صَمْتًا
قُولِي لِي أَكْرَهُ وَجْهَكَ أَوْ
إنّي فِي حُبِّكِ أغْتسِلُ
إنِّي أشْكُو مِن حُبٍّ كالسَّيْلِ العارِمِ يَرْتَطِمُ
أَأُحِبُّ أنا أَمْ أَغْرَقُ في بَحْرٍ غَرَّاقِ
أَو أفْنَى فيهِ تُرَى أَمْ أُنتَشلُ

آهٍ مِن مُتْعَةِ إغْراقِي

يا مَنْ صُهِرَتْ في قاعٍ من نَفسي

يا مَنْ صُيِّرْتِ جَلِيدًا في أعْماقِي

إنّي آنِيَةُ الطَّهْوِ

وَتَحْتِي النَّارُ فَهَلْ مِنْ واقِ

آهٍ يا هَوَسِ الأفْكارِ أنا

مَسْحُورٌ فِيكِ وما أحْلَى السِّحْر

حِينَ أُسَوِّدُ أوْراقِي

آهٍ يا طَعْمَ الآلامِ إذِ الآلامُ بَدَتْ تَكْتَمِلُ

إنّي مَجْنونٌ أبدًا، إنّي مجنونٌ فِيكِ

وما أجْمَلها لَحَظَاتُ جُنُونِي حين تعربدُ أشواقي

حِينَ أقُومُ بِتَصْوِيرِ مَلامِحِ وَجْهِكِ في

في ساعاتِ الإشْراقِ

إنِّي مأسُورٌ فِيكِ وما

أَحْلَى أَسْرِي إذ أَرْوِي الوَرْدَ بِدَمْعٍ رَقْرَاقِ

إنِّي مَقْتُولٌ فيكِ

وما أحْلَى مَوْتِي حِينَ يَقُولُ النَّاسُ

بأنَّكِ يا خَنسَا سَبَبٌ فِي مَوْتِي وَفِرَاقِي

أَحْيِينِي في أعْماقِكِ أوْ أَفْنِينِي

إعْطِينِي قَلْبَكِ أوْ لا تُعْطِينِي

فأنا لا أطْلُبُ أكثَرَ مِنْ أنْ أبْقَى رَمْزًا للعُشَّاقِ

(٢)

أَحْسَسْتُ الآنَ أيا خَنسَا أنّي أحْبَبْتْ

أيْقَنْتُ بِأنَّ هَوَايَ الماضِي عَبَثٌ

وَبِأنِّي رَغْمَ مَصِيرِي المَجْهُولِ سُعِدتْ

إنّي يا خَنسَا الآنَ بَدَأْتْ

وَعَجِبْتُ لأنِّي أَلْمَحُ وَجْهَكِ في كَلِّ اللَّحَظاتِ

على الظُّلُماتِ على الأضْواءْ

وأراكِ علَى فِنْجانِ القَهْوَةِ عِنْدَ الإمْساءِ

وأراكِ على نُورِ الزَّهْرِ

أراكِ أراكِ علَى كُلِّ الأشْيَاءْ

أَوَ تَدْرِينَ بِأنِّي بَعْدَ لِقَائكِ يَا خَنْسَاءُ جُنِنْتْ؟

وَعَجِبْتُ لأنِّي كَيْفَ شَهِدت ولادَة حبِّي

إنِّي الآنَ وُلِدتْ

لا تَسْأَلِي عَنْ تاريخِي الماضِي

هُوَ شَكْلٌ مِن أشْكالِ اللَّعِبِ

إنِّي مِن عُجْنَةِ نَهْدِكِ مِن ضِلْعَيْكِ خُلِقْتْ

وأُحِسُّ بأنَّكِ أنتِ أنا

فلِماذا لا أتَنَعَّمُ مِنكِ «أنا»

وأنا في ذِكرِ هَوَاكِ فُطِرتْ

فَخُذِيني يا «أنا» إنِّي مِن دَوْرانِي حَوْلَ الذَّاتِ تَعِبْتْ

فخُذِيني عِنْدَكِ كيْ أسْكَرَ مِنْ عَيْنَيْكِ

وَمِنْ شَفَتَيْكِ

فَخُذِينِي عِنْدَكِ لأذُوبَ عَلَى لَمَسَات يَدَيْكِ

فَخُذِينِي كَيْمَا أتَلاشَى بَيْنَ جَنَاحَيْكِ

أُفٍّ لِحَقَائق دُنْيايَ

إنِّي من أحكام المَنْطِقِ يا خُنسُ مَلَلْتُ

(٣)

أحْبَبْتُ كَثِيرًا يا خَنْسَا...

لَكنْ لَم ألْقَ هَوًى مَجْنُونًا كالتَّتَرِ

أَحْبَبْتُ كَثِيرًا...

لَكنْ لَمْ ألْقَ هَوًى كَهَواكِ

يُعَلِّمُنِي كلُّ لُغاتِ البَشَرِ

حُبُّكِ عَلَّمَني أن ألْقَاكِ عَلَى النَّسَماتِ

وفِي سَبَحَاتِ المطرِ

عَلَّمَنِي أَنْ أَتَنَشَّقَ طَيْفَكِ في أوْراقِ الزَّهْرِ

عَلَّمَنِي كَيْفَ أُناغِيكِ برغمِ البُعْدِ عَلَى رَنَّاتِ الوترِ

(٤)

إنِّي مُشْتاقٌ سَيِّدَتِي

وَلِشَوْقِي مَكْرَمَةٌ وَخِصَالْ

هِيَ إن تَبْدُو تَنْهارُ عَلَى الفَوْرِ

كُلُّ صُرُوحِ المُحالْ

فَأَرَاكِ بِرَغْمِ السُّدُودِ

وَرَغْمِ الحُصُونِ وَرَغْمِ المُحَالْ

أشتاقُ إِلَيْكِ أَتَسَلَّقُ بُرْجَ الخَيَالْ

كَيْ أراكِ وأنتِ تَزِيدِينَ يا خَنْساءُ جَمَالاً

ويغار الجَمَالُ مِن سِحْرِ الْجَمَالْ

أَشْتاقُ أَطِيرُ إليكِ بِدُونِ جَنَاحٍ

وَأُعَانِقُ طَيْفَكَ تَحْتَ الظِّلالْ

آهْ يَا خُنسُ

بِرغمِ كَرَاماتِ الوَلِيّ، وَرَغْمِ الهُزالْ

وَرَغْمَ تَلاشِي صَرُوحُ المُحَالْ

يَتَعَرْبَدُ في الأحْشَاءِ السُّؤَالْ

فَمَتَى يَا حِبُّ الْوِصَالْ؟

****

حسب الله مهدي فضلة[1]

١ - رسول السلام ﷺ

[الخفيف]

دعْ مَـديـحَ الأنـــامِ؛ فـهْـو هَـبَـاءُ!
وامْـــدحَـــنْ مَـــنْ عـبـيـدُهُ الأمَـــرَاءُ

سـيـدَ الـــرُّسُـلِ، هـل لمـدحِـي مـجَـالُ
فـيـكَ، بـعـد الـــذي جَـــلاَ الـشـعـراء

كُـــلُّ مَـــدْحٍ يُـقـــالُ فـيـكَ ضـئـيـلُ
عـنـكَ، مَـهْـمَـا أُطِـيـلَ فـيـهِ الـثَّـنـاء

هـل يُـطـيـق الـلـسـانُ حَـصْـرَ مـزايـا
أثـبـتـتْـهـا الأعـــداءُ والأصْـــدِقـــاء؟

جـئـتَ بـالـحـقِّ والـــوَرَى فـي ضـلالٍ
تَـنْـكِـرُ الأرضُ سـعـيَـهُـم والـسـمـاء

- شاعر تشادي معاصر ولد سنة ١٩٧٤ في مدينة أبشة، قرأ القرآن الكريم، ودرس الفقه والتوحيد والسيرة النبوية على يد والده، ثم التحق بالمعهد الإسلامي بأبشة وحصل على شهادة الثانوية ١٩٩٦، وسافر إلى السودان للعمل.
- ثم عاد إلى وطنه والتحق بجامعة الملك فيصل بتشاد، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة ٢٠٠٢ وفاز بجائزة الإيسسكو للأعمال الأدبية المتميزة سنة ٢٠٠١ عن ديوانه الشعري غير المطبوع «نبضات أمتي» إذ تميز ببناء عمودي محكم، وحسن توظيف للتراث الإسلامي وتنويع للقضايا التي يعالجها من منظور إسلامي. والشاعر يعد من رواد الشعر المحافظ الملتزم بقضايا وطنه والعالم الإسلامي من حوله.
- لقاء تمَّ بيني وبين الشاعر في الجامعة الإسلامية بالنيجر أثناء انعقاد المؤتمر الدولي لعالمية الأدب الإسلامي في الفترة من ١٨ – ٢٠ أبريل ٢٠٠٢ ولقاء آخر في جامعة الملك فيصل نوفمبر ٢٠٠٣م.

عشَّشَ الجهلُ في العقولِ؛ فأمسَى
يَنْعَقُ الزيْغُ فوقها والمِراء
قد تعامتْ عن الرشادِ وضَلَّتْ
فاستوى عندها الدُّجَى والضِّياء
بل تهاوت إلى الحضيض فأضحى
ربُّها السحرُ والدُّمَى العجْماء
واحتذَتْ في الحياة شِرعةَ غابٍ
فالأناسِيُّ والضَّوارِي سواء
بينما هُمْ في ليْلِهِمْ أذَنَ الله
ـه بِصُبْحٍ يُزاحُ عنه الغِطاء
أشرقَتْ شمسُك المنيرةُ في الكَوْ
نِ؛ فضَمَّتْ أذيالَها الظَّلْماء
كالخيالاتِ للسُّكارَى إذا ما
أشرَقَ العقْلُ، واستُعيدَ الصَّفاء
أو كَغَمٍّ على فُؤادٍ ويَأسٍ
بَدَّدَتْهُ انتِباهَةٌ أو رجاء
فاستفاق الوَرَى على خيرِ صَوْتٍ
ردَّدَتْهُ الأقْطارُ والأرْجاء
حين ناديتَهم: «كفاكُم ضلالاً
ما لِهَذَا الإيجادُ والإنماء»
«انظروا الكونَ هل أتَى صُدْفَةً أمْ
أبدعَتْهُ هذِي الدُّمَى الخَرْساء»

«أم لـهـا قُـــدرةٌ بـهـا يُـجْـلَـبُ الخَـيْـ
ـــرُ، وتُجْـلَـــى الـــكُـــرُوبُ والأدواء»
«مـحـضُ وهْـــمٍ عـلـى عـقـولٍ ضـعـافٍ
نَـسَـجَـتْـهُ الـعـواطِـفُ الـعـمـيـاء»
«إنَّمـــــا الـلـــهُ ربُّـــكُـــم، فـإلـيـهِ
يُـرْفَـعُ الـنُّـسـكُ، مـنـه يُـرْجَـى الـعَـطَـاء»
«حـقُّـه فـي الـوجـودِ أنْ يُـسـتَـمَـدَّ الـ
ـنَّـهْـجُ مـن شـرعِـهِ، ويُـرسَـى الـقَـضَـاء»
«لـم يُـــرِدْ لـلـعـبـاد عـيـشَ مَـطَـايـا
تَمْـتَـطِـيـهـا الأوهَـــــامُ والأهـــــواء»
«أو لـصـوقًـا بـالـقـاعِ والـكـونُ رحْـبٌ
نـــاضِـــراتٌ آفـــاقُـــهُ الْـعَـلْـيـاء»
حِـيـنَـهـا عـاشـت الخـلـيـقـةُ عـيـدًا
فِـــيـــهِ مِـــنـــكَ تَـــألُّـــقٌ وضِـــيـــاء
واسـتـظـلَّ الـــورى بـــواحَـــةِ عَـــدْلٍ
مِـنـكَ مُـــدَّتْ أغـصـانُـهـا الـفـيـحـاء
حـيـث أعـلـنـت قـبـلَ ثـــورةِ بـاريْـ
ـسَ: (الجـمـيـعُ أمـامَ شـرعـي سـواء)
يـسـتـوي الـكـلُّ عـنـد مـيـزانِ حَـقٍّ
لـم يَـشُـبْـهُ تَـصَـنُّـعٌ أو رِيَـــاء
هـكـذا اسـتـنـشـقَ الأنـــامُ عـبـيـرًا
مِـــن رِيَـــاضِ الـــهُـــدَى لَـــهُ إزكـــاء
ذاق طـعـمَ الحَـيَـاةِ بـالـقِـيَـمِ الـعُـلْـ
ـيـا، وقـد خَـيَّـم الـضـنَـا والـشـقَـاء

واستشفَّ المعنى العميقَ لهذا الـ

ـكونِ؛ فانجابَ شكُّهُ والغِشَاء

كُنتَ ميلادَه، وكُنتَ حياةً

أنعشتْهُ، كأنَّها الكَهْرُباء

خَصَّك اللهُ أن تكونَ إمامًا

تَقْتَفِيك الهُداةُ والأصفِياء

خائضًا لُجَّةَ الحياة بفُلْكٍ

حَصَّنَتْهُ العِنايَةُ العَلْياء

أنت ربَّانُه، وهَيْكَلُهُ القُرْ

آنُ، وهْوَ المَحَجَّةُ البيْضاء

☆☆☆☆

يا رحيمًا بالمُؤمنين يُنادِي:

أُمَّتِي! أمَّتِي! وإن هُمْ أساؤوا!

إنني زهْرةٌ بهَدْيِكَ فاحَتْ

يُنْعِشُ النفسَ نفحُها المِعْطاء

إنني بُلْبُلٌ بروضِكَ يشْدو

من تَرانيمِهِ الدُّعا والثُّناء

قد سبَتْنِي آفاقُ عالَمِك الزَّا

كِي؛ فحلَّقْتُ حيث يبدو البهاء

ثُم هَدَّتْ قُوَايَ أغْلالُ أرضٍ

أرجعَتْنِي حيثُ الرُّؤَى السَّوداء

أرسِلُ الطرفَ راجِيًا ثُم يرْتَد

ـدُ كئيبًا، دمُوعُهُ سَحَّاء

لـم يـجِـدْ مـن سِـمـاتِ أمـتـك المُـثْـ

ـلَـى سـوى صُـورةٍ بـهـا إنـضـاء

كُـلَّـمـا هَـبَّ نـاعـبٌ بـادِّعـاءٍ

هُـمْ دُعـاةٌ لِـزَيْـفِـهِ أوفِـيـاءُ

ضَـيَّـعُـوا قـاربَ الـنـجـاة بـبـحْـرٍ

هُـمْ هَـشِـيـمٌ لِـمَـوْجِـهِ، أو غُـثَـاءُ!

فـاحْـتـواهُـمْ قـاعُ الحَـيـاة مَـلاذًا

واعْـتَـلَـتْـهُـمْ أدنـاسُـهُ والجُـفـاءُ

واسـتـطـابـوا مُـسـتـنـقَـعَ الـذُّلِّ كـالـدُّو

د؛ لَـهُـمْ فِـيـهِ مَـرْتَـعٌ وارتِـواءُ!

يَـفْـتَـدُون الـعـداةَ بـالـنـفـس والأقـ

ـصَـى أسـيـرٌ، تـغـلِـي لـه الأحـشـاءُ

يـرتَجِـي نـصـرةً، وكـيـف يُـرَجَّـى

مـن غُـثـاءٍ إغـاثـةٌ، أو فِـداءُ؟!

مـا لـه عـنـدهـم سـوى عـبَـراتٍ

بَـيْـدَ أنْ لـيـسَ فـي الـتَّـبَـاكِـي عَـنَـاءُ

لـو قَـفُـوا شـرعَـكَ المـنـيـرَ لـعـادوا

أمَّـةً يـخْـتَـمِـي بِـهَـا الـضـعـفـاءُ

وأعـادوا مَـجْـدًا لـهـم قـد تَـوَلَّـى

زانَـهُ الـعَـدلُ والـنَّـدَى والإخـاءُ

حـين كـانـوا أعـزَّةً يـخْـتـشـيـهِـمْ

قَـيْـصَـرُ الـرومِ، هُـم لَـهُ رُؤَسَـاءُ

حـين كـانـت نـتـائـجُ الـسُّـحـبِ تُجبَـى

لـهُـمُ، حـيـث تُمـطِـرُ الـدِّيَمـاءُ

تـلـك أمـجـادُهـم، وربـي كـفـيـل

بـالـفـتـوحـات حـين يـصْـفُـو الـنِّـداءُ

هـكـذا قـلـتَ، وهْـو وَعْـدٌ وصِـدقٌ

ومِـنَ الـلـهِ سَـوْفَ يَـأتِـي الـوَفَـاءُ

فـصَـلاةٌ عـلـيـكَ مِـن عـنـدِ رَبِّـي

وسـلامٌ بِـهِ يـطـيـبُ انـتِـهـاءُ

****

٢ - أبكي مع السحاب

[الوافر]

كَـفَـانـا يـا سَـحـابُ مِـن الـبُـكـاءِ!
فَـلا سَـلْـوَى لَـظْـلُـومٍ ونـاءِ
كِـلانـا يَـنْـزِفُ الـعَـبَـراتِ؛ هـذا
بَـكَـى دمْـعًـا، وذا يَـبْـكِـي بمـاء
أتَـبْـكِـي أن تَـبِـلَّ حُـلـوقَ قـومٍ
تَـضُـنُّ عـلـيـك حـتـى بـالـثـنـاء
تَـذُوبُ لِـكَـيْ تَـكُـونَ لـهُـمْ حـيـاةً
فـتُـجْـزَى بـالـشـتـائـم والـهِـجَـاء!
أحَـقًّـا كُـنـتَ لـلـبـنـيـان داءً
قَـدِ اسْـتَـعْـصَـى عـلـى أهـل الـدواء؟!
وزلـزلـتَ الـبِـلادَ؛ فَـلِـلْـمَـبَـانِـي
سُـجُـودٌ، دون نُـسـكٍ واتِّـقـاء؟!
وأنَّـكَ قـد جَـعـلْـتَ الـنـاسَ تمْـشِـي
كَـلاعِـبِ سـيـرَكٍ خَـوْفَ ارتِمـاء!
عـلـى المـسـتـنـقـعـاتِ تـرى جُـسـورًا
تُـذَكِّـرُ بـالـصـراطِ بـلا مِـراء!
نُـحـاذِرُ أن نَـزِلَّ فَـتَـلْـتَـقِـيـنـا
كَـلالـيـبٌ تُـعَـذِّبُـنـا بِـداء

وأجَّجْتَ البعوضَ فَشَنَّ حربًا
على الشعبِ المُجَرَّد من كساء!
فَلِلآهاتِ في الأكْواخِ لحْنٌ
شجِيٌّ هَزَّ أركانَ السماء!
و«لاماجي»[1] تُدَشِّنُ كُلَّ يَومٍ
مَمَرًّا للقيامةِ في العراء!
دعَاوى في اتِّهامِكَ، لا تخَفْها؛
فَقَدْ أكْفيكَ دحضًا لادِّعاء
فَهَلْ أنتَ الذي جَعَلَ المباني
فُقاعاتٍ تَذوب مِن الهَواء؟
وهَلْ ذوَّبْتَ أمْوالاً أعِدَّتْ
لِتَرْصيفِ الشوارعِ والبِناء؟
وهل دحْرجْتَ مالَ الشعبِ حتى
تَوَزَّع في جُيُوب الأقوياء؟
وهل أخْمَدتَ في الشبَّانِ عَزمًا
فَلَمْ يُظْهِرْ طموحًا لارتِقاء؟
وهل أغْددتَ دون السُّمِّ درعًا
به احْتَجَبَ البعوضُ عن الفناء؟
وهل أمْطارُكَ اللائي أحالتْ
بني قَوْمِي إلى شعبٍ بِدائي؟
أليس الذَّنبُ ذنبَهُمُ، ولكن
أرادوا الغَيْثَ كَبْشًا للْفِداء؟

---

(١) لاماجي: اسم المقبرة الرسمية للمسلمين في مدينة انجمينا.

فـكَـفْـكِـفْ دمـعَـك الـغـالـي؛ فـإنـي
أُرَجِّـــي مـنـك تـخـفـيـفَ الـعَـنَـاء
فـقـل لـي: هـل مـرَرتَ وأنـت سـارٍ
بـأبْـشَـى[1] وجُـدتَ لَـهَـا بِمـاء؟
وهـل قَـبَّـلْـتَ لـي فـيـهـا ثـغـورًا؟
وهـل دغْـدغْـتَ وجْـنـاتِ الـصُّـفـاء؟
وهـل حُـمِّـلْـتَ لـي مـنـهـا تَحَـايَـا
تُـريـح الـقـلـبَ مِـن حَـرِّ الـتـنـائـي؟
نَـعَـمْ! هـذي الـلآلـئُ حَـدَّثَـتْـنِـي
وذي الـنُّـسَـمَـاتُ وافَـتْ بـالـشَّـذاء
ولَـكِـنْ لـمْ تُـبَـرِّدْ حَـرَّ قلبي
فـلِـلـذِّكْـرَى اسْـتِـعَـارٌ فـي الحَـشَـاء
كِـلانـا يَـكْـتَـوِي، والـقـلـبُ دامٍ
ولا سَـلْـوَى لِـمَـظْـلـومٍ ونـاءِ

****

(١) أبشى: مسقط رأس الشاعر وفيها عشيرته وعادة ما تكون الأمطار فيها شحيحة.

٣ - كُفَّ يا دمع

[الخفيف]

كُـــفَّ يـــا دمْـــعُ؛ أنـــتَ أوَّل دائـــي
أنـــتَ عِـــنـــوانُ مِـحْـنَـتـي وشـقـائـي
أنـــتَ جَـــرَّأتَ كُـــلَّ نـــذلٍ عـلـى ظلـ
ـمـي، وسَـلْـبـي وغِـيـلَـتـي واجْـتِـزائـي
لا تَـسـلْ؛ حَـسـبـيَ الـدمـاءُ دمـوعًـا
والجِـــراحـــاتُ أعْـيُـنًـا لا تُـرائـي
لا تُـفَـتِّـتْ قَـلـبـي، فـحـسـبـيَ أنـي
أُمَّـــةٌ حُـــوِّلَـــتْ إلـــى أشْـــلاء
تـسـتـبـيـح الـكِـلابُ لحْـمـي وأُصْـلَـى
نَـــارَ ذلٍّ تَـغْـلِـي بـهـا أحْـشـائـي
أسـتَـغـيـثُ الـــوَرَى ولا ثَـــمَّ غـوثٌ
غَـيْـرُ عَـيْـنٍ غِـيـاثُـهـا بـالـبـكـاء
لـم أكُـنْ أعـــرِفُ الـبُـكـاءَ، ولـكِـن
عَـلَّـمـتْـنِـي مَـــخَـــاذِلُ الجُـبـنـاء
مـزَّقـوا مـن شـريـط عـمـري فـصـولاً
كـــالـــدَّرَارِي بَـيْـــنَ زُهْـــر الـسـمـاء
كـانـت الـشـمـس تـسـتـضـيء بـنـوري
والمحـيـطـاتُ تَـسْـتَـمِـدُّ عَـطَـائِـي

يضحك الكونُ حين أرضَى ويَهْمِي

دمعُهُ حِينَ تَكْفَهِرُّ سمائي

ينبت العدل حيث تخْفِق رايا

تِي، ويجلو دُجَى الضلال ضيائي

فاخْتَفَى كُلُّ ذاك مني كحُلمٍ

بدَّدتْهُ انتِباهَةٌ في عَراء

عُدتُ أجري خلف السراب وحولي

ينسِج الحاقدون فَخَّ فَنَائي

واستحالتْ رياضُ مجدي يبابًا

مُجْدبًا دون بَهْجةٍ أو رواء

واعْتلَى عَرشَ أمَّتِي كُلُّ باغٍ

خائنٍ هَمُّهُ امتصاصُ الدماء

فلْتَكُفَّ الدموعُ! إنِّي مُعيدٌ

عَهْدَ مجْدي بإذن ربِّ السماء!

إنَّني قادمٌ بحَقِّي وعَدْلِي

فَلْيُحاوِلْ كُلُّ الطغاة اخْتوائي!

سوف أحْبو هذا الوجودَ حياةً

حِينَ أجْتثُّ داءَهُ بِدوائي

فَلْأكُنْ واحَةَ السلام، لِظِلِّي

يَلجأ الركْبُ من هَجِير الشَّقاء

ولْيَكُن كَوْثرَ المَحَبَّةِ قلبي

ينهلُ الحَبُّ منه كُلُّ الظِّماء

فـــإذا زَمْـــجَـــرَ الـطـغـاةُ فَـسـيْـفِـي

فـي يَـــدِي، رمْـــزُ عِـــزَّتِـــي وإبـائـي

هـكـذا يـسـتـحِـيـلُ نَـوْحِـي هَـدِيـرًا

هـــادمًـــا جـــارفًـــا صَـــــروحَ المِـــراء!

هـكـذا يـسـتـحـيـلُ دمـعـي ابـتـسـامًـا

هـــكـــذا تـنـقـضِـي عـــهـــودُ الـبـكـاء!

****

٤ - في آفاق القرآن[1]

[الرمل]

حَـلِّـقِـي يـا روح فـي عَـلْـيـائِـهِ
واسـتـشِـفِّـي الحـقَّ مـن أضـوائِـهِ
وانـهَـلِـي الإيمـانَ مِـن ينبوعِـهِ
لـيس أزكَـى منبعًا مـن مـائِـه
واسْـبَـحِـي مـا شِـئْـتِ لَـكِـنْ نـحْـوَهُ
فـالـهُـدَى والأمـنُ فـي مـينـائِـه
لا تُـصِـيـخِـي نـحْـوَ غِـربـانِ الـهَـوَى
كُـلُّ حَـقٍّ فَـهْـوَ مـن أصـدائِـه
سـائِـلـي الـتـاريـخَ عَـن إعْـجـازِهِ
واكْـشـفـي المـكـنـونَ مـن أنـبـائِـه
نَـقِّـبِـي فـي قـاعِـهِ عَـن أُمَّـةٍ
عَـدُّهـا فـي الـبـدءِ مـن أقْـذائِـه
قَـد رمـاهـا الـشِّـرْكُ فـي مُـسْـتَـنْـقَـعٍ
لُـوِّثَـتْ فِـطـرتُـهـا مـن دائِـه
مَـنْ أراد الـنُّـسـكَ سَـوَّى ربَّـهُ
مِـن جـمـادِ الأرضِ، مـن أهـوائِـه

---

(١) ألقيت في الحفل الختامي لمسابقة تركي دبوس الدبوس الأولى لتحفيظ القرآن الكريم في يوم الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢١هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠١م في قاعة قصر ١٥ يناير بالعاصمة أنجمينا.

أُمَّـــةٌ لَـم تَـــدرِ مـن شـأن الـعُـلا
غَـيـرَ نـهْـبِ المـالِ أوْ إفْـنـائِـه
لـم يـكُـنْ لـلـعَـدْلِ مَـعْـنًـى عندها
غَـيـر عـدلِ الـذئـب فـي بـيْـدائِـهِ
كَـمْ زعـيـمٍ سَـادهـا، لـكِـنَّـهُ
لـم يَـزِدْ عَـن نُـوقِـهِ أو شـائِـهِ
قـد أذابَ الـعَـقْـلَ فـي كَـأسِ الـطِّـلا
واسـتَـقَـى الـتَّـفْـكـيـرَ مـن أمـعـائِـهِ
كَـيـف يَـرْقَـى مِـثْـلُـهـا لـلـبحث عن
غـايـةٍ لـلْـكَـوْنِ أو إنـشـائِـهِ؟
بـيـنـمـا اسـتَـلْـقَـتْ وخـارتْ لـيـلـةً
غـاب فـيـهـا الـشَّـرُّ فـي إغـفـائِـهِ
إذ تجَـلَّـتْ رحْـمَـةُ الـرحـمـنِ كـيْ
تُـنـقِـذَ الـعـالَـمَ مـن إغْـمـائِـهِ
مـن حِـرَاءَ الـغـارِ أبـدتْ مَـطْـلَـعًـا
غـارتِ الأفْـلاكُ مِـن إعـلائِـهِ
مِـنـهُ بـالـقُـرآن شَـمْـسٌ أشـرقـتْ
جَـرَّدتْ ذا الـكَـونَ مـن ظـلـمـائِـهِ
أرسَـلَـتْ مِـنْ آيِـهِ أشِـعَّـةً
أزْدَتِ الـطـاغـوتَ فـي أحْـشـائِـهِ
وارتَـقَـتْ بـالأُمَّـةِ الـوَسْـنَـى إلـى
هـامَـةِ الـتـاريـخِ فـي اسـتـعـلائِـهِ

أخْـــرَجَـــتْ مـنـهـا أطِـــبَّـــاءَ الـــوَرَى

أيْـــن جـالِـيـنـوسُ مِـــن كـمْـيـائِـهِ؟

هَـــلْ دَرَى الـعَـالَـمُ مَـــنْ أهْـــدَى لَـهُ

مِـجْـهَـرًا لـلـكـشـفِ عـن أدوائِـــهِ؟

ثُـــمَّ أردَى كُـــلَّ فـيـــروسٍ بِـــهِ

بـــاذلاً لـلـــروح فـــي إبْـــرائـــه؟

مَـــن سِـــوانـــا؟ مَـــن سِـــوَى أُمَّـتِـنـا

يَـسْـتَـظِـلُّ الـكـونُ فـي أفـيـائـه؟!

حِـــينَ كُـنَّـا أُمَّـــةَ الـقُـــرْآنِ لَـمْ

نـقْـتَـبِـسْ زَيًّـــا سِـــوى أزيـائِـهِ

نـسـتـمِـدُّ الحَـــقَّ وحْـيًـا لـيـس مِـنْ

أدعِـــيـــاءِ الـعِـلْـمِ أوْ أعـــدائِـــهِ

لـم نـغُـصْ فـي وَحْـلِ (أوسـلـو) أو نَـتِـهْ

فـي سَـــرابِ الـغـربِ أو صـحـرائِـهِ

حِـــينَ كَـــان الـنـحْـلُ يـشـدو حـاكـيًـا

شـــدْوَنـــا فـــي الـلـيـل فـــي إقْـــرائِـــهِ

ثـم يَـقْـضِـي الـصُّـبْـحَ فـي تـقـلـيـدنـا

إن رأى الـتـحْـلـيـقَ فـي أجْـوائِـهِ

هـكـذا يـا روحُ كُـونِـي نَـحْـلَـةً

لَـــمْ تَمِـــلْ لـلـنَّـوْمِ أو إغْـــرائِـــهِ

دونَـــكِ الـــقـــرآنَ روضًـــا نـاضـرًا

فـارشُـفـي مـا شـئـتِ مِـــن أنـدائِـهِ

قــدِّمِــي لــلــكَــوْنِ مِــنْ أزهــــارِهِ
شَــهْــدَهُ المَــشْــهُــودَ بــاســتــحْــلائِــهِ

لا تَــرومِــي غــيــرَهُ رَوْضًــــا؛ فَــكَــمْ
عِــفْــتُ طِــيــبًــا شَــذَّ عــن أشــذائِــهِ

فــالــهُــدَى فــي هــديِــهِ، والــفــوزُ فــي
نــهــجِــهِ، والمَــجْــدُ فــي إغْــلائِــهِ

****

٥ - على ضفاف نهر النيجر

[الوافر]

(نـيـامِـي)[1] نـحـوكِ انـطَـلـق الـفـؤادُ
يـسـابـقُـنـي، مـطَّـيـتُـه الـسـوِدادُ
يـودِّعـنـي بـخـفـقٍ ثـم يَـسـرِي
بـأجـنـحـةٍ لـهـا تُـطْـوَى الـبِـلاد
بـه شـوقٌ إلـيـكِ وقـد رآنـي
بـطـيـئًـا إذ تجـاذبُـنـي الـوِهـاد
فـحَـلَّـقَ نـحـوَ أفـقِـكِ هـاتـفًـا بـي:
كـفـى زحـفًـا، فـقـد أضـنـى الـبـعـاد
أأبـقَـى فـي الـقِـفـارِ وذاكَ روضٌ
أمـامـي، فـيـه عـلـمٌ يُـسـتـفـاد
بـه أحـبـابُـنـا اجـتـمـعـوا لـيَـسْـقُـوا
قـرائـحَـنَـا زلالاً يُـسـتـجـاد
هـيَ الآدابُ تُـزْهِـرُ حـين تُـسـقَـى
رحـيـقًـا فـيـه حُـبٌّ وانـتـقـاد
وتَـصْـلُـبُ فـي يـد الـتـقـويم عـودًا
فـلـيـس تـهـزُّهـا الـمِـحَـنُ الـشِـداد

---

(١) نيامي: عاصمة جمهورية النيجر، وألقى الشاعر القصيدة في أثناء إقامة مؤتمر عالمية الأدب الإسلامي في الجامعة الإسلامية في أبريل ٢٠٠٢م وكنت مشاركًا عن تشاد ببحث عن الشعر التشادي وكان الشاعر مشاركًا بإبداعه الشعري.

فـتُـوْتِـي أُكْـلَـهـا بـبـنـاءِ جـيـلٍ
يـكـونُ بـه انـطـلاقٌ واتِّحـاد
فـمَـن لـلأمـةِ الحـيـرَى إذا مـا
ذوو الآدابِ غـالَـبَـهُـمْ رُقـاد؟
ومَـن يـحـدو الـكـتـائـبَ حـين تـسـري
إلـى المـيـدان إذ يـدعـو الجـهـاد؟
أمـا سـالـت دمـوعٌ بـل دمـاءٌ؟
بـكـل دويـلـةٍ شـعـبٌ يُـبـاد
هَـبُـوا الأفـغـانَ والـشِّـيـشـانَ كـانـوا
بـغـاةً قـتَّـلُـهُـمْ عـدُلٌ مُـراد
فـمـا لـلـمـسـجـدِ الأقـصـى الـبـغـايـا
تُـعـرْبِـدُ فـيـه، يـغـشـاهُ الـفـسـاد؟
وهـل أطـفـالُ غـزَّةَ قـد تـخـفَّـى
«أسـامـةُ» بـيـنَـهـم، فـلـهُـم يُـكـاد؟
نـعـم إنَّ الأسـودَ إذا تـأبَّـتْ
فـفـي الأشـبـالِ ثـأرٌ واضـطـهـاد
وإن غـار الـذئـابُ عـلـى شـيـاهٍ
فـلـيـس لـواحـدٍ مـنـهـا حِـيـاد
سلوا الـسَّـاطـورَ[1]: ما ذنـبُ الضحايا؟
إزارهـم الـتـطـرُّفُ والـعِـنـاد؟
ومـا عـرفـوا انـتـحـارًا وانـفـجـارًا
فـكـيـف جَـرَتْ دمـاؤهُـمُ وبـادُوا؟

(١) الساطور: آلة كحد السيف استخدمها الفرنسيون في قتل أربعمائة عالم في أبشة في موقعة شهيرة تسمى بالكبكب ١٩١٧م.

كـــأنّـــا أمـــــةٌ فَـــــرْضٌ عـلـيـهـا
تَـلَـقِـي الـطَّـعـنَ كـي يـحـيـا الـعـبـاد
فـهـيّـا نَـنـسـجُ الـنـكْـبَـاتِ جـسـرًا
إلـى الـعَـلـيـاء حـيـثُ الـرسْـلُ سـادُوا
لـنـا فـي الـمُـصـطـفـى الـمـخـتـارِ هـادٍ
وحـــادٍ حـين جُـلُّ الـنـاسِ حـادُوا
ومـــا فـــي غـيـرِ وحـدتِـنـا سـبـيـلٌ
بـــه الـمـجـدُ الـمـؤثَّـل يُـسـتـعـاد
إذا مـا (نـيـجـرٌ) نُـكِـبَـتْ بـجُـرحٍ
فـمِـن دمِـهـا تجُـودُ لـهـا تَـشـاد
وإن نـادتْ «إيـسـيـسـكـو»[1] فـي انـطـلاقٍ
تـواثـبَ نـحـوهـا سـيْنٌ وصـاد
فـسِـيـري يـا نـيـامـي فـي طـريـق
بـهِ الـنـورانِ: إسـلامٌ وضـاد
وكـونـي واحـةً يـنـسـابُ مـنـهـا
إلـى إفـريـقـيـا خـيْـرٌ يُـراد
فـمـا هـذا الـلـقـاءُ سـوى بـشـيـرٍ
بـأنَّ إلـيـكِ خـيـراتٍ تُـقـاد
وهـذي دوحـةُ الإسـلامِ أرسـتْ
بـسـاي[2] جـذورَهـا ولـهـا امـتـداد
تمُـدُّ غـصـونَـهـا الـفـيـحـاءَ يـأوِي
إلـيـهـا مَـن مُـرادُهـم الـرشـاد
تـري بـرحـابِـهـا الـنـحـلَ انـتِـشـارًا
وجْـنـيًـا كُـلُّـهُ فَـنٌّ مُـجـاد

---

(١) الإيسيسكو: المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية.

(٢) ساي: مدينة في النيجر يوجد فيها الجامعة الإسلامية.

وإنـتـاجًـا لـذا الـشـهـدِ المُـصَـفَّـى
شـفـاءٌ لـلأنـام ومـنـه زاد
مِـنَ الإسـلامِ قَـد سَـلَـكَـتْ سبيلاً
فـلـيـس لـغـيـرهِ فـيـهـا الـقِـيـادُ
بـهـا عـبـدُ الـعـلـيِّ[1] تـراه يُـعلِي
لـواءَ الـعـلـم فَـهْـوَ لـهُ عِـمـادُ
تَـدَفَّـقَ نـحـو أمَّـتِـهِ عـطـاءً
فـكـان لـهُ ابـتـكـارٌ واجـتـهـادُ
تـضـاءل نـهـرُ نـيـجـرَ إذ تَمَـنَّـى
يـنـافـسُـه فـخـالـقَـهُ المـرادُ
فـهَـبْـهُ سـقَـى الـتـرابَ فـهـل سيسقِي
عـقـولاً لـمْ يُـطَـوِّعْـهـا انـقـيـادُ؟!
وهـل يـبـنِـي لأُمَّـتِـنـا تُـراثًـا
بـه «الـقـالـي» يُـخَـلَّـدُ و«الـعِـمـادُ»؟
مـآثـرُ كـالـنـجـوم لـهـا سـطـوعٌ
ولـيـس لـهـا إذا عُـدَّتْ نَـفـادُ
فـبُـشـرَى سـايَ، بـل بُـشـرَى لـقـومٍ
تَـلَـقَّـوْا عِـلْـمَـهُ وبِـهِ أفـادوا
وبُـشـرانـا بـجـمـعٍ ذي ائـتـلاقٍ
بـنـورِ شـمـوسِـهِ انـزاحَ الـسَّـوادُ

نيامي في ٥ صفر ١٤٢٣هـ

الموافق: ٢٠٠٢/٤/١٨م

****

(١) عبدالعلي: هو الأستاذ الدكتور عبدالعلي الودغيري رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر وهو مغربي ويتميز بمكارم الأخلاق والعلم الغزير.

٦ - خواطر في ذكرى غزوة بدر

[الطويل]

تبارَكتَ - ربِّي - شهرُ نصرِكَ قد أتى
وأُمَّتُنا كَالطَّيْرِ بين يدَيْ طِفْلِ
تزعَّمها الفُسَّاقُ غصْبًا فأصبحتْ
تَتِيهُ بِسِرداب الضلالة والذل
رأَوْا في اتِّباعِ الغربِ نورًا، فَرَاعَهُمْ
تَجَهُّمُ أفقٍ خَلْفه ظلمةُ الليْل
فيا قومُ، إن رمْتُمْ نجاةً فهاكُمُ
قواربَ إنقاذٍ إلى الشاطئ السهْل:
فما لَكُمُ غير الكِتَاب سفينةً
ولا ثَمَّ ربانٌ سِوى سيِّد الرّسْل

☆☆☆☆

رسُولَ الهدى، يهْنِيكَ نصْرٌ مُؤَزَّرٌ
بِهِ صَلَفُ الكُفَّارِ مُرِّغ في الوحْلِ
نهضتَ لنشر الحَقِّ، والكَونُ مُظْلِمٌ
فأظهرتَ مخْفِيًّا، وفقَّهتَ ذا خبْلِ
دعَوْتَ إلى الإسلام قومًا أذابَهُمْ
تَأَجُّجُ أضغانٍ على مَرجلٍ يغلي
فأشرق نورُ الله في البعض؛ فاهتدوا
وذابَتْ جَراثيمُ التباغُضِ والغِلِّ

وأصغَى إلى إبليسَ بعضٌ، فأُعمِيَتْ

بصائرُهمْ، كالبَهْمِ سارتْ بلا عقل

وعَرْبَدَ شيطانُ الضلالةِ صارخًا:

أأرضى وهذا الدين يحظى بذا الطَّوْل؟!

فسَارتْ جُيُوش الكفر تبغي تغلُّبًا

على الحَق والإيمان بالطيش والجهل

وخَفَّ جنودُ الله يخْفِقُ فَوْقَهُمْ

لواءٌ، من الرحمن قد خُصَّ بالوصل

فلما التقى الجيشانِ؛ جَيْشٌ مُرادُهُ

فسادٌ، وجَيْشٌ هَمُّهُ نصرةُ العَدل

تنادتْ جنودُ الحقِّ: يا عدنُ أقْبِلِي،

فإمَّا الهُدَى، أو عيشُكِ السابغُ الظِّلِّ

هُناك أمَدَّ اللهُ بالنثرِ جُنْدَهُ

وفَلَّ فُلُولَ الشِّرْكِ بالضَّرْبةِ الفَصْل

فَفَرُّوا وطاروا في البريَّة ذُعَّرًا

كَأوْهامِ سَكْرانٍ لدى عودة العقل

وأعقَبَهُمْ جُنْدُ الهداية مُصْلِتًا

عليْهِمْ سيوفَ البتر والأسر والقتل

أتَوْكَ بِهِم أسرَى فزِدتَ تألقًا

وعامَلْتَ ذي الأسرى معاملةَ النُّبْل

مَنَنتَ عليْهِمْ بالفداءِ ولوْ هُمُ

أصابوك لم يرضوْا سوى موردِ النصْل

وجُـــدتَ عَـلـى بـعـضٍ بِـعَـفْـوٍ تـفـضُّـلاً

(ومِـثْـلُـكَ مـن يـعـفـو، ومـالـك مـن مـثـل)

☆☆☆☆

نـعَـمْ هـكـذا الإسـلام؛ سـيـفٌ ومـصـحـفٌ

يُـسَـلُّ عـلـى الـبـاغِـي، ويَـحْـكُـمُ بـالـعـدل

مـتـى كَـان ديـنُ الـلـهِ دمْـعَـةَ ذِلـةٍ

وتَـبْـريـرَ أحـكـامٍ، وقـولاً بـلا فِـعْـل؟

ألَـمْ تَـكُ بَـدرٌ مـن مـعـالـم ديـنـنـا؟

ألـم تَـكُ فُـرقـانًـا، كـمـا قـال ذو الـطَّـوْل؟

فـيـا رمـضـانَ الـفـتـحِ والـنـصـرِ، عُـدْ لنا

بِـنَـصْـرٍ كَـبَـدْرٍ، فـيـه إسـلامَـنـا نُـعْـلـي!

****

٧ - صفحة من الكفاح والصمود[1]

[البسيط]

يا مـعْـهَدَ الخـيـرِ، فـي أعـيـادِكَ انطَلَقَتْ

تُـعـانِـقُ الـنـفـسَ أحْـلامٌ وآمـالُ

هَـذِي الـقـلـوبُ تـلاقَـتْ فـيـكَ يـغـمِـرُهـا

فـيـضٌ مـن الحُـبِّ والإخـلاص سيَّال

جـاءتْ تُـهَـنِّـئُ بـالأفْـراحِ هـاتِـفَـةً:

أنِـصْـفُ قـرنٍ مضى أم تلك أجـيـال؟!

خـمـسـون عـامًـا بـأفـقِ المـجْـدِ ساطعـةً

بـهـا اسـتـنـارتْ ديـاجِـيـرٌ وأدْغـال

خـمـسـون عـامًـا بِـسَـمْـعِ الـدهـر عـازِفَـةً

لحْـنَ الخـلـودِ، لـهـا الـقـرآنُ أزجـال

خـمـسـون عـامًـا بـصَـوْتِ الحَـقِّ داوِيَـةً

لَـهـا بـأفـئـدةِ الأعْـداءِ زِلْـزال

فـاهْـنَـأْ أيَـا مـعـهـدَ الإيمـان، واحـكِ لنا

أمـجـادَ عَـهْـدٍ بِـهِ الـتـاريـخُ يـخْـتـال

ردِّدْ لنا الصيحةَ العظمى التي انطَلَقَتْ

مـن رائـدٍ، مـا لـه فـي الـنـاس أمـثـال:

---

(١) تحية لمعهد أم سيوقو بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيسه ١٩٤٤ - ١٩٩٤م.

«وا حَسْرَتَا! وطني المحبوبُ مُخْتَنِقٌ
عليه من ظُلُماتِ الجهلِ سِربال»
«يُغضِي على الضَّيْمِ، والأعداءُ عابثةٌ
بِهِ، لها منه تعظِيمٌ وإجلال»
«والدِّينُ خلْفَ ضُبابِ الوَهْم منتكِسٌ
يغروه وَهْنٌ، وفوق الوَهْنِ أثقال»
«فلأنشُرَ العلمَ؛ إن العلم إن سطعتْ
أنْوارهُ عزَّتِ الأوطانُ والآل»
«ولأمْضِ في همةٍ، لا القيدُ يحبِسُها
ولا المناصبُ تُغريها، ولا المال»
إذ ذاكَ أشرقتِ الأرجاءُ، وانتَعَشَتْ
روحُ الهُدَى، وهَمَى غيثٌ وسلسال
واستنشق الناسُ أنسامَ الحياةِ؛ فما
عَادتْ تُعِيقُهُمُ حُجْبٌ وأوحَال
فاغتاظَ مستعمرو الأوطانِ، والتهبتْ
أحقادُهمْ، فلها في الجوف إشعال
حَاكوا الدسائسَ حول الشيخ؛ فانتشرتْ
مِنْهُمْ عليْهِ كلالِيبٌ وأحْبال
لكِنْ مضى الشيخُ سيفًا دونَهُ سَقَطَتْ
نُبْلُ الضَّلالِ، وفُلَّتْ عنه أنصال
مضى يقودُ إلى الرحمنِ مَرْكَبَهُ
لم تَثْنِهِ عنه أمْواجٌ وأهْوال

واستمسكَ الناسُ بالقرآن، واعْتَصَمُوا
رغْمَ العِدَى، وتلاشَى القِيلُ والقال
فغصَّ مستعمرُ الأوطانِ، وارتَجَفَتْ
به العظامُ، وشُلَّتْ منه أوصال
وصاح: ما بالُ هذا الشيخِ في دَأَبٍ
عليه فيْضٌ من التأييد ينهال
وذي مَنَارتُهُ بِالعِلْمِ ساطعةٌ
ما للخَفافيشِ في الأنوارِ إقْبال
إن ينشُرِ العلمَ لا تثْبُتْ قواعدُنا
فإنَّما نحنُ عند الجهلِ أبطال
فَلْيُمْحَ معهدُهُ، ولْيلْغَ منهجُه!
ولْيُجْزَ بالنفيِ؛ إن النَّفْيَ قَتَّال!
فسجَّلَ المجدُ والتاريخُ ملحَمَةً
للحَقِّ، تشهد أن الشيخَ رِئبال
لمْ يَحْنِ هَامَتَهُ من زأرهِمْ؛ فَبَدا
كالطَّوْد يعلو، وللإعصارِ إعوال
بلْ صاح في ثقةٍ: «اللهُ يعصِمُنِي
ولْيَحْمِ ذا الصرحَ؛ فهْو الفِكرُ والبال»
«دار التغَرُّبِ بالإيمانِ لي وطنٌ
والموتُ في الله إنعامٌ وإفضال»
لا تبكِ يا معهدَ الإيمان إن خَفَقَتْ
ذِكرى الكفاحِ؛ فإنَّ الدمعَ خَذَّال

هَـــذِي الـشـبـيـبـةُ مـن أبـنـــاكَ هـاتِـفـةٌ:

عـلـيـشُ[1] رمـــزٌ، بـه الإســـلامُ يُـغْـتـال

إن يُـبْـعِـدوهُ فـفـي الأحـشـاء مـسـكَـنُـهُ

أو يُـسْـكِـتـوهُ، فـصـوتُ الحـقِّ جلـجـال

أو يـحـسِـبُـوا أنَّـهُـمْ مـن جيشِـنَـا نَـزَعُـوا

لـيـثًـا، فـهـا نـحـن فـي المـيـدانِ أشـبـال!

****

(١) عليش: محمد عليش عوضة شيخ تشادي ومن مؤسسي معهد أم سيوقو وله مكانة كبيرة في مدينة أبشة، درس في الأزهر ونال درجة العالية وعاد إلى وطنه فأنشأ المعهد الذي يعد منارة للعلوم الإسلامية والعربية وهو تحت إشراف الأزهر.

٨ - ملحمة الشيشان

[الرمل]

فــوقَ صــحْــراءِ الجـلـيـدِ الـقـاحِـلـهْ
ألمــحُ الـنِّـيـرانَ بـاتَـتْ تُـشْـعَـلُ
ذا يـتـيـمٌ، تِـلْـكَ أُمٌّ ثـاكِـلـهْ
ذاك شَـيْـخٌ فـي صـقـيـعٍ أُنـزِلـوا
والـذِّبـابُ الـرُّوسُ تـغْـوي أكِـلـهْ
مَـن نجـا مِـن مُـحْـرِقـاتٍ تـهْـطِـلُ
أيَّ ذنـبٍ ذي الـضَّـحـايـا فـاعِـلـهْ؟!
لا تَـسَـلْـنِـي فـالـصَّـدَى لا يُـسْـأَلُ
لـم أكُـنْ إلاَّ أداةً نـاقِـلَـهْ
نَـوْحَ أوطـانـي الـتـي تُـسْـتَـأْصَـلُ
أمَّـةُ الـشـيـشـانِ هـبَّـتْ قـائـلـهْ:
ديـنِـيَ الإسـلامُ نِـعْـمَ المَـنْـهَـلُ!

☆☆☆☆

فـاسْـتـشـاط الـكُـفْـرُ الـقَـى بُـرقُـعًـا
كَـم تَـخَـفَّـى خـلـفَـه! كـم ضَـلَّـلا
مَـنـطِـقُ الإقـنـاعِ أضْـحَـى مِـدفـعًـا
فـوقَ أشْـلاء سُـكُـوتٍ جـلْـجَـلاَ
يـلْـفُـظ الـصـاروخَ يـهـوِي مُـسْـرِعًـا
نـافـثًـا حِـقْـدًا ومَـوتًـا مُـشْـعَـلا

كَـم شَـــوَى شِـيـبًـا وأفـنـى رُضَّـعًـا
كَـــم بـــيـــوتٍ وادعَـــــاتٍ زلـــزَلاَ!
فـتَّـتَ الـعُـــدْوانُ مِـنَّـا أضْـلُـعًـا
وبِـــغـــارٍ مِـــن بِمَـــانـــا كَـلَّـلاَ
مـجـلـسُ الأمـــنِ رأى فـيـمـا ادَّعَـــى
مـا (الـكِـرمـلـيُّ) بِـقَـوْمِـي أنـــزَلاَ

☆☆☆☆

ثـم أقْـعَـى فـي خُـمـولٍ لاهِـيَـا
مُـغـمِـضًـا عـيـنًـا، ورأسًـــا نـكَّـسـا
قـــال: ذي الـقـتـلـى رعـايـا (روسِـيـا)
مَـــرْكَـبُ الإرهـــابِ فـيـهـم قـد رَسَـا
فـلـتُـؤَدَّبْ مـن تَـــراهُ الـعـاصِـيَـا
ولْـتُـطَـهَّـرْ مـن تـــراهُ اسـتَـنْـجَـسَـا
إن سَـــرَتْ فـيـهـمْ سـمـومُ الـكِـيـمـيـا
حـيـنـهـا «لـلـشـجـب» نـدعـو الـمـجـلِـسـا
هـكـذا الأعـــــداءُ تُـــزْجِـــي عـارِيًـا
مـنـطِـقَ الحِـقْـدِ الـــذي قـد أفْـلـسـا
كـيـف ســـاروا نـحـو أقـصـى آسـيـا؟
أم بـنـو تـيْـمـورَ أغْـلَـــى أنـفُـسـا؟

☆☆☆☆

أيـــن فـيـتـو؟ أيـــن دعـــوى الـعـوْلـمـةْ؟
أيـــن شُـــرطـــيٌّ عَـلـيـنـا عَـــرْبَـــدَا؟
لا تَـسَـــلْ يـا قـلـبُ مـنـهـم مـرحَـمَـةْ
كُـــلُّ مَـسْـعُـــورٍ عـلـيـنـا اسـتـأسـدا

أيــن حُــكَّــامُ الـشُّــعـوب المـسـلـمـة؟

أيــن مــيـثـاقٌ عُــرانــا وحَّـــــدا؟!

لا تــسَــلْ؛ حـسـبـي جـراحـي المـؤلـمـة

لا تـسـلْـنـي؛ ذكْــرُهُــمْ لَــن يُـخْـمَـدا!

إن تُـــرِدْ مـحـرابَـهـم أن تـعـلـمَـهْ

سِــرْ لـواشِـنـطُـنْ تجـدْهُـم سُـجَّـدا

فـاسْـلُ عـنـهـم وانْـــحُ شـطـرَ المـلـحـمـة

لا تُــخَــلِّــدْ مَــن لأرضٍ أخـلـدا

☆☆☆☆

يـا نـســورًا حَـلَّـقـتْ فـوق الـــذُّرى

عـافـت الـسَّـفْـحَ وقـاعًـا مُـنْـتِـنـا

قـمَّـةُ الـقـوقـازِ صـــارتْ مـنـبَـرا

لـلْـجـهـادِ الحـــقِّ فـيـهـا أذَّنـــا

فـاجـعـلـيـهـا نـحـو عـــدنٍ مـعـبـرا

واتــرُكِــي الـسـفـحَ لأوسـلـو مـوطِـنـا

واكـتُـبِـي بـالـدم فـيـهـا أسـطُـرا

تـغـدُ نـهْـجًـا لـلْـمَـعَـالِـي بيِّـنـا

عَـلِّـمـي هــذا الـبُـغـاثَ الأذعَـــرا

أن نـيْـلَ الحَـــق يـبـغـي بُـرْثُـنـا

وافـهِـمِـي الـــدبَّ بـأن المِـنـسـرا

لـم يَـكُـنْ لَحْـمًـا مُـسـاغًـا لـيِّـنـا

☆☆☆☆

يـا نُـســورًا، بـلْ نجـومًـا لامـعـهْ

قـد حَـــوَتْ نَـــارًا ونُـــورًا أجمـعـا

أنـــتِ مـــن آيـــات ربـــي الـســاطـعـةْ

فـــي زمـــانٍ بـــارتِـــيَـــابٍ أُتـــرِعـــا

فـارجُـمـي تـلـكَ الـدِّبـابَ الجـائـعـةْ

عـلَّـهـا فـي الـشـهـب تـلـقَـى مَـشْـبَـعـا

بـل أنـيـري لـلـشـعـوب الخـانـعـةْ

مَـسَـلـك الـعِـزِّ الـذي قـد ضُـيِّـعـا

إن تـنـالـي الـنـصـرَ فـي ذي الـواقـعـةْ

أو تمـوتـي، كـنـتِ دومًـا أرفَـعَـا

أنـتِ إن كـان انـتـصـارٌ رافِـعـةْ

رايـةً، ربِّـي قـضَـى أن تُـرفَـعـا

أو تـكُ الأخْـرى فَـنِـعْـمَ الـدافِـعـةْ

نـحـوَ عـدنٍ، فـهْـيَ أسْـمَـى مَـوْضِـعـا

فـاتْـرُكِـي أوسْـلـو بِـسَـفْـحٍ قـابِـعَـةْ

واسْـكُـنِـي الأفـقَ الـرفـيـعَ الأوسـعـا

****

٩ - رثاء مجلس[1]

[البسيط]

يا مَجْلِسَ الأمـنِ، جُرْحي ليس ينسيني!
مـأساتُك ارتسمتْ في القلب تكْويني!
مـأساةُ جِيلٍ بـريءٍ كُنتَ واعِدَهُ
عَهْدَ المَحَبَّةِ في أعْقابِ طاعُونِ
كَم كنتَ ترسُمُ أحْلامًا تُزَخْرِفُها
بَرّاقةً تكْتَسي أثْوابَ تَزْيينِ!
كَم كُنتَ تَحْلُمُ بالجَنّاتِ تنشُرُها
قَبْلَ المَعادِ تُوشّي بالرياحينِ!
«عهْدُ الذئابِ مضى، عُدْنا بني رَحِمٍ
في واحَةٍ قد أظَلّتْنا بِتَأمينِ!»
«الحَقُّ والعَدْلُ قُدْسٌ، لا يُدنّسُهُ
بَغْيٌ، ويحْميهِما ميثاقُ تكْوينِ»
«فلترقُصِ الأرضُ في العُرْسِ البهيجِ على
أنْغامِ زُغْرُودَةٍ تشدو بتَلْحينِ!»
لكِنَّ زغرودةَ الأفراحِ ما انطَلَقَتْ
حتى استحالتْ إلى نَوْحٍ وتأبينِ!

---

(١) علقت الشعوب آمالاً عريضة على هيئة الأمم المتحدة ومجلسها المسمى بمجلس الأمن عند إنشائهما، ثم تبخرت الآمال، وأفاقت الشعوب على السراب، وتمنت الخلاص من مجلس الأمن، ولكن... فوجئت الشعوب المسكينة عند احتفال حلف الناتو بالذكرى الخمسين لتأسيسه، أنه قد يكون الخليفة المنتظر لمجلس الأمن، فتباكت مرة أخرى تريد العودة إلى عهد مجلس الأمن - رغم ما فيه من سلبيات - وكان من بين صيحات التباكي على ذلك المجلس هذه القصيدة.

والأرض قد رقصتْ، لكِنْ كَثاكِلَةٍ

أحْلامُها وُئِدتْ من غير تكْفين!

لحنُ السَّلامِ تلاشَى في الدويِّ لَدَى

قصفِ الصواريخِ أحشاءَ المساكين!

فردوْسُكَ المُرْتَجَى كم صبَّ من حمَمٍ!

كم جَرَّع الخلقَ مِن ويلاتِ غِسلين!

هذي الشعوب؛ فمِن شعبٍ يُبادُ، إلى

شعبٍ حلوبٍ، إلى باكٍ ومسجون!

يا مجلسَ الأمن، هذا ما جنيتَ، فما

عادتْ دعاويكَ والأيْمانُ تُغريني

لكنَّ صوتًا ضعيفًا صِرْتُ أسمعُهُ

من قلعةٍ (بنيويُرْكٍ) يناديني

يمَّمْتُهُ مُصْغِيًا مُسْتَجلِيًا، فإذا

بالمجْلس المُختَشَى يبكي، فَيُبْكِيني!

قال: «اصغِ لي وانعِنِي إن قلتُ تجربتي؛

فإنَّ خنجرَ (فيتو) سوف يُرديني»

كنت البراءةَ في عهدِ الصِّبا، فإذا

بالخُبثِ عند اكتمال النُّضجِ يغْروني!»

«ويْحِي! فما كان أعضائي سوى بَشَرٍ

ليسوا من الصخر أو من يابس الطين»

«كم بينهم مِنْ أبٍ عمَّتْ محَبَّتُهُ

كلَّ الصغارِ منَ امْريكا إلى الصين»

«غَطّى على قلبِهِ الدولارُ حين بَكَى
طفلُ العراق؛ فأمْسى فاقدَ اللين!»
«كَمْ هزَّ أفئدةَ (الأعضاءِ) مجزرةٌ
دارتْ على شعبِ بُوسْنا أو فلسطين»
«مِن فوقِهِمْ شُهِرَ (الفيتو) فثَمَّ تَرَى
دمْعَ التماسيحِ في جِسْمِ الثعابين!»
«كم ثُرتُ مستنكرَ الإرهابِ حين غزا
(ريغانُ) ليبيا بغارات القراصين»
«لكِنَّ شعلةَ إرهابٍ يُسدِّدُها
(تمثالُ حرِّيَّةِ الأقْوى) فتُخزيني!»
«قلتُ الحقيقةَ في (قانا) فكِدتُ على
حَقِّ الحَصَانةِ أُصلَى نارَ تخوين!»
«إثمُ القرارِ به وحدي أبوءُ، وكم
يُملَى ويُنسَخُ في سردابِ صهيونِ!»
«لم يبقَ لي غيرُ زفراتٍ أُضمِّنُها
عذرَ انتكاسي لِغابٍ دون قانون»
«أهدِي الحقيقةَ للأجيالِ؛ علَّ بها
تُرسَى دعَائِمُ إصلاحٍ وتحسين»
« ما عُدتُ أعبأُ (بالفيتو) وسطوتِهِ
قَدْ متُّ مِن قَبْلُ في أيَّامِ تكويني»
«والآن أمضي شهيدًا لا يُعَذِّبُني
إلاَّ مخافةَ أنْ أُدْعَى بملعون!»
ثمَّ ارتمَى خامدَ الأنفاس، وانسكبتْ
مني الدموعُ، ولا خِلٌّ يُعَزِّيني!

وارتجَّـــتِ الأرضُ مـن حـولـي بقهقهةٍ

حمقى، تعربدُ لاستخلافِ مجنون

كـان الخليفةُ حلفَ الأطلسيِّ! فما

عـاد الكلامُ ولا الأشعارُ تُجْديني

عهدَ الذئاب، متى الرجعى؟ فنشكوَ ما

عانتْ ضحاياكَ في عهد الشياطين!

بل ما الشكايةُ والصيحاتُ مُجْدِيةٌ

إن لم تُتَرجَمْ إلى فِعْلٍ وتبيين

دربُ الكَرامَةِ قفرٌ، لا يُعبِّده

إلا الجَماجِمُ، تُسْقَى بالقرابين

أين السلامُ؟ وما في الجسم أنملةٌ

إلا اكتوتْ، أو بها طعناتُ سِكِّين؟!

حَتَّام أصْمُتُ والدنيا مُعَرْبِدَةٌ

والكَوْنُ يقذفُ حولي بالبراكين؟!

حتَّام أُسلِمُ (للناتو) الزمامَ؟ ولِي

نهجي المبينُ، وجُندي بالملايين؟!

فلأبْنِ واحَةَ عدلي، لا يُروِّعها

كابوسُ فيتو، ولا الناتو بتجبين

****

١٠ - بشائر الأمل[1]

[البسيط]

يـا لـيـلـةً هـيَّـجـتْ فِـكْـري وأشـجـانـي!
وأطْـلَـقَـتْ بـلـبـاب الـشـعـر ألـحـانـي!
هـبَّـتْ بـهـا نَـفـحـاتُ الخـيـرِ نـاشِـرةً
عـلـى الـوجـودِ جـنـاحَ الـرحـمـةِ الحـاني
طـارتْ بـآفـاقـهـا الأرواحُ سـابـحَـةً
إلـى عَـوالِـمَ تـسـمـو فـوقَ تِـبـيـانـي
فـيـهـا أُحَـلِّـقُ فـي أجْـواءَ عـالـيـةٍ
مـنـهـا أُطِـلُّ عـلـى الـدُّنْـيـا بـقُـرآنـي
أُهـدي الحـيـارَى أنـيـر الـدربَ مُـحـتـذيًا
نـهْـجَ الـرَّسُـولِ ومـا يُمْـلِـيـهِ إيـمـانـي
لا لُجْـمَ تُـلْـجِـمُـنـي، لا حُـجْـبَ تحجبني
لا قـيـدَ يـحْـبِـسُـنـي، لا سـجْـن طُـغـيـانِ
لا يـأسَ يُـقـعِـدنِـي، لا شـوكَ يُـرجـعـنـي
عـمَّـا أؤمِّـل مـن روحٍ وريْـحَـانِ

☆☆☆☆

يـا لـيـلـةً بـالـشـذَى الـفـوَّاح عـابِـقَـةً
فـيـهـا انـتِـعـاشُ أحـاسـيـسـي ووجـدانـي!

---

(١) من وحي الليلة الختامية للمخيم الشبابي الإسلامي الثاني، الذي أقامه اتحاد شباب تشاد الإسلامي، بأنجمينا، في رمضان ١٤١٤هـ.

ردَّتْ إلـى الـقـلـبِ آمـالاً مُـذَهَّـبَـةً
قـد ذُوِّبَـتْ قَـبْـلُ فـي آهـاتِ أحـزانـي
عـادتْ تُـغَـرِّد بـالـقـرآن فِـتْـيَـتُـنـا
تحْـكِـي مـزامـيـرَ داوودٍ وعـثـمـانِ
تـنـسـابُ آيـاتُـه بـالخَـيـرِ دافِـقَـةً
كـالجَـدْوَلِ الـعَـذْبِ يـروِي كُـلَّ ظمـآنِ

☆☆☆☆☆

يـا فـتـيـةَ الـديـن، يـا إشـراقـةً غَـمَـرَتْ
أضـواؤهـا الـكـونَ مـن سـهـلٍ ووديـانِ
يـا أنجُـمًـا فـي ظـلام الـلـيـل لامـعـةً
يـعـشـو إلـيـهـا اهْـتِـداءً كُـلُّ حَـيْـرانِ
هـذِي الـبـشـائـرُ قَـدْ هـلَّـتْ بـفـجْـرِكُـمُ
تجـلـو الـظـلامَ، وتمـحـو كـلَّ بـهـتـانِ
والمـجـد يـرمـقـكـمْ؛ فـلْـتَـعْـلُ رايـتَـكـمْ
فـي مـوكِـبٍ بـالـهُـدَى والـعِـلْـمِ مُـزدانِ

****

١١ - الضفدع المغرور[1]

[الخفيف]

ضـفْـدعٌ فـي مسـتـنـقـعٍ عـاش دهـرًا
بـين لِـدَّاتِـهِ يُـوالـي الـنَّـقـيـقـا
عـابِـثًـا لاهِـيًـا، يُـنـاغِـي قَـريـرًا
لا يُـعَـانِـي ضَـنـكًـا ولا تـضـيـيـقـا
ذاق خَـمْـرَ الـغُـرورِ يـومًـا، جـراثيـ
ـمُ الـتَّـعـالـي شَـقَّـتْ إلـيـهِ الـطَّـريـقـا
صـاحَ فـي مَـجْـمَـعِ الـضـفـادعِ: «حسْـبِـي
عـيـشـةٌ عِـفْـتُ بِـرَّهـا والـعُـقـوقـا»
«كـم أُعـانـي الـشـقـاء فـي هـذه الحُـفْـ
ـرَةِ؛ حـيـثُ الـطـمـوحُ يَـبْـقَـى غَـريـقـا»
«كـم تجَـرَّعْـتُ غَـصَّـةً مـن جـحـود الْـ
ـخَـلْـقِ طُـرًّا مـواهـبـي والحُـقُـوقَـا!»
«أوَ لَـمْ يُـبْـصِـروا اقْـتِـداري عـلـى الـقفْـ
ـزِ، كـأنِّـي أغـزو الـفـضـاءَ الـسـحـيـقـا»؟!
«أوَ عَـيْـنِـي، ألَـمْ تـكُـنْ دُرَّةً تَجْـ
ـلـو الـديـاجـي، ولا تُـضَـاهَـى بـريـقـا؟!»
«ثُـمَّ حَـلْـقِـي، فـهـل رأوا مـثـلَـهُ فـي
عـالَـمِ الـفَـنِّ والمَـزامِـيـرِ بُـوقـا؟!»

---

(١) هي قصة ضفدع رأيته في الليل يخرج من بركة صغيرة بجانب الشارع العام، ويقفز في وسط الشارع بضع قفزات، ثم دهسته إحدى السيارات المارة، فتخيلت له هذه القصة، وذلك في خريف ١٩٩٦م.

«هـكـذا لـلـعُـلا خُـلِـقْـتُ، فـمـا لـي
فـي أحَـطِّ القِيعـانِ أرضَـى اللُّصُـوقـا؟!»
حَـمْـلَـقَـتْ نـحـوَهُ الـضـفـادعُ حـيـنًـا
أمُّـلْـت مِـنْ جُـنـونِـهِ أنْ يَـفـيـقَـا
ثـمَّ شَـقَّ الـسُّـكُـونَ صـوتٌ لِـكُـبْـرَا
هـا، تُـؤَدِّي إلـيـه نُـصْـحًـا رقـيـقـا:
«يـا أخـي، هـذه الـغـشـاوةُ غَـطَّـتْ
مِـنـك عَـيْـنًـا قـد مَـلَّـتِ الـتَّـحـديـقـا»
«هـل تَـرَى فـي الـوجـودِ غـيـرَك خلقًا
يـسـكُـن الـبَـرَّ والمـجـاري طـلـيـقـا؟!»
«يـقـطـن الـنـهـرَ والمـيـاهَ، فـإن غا
ضـتْ، فَـتَـحْـتَ الـثَّـرى يـجـوبُ الـشُّـقـوقـا»
«يـرفـع الـصَّـوْتَ كيف شـاءَ، وصـوتُ الـ
ـنـاسِ كـمْ ظـلَّ خـافِـتًـا مـخـنـوقـا»
«لـم يُـعَـذَّبْ بـالـسـجـنِ يـومًـا، ولـم يُـقْـ
ـتَـلْ بـحُـكْـمٍ بـيـن الـورى مـشـنـوقـا»
«مَـنْ لـهُ كُـلُّ ذا سـواك؟ فـهـلْ ذا الْـ
ـعيشُ يـا غِـرُّ تشتكي منه ضِيقا؟!»
فـاسـتـشـاطَ المـغـرورُ مُـنـتَـفِـخَ الأوْ
داجِ، والَـى زفـيـرَهُ والـشُّـهـيـقـا
قـال: «حـسـبـي، إنـي عـزمـت انـطـلاقًـا
أبـتَـغِـي الـعَـيْـشَ بـارزًا مـرمـوقـا!»

ثـم ثـنّـى بِـقَـفْـزَةٍ فـــارَقَ الإخْـــ

ـــوانَ فـيـهـا، مـضـى كَـمَـاءٍ أُرِيـقـا!

لـم يَـسِـرْ غـيـر أذْرُعٍ، والـتَـقَـى فِـيْـ

ـهـا بِـسَـيُـارةٍ تجُـــوبُ الـطَّـريـقـا

تحْـــتَ أقـدامِـهـا تَمَـــزَّقَ أشْـلا

ءً، وأضـحَـى بـين الـرُّحَـى مسـحـوقـا!!

هـكـذا الـعُـجـبُ والمـطـامـعُ بـحـرٌ

كُـلُّ مَـنْ غـاص فـيـه يـقـضِـي غـريـقـا!

****

١٢ - هكذا الأمجاد تُبنى[1]

[الطويل]

أإكْـلـيـلُ مَـجْـدٍ فـي جَـبـيـنٍ تَـألَّـقـا
وبَــدْرٌ علـى الأفـق الـتـشـاديِّ أشـرقـا؟
نَــعَــمْ مِـنَّــةٌ مَــنَّ الإلــهُ بـهـا عَـلَـى
تَـشَـادَ، وكَــمْ أَعْـطَـى الإلــهُ وأغْـدَقَـا!
حـبَـاهـا إمـامًـا فـي الـديـانـةِ راسِـخًـا
طَـمُـوحًـا إلـى الـعـلـيـاءِ بـالحَـقِّ ناطقا
هَـنِـيـئًـا - إمــامَ المسلمين - بـذِروةٍ
تَسَنَّمتَـهـا إذ خـابَ بَـعْـضٌ وأخْـفَـقَـا
تـرقَّـيـتَ لـلـعَـلْـيَـا الـتـي لـيـسَ فـوقَـهـا
عَـلَـى سُـلَّـمِ الـتـعـلـيـمِ والـدرسِ مُـرْتَـقَـى
فـألْـبِـسْـتَ كُـرسِـيَّ الإمــامـةِ حُـلَّـةً
وبـيَّـنـتَ نـهـجًـا كَـانَ مِـن قـبـلُ مُـغْـلَـقَـا
وبــدَّدتَ وهْـمًـا فـي الـعُـقُـول مُـعشِّـشًـا
وحَـطَّـمْـتَ قَـيْـدًا لـلـعـزائِـمِ مُـوثِـقـا
أئـمَّـتُـنَـا ظَـنُّــوا الإمــامَــةَ غـايـةً
إذا نـالَـهَـا الإنـســانُ نــامَ وأطْـرَقَـا
نسُـوا أن هَــذا الـدِّيـنَ يـخْـدِمُـه فـتًـى
إذا هَــجَــعَ الأقْــوامُ طَــارَ وحَـلَّـقـا

---

(١) تهنئة لفضيلة الإمام الدكتور حسين حسن أبكر رئيس مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد على نيله شهادة الدكتوراه كتبت بتاريخ ١١/٥/١٩٩٧م.

فعلَّمتَهمْ بالفعلِ دَرْسًا كَفَاهمُ

دروسًا طِوالاً أوْ كَلامًا مُنَمَّقا

فكنتَ لهم كالبحر يسمو إلى الذُّرَى

فيرجع غيثًا للخلائق مُغْدِقا

فجُدْ واسْقِ هذا الشعبَ بالْعِلْمِ؛ إنَّهُ

لأظمأُ شَعْبٍ فيه يُؤْجَر مَن سَقَى

وقُمْ واستعنْ بالله واكشفْ غشاوةً

أصابتْ عيونًا أو عمًى كان مُطْبقا

ولا تخشَ وخزَ الشوك في الدين؛ إنه

يُرجِّحُ ميزانًا، ويُضْفِي تألُّقا

ومن حَسَد الحُسَّاد للحق رفعةٌ

ومن ساحة الهيجا الفوارسُ تُنتَقَى

وبالنار يصفو التبرُ، والدهرُ ناطقٌ

بأنْ هكذا الأمجادُ تُبنَى وتُرتَقَى

****

١٣ - حنين[١]

[الخفيف]

نسَماتِ الأسحارِ، هُبِّي عَلَيْا
وانفَحِينِي بالله عطرًا زكِيًّا
وامنَحي قَلْبِي المُعَنَّى سلامًا
علَّهُ ماكِثٌ بجِسْمِي مَلِيًّا
فاحمِلي لي العبيرَ من أرضِ (أبْـ
ـشَى)[٢]، وحيِّي بها فُؤادًا زكِيًّا
والْثُمِي بُرْعُمًا تَفَتَّحَ فيها
عَابقًا ينشرُ الشَّذى العِطرِيّا
لم أُمَتِّعْ بشَمِّهِ؛ إذ رمَتْنِي
عنهُ أيدي القضا مكَانًا قصيّا!
طِفْلَةٌ من دَمِي بَرَاها إلهِي
فهْيَ في القلبِ والشرايينِ تحْيَا
وُلِدتْ كالهِلالِ بعدي، ولَمّا
يكتحِلْ ناظري بذاك المُحَيَّا
فلها ألفُ صُورةٍ في خَيالِي
تتبارَى في الحُسنِ نقشًا ووشْيا
فهْيَ تبدو عُصفورةً تتغنَّى
بالأناشيد بُكْرَةً وعشِيًّا

---

(١) تحية إلى المولودة الأولى/ آمنة حسب الله التي وُلدت في أبشة يوم ١٩٩٧/٥/٢٢م أثناء وجودي في انجمينا.

(٢) أبشى: مدينة تشادية تقع ناحية الشرق من تشاد وتعرف باسم مدينة العلماء وتشتهر بالتعليم الديني نظرًا لوجود معهد للأزهر الشريف وكبار علماء تشاد.

تمـلأ الـنـفـسَ بـهْـجَـةً، وتُـعـيـد الـ

ـعـيشَ صـفـوًا والـبـيـتَ روضًـا بـهـيًا

وهْـيَ فـي الـصبحِ نسمةٌ تشرح الصَّدْ

رَ ابـتـهـاجًـا، وتـبـعـث الـبَـيْـتَ حـيًّا

مـن بـعـيـدٍ أرنـو لـهـا، وفُـؤادي

خـافـقٌ نـحـوهـا يـريـد المُـضِـيًّـا

مـن بـعـيـدٍ أضُـمُّـهـا بـاشـتـيـاقٍ

لاثـمًـا وجـنّـةً وخَـدًّا طـريًّـا

☆☆☆☆

كـم تـمـلـمـلـتُ فـي الـلـيـالـي وحـيـدًا

سـاهـرًا أرقـبُ الـسُّـهـا والـثُّـريَّـا

شـاخـصًـا فـي الـدُّجـى أنـاجِـي، كـأنـي

نـاسـكٌ يـرتجِـي نـداءً عَـلِـيًّـا

قـد عـهـدتُ الأطـيـافَ تـسـرِي إلـى الـنَّـا

ئـي، فـمـا لـلـطُّـيْـفَـيْـنِ ضَـنًّـا عَـلَـيًّـا

إن يـكـن ضَـنٌّ ذو دلالٍ، فـهـل ذا

ضَـلٌّ فـي عَـبْـرِهِ الأثـيـرَ إلَـيَّـا؟!

أو تـهـاوَى ضـعـفًـا؛ فـلـم يـتـحَـمَّـلْ

رِحـلـةَ الـبِـيـدِ والـسُّـرَى الـعـاطِـفِـيَّـا

فـاسـلَـمَـا حـيثُ كُـنـتُـمَـا فـي حِـمَـى الـرحْـ

ـمـان، يـكـتُـبْ لـنـا اجـتـمـاعًـا هـنِـيًّـا

****

١٤ - في رياض العلم[1]

[مجزوء السريع]

حَـلِّـقْ - فـؤادي - أو تـبَـخْـتَـرْ
فـي الأفْـقِ أو فـي أرضِ عـبْـقَـرْ
وانـسُـجْ أكَـالـيـلاً تُحْـلِّـي
هـامـات ذا الجـيـشِ المُـظـفَّـرْ
وانـثـرْ عـلـى الأسـمـاع مـن إحْـ
ـسـاسِـكَ يـاقُـوتًـا وجَـوهَـرْ
وارْتَـدْ ريـاضًـا كـان فـيـهـا
لـلْـعِـلْـمِ يـنـبـوعٌ تَـفَـجَّـرْ
حـيـث الـرُّؤَى تـنـسـابُ فـي الـ
ـوِجْـدانِ انـسِـيَـابًـا لا يُـعَـكَّـرْ
حـيـث انـطـلاقُ الـفِـكْـرِ يـطْـوِي
بِـيـدًا بِـهَـا يَـوْمًـا تَـعَـثَّـرْ
يَـرْتـادُ آفـاقًـا رِحَـابًـا
تَـنْـأَى عـن الـتُّـرْبِ المُـعَـفَّـرْ
فـي مَـوْكِـبٍ زاكٍ بَـديـعٍ
تَـزْهُـو بـه الـدُّنـيـا وتَـفْـخَـرْ

---

(١) بمناسبة التحاقي بجامعة الملك فيصل بأنجمينا عام ١٩٩٨م.

مِـــن فَـــوقِـــهِ الأمْـــــلاكُ حَـفَّـتْ

تَـــشْـــدو بِـتَـسْـبِـيـحٍ مُـعَـطَّـرْ

فـــي واحَـــــةٍ مَـــــدَّتْ ظِـــلالاً

يَـهْـفُـو لَـهَـا رَكْـــبٌ تَحَـيُّـرْ

أشْـجـارُهـا الخـضـراءُ تُـسقَـى

مِـــن سَـلْـسَـبِـيـلٍ ثُـــمَّ كَـوْثَـرْ

جِـبْـرِيـلُ فـيـهـا نـاب عـن مـيـ

ـكـائِـيـلَ فـي الـسَّـقْـيِ وأمْـطَـرْ

والـــرُّسْـــلُ رُوَّادُ رعَـوْهـا

غَـرْسًـا وتَـشْـذيـبًـا لِـتَـخْـضَـرْ

حـتـى اسْـتـوتْ تـهـتَـزُّ دوحًـا

قَـــد مَـــدَّ أغْـصـانًـا وأثْـمَـرْ

مـا ظـلَّـلَـتْ يَـومًـا بِـلادًا

إلاَّ غَـــدَتْ بـالخَـيْـرِ تَـزْخَـرْ

فـاصْـدَحْ - أيـا قـلـبـي - وغَـرِّدْ

فـالـدَّوْحُ بـالألْحـانِ أنـضَـرْ

كُـــنْ بُـلْـبُـلاً بـالحَـقِّ يـشْـدو

يَـسْـمُـو عَـلَـى نـايٍ ومـزْهَـرْ

أوْ كُـــنْ مـعَ الأشـبـالِ شِـبْـلاً

تَحْـمِـي عَـرِيـنًـا فـيـه تَـزْأرْ

فـاجْـعَـلْ مِـنَ الـتَّـعْـلِـيـمِ نَـابًـا

كُـلُّ الـعِـدَا نـابٌ ومِـنْـسَـرْ

لا تـخْـشَ شَـوْكًـا فـي طـريـقٍ

فـالـوردُ بِـالأشـواكِ يُـخْـفَـرْ

كُـنْ نَـحْـلَـةً فـي خـيـر سـربٍ

يـجْـنِـي ويَـبْـنِـي، لـيـس يَـفْـتَـرْ

فَـلْـنَـجْـنِ عِـلْـمًـا نَـبْـنِ مَـجْـدًا

ولْـنَـجْـمَـعِ الـشَّـمْـلَ الْـبَـعْـثَـرْ

ولْـنَـرْقَ صـرح الـعـلـم نَـصْـعَـدْ

جِـسْـرًا إلـى الـعَـلْـيـا ومـغْـبَـرْ

فـوق الـفـضـاء الـرحْـب نـعـلـو

مُـسـتـنـقـعًـا لـلـدُّودِ والـذَّرْ

نُـعْـلِـي لـواءَ الـديـنِ نُـقْـصِـي

أوهَـامَ عَـقْـلٍ قَـدْ تَـحَـجَّـرْ

نَـقْـتـادُ لـلْـمِـيـنـاء جِـيـلاً

فـي لُجَّـةِ الأهْـواءِ أبْـحَـرْ

حـتـى نَـرَى الأوطـانَ يـنـمُـو

فِـيـهـا الـهُـدى، والجـهـلُ يُـنْـحَـرْ

بـل أمَّـة الإسْـلامِ تُـلْـقِـي

أحْـزانَـهـا عـنـهـا، وتُـنْـصَـرْ

يـحْـيَـا صـــلاحُ الـــديـــن فـيـنـا

أو فـيـصـلٌ مِـنَّـا سَـيَـظْـهَـرْ

فـــي عُـــرسِ طُـهْـرٍ فـيـه زُفَّـــتْ

حُـــورٌ إلـــى الـرَّكْـــب المُـطـهَّـرْ

وازدانـــــت الأرض ابـتـهـاجًـا

تَـخْـتـالُ فـي الـنَّـضْـر المُـــؤَزَّرْ

والـــقـــائـــدُ المـــيـــمـــونُ صَـلَّـى

فـي الـقُـدْسِ يـشـدو: الـلـهُ أكـبـرْ!

****

١٥ - بُشراكِ يا لغة القرآن(١)

[البسيط]

يـا ضَـــادُ، يـا لـغـةَ الـقـرآن، بُـشـراكِ
الـلـــهُ بـــدَّدَ غـيـمًـا عـن مُـحَـيَّـاكِ
الـلـهُ حـطَّـمَ قـيـدًا ظـنَّ ضـاريُـهُ
أن الـعـزائـمَ تـخـبـو بـين أسـلاك
صـاغـوا الـقـيـودَ لقتل الـضّـادِ فانقلبتْ
تـاجَ افـتـخـارٍ بـه الـرحـمـن حـلاَّك
حـتـى انـحـنـت هـامـةُ الـتـاريـخ حـين رأى
عـزَّ الـصّـمـود فـحـيـانـا وحـيّـاك
فلتهنئي بالتئام الشّمل في حدثٍ
داوٍ تَـألَّـق فـي تـاريـخـك الـزّاكـي
بـالأمـسِ مـؤتمـرٌ والـيـومَ نـدوتُـنـا
شـمـسٌ وبـدرُ أضـاءا كـلَّ دنـيـاك
هـذي الـكـواكـب مـن أبـنـائـك اجـتـمـعتْ
فـي يـوم سـعـدٍ فـزالـت عـنـكِ ظـلـمـاكِ
وازدانَ عِـقـدكِ مـزهُـوًّا بكوكبةٍ
مـن الأشـقَّـاء فـي شـوقٍ لِـلُـقـيـاكِ
خـاضـوا إلـيـكِ عُـبَـابَ الجـوِّ فـي ثقةٍ
لـم يَـثْـنِـهِـمْ مَـوْجُ إرجـافٍ وإربـاك

---

(١) بمناسبة انعقاد الندوة العلمية الدولية التي نظمتها جامعة الملك فيصل بتشاد بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية تحت عنوان: (اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل).

كـأنَّ فَـيْـصَـلَ[1] مِـنْ عَـدْنٍ يُـوَجِّـهُـهـم
نـحـو الـطـريـق مُـزيـلاً كُـل أشـواك
أو أن رابـحَ أو عـبـدَ الـكـريم[2] بَـدا
يـبـني الحُـصُـونَ ويُـرْدِي مَـن تَحَـدَّاكِ
هـا هـم بضـفـة (شـاري)[3] نـازلـون، لهم
مـنـكِ ائـتـلاقٌ كـشـهْـبٍ فَـوْقَ أفْـلاك
فـاسـتـذْكَـرَ الـنـهـرُ عـهـدًا كُـنـت رافـعـةً
فـيـهِ الـلـواءَ بِـلا نـدٍّ ولا حـاكـي
وحـدَّقـتْ مـقْـلـةُ الأيـامِ خـارقـةً
حُـجْـبَ الـسـنـين لتمحو ريـبَ شـكَّـاك
عـادتْ تَـبُـثُّ مِـنَ الـتـاريـخِ مَـلْـحَـمَـةً
تحـكـي الـبـطـولـةَ مِـن تـاريـخ أبـنـاكِ
إذ بـيـنـمـا كـنـتِ فـي الأحـزان غـارقـةً
تـشـكـينَ جـرحًـا مـن الأعـمـاق أدمـاكِ
حـين اسـتـبـاحـتْ حِـمـى الآسـاد شـرذمـةٌ
مـن الـذئـاب عَـوَتْ فـي روضِ مـغـنـاكِ
جـاءت عـلـى غـفـلـةِ الأشـبـالِ غـازيـةً
ثـم ارتـعـت حـين لا نـاطـور يـرعـاكِ
حـتـى إذا حـسـبـوا الأقـدار نـائـمـةً
أوْ أنْ عـقـمـتِ أوَ أنَّ الـقـهـرَ أرداكِ

---

(١) فيصل: الملك فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه بنى في كل عاصمة افريقية مسجدًا وفي تشاد بنى مسجدًا ومدرسة وجامعة ومستشفى.

(٢) رابح وعبدالكريم: بطلان تشاديان قاوما المستعمر الفرنسي.

(٣) شاري: نهر تشادي يعتمد على الأمطار ويقع غرب تشاد قاطعًا للكاميرون.

دوّى النداءُ قويًّا نابضًا فحكى

أمواج بحرك أو إعصار صحراك:

«رسمية أنت» فالأعداء في فزع

والشعب في فرحٍ، والسعد وافاكِ

«رسميَّة أنت» هذي شمسكِ انبثقت

من أفق عزم لو كرَّ الظلم دكَّاك

«رسميَّة أنت» في الدستور شامخةٌ

من أين نال قبول الشعب لولاك؟!

سلي الكباكب والساطور[1]: هل قطعت

عنك القلوب؟ وكلُّ الشعب يهواكِ!

سلي الفرنكَ أو التوظيفَ هل صَرَفا

عنكِ العقول؟ وهل أغرى بإشراك؟

كلا! اطمئني؛ فإنا أمة سجدت

لله ليس للامي[2] أو لشيراك[3]

قرِّي؛ فأنت مع الإسلام في دمنا

صنوان أرساه من في القلب أرساك

كنتِ الحياةَ وكان الروحِ، هل عُرِفَتْ

يومًا حياةٌ بلا روحٍ بإدراك؟!

فلتمضِ قافلة التعريب يَقْدِمُها

وحيٌ، ويحرسها المولى بأملاك

---

(١) الكباكب والساطور: آلتان حادتان استخدمهما المستعمر الفرنسي في مذبحة الكبكب الشهيرة ١٩١٧ وراح ضحيتها ٤٠٠ عالم تشادي.

(٢) لامي: هو قائد جيش الاحتلال الفرنسي الذي قتل في معركة كسرى التي استشهد فيها زعيم المقاومة الوطنية رابح، وأطلق المستعمرون اسمه على العاصمة التشادية «فورت لامي» التي غيرت بعد الاستقلال فأصبحت (انجمينا).

(٣) هو الرئيس الفرنسي (جاك شيراك).

ولـتـبـقَ فـيـصـلُ لـلإبـداع رائـدهُ
للضاد حصنًا، وشمسًا دون إحلاك
وليبق قائدها الماحي[1] ليمحوَ ما
حاك الغزاةُ بأخبالٍ وأشراك
وليبقَ شيخي إمام المسلمين[2] به
ربي يبدد دعوى كُلِّ أفَّاك
وليبقَ تركيٌّ[3] للأمجاد ينظمها
نَظْمَ اللآلئ في عقدٍ وأسلاك
من قاد رابطةَ الإسلامِ مُنتَهجًا
حزمَ الإدارةِ في إخلاصِ نُسَّاك
فليُبقه الله للإسلام مدخرًا
ولْيُجْزَ بالخير هذا المحفلَ الزاكي

****

(١) هو الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عمر الماحي، رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد.
(٢) هو الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر، رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد.
(٣) هو الدكتور عبدالله بن تركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

١٦ - الحقيقة الخالدة[1]

[البسيط]

ربَّـــاهُ، دوَّامَـــةُ الأفْـكـارِ مَـا فَـتِـئَـتْ

تَـــدورُ بِـــي بـين إضـــلالٍ وإيمـــانِ[2]

هـذا كتـابُك فـي دُرْجِـــي، وقـد عَشِـيَـتْ

عـن نُـــورِهِ عَـيْـنِـيَ الـعـمـيـا بـألْـوانِ

كـم قـلـتُ: هـذا شـعـاعٌ سـوف يـأخُـذنـي

إلـى فـضـاءِ الـهُـدَى مـن جُـبِّ أحـزانـي!

ثـم اصـطـدمْـتُ بـه صَـخْـرًا يُـلَـمِّـعُـهُ

لِـلْـعَـيْنِ دمـعٌ هَـمَـى مـن عَـيْنِ أسْـوانِ!

وكـم هـتـفـتُ: نـسـيـمٌ هَـبَّ يـدفَـعُـنِـي

بـقـارِبِـي نَـحْـوَ مِـيـنـاءٍ وشـطـآنِ

ثـم اسـتـحـالَ أعـاصـيـرًا تـقـاذَفُـنـي

مِـن ذا لِـهَـذا، لأهْـوِي نـحـوَ قِـيـعـانِ

وكـم تـراقـصـتُ: نـهـرٌ طـابَ مَـوردُهُ

أروي بـه نـفـسـيَ الـعـطـشَـى وَوِجْـدانـي

---

(١) بلسان الشاب الحائر الذي ترك كتاب الله تعالى مهملًا في الأدراج، وانطلق يبحث عن الحقيقة بين التيارات والأفكار المستوردة، وأخيرًا يكتشف أن الحقيقة كلها تكمن في كتاب الله الذي تركه وراء ظهره.

(٢) العروض تام مجنون والضرب تام مقطوع.

فـعـاد جــزْءٌ أجـاجًـا واخـتـفـى جُــزْءٌ

وعُـــدتُ تُخْـــرَقُ أحـشـائـي بـنـيـرانِ

فـرُحْـتُ أطلـب كشـف الـمُـبْـهَـماتِ لَـدَى

مـعـالـمِ الـكـونِ؛ مـن شُـهْـبٍ وخُـلْـجَـانِ

لَـعَـلَّـنِـي عـنـدهـا أحـظَـى بمعرفـتي

حـقِـيـقَـةً لـم يـشُـبْـهـا أيُّ بـطـلانِ

☆☆☆☆

فـصـافـحَـتْـنـي خـيـوطُ الـشـمـس سـاطـعـةً

بـالـتِّـبـر تـصْـبِـغ ثـوبَ الـعـالـمَ الـشـاكِـي

حـيَّـتْ فـأحـيـتْ رُفَـــاتَ الـكـونِ فـانطلقتْ

أشـــلاؤه تـلـتَـقِـي، وردُّ بـــأشـــواكِ

فـصِـحْـتُ: يـا شـمـسُ، يـا أم الـخـلائـق، بل

أنـــتِ الـحـقـيـقـةُ؛ كُـــلٌّ تحـت عـلـيـاكِ

مُـنِّـي عـلـيَّ بـنـورٍ يـسْـتَـضِـيءُ بِـهِ

قـلـبـي؛ فـإنـيَ أعْـمَـى الـقـلـبِ لـولاكِ

فـأطـلـقـتْ زفـــرةَ الـمـصـدورِ وانـطـلـقـتْ

تحـكـي أسـاهـا بـنـغـم الـمُـشـفِـق الـبـاكِـي

قـالـتْ: غـلا الـنـاس فـي قِـدْري ومـا علِموا

أنـــي حـصـاةٌ طَـفَـتْ فـي بـحْـرِ أفْـلاك

قـد أجَّـجـوا فـيَّ نـارَ الإثـم؛ إذ قـذفـوا

بِـي - فـتـنـةً بـيَ - فـي أتـون إشْـــراكِ

كم آهـةٍ لـي تـذيـب الـصـخـرَ أُطْلِـقُـهـا؛

إذ دنَّسـوا صفحتي فـي الـعـالَـم الـزاكـي!

لـكـنَّـنـي لـيـس لـي مـا أسـتـطـيـعُ بِـهِ

تـدبـيـرَ إشـراقـةٍ أو حَـبْـكَ إحـلاكِ

فاختر لنفسك - يا إنسانُ - منهَجَها

إن الحـقـيـقـةَ لـم تـخـضَـعْ لإدراكـي

****

١٧ - وقفة على آثار وارا[١]

[البسيط]

غُضُّوا العيونَ؛ فهذا موطنُ الأدبِ!
هذا الجَلالُ الذي لم يُطْوَ بالحُقُبِ
هذا الشُّمُوخ الذي لمْ يَحْنِ هامَتَهُ
عصف الأعاصير في خِصبٍ وفي جَدَبِ
هُنا مَقَامُ الفتى عبدِ الكريم[٢] الّذي
بِفَضْلِهِ الدِّينُ أوْفَى بعد مُنْقَلَبِ
مَن قام في هِمَّةٍ عزَّتْ مثيلتُها
يدعُو إلى اللهِ في إقْدام مُحتَسِبِ
يصيح: «يا قومُ لا تحْكُم عواطِفُكُم
على العقول؛ فما في الحقِّ من رِيَبِ»
«الحَقُّ أبلجُ، والبُهْتانُ في ظُلَمٍ
والحَقُّ يعلو، وعُمْرُ المَيْنِ كالحَبَبِ»
«آثارُ خالِقِكُمْ للعين باديةٌ
بكُل رُكْنٍ بهذا الكونِ مُرْتقَبِ»
هُناك ألبابُهم عَادتْ لِفِطْرَتِها
وأيْقَنوا أنهمْ في مَسْلَكٍ عَطِبِ
رأوْا تقاليدَهُمْ مِن مجْهرٍ فبدتْ
فيها الجَراثيمُ تحبو في حشًا رَطِبِ

---

(١) (من وحي رحلة قمت بها إلى وارا – العاصمة القديمة لمملكة وادي – بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٣م)
(٢) عبدالكريم: قائد تشادي قاوم ومن معه من الأبطال المستعمر الفرنسي حتى تم استقلال تشاد.

قـالـوا: «أنَـبْـنَـا إلـى الإسـلام فـانْـحُ بِنا
نَـهْـجَ الـهـدايـةِ والـتـعـلـيـمِ بـالـكُـتُـبِ»
فـسـاسـهُـم بِـقَـوانـينٍ قـد اتُّـضَـحَـتْ
لـم تَـعْـلُـهـا مـسـحـةُ الـتـمْـويـهِ والـكَـذِبِ
وأعْـقَـبَـتْـهُ سَـلاطـيْنٌ قـد انـتَـهَـجـوا
هُـداهُ، واسْـتَـبَـقُـوا لـلـمَـجْـدِ والـقُـرْبِ
والـيـومَ سـاحـاتُـهـم مِـن بـعـدِ هَـيْـبَـتِـهـا
يُـثـارُ فـيـهـا غُـبـارُ الـثـعـلـب الـطَّـرِبِ
والـقـصـرُ بـعـدَ احْـتِـشـادٍ صـارَ مـنـفـردًا
كَـرائـدٍ هـابـطٍ فـي كَـوْكَـبٍ خَـرِبِ

أطـلالَ وارا، أجـيـبـي، خَـبِّـري مـلأً
أخْـرَسْـتِـهِـم هـيـبـةً عـن كُـلِّ مُـحْـتَـجِـبِ
صِـفِـي لـنـا كـيـف كـان المُـلْـكُ مـزدهـرًا
لـسـاحِـكِ الـرحْـبِ يعشو طـالـبُ الـنَّـشَـبِ
صِـفِـي لِـمَـا مـجلسَ الـسـلـطـانِ مُـجْـتَـمِـعًـا
بِـشَـعْـبِـهِ مـثـلُ أبـنـاءٍ بـحـجْـرِ أبِ
صِـفِـي الـجـنـودَ إذا ريـعـتْ مـواطـنُـهُـمْ
هـاجـوا كـبـحـرٍ مـن الأمـواج مـضـطـربِ
صِـفِـي انـبِـعـاثَ الـهُـدى كـالـكَـهـربـاءِ بِـهِ
رأى الـطـريـقَ أنـاسٌ فـي عـمـى الـحُـجُـبِ

ألـم تـكُـونـي مَـنـارًا سـاطـعًـا زَمَـنًـا
يمـدُّ إفـريـقـيـا بـالـعِـلْـمِ والأدَبِ؟

قولي لنا: ما مَدَى أفكارِ مَنْ حَكَمُوا

هذِي البلادَ قُبَيْلَ الغزْوِ والغَلَبِ!

بني تشادَ، خَفَضْتُمْ قدْرَ مَن صَنَعوا

تاريخَكُمْ؛ فَغَدَا في أرفَعِ الرُّتَبِ!

ما قِمةُ العاقلِ الواعِي بِلا أثرٍ

بِهِ يُخَلَّدُ ذِكْرُ الأصْلِ للعَقِبِ؟!

لا فرْقَ بين قطيعٍ ضَلَّ مَوْرِدُهُ

وأُمَّةٍ في الورَى مجْهولةِ النسَبِ!

عَرفْتُمُ قِيمةَ الآثارِ إذْ بعدَتْ

وأُهْمِلَتْ إذ بَدَتْ منكُمْ على كَثَبِ!

ما نجْتَني من تراث الغير إن بقيتْ

آثارنا كحُطامٍ في الخَلا الرحِبِ

إن لم نصُنها طوى النسيانُ صفحتها

بِفَيْلَقَيْنِ: مسيلِ الغَيْثِ والنَّهْبِ!

فالسيلُ يضرِبُ في تصْميمِ مُنتَقِمٍ

جُذرانَها جَارِفًا ما هَدَّ في دأبِ

والزائرون إذا الإعْجابُ غالَبَهُمْ

مَدُّوا الأيادِيَ للآثارِ، للسَّلَبِ!

****

١٨ - دمعة وفاء[1]

[الوافر]

(أيـــدري المسلمون بمَـن أصيبوا؟)
إذن، كُثر البكا، وعلا النحيبُ
أصِيبوا بالذي شُمُّ الرَّواسِي
تَكَادُ لِهَوْلِ وَقْعَتِهِ تَذُوبُ
تَغَيَّبَ عن سماء العلْمِ بَدرٌ
أضَاءَتْ من سَناهُ لنا قلوبُ
تُوُفِّيَ شيخُنا، والموتُ حَقٌّ
كذاك الشمس يُدْرِكُها المَغِيبُ
مَضَى إذ نَحْنُ في ظَمَأٍ، فطُوبَى
لِمَن بِحَياتِهِ مُنِحَ الذُّنوبُ
أشيخِيَ، هكذا تأتي المنايا!
وما لِمُخَلَّفٍ منها هُروبُ!
لَطَمنا عند موتِك لا عِنادًا
ولكِنْ صيْحةُ الناعي تَشيبُ
ذهبْتَ إلى العِلاجِ وما عَلِمْنا
بأنَّك من ذهابِك لا تَؤوبُ

---

(١) في رثاء معلمي وشيخي في القرآن الكريم/ القوني صالح جامع القيت في أول حفل يقام بعد وفاته لتخريج دفعة من تلميذاته اللائي حفظن القرآن على يديه بتاريخ ١٣/٢/١٩٩٢م.

ذهبْتَ إلى العلاجِ، فكانَ قبرًا
وإن حَكَمَ القضا عجِزَ الطبيبُ
بكَتْكَ مساجدٌ، وبَكَتْكَ دورٌ
وصَاح عليكَ شُبَّانٌ وشِيبُ
لأجْلِكَ عَمَّ (أبُشَّى) حِدادٌ
وفي الجَنَّاتِ أفْراحٌ وطِيبُ
فنَمْ في الخُلْدِ؛ قدْ مضَتِ الليالي
وأنتَ لأجْلِنا يَقِظٌ دؤوبُ
حَياتُك كُلُّها كانت علومًا
تُدَرِّسُها، وإفتاءً تجيبُ
وهَبْتَ لِخِدْمَةِ القرآنِ عُمْرًا
طَويلاً، هكذا يهَبُ اللبيبُ
ومَن جَعَلَ الكِتابَ لَهُ سفينًا
إلى بَرِّ الأمانِ هُو المصيبُ
هو المصباح في ظُلَمِ الدياجي
هو المُنجِي إذا هجمتْ خطوبُ
هو البحرُ المحيطُ بكُلِّ عِلْمٍ
يفيض هدًى، وليس له نضوبُ
هو الدستورُ من ربِّ البَرايا
وكم بهُداهُ قد سعِدتْ قلوبُ
هو الحقُّ المبين؛ فلو قَفَوْنا
سناه لَمَا استضاقَ بنا الرَّحيبُ
حوى أخبارَ من سبقوا وماتوا
وأنبأنا بِما عَنَّا يغِيبُ

شبابَ تشادَ، هذا النهجُ فامشُوا
عليه كما مشى الشيخُ الأريبُ
ولا تستَصْعَبُوا سَهَرًا وكدًّا
فليس يضير ذا أملٍ لُغُوبُ
ومَن غَرَسَ البذورَ جنى ثمارًا
ومَنْ غرس المُنى فله الشُّحوبُ
وليس العِلْمُ فرضًا في فريقٍ
ولكِنْ كُلَّنا شَمَلَ الوجوبُ
كِتابُ اللهِ يدعُونا لجَدٍّ
ونحن سبيلُنا الأملُ الكَذوبُ
وهذا العصرُ ليس بِهِ مَجَالٌ
لذي جهلٍ، وليس به حبيبُ
فهيَّا نقتدي بمسيرِ شيْخٍ
لَهُ إذ نام أقْوامٌ وُثُوبُ
تخَرَّج عنه شُبَّانٌ دُعَاهُمْ:
له الجناتُ والمرعَى الخصيبُ
عليه سحائبُ الرضوانِ تغدو
وميزابٌ من النعمَى سَكُوبُ

****

١٩ - إلى شباب تشاد[1]

[الوافر]

شـبـابَ تـشـادَ، هَـيَّـا لـلـمـعـالـي
وجُـدُّوا مُـخْـلِـصِـين بـلا كَـلالِ
وغـوصـوا الـبـحـرَ فـي طَـلَـبِ الـلآلـي
(فـمـن طـلـب الـعـلا سـهـر الـلـيـالـي)
تـشـادُ تـريـدُ مِـنَّـا أنْ نَـكُـونـا
حُـمـاةً لَـنْ نَـخـافَ ولـن نـلـيـنـا
هُـداةً نَـنـطِـقُ الحـقَّ المُـبـيـنـا
نُـشِـيـدُ المَـجْـدَ فـوقَ ذُرَى الجـبـالِ
فَـهَـيَّـا نـحْـوَ مـيـدانِ الـعـلـومِ
فـنـأخُـذَ مِـن جَـديـدٍ أو قـديمِ
لـنـجـلُـوَ ظُـلْـمـةَ الـلـيـلِ الـبَـهـيـمِ
ونـنـقُـضَ كُـلَّ فِـكـرٍ لـلـضَّـلالِ
فـإنَّ الـعِـلْـمَ فـي الـدنـيـا سِـلاحُ
إذا هَـمَّ الـعِـداةُ بـنـا وصـاحـوا

---

(١) بمناسبة افتتاح فرع لاتحاد شباب تشاد الإسلامي بمدينة أبشة بتاريخ ١٩٩١/١٢/٩م وهذه هي أول قصيدة لي ألقيتها في احتفال أو مناسبة عامة.

نـصُـونُ بِـهِ عَـرِيـنَـا لا يُـبـاحُ
بِـهِ نَـرقَـى إلـى أَوَجِ الـكـمـالِ
مَـنِ الـقـاضـي بـشـرعِ الـلـهِ فـيـنـا؟
يُـعـيـدُ الحَـقَّ لـلـمُـسـتَـضْـعَـفـيـنـا
ويَـردَعُ بـالحُـدودِ المُـجـرِمِـيـنـا
ويُـحْـيِـي نِكْـرَ فـاروقٍ بِـبَـالِ؟
مَـنِ المُـفـتِـي لِحَـلِّ المُـعـضِـلاتِ؟
يُـبَـيِّـنُ فـي الـقـضـايـا المُـشـكِـلاتِ
ومـا رأي الـشـريـعـةِ فـي الحـيـاةِ؟
وهـلْ ذا فـي الحـرامِ أو الحـلالِ؟
مَـنِ الـطَّـبُّ الـذي يـأتـي يُـداوِي
إذا الأدواءُ هـاجـتْ (بـالـبـلاوِي)؟
يُـضَـمِّـدُ جُـرْحَ مَـنْ لـقـبـرِ هـاوٍ
بـآلامٍ، بـأنَّـاتٍ، طِـوالِ؟
نـريـدُ مـهـنـدِسًـا يـبـنِـي الـقِـبـابـا
يُـشِـيـدُ مـنـازِلاً تـسـمـو الـسـحـابـا
فـإنَّ بِـلادَنـا كـانـتْ رِحـابـا
تُـؤَمِّـلُ عَـزمَ أبـنـاءٍ رِجـالِ
فَـهَـذِي بـعـضُ أنـواعِ الـسـبـاقِ
لِـمَـنْ رامَ الـتـنـافُـسَ، يـا رفـاقِـي

فـقـدْ فُـتِـحَ المـجـالُ لِـكُـلِّ راقٍ

فـإنَّ تَـفَـرُّقَ الأهـواءِ غُـولُ

علينا - معشرَ الشبَّانِ - حتمٌ

أعيدوا ما مضَى من حُسْنِ حالي»

فإن تشادَ صاحتْ: «أن هَلُمُّوا

ونورُ العلمِ يُشْرِقُ من بنائِي»

«إذ الإسلامُ يخفقُ في سمائي

فلا حَرْبٌ، ولا قتْلُ الأهالي»

«وأبنائي جميعًا في ولائي

بحَقٍّ ليس بُهْتانًا وبِدْعا

سنفخر عند كلِّ الناسِ جَمْعا

ولم نُسْلِمْ بغزوٍ أو قِتال

بأنَّا قد دخلنا الدينَ طوْعا

ولمْ نَقبَلْ بِذُلٍّ في الحياةِ

وقفنا ضِدَّ أطماعِ الغُزاةِ

فللأوطانِ يَرخُصُ كُلُّ غال

وجُدْنَا بالنفوس الغالياتِ

ولم يَقَعوا لمخْلوقٍ سُجودا

وأجدادٍ لنا كَرِهوا القيودا

شِعارُهُمُ: «أموتُ ولا أُبالي»

إذا ما استُغْضِبوا لبِسوا الحديدا

جميعًا بالسلاحِ نَذُبُّ عنها

فلسنا منهُمُ إن لمْ نَصُنْها

فما رَضِيَ النقيصةَ ذو كمالِ

ولا نرضَى انتقاصَ الشِّبرِ منها

لإنهاضٍ بِهِ يُشْفَى الغليلُ

وما في غيرِ وحْدتِنا سبيلُ

بِهِ الأوطانُ تُنْمَى بالهُزالِ

****

٢٠ - حديث البدور[1]

[الوافر]

أيـــا بـــدرًا بِـجـوف الـلـيـلِ أَقْـبَـلْ
لـــدارٍ مِـــن مَـنـافِـذِهـا تَـسَـلَّـلْ
تـخَـطَّـى عـالَـمَ الأفـــلاكِ يَـسْـعَـى
كَـمَـلْـكٍ مِـــنْ أريـكَـتِـهِ تَـرَجَّـلْ
أتَـــدري مـا جَـنَـيْـتَ عـلـى مُـعَـنًّـى
مـشُـوقٍ، قـلـبُـهُ فـي حَـرِّ مِـرْجَـلْ؟!
هَـجَـمْـتَ عـلـيـه وَهْـــوَ عـلـى انـفـرادٍ
يُـقَـلِّـبُ فـي الـسـمـا طَـرْفًـا مُـبَـلَّـلْ
فَـهَـبَّ مُـــهَـــرْوِلاً لِـلِـقـاكَ، لَمَّـا
تَـخَـيَّـلَ فـيـكَ بـــدرًا عَـنْـهُ يَـسْـأَلْ
رأى نُـــورًا تَـــنَـــزَّلَ مِـــنْ عُـلُـوٍّ
فَـظَـنَّ شَـقـيـقَـهُ الـمَـفْـقُـودَ أقْـبَـلْ
فَـتًـى ضَـاقـتْ بِـهِـمَّـتِـهِ الأراضـــي
فـطـار إلـى الـفـضـاءِ يَـشُـقُّ مَـدْخَـلْ
فـلـمْ نَـسْـمَـعْ لـهُ خَـبَـرًا، أغـارتْ
عليهِ الشُّهْبُ؟ أم في الجوِّ قدْ ضَلَّ؟!

---

(١) سافر شقيقي الأكبر «محمد الأمين» إلى الجماهيرية الليبية للدراسة فيها عام ١٩٩٨، أيام الحصار المضروب عليها، وكان عليه الطواف عبر عدة دول حتى يصل إلى ليبيا، وانقطعت أخباره أثناء طوافه ذلك، فلم نجد عنه أية أخبار؛ مما أثار مشاعري وكتبت عنه قصيدة طويلة، ضاع بعضها بين أوراقي، وهذا جزؤها الأول.

أسـائـل كُـلَّ طـيـرٍ... كُـلَّ نَجْـمٍ
وأسـأل كُـلَّ ريـحٍ هَـبَّ: هـل.. هـلْ..؟
فـقـد هـيَّـجْـتَ يـا بـنَ الـشـهـبِ حُـزنـي
نـكـأْتَ عـلَـيَّ جُـرحًـا لـيس يُـدمَـلْ
وأنـتَ خَـلِـيٌّ بَـالٍ لَـمْ تُـفـارِقْ
حـبـيـبًـا، أو تـكُـنْ يـومًـا بمُـثْـكَـلْ!
فـذَابـتْ مِـنْ أشِـعَّـتِـهِ دمـوعٌ
عـلـى الخَـدِّ الأسـيـلِ بِـهَـا تَـخَـضَّـلْ
وغـارتْ عَـيْـنُـهُ حُـزْنًـا؛ فـكـانـتْ
شـقـوقًـا خَـالَـهَـا الـرُّوَّادُ جَـدْوَلْ
وأجـهـشَ قـائـلاً: «يـا صـاحِ، حسبي
حَـنـانـيْـك! ابْـقِ لِـي لـلـعُـذْرِ مَـحْـمَـلْ!
بِـقَـلْـبِـي مـا بِـقَـلْـبِـكَ، بَـيْـدَ أنِّـي
رأيْـتُ الـصَّـبْـرَ عـنـدَ الـلـهِ أجْـمَـلْ

****

٢١ - العربية لغتنا

[البسيط]

تشادُ، بُشْراكِ! إن الشَّملَ مُلْتَئِمُ
أبناؤكِ اجتمعوا، والوُدُّ ضَمَّهُمُ
صاحوا بأجمعِهم: لا للحروبِ، ولا
للظُّلْمِ، إنا بحبلِ اللهِ نعْتَصِمُ
بلادُنا أُوهِنَتْ بالحربِ؛ إذ تُرِكَتْ
تَعِيثُ فيها عُقُودًا بالرَّدَى الوَغَمُ
دُكَّتْ معالِمُنا، هُدَّتْ ثقافَتُنا
صِرْنا حديثًا، وقِيلَتْ حولنا التُّهَمُ
واليومَ عادتْ لنا الألبابُ، واتَّضَحَتْ
لنا الطريق، وزال العِيُّ والصَّمَمُ
فَلْنَسْتَعِدْ هِمَّةً نَبنِي البلادَ بِهَا
بالعِلْمِ والعَزْمِ يُبْنَى الشامخُ العَلَمُ
نُريدُها حُرَّةً عُظْمَى، دعائمُها
العَدْلُ، والأمنُ، والقانونُ، والقَلَمُ
سمحاءَ تزخرُ بالأخلاقِ فِتْيَتُها
(فإنما الأمَمُ الأخلاق) والقِيَم
تَلْقَى الدَّخِيلَ بِعَيْنَيْ مجْهَرٍ فَطِنٍ
إن الدخيلَ على الأوطان مُتَّهَمُ

يـا إخـوتـا! دعـوةَ الإخـلاصِ أبسُطُها
لـكُـمْ، وكُـلُّـكُـمُ لـلـحَـقِّ مُـغْـتَـنِـمُ:
هـلاَّ سـألْـتُـمْ بِـهَـمْـسٍ بَـيْنَ أنـفُـسِـكُـمْ:
أنـحْـنُ بـالـضَّـاد أم بـالـغـير نـتَّسِـم؟!
مـا الـضَّـادُ جـنـسٌ ولا أرضٌ يـحَـدُّ لـها
وإنمـا هِـي لـفـظٌ واسـعٌ عَـمَـمُ
مـن قـالـهـا عُـدَّ مـن أغـصـانِ دوحـتِـهـا
نمـاه زنجٌ أم الـيـونـانُ والـعـجـمُ
أم ضـمَّـهُ الـبـحـرُ أم فـي الـبـرِّ مـسكـنُهُ
أم كـان بـالـقـطـبِ يـفـري الـدُّبَّ يلـتَـهِـمُ
سـلـمـانُ صـار بـهـا قُـحًّـا، لـه نـسـبٌ
لـلـبـيـتِ، تَـنْـهَـلُ مِـن أقـوالِـه الأمَمُ
وابـنُ المُـقَـفَّـعِ أمـسَـى مـن أئـمَّـتِـهـا
مـا قـيـل: «تـبـرؤ مـنـك الـعُـرْبُ «إذ هـجـمـوا
لـكـنَّـنـا نَـخْـلُـق الأعـذارِ فـي زمـنٍ
لا عـذر فـيـه لِـمَـن نـامـوا ومَـن حـلـمـوا

****

٢٢ - كفالة اليتيم[1]

[الكامل]

قـــال الـصـغـيـرُ ودمـــعُـــهُ مِـــــدْرارُ:

أمَّـــــاه، أشـــعـــر أنـــنـــي أنـــهـــارُ

أُمَّـــــاهُ، هـــذا الجـــوعُ مَـــزَّقَ باطنـي

وســـــرتْ بـأحـشـائـي وقـلـبِـي الـنـارُ

المـــــاءَ أشْـــــرِبُـــــهُ؛ لـيـبـرد غُـلَّـتـي

فـــكَـــأنَّمـــا تـــبْـــريـــدُهُ إسـعـــارُ

لـي لـيـلـتـانِ ألـــوكُ بـعْـضَ «بَـلِـيـلَـةٍ»

قـــد خـــالـطَـتْ حَـبَّـاتِـهـا الأحـجـارُ

لا طَـعْـمَ فـيـهـا، غـيـرَ أنَّ لِـريـحِـهـا

نَـتْـنًـا، وشـــابَ مَـــذَاقَـــهـــا إمـــرارُ

هـا هـمْ رفـاقـي فـي الـطـريـق تـواثَـبـوا

فـــي خِـــفَّـــةٍ، فـكَـأنَّـــهُـــمْ أطـيـارُ

لـلـعـيـد قـد لَـبِـسُـوا الجـديـدَ وهـلَّـلُـوا

بـثـيـابِـهِـمْ تَـــتَـــلألأُ الأنْـــــوارُ

فـــي كَـــفِّ كُـــلٍّ كـعـكـةٌ أو لُـعْـبَـةٌ

يـلـهـو بـهـا، أو عـنـده مِـزمـارُ

---

(١) كتبت هذه القصيدة تعبيرًا عن مشاعر الفرحة والسرور التي أجدها في وجوه الأيتام وأمهاتهم، عند وصول مبالغ الكفالات التي تأتي إليهم، من الجهات الخيرية، وعلى رأسها بيت الزكاة الكويتي، عبر إدارة الأيتام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد، أو قسم رعاية الأيتام بالجمعية الخيرية للتنمية الثقافية والاجتماعية، اللتين أعمل فيهما، وهي:

وحـــدي بـقـيـت أنـــا أُجَـــرِّعُ غَـصَّـةً

فـــي غَـصَّـــةٍ، وبِـعَـيْـنِـيَ اسْـتِـعْـبـارُ!

أمَّـــاهُ، أيـــن أبـــي؟ فـمـا حـلَّـتْ بِـنـا

إذ كـــان يَـعْـمُـرُ بـيْـتَـنَـا أضـــرارُ

أمّـــاه، أيـــن أبـــي؟ فـمـا عـــادتْ لنا

مُـــذْ غـــابَ مَـنـزِلَـــةٌ ولا إكـبـارُ

أمّـــاه، أيـــن أبـــي؟ وأيـــن حـنـانـهُ؟

قـــد كـــانَ نـــهـــرًا دونَـــه الأنـــهـــارُ

لا زلـــتُ أذكـــرُ كـم حـبـوتُ لحِـجْـرِهِ

فَـتَـلَـقَّـفَـتْنِ يـــداهُ والأبـــصـــارُ

لا زلـــتُ أذكـــرُ كـيـف أضـحـى مـركـبًـا

لـــي صـــدرُهُ، وبـوجـهـه اسـتـبـشـارُ

كـم دغـدَغـتْ خَـــدِّي يـــداهُ ومِـلْـؤُهـا

حُـــبٌّ وعَـــطْـــفٌ غـــامِـــرٌ فـــوَّارُ

وكـــأنَّ فـــي رأســـي نُـعـومـةَ كَـفِّـه

لـــم تمـحُـهـا الأيـــام والأعْـــصـــارُ

أمـــاه، قـولـي أيـــن ســـار؟ فـإنـنـي

مـــاضٍ إلـيـه؛ فـقـد جـفـتـنـي الـــدارُ!

فـتـلـجـلـجَـتْ أمُّ الـصَّـبـيِّ وأجـهـشـتْ

تـبـكـي وتـنـشُـجُ؛ هـاجـهـا الـتَّـذكـارُ

ضـمـتْـهُ لـلـصـدر الـضَّـعـيـفِ وقـلـبُـهـا

فـــي لـــوعـــةٍ، ودمـــوعُـــهـــا أنـــهـــارُ

قـالـتْ تُـهَـدِّئُـهُ - وفِـيـهـا حـاجـةٌ
لِـهَـدِّيْ لـوْ أنَّـهـا تَـخْـتـارُ - :
يـا ابْـنـي أبـوكَ مـع الـنـجـوم مُـحَـلِّقٌ
يـرنُـو إلـيـكَ وكُـلُّـهُ أنـظـارُ
فـي الـعـالَـمِ الـعُـلْـوِيِّ يـسـكـنُ مـنـزلاً
تـشـدو بِـهِ وتُـرَفْـرِفُ الأطْـيـارُ
مـخْـضَـرَّةٌ أشـجـارُهُ، دفَّـاقـةٌ
أنْـهـارُهُ، سُـكَّـانُـهُ أطْـهـارُ
لا الـغِـلُّ يـنـفُـثُ فـي الـقـلـوب سـمـومَـهُ
لا فـي الـيَـدَيْـنِ يُـعَـشِّـشُ الإقـتـارُ
فـاصـبِـرْ، تَـعَـلَّـلْ بـالـرحِـيـلِ؛ فـمـا لَـنـا
فـي الأرضِ تـوطـيـنٌ ولا اسـتِـقْـرارُ
عَـمَّـا قـريـبٍ نَـلْـتَـقِـي بـأبـيـك فـي
أفْـقٍ بَـهِـيـجٍ كُـلُّـهُ أنْـوارُ
كـيـف الـبـقـاءُ بـعـالَـمٍ قَـدْ حُـجِّـرَتْ
فـيـه الـقُـلُـوبُ وضَـلَّـتِ الأبْـصـارُ؟!
الأغـنـيـا فـي تـخـمـةٍ والجـوعُ فـي الْـ
أيـتـامِ، فـي أحـشَـائِـهِـمْ نَـخَّـارُ
هـل نجـتـدي أم نـكـتـوي بـجـريـمـةٍ؟!
كَـلاَّ! فـمِـن ذا تـأْنَـفُ الأحـرارُ
لـلـه نـشـكـو مـا نـعـانـي؛ إنـه
بَـرٌّ رحِـيـمٌ فَـضْـلُـهُ مِـدْرارُ

مـــاذا سـمـعـتَ ابـنـي؟ كـأنَّ بِبابِنـا
طَـرْقًـا؟ نـعـم! فـلْـيَـدْخُـلِ الـزُّوَّارُ!
مـا كـان هـذا الـطـارق الآتـي سـوى
وفْـدًا بِـهِ قـد أرسَـلَ الأخْـيـارُ
زَفَّ الـسَّـلامَ وبَـثَّ فـي طـيَّـاتِـهِ
بُـشْـرَى بِـأن قـد زالـتِ الأكْـدارُ
إنـي رسـولُ المجلس الأعـلـى الـذي
مِـن عِـنـدِهِ تَـسُـرُّكُـم أخـبـارُ
إن كـان عـائلكم قضـى نـحـبًا ففي
ذا المجلسِ الأعـلـى لـكُم أنـصـارُ
مـا زال يـنـمِـي لـلـكـرام شـجـونَـكُـمْ
حَـتَّـى اسـتـجـابـتْ فِـتـيَـةٌ أبْـرارُ
مِـن قـائـمـي بـيـتِ الـزكَـاةِ فـإنَّـهـمْ
قـومٌ عـلـى دربِ الـهُـدَى قـد سـاروا
مـن أسـيـا يَـسْـقُـونَ فـي إفـريـقـيـا
قـومًـا ظِـمـاءً نَـالَـهُـمْ إعْـسـارُ
مَـدُّوا عـلـى هـذا الـيـتـيـمِ ظِـلالَـهُـمْ
مـن بِـرِّهِـمْ يَـأتِـي لَـهُ مِـقْـدارُ
فـتـرقـرقـتْ عـيـنُ الـصَّـبـيِّ، وأمُّـهُ
شَـدَّتْ بـأصْـلِ لِـسـانِـهـا الأوتـارُ
ثـم الـتـقـتْ عَـيـنـاهُـمـا فـي لمحـةٍ
عَـجْـلَـى، ولـكـن دونـهـا الأدهـارُ

مـــدًّا بِـــطَـــرْفٍ لـلـسـمـاء وتمـتـمَـا

فـــي دغـــــوةٍ مـــا دونَـــهـــا أســـتـــارُ:

ربَّـــاهُ، عـفـوًا إن أســأنـا الـظـنَّ فـي

كُـلِّ الـــوَرَى، فـلْـيَـمْـحُ ذا اسـتـغـفـارُ

لـم نـــدْرِ أنَّ الخـيـرَ فـي هـــذِي الـدُّنـا

بـــاقٍ، ولـــم يَـغْـصِـفْ بـــه إعـصـــارُ

ربَّـــاهُ فَـــاجْـــزِ المحـسـنـــينَ بـجَـنَّـةٍ

قـــد ســـاق بـشـراهـا لـنـا المُـخْـتـارُ

****

صبورة أرمياؤ محمد[1]

١ - فلسطين

[البسيط]

مساؤكِ الوهمُ في أحباره ألمُ
ووجهكِ اليتمَ تقتاتينَهُ رهَبَا
تلطَّخَ الفجرُ حتى صرتُ أنكرهُ
وأرعدَ الليلُ لكن لا أرى سحبا
سيلُ الجماجم في عينيك أعرفُهُ
بحرٌ من الصَّمت لا يستقطرُ الصخبا
أحبُّكِ القدس، حزنًا لا يفارقني
وأشتهيكِ كطفلٍ ضيَّع اللعبا
رأيتُ وجهكِ يا أشلاءَ راهبةٍ
توسَّد الدمعَ والأحجارَ والحصبا
لما وقفتُ على جرحي ألملمُهُ
تخثَّرَ الدمعُ فوق الجرح والْتَهبا
أفتِّشُ الدربَ عن معنى لغربتهِ
تورَّط الدربُ لما لم يجدْ سببا
مطاردٌ بجحيمٍ صار يَقْبُرني
مُغلَّفٌ بجنونٍ فاضَ وانسَكبا

---

(١) شاعرة تشادية معاصرة من مواليد ١٩٨٠، درست في جامعة الملك فيصل بتشاد، ويتسم شعرها بالحس الديني والوجدان الثائر، والنفس الطويل، والمحافظة على عمود الشعر العربي، ولم تجمع أشعارها في ديوان، فهي قصائد مبعثرة تقدمها في بعض المناسبات.

بـــــراءةٌ وجـــهـــك المـــخـــذول سيـدتـي
الـــسُّـــلُّ يـقـبـع فـــي أغـــوارنـــا حقبا
إنـــنـــي مـــــررت بـــصـــهـــيـــونَ أُســـائـــلـــه
تَـــوهَّـــج الـــطُّـــودُ لـمـا قـلـت والْـتَـهـبـا
عـواصـف الـتِّـيـه جـنّـت فـي جـوانـحـنـا
وسعفة الـنَّـخْـلِ تشكي الـعُـرْيَ والعَطبا
يـا قـبـرَ أحـمـدَ مـات الـلـون فـي شفتي
وبـعـض هـديـك عـن آذانـنـا حُـجِـبـا
عـفـوًا خُـطـاي بـشـوك الـدّرب مـطـفـأةٌ
مُـــدّت إلـيـك شـفـاهـا أُرهـقـت سغبا
يـــا أمّـــتـــي وقـــصـــيـــدي كـــل أوردتـــي
إذا كـتـبـت تـداعـى الـقـلـب منتحبا
يـا أمّـتـي وبـكـاء الـشـعـر يرهـقـني
أشـكـو لـك الـحـال أم أشـكـو لـك الـعَـرَبـا
يـــا أمّـــةً هَـــدُّمـــت أمـــجـــادَ أولـــهـــا
ويـنـخـر الـــدود فـــي أعـضـائـهـا طربـا
ويـعـبـث الـسُّـوسُ فـي أعـمـاق تربتـهـا
وتـلـعـب الـريـحُ فـي أغـصـانـهـا لعبا
لا يَـطْـهُـر الجُـــزْءُ إلا فـــي مـجـاهـدةٍ
ولـيـس كـالـــحُـرِّ فَـتّـاكًـا إذا وثـبـا

****

٢ - أشرق يا عام

[المتدارك]

أشـــــرِقْ فـــي صـــدقٍ يـــا عـــام
فَـــلَـــكَـــمْ خـــدعـــتْـــنَـــا أعـــوامُ
مَـــــرَّت كـــســـــرابٍ خـــائـــلـــنـــا
وسَـــبَـــتـــنـــا فـــيـــهـــا أوهـــــامُ
عـــشـــنـــاهـــا نـــرســـمُ لـــوحـــاتٍ
يـــتـــغـــنَّـــى فـــيـــهـــا رســـــامُ
وإذا الآمـــــالُ عـــلـــى صُـــوَرٍ
وعـــلـــيـــهـــا نـــصـــحـــو ونـــنـــام
أو لحـــنُ نـــشـــيـــدٍ فـــي فـــمـــنـــا
تُـــطـــربـــنـــا مـــنـــه الأنـــغـــام
أو تـــبـــقـــى رهـــــنَ شـــعـــاراتٍ
تـــتـــبـــارى فـــيـــهـــا الأقـــــلام

وزمـــــانٌ طـــــال.. وحـــاصـــرنـــا
طـــــاب تجـــرُعُـــــه .. وســـمـــام
حـــابِـــلُـــنـــا اخـــتـــلـــطَ بـــنـــابـــلِـــنـــا
فـــانـــدهـــشـــتْ مـــنـــهـــا الأفـــهـــام
وتـــنـــابـــذنـــا وتـــبـــاغـــضـــنـــا
وانـــــدســـــتْ فـــيـــنـــا الألـــغـــام

الـــفُـــرْقـــةُ أوهـــــتْ أمْـــتَـــنـــا

فـــانـــصـــدعـــتْ فـــيـــهـــا الأحـــكـــام

وهـــزائـــم تَـــتْـــرى هَـــدَّتْـــنـــا؟

وتـــخـــلَّـــفَ عـــنـــهـــا الإقـــــدام

ضـــاعـــت يـــا عُـــرْبُ هَـــوِيَّـــتُـــنـــا

هـــا نـــحـــن بـــقـــايـــا وحُـــطـــام

هـــا نـــحـــن فُـــلـــولٌ فـــي هـــمـــلٍ

وذيـــــول تُـــؤْمَـــرُ.. وتُـــضـــام

الـــيـــأسُ المـــوحـــش طَـــوَّقـــنـــا

فـــانـــهـــارت هِـــمَـــمٌ.. وهـــمـــام

وعـــــدوٌّ شَـــــرْسٌ يُـــصْـــلـــيـــنـــا

ذُلًّا - يـــتـــحـــكـــم - غـــشـــام؟

وكـــلـــومُ الـــقـــهـــرِ بـــداخـــلـــنـــا

هـــدَّتـــنـــا مـــنـــهـــا الآلام

مـــاتـــتْ يـــا قـــومُ حَـــمـــيَّـــتـــنـــا

وذووهـــــا الـــسَّـــلـــفُ الأعـــلام

يـــا عـــامُ مَـــلـــلْـــنـــا أنـــفـــسَـــنـــا

ولـــــذا مَـــلَّـــتـــنـــا الأيـــــامُ

وضـــمـــائـــرُ تحـــيـــا هـــاربـــةً

تـــهـــتـــفُ فـــيـــصـــيـــب الـــنُّـــوام

وقـــلـــوبٌ بِـــكْـــرُ ريـــقـــة؟

مـــا شـــاب صـــفـــاهـــا أصـــدام

مـــا لـــي يـــا عـــامُ أخـاطـبـكـم

فـلـزمـنـي أنـــت.. وأرقـــام

مـــا حَـــلَّ بـنـا فَـبـأيـديـنـا

وجـــنـــاهُ نـــحـــن.. وظـــلام

الـلـــه أمـــرنـــا فـعـصـيـنـا

ونـــهـــى.. فـاجـتـرمـت آثـــام

وهـــجـــرنـــا مـنـهـج خـالـقـنـا

فـلـكـلٍّ مـنّـا أصـنـام

والحـــلُّ الأول والأولـــى

عُـــودوا لـلـــه.. وإسـلام

فـعـســى رحـمـتـه تـدركـنـا

وتـضـيـقُ مـن الحـذر الـهَـام

****

٣ - حضارتنا الزائفة

[البسيط]

هـذي الحـضـارةُ فـي أدنـى معانيها

تعطي الجسومَ وتنسى جوهرًا فيها!

تُـقـيـمُ لـلـجـسـم سـلـطـانًـا وهـيـمـنـةً

وتـنـبـري لـعـذابِ الـروحِ تشقيها!

وآزرتْـهـا نـفـوسٌ ضـلَّ هـاجسها

فـزيـنـتْ فـي دهـاءٍ سُـوءَ حـاديـهـا!

☆☆☆☆

وشِـقـوةُ الـنـاسِ، مُـذْ كـانـوا، نفوسُهُمُ

تَـؤُزُّ أجـسـادَهـم شـرًّا فـتُـرْديـهـا!

بـئـس الـحـيـاةُ إذا كـانـت توجّهُها

تـلـك الـنـفـوسُ، وقـد نـامـت نـواهـيـهـا!

فـتـسـتـحـيـلُ حـيـاةُ الـنـاس مـجـزرةً

ويمـخُـرُ الـشـرُّ فـي شـتـى نـواحـيـهـا!

☆☆☆☆

يـا حـسـرتـاهُ عـلـى الإنـسـان قـد عَـمِـيَـتْ

مـنـه الـبـصـيـرةُ وامـتـدّتْ غـواشـيـهـا!

يعمى عن الرشد في القرآن وا أسفا!

ويُـبـصـرُ الـغـيَّ فـي دنـيـاه تـنـزيـهـا!

سمّى الفواحشَ فنًّا من سفاهتهِ

وراحَ يسفكُ طُهْرَ الغيدِ حاميها!

وأين ما كان من أخلاقٍ مؤمنِنا

يروي طهارتَها التاريخُ تنويها؟!

وأين أجنحةٌ طِرنا بها شُهُبًا

فدانت الأرضُ قاصيها ودانيها؟!

أين الأُلى حملوا القرآنَ في رَشَدٍ

فَعَمَّ نورُهُمُ الدنيا وما فيها؟!

همُ الأباةُ، وربُّ الكونِ أرسلهم

ليغسلوا الأرضَ من أدرانِ طاغيها!

شقّوا الطريقَ، ونورُ الله مرشدُهمْ

وسُنَّةُ المصطفى تجلو خوافيها!

هذا (قتيبةُ)، شرق الأرضِ حرّرهُ

و(طارقُ) الفتحِ، أرض الغرب يهديها!

حتى استقامَ لهم ما شاء ربّهُمُ

من الأمور!! تعالى الله مُجْريها!

☆☆☆☆

فأين نحن من الماضي المجيدِ؟ وهل

صُنّا الأمانةَ؟ أم ضاعتْ غواليها؟!

خُنّا الأمانةَ والأخلاق وا أسفا!!

فاجتاحَ دولتَنا الإعصارُ مُنْهيها!

☆☆☆☆

لـو غيَّر الـقـومُ مـا فـي الـنفسِ لانكشفتْ

هــذي المـفـاسـدُ، وانجــابــتْ طـواغـيـهـا!

وبُــدِّلــوا بــهــبــوطِ الـعـيـشِ أجـنـحـةً

تـسـمـو بـأمّـتـنـا والـلــهُ راعـيـهـا!!

فـبـالـصَّـلاحِ يـظـلُّ الـقـومُ فـي شـمَـمٍ!!

وبــالــذنــوب يُــذِلُّ الـلــهُ جـانـيـهـا!!

****

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوإسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

٣- د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.نهضة مصر، ١٩٩٠م.

٤- جريدة أنجمينا اليوم عدد١٢١، ١٩٩٤/٣/٢٨.

٥- حبيب عمر: الشيخ عبدالحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي.

٦- عباس محمد عبدالواحد: مقدمة ديوانه «الملامح»، تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م.

٧- د.عبدالرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٨- فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢م.

٩- الطالبة/ قمسو جرمه: صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متربز، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤ كلية الآداب جامعة أنجمينا.

١٠- الباحث/ محمد بشير عثمان: عبدالواحد حسن السنوسي حياته وأدبه، متريز بجامعة انجمينا إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٣م.

١١- د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م.

١٢- محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م.

١٣- محمد الحبيب: ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبدالحق السنوسي، (بحث) ٢٠٠١.

١٤- د.محمد صالح أيوب: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي في دار وداي، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١، ليبيا.

****

المحتوى

- تصدير، أ. عبدالعزيز سعود البابطين ٣
- إهداء ٥
- مدخل ٧
- تمهيد ١١

الشعراء

- الطاهر التلبي ٢١
- عبدالحق السنوسي ٢٥
- عبدالله يونس المجيري ٤٧
- محمد جرمة خاطر ٥٣
- حسين إبراهيم أبوالدهب ٩١
- عباس محمد عبدالواحد ١٠٣
- عيسى عبدالله ١٤٥
- عبدالقادر محمد أبه ٣٣٧
- عبدالواحد حسن السنوسي ٣٤٩

- محمد عمر الفال ٤٤٩
- أحمد عبدالرحمن إسماعيل ٥٠٥
- حسب الله مهدي فضلة ٥٤٣
- صبورة أرمياؤ محمد ٦١٧
- قائمة المصادر والمراجع ٦٢٥
- المحتوى ٦٢٧

****

المؤلف في سطور

- د محمد فوزي مصطفى خليل
- جمهورية مصر العربية – محافظة الدقهلية– السنبلاوين
- دكتوراه في الأدب والنقد بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر ١٩٩٩م.
- ماجستير في الأدب والنقد بتقدير ممتاز، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٩٤م.
- عمل في بداية حياته في التدريس للمرحلة الثانوية بالأزهر الشريف.
- تم تعيينه في وظيفة مدرس بقسم اللغة العربية والدرسات الإسلامية بكلية التربية بالعريش جامعة قناة السويس.
- ابتعثه الأزهر الشريف للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية في كليتي الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، وكلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل بتشاد لمدة أربع سنوات من سنة ٢٠٠٠ – ٢٠٠٤م.
- أوفدته وزارة الخارجية المصرية في مهمة قومية تحت اسم «خبير» للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جمال عبدالناصر في جمهورية غينيا كوناكري في الفترة من ٢٠٠٥ – ٢٠٠٨م وتولى رئاسة قسم اللغة العربية.
- أوفدته وزارة الخارجية مرة أخرى للتدريس في جامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م وتولى منصب المدير الأكاديمي للجامعة.
- شارك في عديد من المؤتمرات الدولية داخل مصر وخارجها.
- حصل على وشاح كلية الآداب جامعة أنجمينا.

- حصل على عديد من شهادات التقدير من جامعات إفريقية منها جامعة أنجمينا بتشاد وجامعة جمال عبدالناصر بغينيا كوناكري وجامعة السلام والمصالحة ببوروندي.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو الجمعية المصرية للدراسات السردية.
- عضو مجلس إدارة نادي الأدب بالعريش.

صدر له الكتب الآتية:

- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، ٢٠٠٣م.
- جماليات الأمثال في الأدب الإفريقي. مصر – تشاد – غينيا، نموذجًا، دراسة مقارنة، ٢٠٠٩م.
- المستويات الجمالية في مسرحيات الأطفال، ٢٠١٠م.
- جماليات الفكاهة وتجليات القيم في مسرحيات الأطفال، ٢٠١١م.
- جماليات التشكيل، قراءة في نصوص معاصرة، ٢٠١٢.
- محاضرات في النقد الأدبي، ٢٠١٢م.
- أشرف على كثير من أبحاث درجة التمكن «المتريز» في الجامعات الإفريقية؛ ومن أهمها: جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، جامعة الملك فيصل بتشاد، جامعة جمال عبدالناصر بجمهورية غينيا كوناكري، وجامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي.

****